درر الأسرار

في تفسير القرآن بالحروف المهملة

تأليف

مفتي الديار الشامية
محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة
الحسيني الحمزاوي الحنفي
المتوفى ١٣٠٥هـ

اعتنى به ووضع حواشيه
أسامة عبد العظيم

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة الإسراء

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	: DURR AL-ʾASRĀR FĪ TAFSĪR AL-QURʾĀN BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH	در الأسرار في تفسير القرآن بالحروف المهملة	الكتاب :
Classification:	Exegesis of the Qur'an	تفسير قرآن	التصنيف :
Author	: Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi	محمود بن محمد نسيب الحمزاوي	المؤلف :
Editor	: Usāmah ʿAbdul-ʿAẓīm	أسامة عبد العظيم	المحقق :
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميــة - بيروت	الناشر :
Pages	: 1248 (2 volumes)	1248 (جزءان)	عدد الصفحات :
Size	: 17*24	17*24	قياس الصفحات :
Year	: 2011	2011	سنة الطباعة :
Printed in	: Lebanon	لبنــان	بلد الطباعة :
Edition	: 1st	الأولى (لونان)	الطبعة :

DKi
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ +٩٦١
فاكس: ٥٨٠٤٨١٣ +٩٦١
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6939-6
ISBN 2-7451-6939-4
9 782745 169396

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي قال لنبيه المصطفى، منوها بعظمة القرآن وما فيه من الرحمة والنور والهدى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك المولى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المختار من الخليقة المجتبى، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأخيار النجبا.

أما بعد:

فإن هذا الكتاب العزيز المبارك، فيه الرحمة والشفا، فهو الهدى الذي يهدي من الضلالة، وينير الحقائق الصحيحة في ظلم الجهالة، يهدي إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويبين الطريق الموصل إلى فضله وأفضاله، ويوضح الأحكام كلها في العبادات والمعاملات، ويبين الحقوق في جميع التعلقات، وهو الشفاء من الأمراض البدنية والقلبية، وبه العصمة والنجاة في الأمور الدينية والدنيوية، وهو المزيل لأمراض الشبهات وأمراض الشهوات، بما فيه من البراهين القاطعة، والمواعظ المؤثرة والتذكيرات، وهو الموصل إلى المعارف الجليلة والعلم واليقين الكاشف للحقائق كلها بالتوضيح الكامل والبراهين، فيه نبأ الأولين والآخرين، وفيه الحكم العادل بين الخلق أجمعين، وفيه من دلائل التوحيد والنبوة والمعاد ما تطمئن به القلوب، وفيه التفاصيل العظيمة النافعة الموصلة إلى كل مطلوب، كتاب عظيم هيمن على الكتب السابقة حتى

أحاط بها وحواها، وحكم بالحق في كل ما تنازعت فيه الأمم، أولاها وأخراها، أعيا ببلاغته وحسن نظمه جميع البلغاء، وحير بحسن أسلوبه وما كشفه من غيوبه أفئدة العقلاء، وأصلح بهدايته العقائد والأخلاق والأعمال، وهدى للتي هي أقوم وأصلح وأنفع، في كل الأحوال، كتاب حفظه الله من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حميد رحيم رحمان، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم.

وقد أنعم الله علينا أن عثرنا على هذا التفسير الفذ النادر، لمفتي الشام الشيخ الجليل محمود بن حمزة الحسيني، الذي تفرد فيه بأن أتى بهذا التفسير جميعه على الحروف المهملة، الغير منقوطة، ولم يَتَأتَّ له ذلك إلّا بعد امتلاكه لموهبة لغوية، ومقدرة فائقة في فهم المعاني وترجمتها في هذا الثوب اللغوي المتفرد.

اللهم اجعل القرآن العظيم لقلوبنا ضياء، ولأسقامنا دواء، ولذنوبنا ممحصا، وعن النار مخلصا، واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا رب العالمين.

مكانة القرآن العظيمة

قد مَنَّ الله سبحانه على خلقه وخاصة المؤمن منهم بأن بعث فيهم رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وأنزل معه أفضل كتبه وخاتمها، والمهيمن عليها، يقول الله عز وجل: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي - رضي الله عنه - : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم في خطبته: « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان »... الحديث.

هذا الكتاب هو المهيمن على الكتب السابقة كلها، يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨]

والمعنى: أنه عال ومرتفع على ما تقدمه من الكتب، وهو أمين عليها وحاكم وشاهد وقيم عليها.

يقول ابن جرير: (القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل). اهـ.

وكتاب الله له المكانة العظيمة في قلب كل مسلم، وهو أيضا عظيم في نفسه، كريم مجيد عزيز.

معنى القرآن

القرآن: مصدر قرأ قرآن، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩] والكلام المقروء نفسه يسمى قرآنا، والقرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه من الله، أنزله على عبده محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وحيا، فهو منزل غير مخلوق، يقول الله:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] ويقول سبحانه: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر:١ - ٢] ويقول: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت:٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وعلى هذا أجمع سلف الأمة، رحمهم الله جميعا.

يقول ابن القيم: (فوصفه - سبحانه - بأنه محفوظ في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ووصف محله بالحفظ في هذه السورة - أي: البروج - فالله - سبحانه - حفظ محله وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل، وحفظ معانيه من التحريف، كما حفظ ألفاظه من التبديل، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان، ومعانيه من التحريف والتغير) اهـ

كتاب الله الكريم هو المنجي من الفتن، وهو أنيس المؤمن، ونور قلبه، وربيع

صدره، وجلاء همه وغمه، كتاب الله نبأ ما قبلنا، وخبر ما بعدنا، وحكم ما بيننا، هو الفصل ليس بالهزل، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى عبره، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١].

من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، هو الآية الكبرى والمعجزة العظمى التي أوتيها نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، حيث يقول: « ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » أخرجاه في الصحيحين.

فضل تلاوة القرآن

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ».

وصاحب القرآن هو المقدم في الدنيا والآخرة، وهم أهل الإكرام والإجلال، فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » أخرجه مسلم.

وعن أبي مسعود الأنصاري البدري - رضي الله عنه - ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله »... الحديث، أخرجه مسلم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان القراء أصحاب مجلس عمر - رضي الله عنه - ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا).

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط » أخرجه أبو داود، وحسنه النووي.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل الثمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر » متفق عليه.

هذا في الدنيا، أما في الآخرة فثوابه أعظم إن عمل به وأجره أكبر، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران » أخرجه مسلم، وأخرجه البخاري بنحوه.

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » أخرجه مسلم.

وصاحب القرآن هو المقدم في أول منازل الآخرة، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: " أيهم أكثر أخذا للقرآن؟ " فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد » أخرجه البخاري.

ولا يزال صاحب القرآن يترقى في منازل الجنة على قدر ما معه من القرآن، فعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ولا شك أن العناية بحفظ القرآن من أجل ما تنصرف إليه الهمم؛ لما ذلك من الأجر العظيم، وقد كان وصف هذه الأمة في الكتب السابقة بأن أناجيلهم في صدورهم وهكذا فإن الله سبحانه قد أخبر في كتابه: أن هذا الكتاب محفوظ في صدور الرجال، يقول الله - سبحانه - : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا

لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨ - ٤٩]

فأخبر سبحانه أنه في صدور العلماء محفوظ، وهذا يصدق الحديث القدسي الذي فيه: «.. إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء»... أخرجه مسلم، والمعنى: أن الماء لا يمحوه، إذ هو محفوظ في الصدور.

وقد شبه النبي - صلى الله عليه وسلم - من لم يحفظ شيئا من القرآن بالبيت الخرب، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وحفظ القرآن مشروع للمسلم، والقدر الواجب عليه منه هو ما يحتاج إليه في تصحيح عبادته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وأما حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السنة - فلا يجب على كل أحد، لكن يجب على العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السنة ما يحتاج إليه) أ هـ.

وإن مما ينبغي العناية به لمن أراد تلاوة القرآن وحفظه أمور:

أولها: وجوب الإخلاص لله في العمل الذي يقدم عليه، وألا يكون مراده به حظا من الدنيا قريب حقير.

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »... الحديث. عياذا بالله من حالة السوء.

قال ابن القيم - رحمه الله - بعدما أورد هذا الحديث: (وسمعت شيخ الإسلام

يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشر الناس من تشبه بهم من الكذابين، وادعى أنه منهم وليس منهم، فخير الناس بعدهم العلماء والشهداء والصديقون والمخلصون، وشر الناس من تشبه بهم، يوهم أنه منهم وليس منهم) اهـ

ثانيا: ينبغي لمن أراد حفظ القرآن أن يكرره ويتعاهده حتى يتمكن من حفظه، والله تعالى إن علم من عبده الصدق يسر له طريق الحفظ.

ثالثا: من كان معه شيء من القرآن قد حفظه فليتعاهده بالتكرار والمراجعة حتى لا يضيع منه، وليستعن على ذلك بالصلاة، فإن من قام بحزبه من القرآن لم ينسه.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت» متفق عليه. وزاد مسلم في رواية: « وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه ».

رابعا: مما يعين على حفظ القرآن مدارسته، وقد كان جبريل عليه السلام يدارس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القرآن في كل سنة مرة، إلا عام قبض فقد عارضه القرآن مرتين، ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في فضل مدارسة القرآن: « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ».... الحديث.

خامسا: ينبغي للمسلم ألا يغفل عن كتاب الله، وليجعل له فيه ختمة، وقد كان السلف لهم عادات في ختم كتاب الله، فمنهم من كان يختمه كل شهرين مرة، ومنهم من كان يختم كل شهر مرة، ومنهم من كان يختم كل عشر ليال، ومنهم من كان يختم في ثمان ليال، وعن الأكثرين في كل سبع ليال، ومنهم من يختم في أقل من ذلك.

والأفضل: أن يختم المسلم كل سبع؛ لفعل جمع من الصحابة حيث كانوا يحزبون القرآن إلى سبعة أحزاب، فعن أوس بن حذيفة قال: (سألت أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل وحده) رواه أبو داود.

وحزب المفصل من سورة (ق) إلى آخر القرآن العظيم، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - : « اقرأ القرآن في شهر، قلت: إني أجد قوة، قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك ». أخرجه البخاري

ومسلم، واللفظ للبخاري.

وأما من قرأه في أقل من ذلك فالغالب أنه يهذه هذًّا، ولا يفهم معاني ما يقرأ، وهذا لا ينبغي من المسلم، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال - كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - : « لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » أخرجه أصحاب السنن الأربعة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

فالسنة ألا يختم في أقل من ثلاث.

والناس يختلفون في هذا، فمنهم من هو كثير العلم دقيق الفهم سريع القراءة قليل الشغل، فهذا يقرأ من القرآن أكثر ممن هو دونه في ذلك.

وقد استحب جمع من السلف: أن تكون الختمة إما أول الليل أو أول النهار؛ لأجل أن الملائكة تصلي على من ختم بالليل حتى يصبح ومن ختم بالنهار حتى يمسي، روي ذلك موقوفا على سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وحسنه الدارمي عنه.

سادسا: يجب على المسلم أن يسعى في تعلم ما يقرأ؛ حتى يكون على بينة وفهم لما يتلوه، فيحصل له التدبر والخشوع، إذ ليس المقصود من القراءة مجرد التلاوة، كلا، فإن من هذه حاله كان شبيها بحال أهل الكتاب.

تفسير القرآن

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، وهكذا التابعون أخذوا عن الصحابة، فهذا مجاهد - رحمه الله - يقول: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأساله عنها؛ ولهذا قال الثوري - رحمه الله - : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

والمقصود: أن معاني كلام الله موجودة معلومة، وكثير منها مدون متداول ولله الحمد، وأعظم ما فسر به القرآن هو أن يفسر بالقرآن، فإنه من المعلوم أن هذا القرآن مثاني ومتشابه، أي: أن بعضه يشبه بعضا ويفسر بعضه بعضا، وأن القصص تثنى فيه فيكون في هذا الموضع ما يفسر الموضع الآخر، وهكذا.

وهذا - ولله الحمد - واضح، فإنه ما فسر كلام الله بأوضح وأدل على المراد من كلام الله، إذ هو سبحانه المتكلم به، وهو الأعلم بمراده. وهذا النوع من التفسير اعتنى به السلف كثيرا، وهناك أمثلة كثيرة؛ لذلك يطول عدها.

ثم بعد كلام الله يأتي تفسير القرآن بالسنة؛ إذ لا أعلم بمراد الله بعد الله من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي نزل عليه القرآن وأمر ببيانه للناس.

ثم يأتي أقوال الصحابة؛ إذ هم من عاصر التنزيل وأخذ عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أئمة التابعين.

ومن ثم يؤخذ من أقوال المفسرين أقربها إلى ما في الكتاب والسنة أو أقوال الصحابة، فإن كان وإلا فأقربها إلى مقتضى اللغة العربية؛ إذ هي لغة القرآن.

ومن المفسرين من يسلك مسلك الاجتهاد والاستنباط؛ فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده إذا كان علم.

وينبغي التنبيه هنا: أن المسلم يحذر من أن يقول في كلام الله بغير علم، فلا يقل: هذه الآية تفسيرها كذا، وهو لا يعلم تفسيرها، فإن هذا إثم عظيم، وقول على الله بلا علم.

ترجمة المؤلف

(١٢٣٦ – ١٣٠٥ هـ = ١٨٢١ – ١٨٨٧ م)

هو محمود بن محمد نسيب بن حسين بن يحيى حمزة الحسيني الحمزاوي الحنفي، مفتي الديار الشامية، وأحد العلماء المكثرين من التصانيف.

مولده ونشأته ووفاته في دمشق. ويعرف آله فيها ببني حمزة، نسبة إلى حمزة الحراني (من جدودهم).

تقلب صاحب الترجمة في مناصب شرعية عالية انتهت به إلى فتوى الشام (سنة ١٢٨٤ هـ) واشتهر شهرة عظيمة.

وكان عجيبا في كتابة الخطوط الدقيقة، كتب سورة الفاتحة على ثلثي حبة أرز.

وأولع بالصيد فكان آية في حسن الرماية والتفنن بها. وكان فقيهًا أديبًا شاعرًا.

من كتبه:

١- "در الأسرار" في تفسير القرآن الكريم بالحروف المهملة.

٢- "الفتاوى" منظومة في مجلد.

٣- "الفتاوى المحمودية" مجلدان ضخمان.

٤- "الفرائد البهية في القواعد الفقهية".

٥- "قواعد الأوقاف" رسالة.

٦- "العقيدة الإسلامية".

٧- "الكواكب الزاهرة في الأحاديث المتواترة"

٨- "عنوان الأسانيد"

٩- "الأجوبة الممضاة على أسئلة القضاة".

١٠- "الطريقة الواضحة إلى البينة الراجحة" في فقه الحنفية.

١١- "مجموعة رسائل" إحدى عشرة رسالة.

١٢- "أرجوزة في علم الفراسة".

١٣- "غنية الطالب، شرح رسالة أبي بكر الصديق لعلي بن أبي طالب".

منهج العمل في الكتاب

١-اعتمدنا في عملنا في هذا الكتاب على طبعة حجرية طبعت سنة ١٣٠٦هـ، ووقف على تصحيحها وضبطها إبراهيم بن علي الأحدب الطرابلسي، وقد كان انتهى من تأليفة الشيخ محمود الحسيني سنة ١٢٧٤هـ.

٢-وقد قمنا بنسخ هذه الطبعة الحجرية ومراجعتها عدة مرات.

٣-ثم قمنا بوضع بعض التعليقات والإيضاحات.

٤-وقمنا بتخريج الآيات من مواضعها في المصحف الشريف.

٥-وقد قمنا بوضع الآيات مجتمعة من المصحف قبل تفسيرها متفرقة.

٦-وقمنا بعمل فهرس تفصيلي للكتاب.

٧-وقمنا بعمل مقدمة حول مكانة القرآن العظيمة في الأمة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اسمُ الله العَلام أولُ الكلامِ

الحمدُ لله مُرسل رَسُوله الأكرم، مصدرًا مطهرًا لأحكام كَلامهِ المكرّم، حاور كُمَى الكلِم، وحاروا ولا هَمَّهُم كما ادَّعوا ولا دمدم، حادوا كَدُمى رصدها أسد، لا أعدَاد لهم ولا مدد، أَمَدَّهُ ماسِكُ السماء وأحكم العُرَى، وأمُّوا وحوَّلُوا مَعَاهِد الهَوَى ومطارح المرا، ولو أُدرِكَ دُراكهم دسا، وسما ساطع ومكر ماكرهم رسا، أسس ما أحكم الله للعوالم والأمم، وحلل ما حلل وحرَّمَ ما حرَّمَ، ومهَّدَ المسلك المسلم وسدد، ورد الملل إلى الواحد الموطد، وهو الموصل إلى الأحد الصمد، سلم وساد سالكوه ووارِدُوهُ، وهلك رائحو سواه وواكِدُوه، حصل الوارد على اسما المآمل، وحصل الواكد أردى المحامل، مورد الكل لا لعلل حكم ساطع مسمعها ومرآها، وهمم حركها مولاها ودعا مسعاها، لسرور حالٍ أو سوء مآلٍ، رعاها حكم على الوَرَى حكم محور العدل دار وما حال، أسعد السعداء المالك، مُمسكُ صدور كلامه المحرم لحرامه والمحلل للحلال، هو هو ورسوله محمد الكامل كلاهما الممسك والإمام، ردَّدَ اللهم لروحه أمد الدهر سلامًا وسلامَ ما طأطأ هلال لك، وهلل ملك.

اعلم ولد العلم هَدَاكَ الله له وللعمل، وأحادك الملل، أعلا العلوم عمودًا، وأسمَاهَا صعودًا، علم حل أسرار كلام الله لا على الحصر والمراد الواحد، حصر المراد على الحدِّ مردود إلى الأحد الواحد، حاصل المرام، أدراك مرادها، أورده الرسول المطهر أو رواه أحد أروآئه الكرام، أو أوله العلماء الأعلام، وأسسوه على أصول المعلوم، وهاك طرسًا مكملا حوى سر الوارد والمآول، مهمل الكلم لا المؤدى على معلومه المعلول، حاكه محمود ولد محمد مأسور عموم الأعصار والأمصار، ووسم له اسم: " در الأسرار " حاملا إلى مطالع سعود ملك ملوك الأمم، الراكع حول سرير ملكه عرائس الأحكام وصوارم الحكم، المسلط حسامه على أعداء الله، دوما لإعلاء أوامر مولاه، المحل روعه عرى صدورهم حل الملح، والهاد محكم أرائه مؤسس سورهم هُدَى الطل عمار الملح، مورد عدله راوٍ لكل صاد، ومسلك ردعه راوٍ لكل عائد وعاد، ملك عصر عدله كم حكاه عمر العدل أول الإسلام، لو رآه كسرى لطأطأ رأسا لعلاه وأم دار

سلام، حسامه عامل وإدراكه كامل، عطاؤه هامل وأدهمه صائل، لواؤه هائل وأسمره سائل، له الأمر المطاع والحكم الصداع، مسالم أمره سالك ومصادمه هالك، مؤمله حاصل ومؤمله واصل، سعده طالع وصارمه لامع، ورده مملوء وعهده مكلوء، أحواله الصلاح وآماله الإصلاح، أمره السداد وأمراؤه آساد، عصره سرور وعالمه مسرور، موطئه الرأس وما سواه مرؤوس، أعلامه إلى سهى السماك وممده الأملاك، مراع حسوده، ومراعي ودوده، حمده علو ومدحه سمو، ألا وهو الملك العادل الأسمى الأكرم، مولى العالم، السلطان الغازي: عبد المجيد خان، أدام الله ملكه وعلاه، وأورد صوارمه موارد دماء أعداه، والله المسئول على كل حال، والمسهل حلمًا وكرمًا لدى الحال والمآل.

سورة فاتحة الكتاب

مكية، وآيها سبع آيات

لما حوى مؤداها حكم العلم وأحكام العمل، وهما كالأصل والأس لكلام الله سموها الأم والأساس كما وسموها الحمد والدعاء لورودهما صدورها.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ﴾[1] [آية:١]

﴿بِسْمِ اللهِ﴾ الاسم هو المسمى لو أراد السائل موسومه وسواه لو أراد الكلم، والمراد الأول الله، أصله إله، وهو أصل لكل مألوه رد العلم وروده إلا لحكم عدل.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلاهما اسم مورده: رحم، ككرم، والمراد مآلهما، والحال محال على الله كما هو أصل سار لكل اسم محال ورد لله وحاله محال، وهو سر أوحاه لرسوله حدا لأوائل السور.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [آية:٢]

﴿الْحَمْدُ﴾ مصدر معدول دل على عموم الحمد، وهو سرد المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع، كحمد عمرو عمرا على علمه وكرمه.

﴿لِلهِ رَبِّ﴾ مالك.

﴿الْعَالَمِينَ﴾ كل ما دل على الله وهو ما سواه أو أهل العلم كالملك وولد آدم.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [آية:٤]

---

(١) قال الزمخشري: قرّاء المدينة والبصرة والشأم وفقهاؤها على أنّ التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها، كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال، وهو مذهب أبي حنيفة - رحمه الله - ومن تابعه، ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة. وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة، وعليه الشافعي وأصحابه رحمهم الله، ولذلك يجهرون بها. وقالوا: قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن، ولذلك لم يثبتوا ﴿آمِينَ﴾ فلولا أنها من القرآن لما أثبتوها. وعن ابن عباس: «من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى». [الكشاف: ١/٦٦]

﴿مَالِكِ﴾ كما رواه عاصم، ورواه راوٍ: (ملك).

﴿يَوْمِ﴾ ورود أعمال أهل ﴿الدِّينِ﴾ المعاد.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾

﴿إِيَّاكَ﴾ معمول أمَّه عامله للحصر، وهو ﴿نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا﴾ أدم هداك، وأصل وصوله إلى معموله (اللام) أو (إلى) كما ورد وأوسع له العمل.

﴿الصِّرَاطَ﴾ المسلك الموصل لك، وهو الإسلام.

﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ السوي.

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [آية:٧]

﴿صِرَاطَ﴾ معمول على وهم العامل المكرر وهو اهد.

﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ كل واصل لدار السلام رسلا أو أمما.

﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم الهود، وكل عاص وهو أعم.

﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ لدعوى الأهل والولد للواحد الأحد، أو أولوا العمى وعدم العلم.

(آمين): دعاء علم الملك لرسول الله لما سرد الرسول الحمد(١).

---

(١) قال أبو حيان: كره الحسن أن يقال لها أم الكتاب، وكره ابن سيرين أن يقال لها أم القرآن، وجوزه الجمهور. والإجماع على أنها سبع آيات إلا ما شذ فيه من لا يعتبر خلافه. عدَّ الجمهور المكيون والكوفيون ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴾ آية، ولم يعدوا ﴿ أنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾، وسائر العادين، ومنهم كثير من قراء مكة والكوفة لم يعدوها آية، وعدوا ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ ﴾ آية، وشذ عمرو بن عبيد، فجعل آية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، فهي على عدة ثمان آيات، وشذ حسين الجعفي، فزعم أنها ست آيات. قال ابن عطية: وقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾ هو الفصل في ذلك. ولم يختلفوا في أن البسملة في أول كل سورة ليست آية، وشذ ابن المبارك فقال: إنها آية في كل سورة، ولا أدري ما الملحوظ في مقدار الآية حتى نعرف الآية من غير الآية. [البحر المحيط: ١/١٢٤]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البقرة

مدنية، وآيها مائتان وست وثمانون آية

﴿الٓمٓ﴾ [آية:١]

﴿الم﴾ أول السور أسماء لها، أو أسماء لكلام الله، أو أول كلم، والأصح: الله أعلم[١].

(١) قال ابن الجوزي: قوله: ﴿ألم﴾ اختلف العلماء فيها وفي سائر الحروف المقطعة في أوائل السور على ستة أقوال:

أحدها: أنها من المتشابه الذي لا يعلمه الا الله. قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لله عز وجل في كل كتاب سر، وسر الله في القرآن أوائل السور، وإلى هذا المعنى ذهب الشعبي، وأبو صالح، وابن زيد.

والثاني: أنها حروف من أسماء، فاذا أُلفت ضرباً من التأليف كانت أسماء من أَسماء الله عز وجل. قال علي بن أبي طالب: هي أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذي إذا دعي به أجاب.

وسئل ابن عباس عن «آلر» و«حم» و«نون» فقال: اسم الرحمن على الهجاء، وإلى نحو هذا ذهب أبو العالية، والربيع بن أنس.

والثالث: أنها حروف أقسم الله بها، قاله ابن عباس، وعكرمة. قال ابن قتيبة: ويجوز أن يكون أقسم بالحروف المقطعة كلها، واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل: تعلمت «أ ب ت ث» وهو يريد سائر الحروف، وكما يقول: قرأت الحمد، يريد فاتحة الكتاب، فيسميها بأول حرف منها، وإنما أقسم بحروف المعجم لشرفها ولأنها مباني كتبه المنزلة، وبها يذكر ويوحد. قال ابن الانباري: وجواب القسم محذوف، تقديره: وحروف المعجم لقد بين الله لكم السبيل، وأنهجت لكم الدّلالات بالكتاب المنزل، وإنما حذف لعلم المخاطبين به، ولأن في قوله: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ دليلا على الجواب.

والرابع: انه أشار بما ذكر من الحروف إلى سائرها، والمعنى أنه لما كانت الحروف أُصولا للكلام المؤلف، أخبر أن هذا القرآن إنما هو مؤلف من هذه الحروف، قاله الفراء، وقطرب.

فان قيل: فقد علموا أنه حروف، فما الفائدة في إعلامهم بهذا؟

=

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:٢]

﴿ذَلِكَ﴾ أو ما إلى (الم) على أحد الصور المار سردها وصلح لورود اللام لما أوصله الرسول إلى المرسل له، ﴿الْكِتَابُ﴾ كلام الله، ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما حام حوله وَهْمٌ لسطوع هداه وسموه.

﴿هُدًى﴾ دال مصدر الأصل كالسرى، ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لحصول الهدى لهم لا لسواهم.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [آية:٣]

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ ما لا وصول للحس له كالإله، ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ على أكمل الأحوال، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ المراد: الحلال لوروده مدحا؛ ﴿يُنْفِقُونَ﴾ محكوم على أدائه أولا كإعطاء المعدم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [آية:٤]

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ على الرسل، وهم مسلمو أهل الملل كولد سلام وسواه، ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ علموا علما حاسما، و(هُمْ)

=

فالجواب أنه نبه بذلك على إعجازه، فكأنه قال: هو من هذه الحروف التي تؤلفون منها كلامكم، فما بالكم تعجزون عن معارضته؟! فاذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من قول محمد عليه السلام.

والخامس: أنها أسماء للسور. روي عن زيد بن أسلم، وابنه، وأبي فاختة سعيد ابن علاقة مولى أم هانئ.

والسادس: أنها من الرمز الذي تستعمله العرب في كلامها. يقول الرجل للرجل: هل تا؟ فيقول له: بلى، يريد هل تأتي؟ فيكتفي بحرف من حروفه. وأنشدوا:

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف ... لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

أراد قالت: أقف. ومثله:

نادوهم ألا الجموا ألا تا ... قالوا جميعاً كلهم ألا فا

يريد: ألا تركبون؟ قالوا: بلى فاركبوا. ومثله:

بالخير خيرات وإن شراً فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

معناه: وإن شراً فشر ولا أريد الشر إلا أن تشاء. وإلى هذا القول ذهب الأخفش، والزجاج، وابن الأنباري. [زاد المسير: ٨٩/١]

حصر، ودار المأوى للعهد المعهود.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية:٥]

﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو أمورهم على مرادهم، وهم الأصل ولو سواهم محصلا لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] سرد لوسم اللوماء لما وسم أولا الكرماء، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ وَسَهَّل راوٍ ما: (أَ) م الأولى مع المد أمامها وعدمه، ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ ردعك ووعدك لهم وعدمهما على السواء، ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ إسلامهم محال، وحاصل العامل والمعمول لا محل له أو حال مؤكد أو محمول عامل الموصول.

﴿خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ حط الله الكل على حواس الإدراك والسمع والمرأى وعطلها، أو حصل لهم حال، أو همهم مسراهم أكمل المسرى، وكلها علل للحكم المار، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾ كل ما آلم، ﴿عَظِيمٌ﴾ أوعدهم وهددهم وأورد ما هو معدلهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ

(١) قال البغوي: قوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزارع كافرا لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده. والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. انظر تفسير البغوي (٦٤/١)

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [آية:٨ - ١٦]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ لما مر حكم أهل الإسلام، وعكسهم أهل اللؤم أراد وسم أرداهم وأحطهم مسلكا، وهم كل مصر على عكس الإسلام أو مسلم كلاما لؤما ومكرا.

﴿يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد: إسرار المكروه لهم وأوهموهم عكسه، ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لإعلام الله رسوله

مكرهم وسرهم، وإمرار حكم الإسلام على أهل المكر والدرك، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ عاد مآل مكرهم وما أحسوا.

﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾[١] سوء صدر وحسد للرسول وأهل الإسلام، ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾ لما علا أمر الإسلام وأمدهم الله وسادوا على أعدائهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٢] مؤلم، ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ لصدور إسلامهم كلاما كما مر، ورواه راوٍ على وروده كسدد؛ مكرر الوسط.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ عدم إصلاحهم هو إصرارهم على المكر وطرح إمرار الإسلام للأعداء، ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[٣] رد على الحامل لهم على

---

(١) الله سبحانه وتعالى، شبه ما في قلوب المنافقين بأنه مرض، والمرض أولا يورث السقم، فكأن قلوبهم لا تملك الصحة الإيمانية التي تحيي القلب فتجعله قويا شابا، ولكنها قلوب مريضة، لماذا كانت مريضة؟ لقد أتعبها النفاق وأتعبها التنافر مع كل ما حولها، وأحست أنها تعيش حياة ملؤها الكذب، فاضطراب القلب، جعله مريضا، ولا يمكن أن يشفى إلا بإذن الله، وعلاجه هو الإيمان الحقيقي الصادق، ذلك الذي يعطيه الشفاء. انظر تفسير الشعراوي (١/٦٨).

(٢) الإشارة في العذاب الأليم بما كانوا يكذبون إنما هي الحسرة يوم الكشف إذا رأوا أشكالهم الذين صدقوا كيف وصلوا، ورأوا أنفسهم كيف خسروا. انظر تفسير القشيري (١/٢٥)

(٣) أي: جمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه. انظر تفسير السعدي (١/٤٢) ط- الرسالة.

عدم الصلاح، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ﴾ رد الله ما ادعوه أعلا رد مؤكد أكده (أَلا)، والعامل (هُمُ).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ اسلموا إسلاما كاملا كإسلام الرسول والكمل معه، أو إسلام أهل مللهم كولد سلام، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ أولو عدم الآراء والحلم، أو المراد: كل معدم لا مال له، أو كل مولى، ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ردع ورد أكده ما أكد الرد الأول.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ سرد لسوء عملهم، ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾(١) أمراء مكرهم، ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ على الإصرار على السوء. ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ معدهم ورادهم لمأوى سوء أعمالهم، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ مد العمر أو مد الأمراء للعساكر مأكلا، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ عدوهم الحدود ﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر، وهو عدم إدراك السداد كالعمى للمرأى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا﴾ أصله إعطاء المال وأوسعوه إلى كل طمع لمرام ما ﴿الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ رد المعمول إلى العامل رد معار على الاصطلاح المعلوم، ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لأصولها واصطلاحها لهلاك رأس مالهم.

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ﴾ حالهم كحال ﴿الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ وهو إعطاؤهم أحكام الإسلام وعصم دمهم وأموالهم، ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ طمسها

---

(١) أي: انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين الشياطين في تمردهم وعتوهم وصدهم عن سبيل الحق. يقال: خلا به وإليه ومعه، خلوا وخلاء وخلوة: سأله أن يجتمع به في خلوة ففعل وأخلاه معه. أو المعنى: وإذا مضوا وذهبوا إلى شياطينهم، يقال: خلا بمعنى مضى وذهب، ومنه قوله تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ أي مضت. وعبر عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة إيذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين، ولا طمأنينة منهم إليهم فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم، وإنما كل ما هنالك أن يلقوهم في عرض طريق، أما شأنهم مع شياطينهم فهم إليهم يركنون، وإليهم يتسامرون ويتحادثون، لذلك هم بهم يخلون. انظر التفسير الوسيط (١/٣٤).

وأهلكهم، أو صار أمرهم وسرهم معلوما للورى، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾ المراد: دلس سوء معادهم السرمد[1].

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ لما سدوا مسامعهم وما دار كلامهم حول الهدى، ولا رأوه صاروا كمعدوم الحواس، ﴿فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الهدى.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٩، ٢٠]:

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ المطر المدر أو هو معار لكلام الله والإسلام والعلوم، ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كل ما علا، ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ سواد الركم، وسواد المطر، أو المراد: كل إلحاد طرأ على الإسلام أو وهم طرأ على العلوم، ﴿وَرَعْدٌ﴾ الملك المعلوم أو اصطكاك الركم أو الوعد وعكسه، ﴿وَبَرْقٌ﴾ المعلوم، أو الحكم الساطع أمرها، ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ كل هائل مسموع أو ما أوعدهم الله على إلحادهم وسوء أعمالهم، ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ الحمام أو روع الإسلام، ﴿وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ ما أعده لهم على مكرهم كالسور حولهم.

---

(١) أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد نارا، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقنت بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلبهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبئس القرار. انظر تفسير السعدي (١/٤٤) ط الرسالة.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أسرع لسلها لولا أمر الله أراده، ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ كلما لمع لهم وردوا مطارح لمعه، ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ داموا محلهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ لحصول عللها وعدم مراد الله لها رد صممهم وعماهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما سوى المحال أو ما سوى المعدوم ﴿قَدِيرٌ﴾ لا راد له.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آية:٢١، ٢٢]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1] أمر عام لأهل كل عصر ومصر ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾[2] سواكم وأصلكم العدم، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ سواهم وأصلهم كأصلكم عدم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ حال (واو) الأمر المار أو حال معمول مكمل الاسم الموصول، ودل على المسلك الموصل إلى الله وهو المسلك لما أمر والإمساك عما ردع.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا﴾ مدح أو محموله ما صدره لا ووطاؤها ما صحح ولا دل على مسطحها، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ دار على ما حواه، والسماء اسم للواحد والعدد كالدرهم، ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا، والمراد: الركم على حد كل ما علاك سماء، ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ لما صار المطر مع الرماد وأودع معهما

---

(١) قال الإمام القشيري رحمه الله: العبادة موافقة الأمر، وهي استفراغ الطاقة في مطالبات تحقيق الغيب، ويدخل فيه التوحيد بالقلب، والتجريد بالسر، والتفريد بالقصد، والخضوع بالنفس، والاستسلام للحكم. ويقال: اعبدوه بالتجرد عن المحظورات، والتجلد في أداء الطاعات، ومقابلة الواجبات بالخشوع والاستكانة، والتجافي عن التعريج في منازل الكسل والاستهانة. انظر تفسير القشيري (٣٣/١).

(٢) الخلق: أصله الإيجاد على تقدير وتسوية، ويطلق في القرآن وفي عرف الشريعة على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراجها من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر. والمعنى: اجعلوا أيها الناس عبادتكم لله تعالى وحده، لأنه هو الذي أوجدكم في أحسن تقويم بعد أن كنتم في عدم، كما أوجد الذين تقدموكم. انظر التفسير الوسيط (٤٤/١).

وقدم وصفه بخلق المخاطبين مع أنه متأخر بالزمان عن خلق من تقدموهم، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره.

حكما، ولو أراد لهدر كل المواد وسواها رأسا، ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا﴾ المراد: مساو حكمه حكمه، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حالكم حال أهل العلم والإدراك، ومعمول العلم مطروح.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ سوء وَهْمٍ عرا عِلْمَكُم ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد كلاما مكرما، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ ساووا إحدى سوره مع كمال إدراككم، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ كل إله لكم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ صححوا دعواكم على عمل محمد له أو هو كلام ولد آدم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ عمل إحدى السور، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ عملها أمد الدهر، ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1] كل إله على دعواهم كود، وسواع، أو المال المعد للطمر ﴿أُعِدَّتْ﴾ أعدها الله ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٥]:

---

(١) هذه الآية تدل على إن هذه النار كانت معروفة عندهم بدليل أل العهدية، وقد قال تعالى في سورة التحريم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ فتنكير النار هنا يدل على أنها لم تكن معروفة عندهم بهذه الصفات. ووجه الجمع أنهم لم يكونوا يعلمون أن من صفاتها كون الناس والحجارة وقودا لها فنزلت آية التحريم فعرفوا منها ذلك من صفات النار، ثم لما كانت معروفة عندهم نزلت آية البقرة فعرفت فيها النار بأل العهدية لأنها معهودة عندهم في آية التحريم، ذكر هذا الجمع البيضاوى والخطيب في تفسيريهما وزعما أن آية التحريم نزلت بمكة وظاهر القرآن يدل على هذا الجمع لأن تعريف النار هنا بأل العهدية يدل على عهد سابق والموصول وصلته دليل على العهد وعدم قصد الجنس ولا ينافي ذلك أن سورة التحريم مدنية وأن الظاهرنزولها بعد البقرة، كما روي عن ابن عباس لجواز كون الآية مكية في سورة مدنية كالعكس. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للإمام الشنقيطي رحمه الله (٤/١).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسلموا لله ولرسوله ولكلامه، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ما أمرهم الله ورسوله ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: ماؤها على اصطلاح المرسل، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾ أطعموا ﴿مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ ما أطعموه أولا أو مطعم الدار الأولى، وعلى الأول كلموا الملك لما كرر لهم الإطعام وساووها صورا وطعما وما عهدوا مرأى واحد إلا والطعم هو هو، ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[1] صورا لا طعما، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ المراد: ما عم الحور ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أمدا ودوما لا حسم له وإلا لما كمل سرورهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [آية:٢٦، ٢٧]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي﴾ أراد الأعم ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلا مَا﴾[2] ورد ردا على الهود لما سألوا: ما أراد الله ورأوه محالا ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ للحكم المراد سطوعها، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الوارد ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ مورده ومحله، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

---

(١) أي: يشبه بعضه بعضاً في الصورة والرائحة، ويختلف في اللذة والطعم، أو في المزية والحسن، وعن ابن عباس: " ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسامي "؛ وهذه الجملة مؤكدة لما قبلها في معنى أن كل ثمر يشابه ما قبله في حسن المنظر ولذة الطعم مشابهة لا يفضل فيها ثمر الدنيا، فإنه يتفاوت في مناظره حسناً، وفي طعومه لذة. انظر التفسير الوسيط (١/٥١).

(٢) سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج - ٧٣) وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾ (العنكبوت - ٤١) قالت اليهود: ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ وقيل: قال المشركون: إنا لا نعبد إلها يذكر مثل هذه الأشياء فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي ﴾ أي لا يترك ولا يمنعه الحياء. أسباب النزول للواحدي (٥٩/١)، والوسيط للواحدي (١ / ٦٤).

فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾ كلاهما اسم واحد معمول لـ (أَرَادَ)، ﴿أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا﴾ كالهود، ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ كأهل الإسلام، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلا الْفَاسِقِينَ﴾ كل عاص حاسم لحده وحاصله لما سألوا ما أراد الله وما الحكم وما حصل إدراكهم لها سردها لهم وأعلمهم السرد هو الهدى لكل مسلم وعدمه لسواهم.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ﴾ ما عهده لهم وهو الإسلام لمحمد رسوله ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ (الهاء) للعهد، والمراد: العهد المؤكد، ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالرحم والإسلام، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ عصوا وصدوا العالم، وصار أمرهم إلى الدرك.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آية:٢٨]:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ﴾[1] المراد: أهل الحرم، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ أمواها، ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ لما أوصلها إلى الأرحام، وصار الماء دما والدم لحما وحله الروح، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ لدى مرور أعماركم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للمعاد، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدار الكدر السرمد على مدار الأعمال.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [آية:٢٩]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ﴾ المراد: المحل ما حله، ﴿جَمِيعًا﴾ حال الاسم الموصول وهو (مَا)، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾[2] أمر وأراد أو ملك، والأول أصح، ﴿إِلَى

---

(١) كيف اسم استفهام عن حال، وصحبه معنى التقرير والتوبيخ، فخرج عن حقيقة الاستفهام. وقيل: صحبه الإنكار والتعجب. انظر إعراب القرآن لابن سيده (١٠٩/١)

(٢) هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل خلق السماء بدليل لفظة ثم التي هي للترتيب والانفصال وكذلك آية حم السجدة تدل أيضا على خلق الأرض قبل خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى أن قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ الآية. مع آية النازعات تدل على أن دحو الأرض بعد خلق السماء لأنه قال فيها: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾. قال: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٩/١).

السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ عدلها ولما صلح السماء للواحد والعدد أعاده لها، ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ وادعى أهل الأرصاد الأرماء على العدد المسطور والحكم على عدد السماء ما رد دعواهم لو صححوها لعدم الحصر، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وصل علمه إلى الكل ولو معدوما.

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [آية:٣٠ - ٣٣]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أورد ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ﴾ عدد ملاك كمحمل أصله مألك والألوك الرسول، وهم رسل الله وسائطه إلى العالم ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ لإمرار الأحكام على أهل عصره وهو آدم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كل عاص هادر للدماء وأسسوا سؤالهم على ما عهدوه لمرد الأمم المار عصرها ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ مطهرو أرواحهم وأحوالهم له ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أعلم صالح العالم وصور آدم، وأصله الروح وسواه حساسا مدركا.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[١] اسم كل مسمى كالأسد والهر أمرها على صدره

(١) أي: فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ إلا وَعَلَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ آدَمَ اسْمَهُ بِكُلِّ لُغَةٍ، وَذَكَرَهُ آدَم لِلْمَلائِكَةِ كَمَا عُلِّمَهُ، وَبِذَلِكَ ظَهَرَ فَضْلُهُ، وَعَظُمَ قَدْرُهُ، وَتَبَيَّنَ عِلْمُهُ، وَثَبَتَتْ نُبُوَّتُهُ، وَقَامَتْ حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْمَلائِكَةِ، وَحُجَّتُهُ، وَامْتَثَلَتْ الْمَلائِكَةُ لَمَّا رَأَتْ مِنْ شَرَفِ الْحَالِ، وَرَأَتْ مِنْ جَلالِ الْقُدْرَةِ، وَسَمِعَتْ مِنْ عَظِيمِ الأَمْرِ، ثُمَّ تَوَارَثَتْ ذَلِكَ ذُرِّيَّتُهُ خَلَفًا بَعْدَ سَلَفٍ، وَتَنَاقَلُوهُ قَوْمًا عَنْ قَوْمٍ، تَحْفَظُهُ أُمَّةٌ وَتُضَيِّعُهُ أُخْرَى، وَالْبَارِئُ سُبْحَانَهُ يَضْبِطُ عَلَى الْخَلْقِ بِالْوَحْيِ مِنْهُ مَا شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنَ الأُمَمِ عَلَى مَقَادِيرِهَا وَمَجْرَى حُكْمِهِ فِيهَا، حَتَّى جَاءَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْ =

وعلمها علما كاملا، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وصححوا دعواكم ودعواهم كمال العلم كما أدعوا لا أحد سواهم أكرم على الله.

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ﴾ مؤكد لاسم المؤكد ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ المحكم لكل ما أراد.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ أعلِم الأملاك ﴿بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أعلَمَ الأملاك اسم كل مسمى وسرد لهم حكمه اللامع سرها ﴿قَالَ﴾ الله للأملاك ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ وهو حملهم آدم عليه السلام على كل عاص هادر للدماء وما رأوه، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ وهو دعواهم لا أحد سواهم أكرم على الله وادعاؤهم كمال العلم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آية: ٣٤ - ٣٩]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح وهو أورد ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ اركعوا ركوع

=

جِيرَتِهِ جُرْهُمًا، وَزَوَّجُوهُ فِيهِمْ، وَاسْتَقَرَّ بِالْحَرَمِ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَعَلَّمَهُ الْعَرَبِيَّةَ غَضَّةً طَرِيَّةً، وَأَلْقَاهَا إِلَيْهِ صَحِيحَةً فَصِيحَةً سَوِيَّةً، وَاسْتَطْرَبَ عَلَى الأَعْقَابِ فِي الأَحْقَابِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَرُفَ وَشَرُفَتْ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلامِ، وَظَهَرَتْ حِكْمَتُهُ وَحُكْمُهُ، وَأَشْرَقَ عَلَى الآفَاقِ فَهْمُهُ وَعِلْمُهُ. انظر أحكام القرآن لابن العربي (١٠٨/٨).

سلام له، ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾[1] مرد وما ركع كما ركعوا ﴿وَكَانَ﴾ حوى علم الله حاله أو صار ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾[2] مؤكد للمأمور معمول الأمر، ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء ممدودا ﴿الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا﴾ أكلا ﴿رَغَدًا﴾ واسعا لا رادع لكما ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ الكرم أو سواها، والأولى رد علمها إلى الله ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لكما ودل لردع الله لهما على عدم حوم ولد آدم حول حمى كل محرم.

﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أصدرهما وحملهما على عمل مؤد لهما أو مؤد لطردهما، ﴿الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ موسوسا لهما أو موسطا وسائط الله أعلم.

﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ الأمر لآدم وحواء، وكل ولد حواه آدم وحواء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ولد عدو لولد، ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ أموال ومطاعم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ مرور الأعمار وورود الحمام أو المعاد.

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ علمه أو ألهمه دعاء، والأول أولى ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على كل داع، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لهم.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ مع ولدكم ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كلام مكرم، أو رسول مطهر، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ المراد: الكلام أو الرسول أو كلاهما ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لحصولهم على السرور الأكمل المعد لهم، وهو دار

---

(١) قال ابن القيم - رحمه الله - : "إن معارضة الوحي بالعقل ميراث عن الشيخ أبي مرة [إبليس لعنه الله]، فهو أول من عارض السمع بالعقل وقدّمه عليه، فإن الله لما أمره بالسجود لآدم عارض أمره بقياس عقلي. انظر الصواعق المنزلة، لابن القيم، ت: أ. د. أحمد بن عطية الغامدي، (٢/ ٦٦٣).

(٢) تذكر معظم كتب التفسير هذه قصة نوم آدم في الجنة وحيدا عند تفسير هذه الآية، ويقول أبو حيان في البحر المحيط(١/١٥٦):"وفي هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون، لا نطول بذكرها، لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية ولا تفسيرها". ونلحظ أن هذه الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها وحجبها عنا، ليس بين أيدينا ما يدل عليها من النصوص الصحيحة، فأين كان هذا الذي كان؟ وما الجنة التي عاش فيها آدم وزوجه حينا من الزمان؟ ومن هم الملائكة؟ ومن هو إبليس؟ كيف قال الله تعالى لهم ذلك؟ وكيف أجابوه؟ وكيف تم خلق حواء؟، إلخ، إلخ هذا كله يحتاج إلى نص ثابت. وغالب ما يروى من آثار حولها لا يخلو من مقال أو هو من الإسرائيليات، فحسبنا ما جاءت به النصوص، ونكل علم ما رآها إلى الله سبحانه. وانظر: في ظلال القرآن (١ / ٥٩).

السعد السرمد.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ المراد: كلامه الساطع ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أمد الدوام.

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [آية: ٤٠ - ٤٤]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾[1] احمدوا ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والد وهم الأولى مروا على عهد موسى عليه السلام لما سلكوا وسط الماء وسلموا وما هلكوا أو المراد أدراككم عصر محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الإسلام لمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أوصلكم دار السرور السرمد، ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أكد الأمر أداء العهد وهو الإسلام.

﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ كلامه المكرم الوارد مع موسى عليه السلام وكلاهما مؤداه واحد وهو الإسلام للرسل.

﴿وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ كالإمام للعالم الوارد وراءكم والأولى إسلامكم أول كل أحد لعلمكم واطلاعكم على ما حواه كلامه، ﴿تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا﴾ رسمه لهم أهل مللهم أموالا وسواها، ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾.

---

(١) إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - عليهم السلام - وفي إضافتهم إلى أبيهم إسرائيل تشريف لهم وتكريم، وحث لهم على الامتثال لأوامر الله ونواهيه، فكأنه قيل: يا بني العبد الصالح، والنبي الكريم، كونوا مثل أبيكم في الطاعة والعبادة. ويستعمل مثل هذا التعبير في مقام الترغيب والترهيب، بناء على أن الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أسوأ، ففي هذا النداء. خير داع لذوي الفطر السليمة منهم إلى الإقبال على ما يرد بعده من التذكير بالنعمة، واستعمالها فيما خلقت له. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/٧٠).

﴿وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ﴾ الكلام المحكم ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ ما أولوه على أرائهم، ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ أمر محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عالموه علما كاملا.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ مع محمد صلى الله عليه وسلم، وأروائه الكرام.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾[1] الإسلام لمحمد، ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ وأولى إسلامكم أولا لعلكم، ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الوارد لموسى وهو حاوٍ ما وعد الله لكل أحد أطاعه وما أوعد لكل عصاه ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ سوء عملكم.

﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَاسْتَعِينُوا﴾ على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الصوم أو حمل كل مكروه، ﴿وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ عسر حملها وأداؤها ﴿إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ كل طائع.

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ المراد: العلم الحاسم لكل وهم طار ﴿أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ المراد: المعاد.

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آية:٤٧ - ٥٠]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والدوهم لما سلكوا وسط الماء وما هلكوا، وهو مؤكد للسرد المار، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم

---

(١) قال الإمام السيوطي: أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين أثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه". انظر لباب النقول (١/١٩).

العصر المار على عهد موسى.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ لا أحد مالك لأحد أمرا، كل مهموم لأمره، ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ وأداء العدل محال، ﴿وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ﴾ رد إلى العام المار وأصل (آلِ): أهل ﴿فِرْعَوْنَ﴾ المراد: ملك أهل مصر ككسرى ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أصل السوم روم الأمر، والمراد: حصوله وداله ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[1] كل مولود أسالوا دمه لما رأى ملك مصر حلما أو أعلمه علماؤه وهو هدم ملكه لولد مولود وسط مصر أو حولها، ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾ مسال دماء الأولاد ﴿بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ صار مسالك سلكوها، ﴿فَأَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ما حصل لكم هلاك، ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ هلك هو وعسكره، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ لما عاد الماء على عدوكم.

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية:٥١ - ٥٣]:

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لإعطاء الألواح لما عاد إلى مصر وأهلك الله عدوه، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) لموسى عليه السلام، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ لعدم علمكم أو سوء عملكم.

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ محا الله ما عملوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ما حواه الألواح، ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ ما أراه موسى عليه السلام كالعصا وسواها، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك الموصل إلى الله.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ

(١) ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على أن استحياء النساء من جملة العذاب الذي كان يسومهم فرعون. وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن الإناث هبة من هبات الله لمن أعطاهن له وهي قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ فبقاء بعض الأولاد على هذا خير من موتهم كلهم. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/١٢).

إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [آية:٥٤ - ٥٧]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها، ﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ مولاكم، ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾(١) دعوا هواكم إلى دار لا دوام لها أو أمر للإهلاك المعلوم، وأرسل الله ركما أسود أكلهم وحصلوا على ما أمرهم.

﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ﴾ طهر ﴿لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ مولاكم، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ هل هو كلام موسى، أو هو مردود إلى مطروح حاصله حصل الأمر ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ لادعائك الإرسال أو إعطائك الألواح وكلام الله لك ﴿حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً﴾ محدود كسواه لعدم علمهم، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صاح صائح أو سمعوا حسا أهلكهم لمروره على مسامعهم ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما دهاكم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾(٢) لما هلكوا لسماعهم الحس أو الصائح ﴿لَعَلَّكُمْ

(١) روي ان موسى لما رجع من ميقات ربه، رأى ما صنع قومه بعده من عبادة العجل، فغضب غضباً شديداً، ورمى بالألواح من يده، ثم أحرق العجل الذي صنعوه. ثم قال: من كان من حرب الرب فليقبل إلي، فأجابه بنو لاوي، فأمرهم أن يأخذوا السيوف ويقتل بعضهم بعضا. وإنها لكفارة عنيفة، وتكليف مرهق كان لا بد منه لتطهُر تلك النفوس الشريرة المنغمسة في عبادة المادة المتجسدة بالعجل الذهبي. واذ فعل بعضهم ما أمر به موسى قُلبت توبتهم وتدراكتهم رحمة الله التي تسع كل شيء. انظر تفسير القطان (٢٨/١).

(٢) الحق سبحانه وتعالى يكمل لنا قصة الذين قالوا ﴿أَرِنَا الله جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصاعقة﴾. موسى عليه السلام أصيب بالصاعقة أيضا.. عندما طلب أن ينظر إلى الله. ولكن هناك فرق بين الحالتين.. الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَخَرَّ موسى صَعِقاً فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ المؤمنين﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولكن الأمر لم يكن كذلك مع قوم موسى. فمع موسى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ أي أن الصاعقة أصابته بنوع من الإغماء.. ولكن مع قوم موسى. قال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾.. فكأن قوم موسى ماتوا فعلا من الصاعقة.. فموسى أفاق من =

تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ لرد الحر، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ الطائر المعلوم، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ودعوا الحرص ولما طمعوا أحرمهم الله، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما عصوا الأمر وحملهم الطمع على الحرص، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمآل عملهم لهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [آية:٥٨، ٥٩]:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ أول محل أمة رسول الله وصلى له وحوله الله لأمر أراده إلى الحرم المطهر ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعا لا راد ولا رادع لكم هو مصدر أو حال (واو) كلوا، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا، ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ دعاء مآله حط سوء أعمالهم ومحوها ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ لركوعكم ودعائكم، ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ كل أحد أطاع إكراما.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ حولوا الكلام إلى كلم سواه ومالوا إلى هواهم وسألوا مأكلا ومطعما وهو السمراء ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أصله محل الهاء، وكرره مؤكدا لسوء عملهم ﴿رِجْزًا﴾ أصله كل ما آلم، والمراد: داء مهلك وارد على محل محدود لعدم صلاح هوائه، روى أهل العلم هلاك عدد له كم لعدم صلاح الهواء المار ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ علمهم دعاء حولوه لسواه، وأمرهم مروا ركعا مروا على حال كحال الاصطلاء.

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا

=

تلقاء نفسه.. أما أولئك الذين أصابتهم الصاعقة من قومه.. فقد ماتوا ثم بعثوا لعلهم يشكرون. انظر تفسير الشعراوي (١٩٢/١).

تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[1] [آية:٦٠]:

(وَ) أورد لهم (إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى) رام الماء وأراده ﴿لِقَوْمِهِ﴾ لما أعمى الله مسالكهم وما هداهم لها ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ هل هو معلوم محدود أو لا، والأولى عدم الحد لما هو أسطع حكما ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ سال ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عدد آحاد أممهم، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ موردهم، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ﴾ هو عدم الإصلاح، ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لعامله.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴾ [آية:٦١]:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ المراد: أصولكم ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[2] هو السلوى وما معه، ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ اسأله ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا

---

(١) الاستسقاء: طلب السقيا عند عدم الماء أو حبس المطر، وذلك عن طريق الدعاء لله - تعالى - في خشوع واستكانة، وقد سأل موسى ربه أن يسقي بني إسرائيل الماء بعد أن استبد بهم العطش، عندما كانوا في التيه، فعن ابن عباس أنه قال: " كان ذلك في التيه، ضرب له موسى الحجر، فصارت منه اثنتا عشرة عيناً من ماء، لكل سبط منهم عين يشربون منها. وهذه النعمى كانت نافعة لهم في دنياهم؛ لأنها أزالت عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء ولولاه لهلكوا، وكانت نافعة لهم في دينهم؛ لأنها من أظهر الأدلة على وجود الله. وعلى قدرته وعلمه، ومن أقوى البراهين على صدق موسى - عليه السلام - في نبوته. انظر التفسير الوسيط (١/١٠٧).

(٢) ذكر الله تعالى بعض قبائح اليهود، ومنها أنهم قالوا لموسى: لا يمكننا أن نستمرّ على طعام واحد، وهو المنّ والسّلوى، وطلبوا أطعمة أخرى من الخضروات والبقول كالحنطة والعدس، والبصل والقثاء، ومن قبائحهم كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء بغير حق، كزكريا ويحيى وغيرهما، فجعل الله الذّلة والمسكنة محيطة بهم كما تظلل الخيمة من فيها، ولا يعدّ وجودهم في فلسطين متناقضا مع إذلال الله لهم لأنه وجود عنصري متعصّب قائم على الحقد والبغضاء والكراهية، وعلى الاغتصاب والظلم والشّر والتّآمر مع قوى البغي والعدوان، وزوال كل ذلك سريع بإذن الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٣٠).

وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ﴾ الله أو موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ أحط، والمراد: الكلاء ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أعلا وهو السلوى وما معه ودعا الله لهم وأمرهم الله ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا﴾ المعلوم أو أحد الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ صار كالسور لهم ﴿الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا﴾ كصموا وعادوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ﴾ ما دار حولهم كالسور ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ المراد: لو سألهم سائل لم أوردوهم موارد الحمام لحاروا وما رأوا لسؤله ردا أداهم لسوء عملهم ولو على دعواهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ لحسمهم حدود أوامر الله وكرره مؤكدا كما، وهو أصل أوعده الله كل حاسم حدوده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية:٦٢]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسلموا للرسل ومروا على عهدهم أو لمحمد، ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم﴾ الهود، ﴿وَالنَّصَارَى﴾ معلوم، ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ أحد أرهاط الهود أو ما مر أمامهم أولا لا لهؤلاء ولا لهؤلاء وهم أمم لأحد الرسل المار عصرهم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ ومر وهلك أولا، وما ورد على حكم رسوله المسلم له حكم رسول سواه مولى السلام أو أسلم لمحمد، ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هو ما وعدهم الله على إسلامهم وأعده لهم، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لدى المعاد، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على مرور أعمارهم سدى.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آية:٦٣ - ٦٤]:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم للإسلام لموسى وعملكم وسماعكم لكلام الله الوارد له، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ حمل الملك الطور، وصار إلى أعلاهم روعا لهم لما ما سمعوا لكلام الله الوارد لموسى ولا عملوا على ما أسسه لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ وهو كلام الله ﴿بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اعملوا ودوموا على أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ

﴿تَتَّقُونَ﴾ كل سوء ومكروه.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ العهد، ﴿فَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ هو إلهام الله لهم سؤاله محو سوء عملهم أو إرسال محمد لما دعاهم وهداهم ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأولى هلكوا أولا رسول هاد لكم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾(١) على عهد داود لما عملوا محلا ساحل الماء وأوصلوا الماء له وصادوا السمك ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ المراد: رد صورهم لها وطردهم ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ حالهم وعكس صورهم ﴿نَكَالا﴾ ردعا لكل عامل عملهم ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أمامها ووراءها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله وأورد لهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ

(١) السبت: المراد به اليوم المسمى بهذا الاسم، وأصل السبت - كما قال ابن جرير - الهدوء والسكون في راحة ودعة، ولذلك قيل للنائم: مسبوت لهدوئه وسكون جسده واستراحته كما قال - جل ثناؤه - ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ أي راحة لأبدانكم، وهو مصدر، من قول القائل سبت فلان يَسبت سبتاً. وملخص قصة اعتداء بني إسرائيل في يوم السبت، أن الله - تعالى - أخذ عليهم عهداً بأن يتفرغو لعبادته في ذلك اليوم، وحرم عليهم الاصطياد فيه دون سائر الأيام، وقد أراد - سبحانه - أن يختبر استعدادهم للوفاء بعودهم، فابتلاهم بتكاثر الحيتان في يوم السبت دون غيره، فكانت تتراءى لهم على الساحل في ذلك اليوم قريبة المأخذ سهلة الاصطياد فقالوا: لو حفرنا إلى جانب ذلك البحر الذي يزخر بالأسماك يوم السبت حياضاً تنساب إليها المياه في ذلك اليوم ثم نصطادها من تلك الحياض في يوم الأحد وما بعده، وبذلك نجمع بين احترام ما عهد إلينا في يوم السبت، وبين ما تشتهيه أنفسنا من الحصول على تلك الأسماك، فنصحهم فريق منهم بأن عملهم هذا إنما هو امتثال ظاهري لأمر الله، ولكنه في حقيقته خروج عن أمره من ترك الصيد في يوم السبت، فلم يعبأ أكثرهم بذلك، بل نفذ تلك الحيلة، فغضب الله عليهم ومسخهم قردة، وجعلهم عبرة لمن عاصرهم ولمن أتى بعدهم.

والحديث عن أصحاب السبت قد جاء ذكره مفصلا في سورة الأعراف كما جاءت الإشارة إليه في سورتي النحل والنساء. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/١١٩).

إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا
تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن
شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى
ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ
﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ
بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٦٧ - ٧٤]:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما أهلك أولا ولد عليه السلام لهم موسى حرصا وطمعا وما عملوا مهلكه، وسألوا موسى دعاء الله لهم ودعاه ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾(١) ما حصل علمهم لو عملوا ما أمرهم وصلوا إلى مرامهم ورأوه كالمحال ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لما أورد اللهو موارد الأحكام ولما عملوا إصراره على ما أمرهم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ ما حالها وكم عمرها ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ﴾ عمرها وسط ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المسطور، ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

---

(١) اختبر الله تعالى بني إسرائيل بأمرهم بذبح بقرة، ليظهر مدى مصداقيتهم وامتثالهم أوامر الله تعالى، وذلك بسبب قتل رجل عمه الذي كان ابن الأخ الوارث الوحيد له، ومن أجل التعرف على القاتل، بدلا من اقتتال بعضهم مع بعض، وكان يجزئهم ذبح أي بقرة، إلا أنهم تشدّدوا في بيان أوصاف البقرة، فشدّد الله عليهم، بعد أن اشتروها بملء جلدها ذهبا، فذبحوها متردّدين، ثم ضربوا القتيل ببعضها، فعاش حيّا، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا، لابن أخيه، ثم عاد ميتا، فلم يعط من ماله شيئا، لأنه قاتل، وصار ذلك حكما دائما. وهذه هي قصة ذبح البقرة. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٣١/١).

ما أمركم مولاكم أو ما آمركم.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ مؤكد للموسوم كما أكد الأسود حالك ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ لها، والمراد: حصول السرور لكل راء لها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ هل أحد السوائم أم العمال ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى أمر الله والعمل أو إلى اسمى مرامهم وهو وصول علمهم إلى مهلك أحدهم.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ رد لسؤالهم المار وهو مع السوائم أم العمال، وحاصل الرد مع السوائم لا العمال ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ سلمها الله، أو أهلها سلموها ما أعملوها ﴿لا شِيَةَ فِيهَا﴾ ما على مسكها لا سواد ولا حمار سوى أصله لعدم أعمالها.

﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾[1] رسمها الكامل وراموها وحصلوها لدى ولد لا والد له وساموها أمه وأعطوها ملء مسكها مالا، ولولا حرصهم على السؤال لسد سواها مسدها كما ورد ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لما رام الولد وأمه ملاء مسكها مالا.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ المراد حصول الدعوى أو كل طرح سوء عمله على سواه وداعاه ﴿وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ صار ما أمروه معلوما لكل أحد، والموصول معمول للاسم لما حكاه وأراد الحال المار.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ المراد الأعم، ولما رموه أعاد الله له روحه وكلمهم ودلهم على مُهْلِكه، وهم أولاد عمه، وعاد لحاله هالكا ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾[2] دلائله، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ رد الروح الواحدة إلى الهالك العادم كرد الأرواح

---

(١) كأن ما قاله موسى قبل ذلك كان خارجا عن نطاق الحق. وذبحوا البقرة ولكن عن كره منهم لأنهم كانوا حريصين على ألا يذبحوها، حرصهم على عدم تنفيذ المنهج. هم يريدون أن يماطلوا الله سبحانه وتعالى.. والله يقول لنا أن سمة المؤمنين أن يسارعوا إلى تنفيذ تكاليفه، واقرأ قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السماوات والأرض أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] وهذه السرعة من المؤمنين في تنفيذ التكاليف دليل على عشق التكليف.. لأنك تسارع لتفعل ما يطلبه منك من تحبه. انظر تفسير الشعراوي (٢٥٥/١).

(٢) أي: أن المراد بالإحياء رد الحياة إليهم بعد ذهابها عنهم، إذ الموتى هم الذين ماتوا بالفعل، وإحياؤهم رد أرواحهم بعد موتهم وليس هناك نص صحيح يعتمد عليه في مخالفة هذا الظاهر، =

كلها إلى العالم على السواء.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ **ما حصل كله،** ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[1] **المراد: ما لا روح له ولا علم ولا إدراك أطاع أوامر الله وصار ممرا لأحكامه، وهؤلاء أولو الأحلام والأرواح والعلم ما صاروا مصدرا لأوامر**

=

ولا توجد أيضاً قرينة مانعة من إرادة هذا المعنى المتبادر من الآية بأدنى تأمل وما دام الأمر كذلك فلا يجوز تأويله بما يخالف ما يدل عليه اللفظ دلالة واضحة، ومن التعسف الظاهر أن يراد من الموتى الأحياء من الناس، وبإحياء الموتى تشريع العقوبات صوناً لدماء الأحياء منهم والله تعالى حينما أراد أن يدل على هذا المعنى قال ﴿وَلَكُمْ فِي القصاص حَيَاةٌ يا أولي الألباب لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهذه الآية الكريمة تدل على أن القصاص من الجنة يحفظ على الناس حياتهم بدون التواء أو تعمية. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/١٢٨).

(١) بِاعْتِبَارِ مَا يُعْهَدُ فِي التَّخَاطُبِ الْعَرَبِيِّ، كَأَنَّ عَرَبِيًّا يُحَدِّثُ آخَرَ وَيَقُولُ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ فِي قَسْوَتِهَا تُشْبِهُ الْحِجَارَةَ أَوْ تَزِيدُ عَلَيْهَا. وَيَصِحُّ فِيهَا التَّقْسِيمُ، أَيْ أَنَّ الْقَسْوَةَ عَمَّتْ قُلُوبَكُمْ، فَأَقَلُّهَا قَسْوَةً تُشْبِهُ الْحَجَرَ الصَّلْدَ، وَمِنْهَا مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قَسْوَةً، وَأَظْهَرُ مِنْهُمَا أَنْ تَكُونَ لِلإِضْرَابِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُبَالَغَةِ، أَيْ بَلْ هِيَ أَشَدُّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ؛ إِذْ لا شُعُورَ فِيهَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَلا عَاطِفَةَ تَفِيضُ مِنْهَا بِعِبْرَةٍ، وَالْحِجَارَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ؛ لأَنَّ مِنْهَا مَا يَفِيضُ بِالْخَيْرَاتِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مَوْضِعَ ظُهُورِ آثَارِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي الْجَمَادَاتِ. وَصَفَ الْحِجَارَةَ بِالصِّفَاتِ الثَّلاثَةِ الآتِيَةِ بَعْدَ أَنْ شَبَّهَ الْقُلُوبَ بِهَا فِي الصَّلابَةِ الْمُطْلَقَةِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَبَيْنَهَا بِالإِضْرَابِ، وَالانْتِقَالِ إِلَى أَنَّ الْقُلُوبَ أَشَدُّ صَلابَةً، وَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ وَجْهَ ضَعْفِ الصَّلابَةِ فِي الْحِجَارَةِ وَشِدَّتِهَا فِي الْقُلُوبِ، فَكَأَنَّ الْكَلامَ يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ عُذْرًا عَنِ الْحِجَارَةِ دُونَ الْقُلُوبِ، وَالْمُرَادُ بِالْقُلُوبِ مَا اعْتُبِرَتْ عُنْوَانًا لَهُ وَهُوَ الْوِجْدَانُ وَالْعَقْلُ، وَأَكْثَرُ مَا اسْتُعْمِلَ فِي الأَوَّلِ؛ لأَنَّهُ سَائِقُ الإِقْنَاعِ وَالإِذْعَانِ، وَيُطْلَقُ لَفْظُ الْقَلْبِ عَلَى النَّفْسِ النَّاطِقَةِ؛ لأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْقَلْبِ أَنْ يَتَأَثَّرَ مِمَّا يَتَأَثَّرُ مِنْهُ الْوِجْدَانُ أَوِ الْعَقْلُ أَوِ الرُّوحُ مُطْلَقًا، وَفِي الْكَلامِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ أَنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ فَقَدَتْ خَاصِّيَّةَ التَّأَثُّرِ وَالانْفِعَالِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالآيَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَوَاصِّ الرُّوحِ الإِنْسَانِيِّ، حَتَّى كَأَنَّ أَصْحَابَهَا هَبَطُوا مِنْ دَرَجَةِ الْحَيَوَانِ إِلَى دَرَكَةِ الْجَمَادِ كَالْحِجَارَةِ، بَلْ نَزَلُوا عَنْ دَرَكَةِ الْحِجَارَةِ أَيْضًا، وَذَلِكَ مَا أَفَادَهُ قَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ التَّفَجُّرُ: تَفَعُّلٌ مِنَ الْفَجْرِ وَهُوَ الشَّقُّ الْوَاسِعُ يَكُونُ لِلْمُطَاوَعَةِ، كَفَجَّرْتُهُ فَتَفَجَّرَ (بِالتَّشْدِيدِ فِيهِمَا) وَيَكُونُ لِتَكَرُّرِ الْفِعْلِ وَحُصُولِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَمِثْلُهُ التَّشَقُّقُ إِلا أَنَّهُ أَعَمُّ، وَلِمَا فِي التَّفَجُّرِ مِنْ مَعْنَى السَّعَةِ عَبَّرَ بِهِ عَنْ خُرُوجِ الأَنْهَارِ مِنَ الصُّخُورِ الْكِبَارِ وَهُوَ مَعْهُودٌ فِي الْجِبَالِ، وَعَبَّرَ بِالتَّشَقُّقِ لِخُرُوجِ الْمَاءِ الَّذِي يُصَدَّقُ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ. انظر تفسير المنار (١/٢٩٢).

ورسله ولا أطاعوهم ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: عملكم.

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [آية:٧٥ - ٧٧]:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ السؤال للرسول والإسلام معه ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ الهود، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ المراد: علماؤهم ورؤساء مللهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ﴾ الوارد على موسى ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ علموه وأدركوه حد الإدراك.

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ سوء عملهم لما حَوَّلُوا كلام الله أو حملوه على سوى محمله.

﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ المراد: مسلمو الهود كلاما لا سرا ومصروهم على عكس الإسلام ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ لإرسال محمد، وهو المدلول على وروده وإرساله وسط الكلام الوارد لموسى، ﴿وَإِذَا خَلا﴾ عاد ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ رؤساؤهم وعلماؤهم الأولى ما أسلموا ولا كلاما وأصروا على حالهم ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام، ﴿بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ علمكم، وهو ما دل على إرسال محمد وحملوه على سوى محمله ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ اللام لام المآل، ﴿بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ لدى رسله مولاكم، وهو كلامه أو رسوله ولدى المعاد ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ سوء عملكم لإطلاعكم لهم على ما دل على إرسال محمد.

﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1] عالم حال الأسرار وعكسه وهو إسلامهم لمحمد كلاما وإصرارهم على سواه سرا، وحمل كلام الله على سوى

---

(١) أي: لا خير ولا أمل في قوم متناقضين يفترون على الله الكذب، ويحرّفون كلام الله ويغيّرونه ويبدّلونه على وفق أهوائهم وشهواتهم، لذا استبعد الله الخير والإيمان من اليهود برسالة محمد صلّى الله عليه وسلم، فقد كان منافقوهم حين يتقابلون مع المؤمنين يقولون: نحن مؤمنون بالله والنّبي محمد، إذ هو المبشّر به عندنا فنحن معكم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا: كيف تحدّثون أتباع محمد بما أنزل الله عليكم في التوراة؟ كيف تفعلون هذا فيحتجّون به عليكم، ويخاصمونكم به عند ربّكم يوم القيامة؟ أتذيعون أسراركم فهذا خطأ وضرر؟

محمله وإسرارهم لما علمهم الله.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [آية:٧٨، ٧٩]:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ ما وصل علمهم وإدراكهم لما حوى كلام الله ﴿إِلا أَمَانِيَّ﴾ أوهاما حكاها رؤساؤهم لهم لا أصل لها، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ لردهم إرسال محمد وعدم إسلامهم له ﴿إِلا يَظُنُّونَ﴾ ولا علم لهم.

﴿فَوَيْلٌ﴾ أصله مصدر، والمراد: هلك، ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾: ما أولوه وحملوه على سوى محمله مما لا أصل له.

﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ المال المحصل على المراد المأول ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ﴿لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مما أولوه وحملوه، ﴿وَوَيْلٌ﴾ هلاك وكرره مؤكدا ﴿لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ هو المال المرسوم لهم.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية:٨٠ - ٨٢]:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾[1] موعد موسى لما حملهم لا مساس

(١) هَذَا ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ غُرُورِهِمْ، عَطَفَهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ فَقَالَ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ قِيلَ: هِيَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا مُدَّةُ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ، وَالَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْيَهُودِ أَنَّهَا سَبْعَةُ أَيَّامٍ؛ لأَنَّ عُمْرَ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ سَبْعَةُ آلافِ سَنَةٍ، فَالإِسْرَائِيلِيُّ الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الشَّفَاعَةُ يَمْكُثُ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَنْ كُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ يَوْمًا، وَمِثْلُ هَذَا الْحُكْمِ لا يُمْكِنُ الْقَوْلُ بِهِ إِلا بِعَهْدٍ مِنَ اللهِ - تَعَالَى - مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وَالْجَزَاءِ، وَإِلا كَانَ افْتِيَاتًا عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَقَوْلا عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَهَذَا مَا رَدَّ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَأَمَرَ رَسُولَهُ أَنْ يُخَاطِبَهُمْ بِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾، أَيْ هَلْ عَهِدَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذَلِكَ وَوَعَدَ بِهِ فَكَانَ حَقًّا لَكُمْ عِنْدَهُ؛ لأَنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ عَهْدَهُ؟ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: مَعْنَاهُ: هَلِ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا بِاتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ اعْتِقَادًا وَائْتِمَارًا =

على الركوع لما عمله لهم وسماه إلها ﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ الوصل مطروح ﴿عِنْدَ اللهِ عَهْدًا﴾ عهده لكم، ﴿فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ﴾ عهده ووعده حاصل لا محال ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أم معادل لأداء السؤال أو حاسم للكلام المار.

﴿بَلَى﴾ رد لمسها لهم ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ كالسور له، والمراد عدم الإسلام ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ راعى مؤدى الاسم الموصول.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وأورد لهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1] [آية:٨٣ - ٨٦]:

= وَانْتِهَاءً وَتَخَلُّقًا، فَأَنْتُمْ وَاثِقُونَ بِعَهْدِ اللهِ فِي كِتَابِهِ لِمَنْ كَانَ كَذَلِكَ بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَمَغْفِرَةِ مَا عَسَاهُ يَفْرُطُ مِنْهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ أَوِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِ مُدَّةً قَصِيرَةً؟!. انظر تفسير المنار (٣٠٠/١).

(١) من مخالفاتهم المواثيق: سفكهم دماء بعضهم بعضا، وإيمانهم ببعض التوراة وكفرهم بالبعض الآخر، وإخراج بعضهم بعضا من ديارهم، مع أنهم إخوانهم في الدين واللغة والنسب، متعاونين مع الغير على ارتكاب الذنب والعدوان ومعصية الرسول، والإخراج والقتل محرّم عليهم في =

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عهدهم وسط الكلام المرسل لموسى ﴿لا تَعْبُدُونَ إِلا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ عدم عمل سوء لهما ﴿وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾ رده الواو على عدو الوالد، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ كلاما ﴿حُسْنًا﴾ محرك الوسط أو لا محرك على المصدر، والمراد: أمرهم العالم على ما أمر الله وعدم إعمال المكر لما عاد لأحوال محمد، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المراد: ما أمروا على إصلاح مللهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ما عمل والدوكم على العهد ﴿إِلا قَلِيلا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ حالكم كحالهم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم ﴿لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ عدم إهلاك أحد أحد، ﴿وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ الدار محمول على الأعم أو المراد عدم طرد أحد أحدا إلى مصرا ومحل سوى مصره أو محله، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ لما عوهدوا سلموا للعهد ولكل ما حواه، ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على حال العهد وهو مؤكد، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ حال، والعامل مؤدي ما أومأ ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ سوى العدل، ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى﴾ وروى راوٍ: أسرى كسكرى ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ على ما رواه والد عمرو، وولد عامر، والمراد: إعطاء المال لأسراهم وهو أحد عهودهم ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهو إعطاؤكم أسرهم المال، ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو عدم إهلاك أحدكم وعدم طرده إلى مصر أو محل سوى مصره أو محله ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ﴾ عدم علو حاله أصلا ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وحصل لما طرد رهط وأهلك رهط، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مؤكد لما أوعدهم الله.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ راموا الدار الهالك أمرها وساموها وهدروا أمر دار سرورها سرمد، ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾.

=

التوراة، فكيف يفعلونه؟ وليس لهم جزاء على هذه المخالفات والأعمال الشنيعة إلا ذلّ وهوان في الدنيا، وعذاب أليم دائم في الآخرة. وهذا جزاء كل أمة تؤدي بعض أحكام دينها كالصلاة والصوم والحجّ، ولا تؤدي بعض أحكامه الأخرى كالامتناع عن الزّنا والرّبا والرّشوة والسّرقة وخيانة الأمانة، ولم تتعاون على الخير والمعروف، ولم تؤدّ الزكاة بسبب بخل أغنيائها على فقرائها. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٣٦).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [آية:٨٧]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا﴾ المراد: إرسال كل رسول وراء رسول، ﴿مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ واحدا وراء واحد ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾[١] الساطع أمرها واللامع حكمها كرد الروح للهالك، وإصلاح الأكمه وسواهما، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الروح المطهر، وهو اسم الله أو كلامه أو الملك؛ ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى﴾ مورده كعلم مال إلى الأمر، ﴿أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ مردود إلى كلما وهو محل السؤال ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كموسى، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ كالحصور ووالده، ولما حكى الحال أورده للحال والوارد.

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية:٨٨]:

﴿وَقَالُوا﴾ اليهود للرسول ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[٢] لها كل راد للسمع والعلم ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ عدم سمعهم وعلمهم لما عصوا أمره ورسوله لا لكل على صدورهم كما ادعوا، ﴿فَقَلِيلا مَا﴾ مؤكد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

---

(١) الحجج والبراهين والآيات الدالة على صدقه وصحة نبوته، فتشمل كل معجزة أعطاها الله لعيسى كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، والإخبار ببعض المغيبات، وغير ذلك من المعجزات التي أيد الله بها عيسى - عليه السلام - . وخص القرآن عيسى بالذكر لكونه صاحب كتاب هو الإنجيل، ولأن شرعه نسخ أحكاما من شريعة موسى - عليه السلام - وفي إضافة عيسى إلى أمه إبطال لما يزعمه اليهود من أن له أباً من البشر. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١٤٢/١).

(٢) الخلق مفطورون على دين الله الذي هو معرفته، والإقرار به، ومحبته، والخضوع له. وأن ذلك موجب فطرهم ومقتضاها، يجب حصوله فيها إن لم يحصل ما يعارضه ويقتضي حصول ضده.. وحصول الحنيفية والإخلاص، ومعرفة الرب والخضوع له لا يتوقف أصله على غير الفطرة، وإن توقف كماله وتفصيله على غيرها.. وبالله التوفيق. ومما يؤكد هذا المعنى إبطال الله دعوى اليهود الذين زعموا أنه لا يتوجه إليهم اللوم على كفرهم لأنهم خلقوا وقلوبهم مغلفة. حيث بين - سبحانه - أن الغلاف الذي عليها إنما هو طبع من الله طارئ بسبب كفرهم، وليس من أصل الخلقة. انظر الأمثال القياسية (٢٣٠/٢).

(٣) فيه خمسة أقوال: أحدها فقليل من يؤمن منهم قاله ابن عباس وقتادة والثاني إن المعنى قليل ما يؤمنون به قال معمر يؤمنون بقليل مما في أيديهم ويكفرون بأكثره والثالث أن المعنى فما =

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آية:٨٩]:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هو كلام الله المكرم الوارد على رسوله محمد. ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ للكلام المكرم الوارد على موسى، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ دعوا إلى الله ووسطوا رسوله محمدا لحصول مرامهم على عداهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ وهو إرسال محمد ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدا وطمعا مردود لما وما رد إلى لما الأولى مطروح هو داله، ﴿فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اللام للعهد.

﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية:٩٠]:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا﴾ المراد: أعطوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ ما أعد لهم على صالح العمل لو عملوه ﴿أَنْ يَكْفُرُوا﴾ (ال) لمصدر هو محور عكس المدح ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على محمد ﴿بَغْيًا﴾ حسدا على ﴿أَنْ يُنَزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما أوصاه لرسله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ إرساله ﴿مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا﴾ كصموا وعادوا ﴿بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ عصوا وحسدوا أو عصوا رسولا والد له أولا ومحمدا ردد الله لهما أكمل سلام، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ولكل عاص هو مطهر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا

=

يؤمنون قليلا ولا كثيرا ذكره ابن الانباري وقال هذا على لغة قوم من العرب يقولون قلما رأيت مثل هذا الرجل وهم يريدون ما رأيت مثله والرابع فيؤمنون قليلا من الزمان كقوله تعالى ﴿آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار﴾ ذكره ابن الأنباري أيضا والخامس أن المعنى فإيمانهم قليل ذكره ابن جرير الطبري وحكى في ما قولين أحدهما إنها زائدة والثاني أن ما تجمع جميع الأشياء ثم تخص بعض ما عمته بما يذكر بعدها انظر زاد المسير (١/١١٣).

وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آية:٩١]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ كل كلام وارد على الرسل على العموم ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ الكلام الوارد لموسى، ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَاءَهُ﴾ سواه ووراء أصله مصدر ورد إلى الوعاء المصطلح ومؤداه الأمام وعكسه، ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الواو للحال، وهو عائد إلى ما وراءه ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مؤكد ﴿لِمَا مَعَهُمْ﴾ ما ورد لموسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لما ورد لموسى وللعمل على مسلكه، وما ورد له ما حلل لكم سوء عملكم، والمراد: والدوهم كما مر مرارا.

﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آية:٩٢]:

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الساطع حكمها كالعصا وسواها، ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ لما ورد موسى إلى الطور، ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ المراد: والدوهم كما مر والواو للحال.

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آية:٩٣]:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم على مسلك ما ورد لموسى، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ لكام الطور لما حمله الملك أعلاكم وروعكم، كله للعمل على ما ورد لموسى ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا﴾[1] سماع وسلوك على ما ورد لكم وسط الألواح

---

(١) أي استجيبوا وأطيعوا سميت الطاعة والإجابة سمعا على المجاورة لأنه سبب للطاعة والإجابة ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، وقيل: سمعنا بالأذن وعصينا بالقلوب، قال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه بالعصيان فنسب ذلك إلى القول اتساعا ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ أي حب العجل، أي معناه: أدخل في قلوبهم حب العجل وخالطها، كإشراب اللون لشدة الملازمة يقال: فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه =

﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ كلامك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ مالوا له ﴿بِكُفْرِهِمْ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ لما ورد لموسى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لموسى ولكلام الله الوارد له، والمراد: مال والدوهم إلى ما عمله لهم لا مساس مع ادعائهم السلوك على عهد الألواح كما ادعى هؤلاء العمل على مسلك موسى، وما ورد له، وما أسلموا لمحمد حال هؤلاء وأولئك على السواء.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ٩٤، ٩٥]:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ﴾ دار السرور السرمد ﴿خَالِصَةً﴾ حال الدار ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ لكم وحدكم كما ادعوا ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] والحمام هو الموصل لها.

﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ لسوء عملهم المار وهو عدم إسلامهم لمحمد.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ

=

بالحمرة، وفي القصص: أن موسى أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذره في النهر وأمرهم(بالشرب) منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه. انظر تفسير البغوي (١/١٢٢)

(١) لم يتول الله تعالى الرد والجدل معهم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى الجدل معهم فما الحكمة في ذلك؟ ونقول ما تصل إليه مداركنا - والله هو الحكيم العليم - إن مجادلتهم التي فيها التحدي كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم فناسب أن يتولى بأمر الله تعالى الرد هو عليه الصلاة والسلام؛ ولأن مقام الله تعالى أعلى من أن ينزل لمجادلة الكافرين الظالمين لأنفسهم. ولقد قال سبحانه وتعالى حاكما على حالهم بأنهم في ذات أنفسهم وفي مداركهم يعلمون مآثمهم، ويعلمون كذبهم. ولذلك ليست الجنة لهم، ولذا لا يتمنون الموت، فنفى الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك التمني نفيا مؤبدا، وأكد ذلك النفي بـ ﴿لن﴾ الدالة على النفي المؤبد، وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿وأبدا﴾و وبذكر السبب ألا وهو ما قدمت أيديهم، ومعنى ذلك أنهم كاذبون في ادعاءهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم كاذبون في قولهم: ﴿ولن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾. انظر زهرة التفاسير (١/٣٢٢)

يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٩٦]:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ واحرص، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كل مصر على عدم المعاد ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (لَوْ) للمصدر والمصدر الحاصل معمول لعامل أحدهم.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِ﴾ طارده ﴿مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ حاصل المصدر معمول لما أدى حاصله طارد، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ عالم السر وعكسه على حد سواء، والمراد: أعد لهم ما أعده.

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:٩٧]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ أوصاه الله لما سأل الهود رسول الله، أو عمر حال الملك الحامل أوصاه الله لرسوله، وأورده لهم اسم روح الله ردوا له ما حاصله هو عدو لهم ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ الكلام المكرم ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿اللهِ مُصَدِّقًا﴾ حال الهاء العائد إلى الكلام المكرم ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه، كالوارد لموسى وسواه، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾ دار السرور السرمد ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آية:٩٨]:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ ردهما الواو إلى الأملاك رد الواحد إلى أصله العام كما هو معلوم، ﴿فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أورده مورد الهاء ردوا ردعا لسوء حالهم.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آية:٩٩]:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿آيَاتٍ﴾ معمول للعامل أمامه ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ لا مع هداها رد لما حكموه، وهو ما ورد لرسول الله أمر دال على إرساله، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١٠٠]:

﴿أَوَكُلَّمَا﴾[1] المراد: أما عدوها أمرا دالا على إرساله وكلما ﴿عَاهَدُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإسلام لمحمد لو أدركوه ﴿نَبَذَهُ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ رد لكلما، وهو محل السؤال على الاصطلاح ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية:١٠١]:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ هو محمد ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ ما أورده لهم موسى ﴿نَبَذَ﴾ طرح ﴿فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ﴾ معمول لما أصله طرح، والمراد: عدم السلوك على أحكامه وأوامره، وصار كالمطروح ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أحكامه وما حواه، ولا الدال على إرسال محمد.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:١٠٢]:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾[2] أراد: ما حكوه وعلموه، وهو السحر، وحكى الحال

---

(١) واو العطف أدخلت عليها ألف الاستفهام قال ابن عباس ومجاهد والمشار اليهم اليهود وقيل العهد الذي عاهدوه إنهم قالوا والله لئن خرج محمد لنؤمنن به وروي عن عطاء إنها العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فنقضوها كفعل قريظة والنضير ومعنى نبذه رفضه. انظر زاد المسير (١/١٢٠)

(٢) أي: ما تلت، والعرب تضع المستقبل موضع الماضي، والماضي موضع المستقبل، وقيل: ما كنت تتلو أي تقرأ، قال ابن عباس رضي الله عنه: تتبع وتعمل به، وقال عطاء تحدث وتكلم به ﴿عَلَى =

﴿عَلَى﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وسطروه الواحا، ولما علم ما عملوه حصل ألواحه كلها وطرحها إلى محل لا معلوم، ولما رحل إلى الله عادوا لعلمهم الأول كما وحكموا على حصول كمله سحرا وما هو إلا ساحر، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما عمل السحر رد لما حكوه: ما هو إلا ساحر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا﴾ اسم موصول رده الواو على السحر، وحاصل المراد: علموهم السحر وعلموهم ما ألهمه الأملاك ﴿أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ ألهماه وهو السحر.

﴿بِبَابِلَ﴾(١) محل وسط السواد ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ وهل كلاهما ملك أو أحد الصلحاء كما روى راوٍ كسر لام (الملك) ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ مؤكد ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا﴾ له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ لكل أحد رام علم السحر، ﴿فَلا تَكْفُرْ﴾ علما أو عملا، والأصح علما ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ الهود ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أراد السحر ورامه ورمى كلام الله ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ﴾ مؤكد، ﴿خَلاقٍ﴾ سهم، ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا﴾ أعطوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ لما صار مآلهم إلى الدرك، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ما أعده الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١٠٣]:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ الهود ﴿آمَنُوا﴾ لمحمد وكلام الله، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ رموا سوء ما حصلوه

=

مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ أي: في ملكه وعهده. انظر تفسير البغوي (١/١٢٦).

(١) قد تباينت روايات وآراء وأقوال المفسرين والرواة والمؤرخين والجغرافيين في تحديد موقع بابل ودورها السياسي والعسكري والديني ومعناها اللغوي. وسوف نتطرق إلى تلك الأقوال محاولين نقدها وتقويمها ثم سوف نتحدث عن تاريخ بابل ومعنى الاسم اللغوي لبابل كما هو معروف من المصادر والسجلات القديمة سواء كانت في بلاد الرافدين أو خارجها. وذكر كثير من المؤرخين أن بابل المعنية في الآية قد تكون في العراق أو هي نهاوند أو هي نصيبين بل وضعها البعض في بلاد المغرب. وبلا شك ان كل التحديدات التي تخرج ببابل خارج بلاد الرافدين هي تحديدات غير صحيحة ولا توجد في بلاد المغرب أو المشرق مدينة مشهورة ببابل سوى بابل بلاد الرافدين. بل اسم بابل يعني منطقة أكبر من مدينة بابل نفسها، تحتوي على عدد من البلدات والقرى. انظر أسماء في القرآن الكريم (١/٢٢).

كطرح كلام الله ورآهم وعمل السحر ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ اللام رد الواو الممهد، والاسم أول كلام، و﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ﴾ محموله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية:١٠٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ رعاه كلاءه، ولما حوله الهود إلى عكس ما أراده الإسلام وأولوه إلى السوء، وكلموا رسول الله على ما أرادوه حوله الله إلى سواه ردا لمكرهم ﴿وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ سماع إدراك وعمل، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية:١٠٥]:

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ مؤكد ﴿خَيْرٍ﴾ هو ما أوصاه الله لرسوله، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ إرساله أو الأعم ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ولما لوم الهود على رسول الله الأمر عكس ما أمر الإسلام أولا ورأوه محالا أوحى الله إلى رسوله ردا على ما لوموه.

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٠٦]:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ مع الحكم والكلام، أو الحكم وحده، أو الكلام وحده عام.

﴿أَوْ نُنْسِهَا﴾ المراد: المحو لها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ ما هو الأسهل للعالم، ﴿أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا راد لحكمه ولا دال على محال ما محاه وأصل محله ما هو الأسهل للعالم لحكم علمها مرور الأعصار ومرور حكمها حولها إلى سواها.

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية:١٠٧]:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا مالك لهما سواه ولا سؤال وارد على المالك أحكم أمره أو محاه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيّ﴾ كالىء لكم، ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد لما أراده لكم لو دهاكم وأوحى الله لرسوله لما سأله أهل الحرم حصول وسعه ورد اللكام مالا.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [آية:١٠٨]:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ لما سأله الهود وراموا مرامي الله كأحد العالم، ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المسلك السوى الموصل إلى الله، وأصل السواء الوسط وأوسعوه.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١) [آية:١٠٩]:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ لحصول المصدر، ﴿يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ معلوله (وَدَّ)، وعامله أمامه.

﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أصله ومورده: صدورهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ لحال الرسول، ﴿فَاعْفُوا﴾ دعوهم، ﴿وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ حلول الحسام على

---

(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال احدها أن حيي بن أخطب وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس والثاني أن كعب بن الأشرف كان يهجوا النبي ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله حين قدمها فأمر النبي بالصفح عنهم فنزلت هذه الآية قاله عبد الله بن كعب بن مالك والثالث أن نفرا من اليهود دعوا حذيفة وعمارا الى دينهم فأبيا فنزلت هذه الآية قاله مقاتل ومعنى ود احب وتمنى وأهل الكتاب اليهود قال الزجاج من عند أنفسهم موصول ب ود كثير لا بقوله حسدا لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه والمعنى مودتهم لكفركم من عند أنفسهم لا أنه عندهم الحق فأما الحسد فهو تمني زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها وتفارقه الغبطة فانها تمني مثلها من غير حب زوالها عن المغبوط وحد بعضهم الحسد فقال هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال الأخيار ولا يجوز أن يكون الفاضل حسودا لأن الفاضل يجري على ما هو الجميل. انظر زاد المسير (١٣٢/١).

رؤوسهم أو طردهم إلى محل سوى محلهم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية:١١٠]:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ المراد الأعم، وهو كل عمل صالح ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾ المراد: ما أعده لكم على عمله وإلا العمل مر حال دار المرور ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا عمل سدى لدى المولى، وكل أحد معد له عمله.

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [آية:١١١]:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ كلاهما حكم حكما حاسما حكم هؤلاء على حصولها لهم وحدهم، وحكم أولئك على حصولها لهم وحدهم ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أمر موهوم مال له صدورهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على دعواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١٢]:

﴿بَلَى﴾ الحال دار السرور السرمد هو ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ﴾ أطاع أوامره، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ ما وعده على عمله، ﴿وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد الهائل المرعد.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية:١١٣]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ حكم الهود على عدم سلوك أولئك المسلك الموصل إلى الله، وحكم أولئك على عدم سلوك الهود المسلك الموصل إلى الله، وعصى هؤلاء رسول أولئك، وعصى

أولئك رسول هؤلاء ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ وما ورد لموسى صحح إرسال رسول أولئك، وما ورد لأولئك صحح إرسال موسى، والواو الوارد على هم واو الحال ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حكى هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم كل راكع لا له مسوى كود وسواع ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ حكموا على عدم سلوك أحد سواهم مسلكا موصلا، ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وحكمه هو ما أعده لكل واحد على كده وأعطاه ما سعى ووروده على دار الهلاك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [آية:١١٤]:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المراد: لا أحد ﴿مِمَّنْ مَنَعَ﴾ عطل ﴿مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ هدمها وهو لما ورد الروم على حرم أسر داود وهو المصلى المطهر وهدوه وأهلكوا أهله، أو لما صد أهل الإلحاد رسول الله وسدوا مسلكه إلى الحرم، والمراد الأعم وهو كل معطل لمصلى أو صاد أو هادم له على العموم ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إلا خَائِفِينَ﴾ كل ملحد ما له ورود إلى حرم أو مصلى الأمر وعا أو المراد هددوهم عمل الحسام وردعوهم ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عكس العلى، وهو الإهلاك، وملك الأهل والأولاد والأموال، ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى المطهر أولا وحوله الله إلى الحرم ولامه الهود على عمله رد الله ملامهم وأوحى لرسوله.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١١٥]:

﴿وَلِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[1] المراد: هو عالم مطلع على

---

(١) المراد به جنس المشرق والمغرب فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك كما روي عن ابن عباس وغيره. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية ما نصه: "وإنما معنى ذلك ولله المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم فتأويله إذا كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي =

عملكم ﴿إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ [آية:١١٦]:

﴿وَقَالُوا﴾ كل مدع لله ولدا وكل هائد ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾ ورد الله دعواهم مؤكد لما أوحى لرسوله ﴿سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ملكا ورسولا وعالما سواهما كلهم ملك له، ولوله ولد لصار حرا، ولما صح ملكه له، والدال على عدم له ملكه لما حواه كلاهما، ﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ كل أطاعه، والمراد: سلوك الكل على ما أراده الله لا على سوى ما أراده، وهو محمول على كل عاص ومسلم له روح أولا.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [آية:١١٧]:

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لا على حال مار وأمر عهد أولا، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراده، وصار مرادا له ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ المراد: حصول ما أراده على أسرع حال ولا إمهال أصلا لا المراد حصول ما أراده مرصودا على الأمر له.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آية:١١٨]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهم ملحدو أهل الحرم المطهر ﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ كما كلم الأملاك والرسل، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ على إرسال محمد على حكم مرامهم ومرادهم كحصول الوسع للحرم، ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم المار

=

تعده وكذلك غروبها"، انتهى منه بلفظه. وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني كشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما كما عليه الجمهور. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما، وقوله: ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾أي مشارق الشمس ومغاربها كما تقدم. وقيل مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/١٥).

عصرها لرسلهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلحاد هؤلاء كإلحاد أولئك، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ وهم كل مدرك عادل.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [آية: ١١٩]:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ المرسل محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ الهدى، ﴿بَشِيرًا﴾ لكل مسلم، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لكل عاص، ﴿وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ لما عصوك وما أسلموا.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [آية: ١٢٠]:

﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [(1)] مسلكهم، والمراد: إسلامهم لك محال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه عمى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ آراءهم ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ما أوحاه الله لك وهو الكلام المكرم ﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ كالئ لك ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد ما أراده وأعده لك لو حصل سلوكه على آرائهم، وهو محال.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية: ١٢١]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهم مسلموا أهل الكلام الوارد على موسى، وعلى سواه كولد سلام، أو المراد: رهط السود لما وردوا على رسول الله وأسلموا ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ

(١) قال البغوي: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه في أنه إن أمهلهم اتبعوه فأنزل الله تعالى هذه الآية، معناه وإنك إن هادنتهم فلا يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك إلا باتباع ملتهم، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة أيسوا في أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ﴾ إلا باليهودية ﴿وَلا النَّصَارَى﴾ إلا بالنصرانية والملة الطريقة ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة كقوله ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ انظر تفسير البغوي (١/١٤٣)

﴿تِلاوَتِهِ﴾ كما ورد إلى رسولهم، وحاصل العامل والمعمول حال ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ محمول على الاسم الموصول، ﴿يَكْفُرْ بِهِ﴾ المراد: كل طارح أو مورد وسط الكلام الوارد على رسوله كلاما سواه أو حامل ما له على محمل ما أراده الله ولا رسله، والحامل له على سوء عمله هواه أو طمع مال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لورودهم على الهلاك السرمد.

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [آية:١٢٢، ١٢٣]:

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: والدوهم لما سلكوا الماء وما هلكوا وهلك عدوهم، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عوالم عصرهم على عهد موسى.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ العدل: إعطاء أحد محل أحد، ﴿وَلا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ لا راد ولا رادع لما أعده الله لهم وأورد لهم.

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:١٢٤]:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ أمره أوامر حملها وأداءوها عسر، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أداها كملا كما أمر، ﴿قَالَ﴾ الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ والعالم مأموم له، وهو حكم سار إلى مرور الأعصار كلها، ولا أرسل رسول عدا ما مر إلى عصره إلا وهو ولده ومأمور على سلوكه مسلكه، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ سأل الله لأولاده ما أعطاه له ﴿قَالَ﴾ الله ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد، والمراد: عدم صدور ملحد إماما لعدم صلاحه لها.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ

ٱلسُّجُودِ﴾ [آية:١٢٥]:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ ما حواه الحرم، وهو المحل المطهر المؤسس لحط سوء أعمال ولد آدم ﴿مَثَابَةً لِلنَّاسِ﴾ مورد الهم، ﴿وَأَمْنًا﴾ لو رأى أحدهم مهلك والده أو ولده ما مسك له حساما، ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أمر لأهل الإسلام ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو محل علاه لما أسس الحرم المطهر وأراه رسول الله إلى عمر، وسأله عمر أعماره مصلى ولما رد سؤله رسول الله لم أؤمر أوحى الله إلى رسوله ما مر ﴿مُصَلًّى﴾ محلا لكل مصل، ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرهما الله ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ مما حط أهل الإلحاد وسطه كود وسواع ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ للمار مرورا والحال حلولا، ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ كل مسلم مصل.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آية:١٢٦]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا﴾ المحل ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾[1] أهله وسمع الله دعاءه لا أحد دمه مهدور وسطه ولا روع لأهله ولا طائره مصاد ولا وكلاءه ما كول، ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وحصل لما حمل الملك محلا وحطه لدى الحرم ماءه هدار ومحصوده ومحصوله مدرار ﴿مَنْ آمَنَ﴾ عامله عامل أهله والأهل الكل، ﴿مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ وسأل الله لهؤلاء لا سواهم لما مر، وهو عدم حصول العهد لأهل الإلحاد، ﴿قَالَ﴾ الله ومعط ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلا﴾ مدى عمره ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أطره لدى المعاد ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المآل وأورد لهم.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ

(١) قال ابن الجوزي: البلد صدر القرى والبالد المقيم بالبلد والبلدة الصدر ووضعت الناقة بلدتها إذا بركت والمراد بالبلد هاهنا مكة ومعنى آمنا ذا أمن وأمن البلدة مجاز والمراد أمن من فيه وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال أحدها انه سأله الأمن من القتل والثاني من الخسف والقذف والثالث من القحط والجدب قال مجاهد قال إبراهيم لمن آمن فقال الله عز وجل ومن كفر فسأرزقه انظر زاد المسير (١٤٣/١)

ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آية:١٢٧]:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾[1] حكى الحال والمسموك هو الأساس ﴿مِنَ الْبَيْتِ﴾ والمعمار هو ﴿وَإِسْمَاعِيلُ﴾ عامل معه معط له ما رامه، وكلاهما داع الله حال سمك الأس، ودعاؤهما ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ المراد: ما عملاه وأسساه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء، ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على العمل.

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [آية:١٢٨]:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ الأولى حمل الإسلام على العمل السالم لله، وحمله على الدوام لا مؤدى له لما عصمهما الله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ وسألا الله الإسلام لأولادهما لما هو مأمول، وهو صلاح المأموم لصلاح الإمام، وعلم حصول الإمام لما مر، وهو إعطاء الله العهد لأولاده سوى أهل الإلحاد، ﴿وَأَرِنَا﴾ علم ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ هي أعمال أم الحرم، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه لأولادهما أو لما حصل سهوا وإلا كلاهما معصوم.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آية:١٢٩]:

(١) يعني أسسه واحدتها قاعدة. وقال الكسائي: جدر البيت، قال ابن عباس: إنما بني البيت من خمسة أجبل، طورسيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام، والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنيا قواعده من حراء وهو جبل بمكة فلما انتهى إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فأتاه بحجر فقال: ائتني بأحسن من هذا فمضى إسماعيل يطلبه فصاح أبو قبيس يا إبراهيم إن لك عندي وديعة فخذها فأخذ الحجر الأسود فوضعه مكانه وقيل: إن الله تعالى بنى في السماء بيتا وهو البيت المعمور ويسمى الضراح وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحياله على قدره ومثاله، وقيل أول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم أظهره الله لإبراهيم حتى بناه. انظر تفسير البغوي (١/١٥٠) وقال ابن كثير رحمه الله تعليقا على هذه المقولة الأخيرة: ولم يجئ في خبر صحيح عن معصوم: أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام، ومن تمسك في هذا بقوله تعالى: ﴿مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ فليس بناهض ولا ظاهر، لأن مراده: مكانه المقدر في علم الله تعالى، المقرر في قدرته، المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام" انظر: البداية والنهاية: (١ / ١٦٣، ١٦٥).

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِنْهُمْ﴾ سمع الله دعاءهما وأرسل محمدا ردد الله لهم أعلى سلام ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كلامك المكرم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الأحكام، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم مما هو إلحاد؛ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ لا كاهر لك، ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لما أراده.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [آية:١٣٠]:

﴿وَمَنْ﴾ لا ﴿يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ﴾ مسلك ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ السالم الساطع، ﴿إِلا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أصله: هو المعمول المسموك وحول كلام رأسه، ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ للإرسال على سوى أهل عصره، ﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل المحل الأسمى وأورد.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [آية:١٣١]:

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: أورد إلى إدراكك لما أمره الله وأطاع أمره صار أهلا لما أعطاه، وهو سلوك الرسل على مسلكه، وهو الإمام، وكلهم مأموم له.

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَاهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آية:١٣٢]:

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ المسالك، وروى راوٍ: أوصى، ووصى، وأوصى أصله الوصل، وكل موص موصل كما هو معلوم ﴿إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ أولاده، ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أوصى أولاده، وما وصى أولاده كلاهما هو، ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ مسلك الإسلام، ﴿فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ حاصله أمر للدوام على الإسلام مدى العمر.

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَاهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آية:١٣٣]:

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾[1] ووصى أولاده ما وصى أوصاه الله لرسوله لما حكم الهود على ما وصاه أولاده هو مسلكهم لا سواه ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ ما لسوى المعلوم، ولو علم صار لسوى أهل الأحلام ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ هو عم لهم، وعده مع الوالد ووالد الوالد إعطاء للعم حكم الوالد ووالده، ﴿وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ الواو واو الحال وأم لدى صدر السؤال أدى مؤدى ما أو لم.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٣٤]:

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى الوالد وأولاده، وهو أول كلام محموله ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مر عصرها وعهدها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لكل عامل عمله، ﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لو هم أهل صلاح أولا لا أحد مسؤل ومعامل على عمل أحد.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آية:١٣٥]:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ أراد الهود سلوك أهل الإسلام مسلكهم، وأراد أولئك سلوك أهل الإسلام على مسلكهم واو كأما ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مسلكه هو الهدى، ﴿حَنِيفًا﴾ حال مائلا إلى المسلك الموصل إلى الله، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

---

(١) نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلّى الله عليه وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية. فرد الله تعالى عليهم: ما كنتم أيها اليهود المكذبون بالنبي محمد صلّى الله عليه وسلم حاضرين حين احتضر يعقوب، فلا تكذبوا عليه، فإني ما أرسلت إبراهيم وبنيه إلا بالحنيفية وهي ملة التوحيد والإسلام، وبه أوصوا ذرياتهم، بدليل أن يعقوب قال لأولاده: أي شيء تعبدون بعد موتي؟ فقالوا: نعبد إلهك الله الواحد وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ونحن له منقادون خاضعون لحكمه.وقد ردّ الله على اليهود ادّعاءهم أنهم نسل الأنبياء وحفدتهم، فلا يدخلون النار إلا أياما معدودات، ومضمون الرّد أن كل إنسان مسئول مسئولية شخصية عن نفسه، والأمة الماضية لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، لا ينتفع بعملها أحد ولا يتضرّر: ﴿وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى﴾ [فاطر: ٣٥/ ١٨] فلا ينفع السابقين إلا عملهم، كذلك من بعدهم لا ينفعهم إلا عملهم انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٦١/١).

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿قُولُوا﴾ أمر للإسلام ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الكلام المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاد أولادهم، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ المراد: كل كلام أوصاه الله إلى رسله، وكل ما دل على إرسالهم ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ كالهود، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آية:١٣٧]:

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ﴾ مؤكد ﴿مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما أسلموا كإسلامكم، ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ معكم وآراؤهم عكس آرائكم، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على أحوالهم.

﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [آية:١٣٨]:

﴿صِبْغَةَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد لعامله، وهو دال عامله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً﴾ المراد: لا أحد، ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(١) ولما رد الهود إرسال محمد ردا حاصله الكلام الموصى لهم أول كلام، ولو محمد أحد الهود حكم على إرساله أوصى الله لرسوله محمد.

---

(١) أمر الله نبيّه بأمر خاص به: وهو أن يقول لأتباع الأديان الأخرى الذين زعموا أنهم أبناء الله وأحبّاؤه، وادّعوا أنهم أولى بالله من المسلمين، لقدم أديانهم وكتبهم: أتجادلوننا في دين الله، والدين واحد، وتدّعون أن دينه الحق ما أنتم عليه، وتظنون أن دخول الجنة والاهتداء مقصور عليكم، فالله ربّ الجميع، ودخول الجنة مرتبط بالأعمال الصالحة الصادرة من أي إنسان دون تعصب ولا تفريق ولا حجر على فضل الله ورحمته، الله ربّنا وربّكم، لا فرق بيننا وبينكم في العبودية لله، فهو مالك أمرنا وأمركم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم الحسنة والسّيئة، ونحن لله مخلصون في تلك الأعمال، لا نقصد بها إلا وجهه، فكيف تدّعون أن لكم الجنة والهداية دون غيركم؟ انظر التفسير الوسيط (٦٣/١).

﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ [آية:١٣٩]:

﴿قُلْ﴾ **لهم** ﴿أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ **وله إرسال كل أحد أراده، وحصر أمر الإرسال على الهود لا أصل له، وهو الحاكم العادل،** ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ **ولا دال على حصر الإكرام والإرسال لكم، وحصوله لسواكم ما هو أمر محال،** ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ **الإسلام والعمل.**

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [آية:١٤٠]:

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ **لهم** ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ﴾ **أعلم والله حكم كلهم حكما سوى ما حكم الهود وادعوه، وحكم على والدهم هو الإسلام،** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ﴾ **المراد: لا أحد وهم الهود أسروا ما أوصاه الله لهم إسلام الرسول المسطور،** ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ **أوعدهم وهددهم.**

﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية:١٤١]:

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ **مر عهدها وعصرها،** ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ **لكل عامل عمله،** ﴿وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **لا أحد مسؤول ومعامل على معامل أحد.**

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية:١٤٢]:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ **عكس العلماء** ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ **هم الهود، وأهل الاهواء** ﴿مَا وَلاهُمْ﴾ **ما ولى الرسول، وأهل الإسلام** ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ **وهو المصلى المطهر؛ أمر حكاه الله لرسوله ومهَّده على رد سؤال وَارِدٍ وعلمه.**

﴿قُلْ﴾ **لهم** ﴿لِلهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ **لا حصر على محل،** ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ **هداه**

﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك موصل، ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ هو الإسلام.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٤٣]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما حصل لكم الهدى ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولا علما وعملا، وهو أصلا للمحل وأوسعوه لكل عمل محمود وممدوح، وهو للواحد والعدد والمر وعكسه، ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لأداء رسلهم أمر الإرسال وأحكامه ومحله لدى المعاد، ولو سأل سائل: ما حاصله هم ما أدركوا عصر الرسل وأممهم رد سؤاله إعلام الله لرسوله، وإعلام رسولهم هو الأمر الدال على حصول أداء الرسل لأممهم أحكام الإرسال، ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ معلما عدلكم لدى حكم عدل، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولا، وهو الحرم أم رسول الله أولا الحرم، وحوله الله إلى المصلى المطهر، وأمره أمرا أمال صدور الهود، ولما حصل ما أراد حوله إلى حاله الأولى وهو الحرم ﴿إلا لِنَعْلَمَ﴾ علم حال أو علم سطوع ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ على الإسلام ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ عودا إلى الإلحاد وسوء المسلك، ﴿وَإِنْ﴾ كلعل عملا، واللام لعكس الوصل أو كما، واللام أدى مؤدى إلا للحصر ﴿كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أمر حمله عسر ﴿إلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾ وأُطلِعُوا على الحكم، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ دوامكم على الإسلام أو عمل عصر ما عهد أمهم المطهر لما حولها الله الحرم، وسألوا رسول الله ما حال رهط إدركهم الحمام، وما صلوا إلى الحرم أوحى الله لرسوله ما سطر؛ ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ محصل لهم أعمالهم لا معدمها لهم.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٤٤]:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [(١)] راصدا ورودا أمر الله إلى أمك الحرم، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ إلى محل هو أول ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لا إلى وسطه، والمراد: إلى أول ما هو أمامك، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ أومأ إلى عموم الحكم لأهل الإسلام، وأكد الأمر الأول، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ الهاء عائد إلى محصل الأمر العام وهو ولوا ﴿الْحَقُّ﴾ الساطع ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ لعلمهم حصوله علما حاسما، وهو أمر دال على إرسال محمد، ومصحح له، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أهل الإسلام وسواكم، وعد الأول على سماعهم لأمره وهدد سواهم على إصرارهم مع علمهم حصوله.

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:١٤٥]:

﴿وَلَئِنْ﴾ لام مؤوّل ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ دال مصحح لأمر أمك الحرم، ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (ما) وما أمها مردود إلى اللام الممهد وهو الأول، وسد مسد ما رامه مأموم اللام، ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ حسم لطمع إسلامهم، وطمع عود الرسول إلى المصلى المطهر، ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أم الهود المصلى المطهر وأم مدعو الأهل والولد للإله المطلع، ولا هؤلاء مسلم لأولئك، ولا أولئك مسلم لهولاء، وحالهم معهم كحالهم معك على السواء ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ولو حصوله محالا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ ما أوصاه الله لك ﴿إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وأكد ما هدده أمور أحدها اللام الممهد المطروح والعامل المؤكد ولام محمول اسمه.

---

(١) سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يوجه إلى الكعبة قاله البراء وابن عباس وابن المسيب وأبوالعالية وقتادة وذكر بعض المفسرين أن هذه الآية مقدمة في النزول على قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ واختلفوا في سبب اختيار النبي الكعبة علي بيت المقدس على قولين أحدهما أنها كانت قبلة إبراهيم روي عن ابن عباس والثاني لمخالفة اليهود قاله مجاهد ومعنى تقلب وجهه نظره إليها يمينا وشمالا وفي بمعنى إلى وترضاها بمعنى تحبها والشطر النحو من غير خلاف قال ابن عمر أتى الناس آت وهم في صلاة الصبح بقباء فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وأمر أن يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا وهم في صلاتهم انظر زاد المسير (١/١٥٧).

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آية:١٤٦]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ المراد: علماؤهم ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ (الهاء) للرسول والدال سرد الكلام، ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ سأل عمر ولد سلام هل لك علم واطلاع على أحوال الرسول ورد ولد سلام سؤل عمر، وحاصله اطلاعه على أحوال الرسول كعلمه واطلاعه على ولده، وهو على الرسول أدل لعدم علمه ما حصل لام ولده ولعله وطئها واطئ سواه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ هو دلائل إرسال محمد، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إرساله.

﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [آية:١٤٧]:

﴿الْحَقُّ﴾ أول كلام محمول ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أو محمول لمطروح، وهو مسلك محمد وما أمه محمول أم محمولا أو حاصله حال، ﴿فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الأولى طرأ على عملهم أوهام، والمراد: أمر الأمم وإحراصهم على حصول العلم الطارد للأوهام، والحامل على حمله على أمر الأمم عدم طرؤ الوهم على علم الرسول أصلا وطرؤ على عمله محال.

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آية:١٤٨]:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ المراد: لكل أحد الأمم مأم أمه وارداه، ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وروى ولد عامر: مولاها، وعلى كل المراد ولاها الله أهلها، ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[1] أسرعوا إلى صالح الأعمال ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ لدى المعاد لمحل واحد، وكل أحد راء عمله، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إهلاك العوالم ورد الروح لهم، وأمر

(١) أي لكل أهل دين وجهة المراد بالوجهة القبلة قاله ابن عباس في آخرين قال الزجاج يقال جهة ووجهة وفي هو ثلاثة أقوال أحدها أنها ترجع إلى الله تعالى فالمعنى الله موليها إياهم أي أمرهم بالتوجه إليها والثاني ترجع إلى المتولى فالمعنى هو موليها نفسه فيكون هو ضمير كل والثالث يرجع إلى البيت قاله مجاهد أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة والجمهور يقرؤون موليها وقرأ ابن عامر والوليد عن يعقوب هو مولاها بألف بعد اللام فضمير هو لكل ومعنى القراءتين متقارب. انظر زاد المسير (١/١٥٩).

المعاد حاصل لا محال.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٤٩]:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ **إلى أول ما هو أمامك لا إلى وسطه، والمراد: أم الحرم لدى حلولك محلا سواه،** ﴿وَإِنَّهُ﴾ **الأمر** ﴿لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٥٠]:

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ **كرر الحكم على عدد علله وعلله الإسراع؛** (١) **لأمر الرسول وعدم رده،** (٢) **والمسرى على عوائد الله لأهل الملل وهو لكل أحد مأم ولاه له،** (٣) **والردع لما أورده الهود وسواهم،** ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ **المراد: سوى أهل الإسلام** ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ **اللام علل ولوا أول الكلام، والمراد: ولوا وحولوا مصلاكم إلى الحرم لعدم مراء الهود وادعاهم ما حاصله الرسول المسطور وسط الكلام الموحى لموسى مأمه ومصلاه إلى الحرم الحرام لا إلى المصلى المطهر** ﴿إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ **حصل الحسم والردع لكل كلام ومراء هؤلاء وكلامهم ما حكاه هؤلاء ما حول محمد أهل الإسلام إلى الحرم الحرام إلا لامه ما أمه والده** ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ﴾ **مراؤهم كعدمه،** ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ **أسرعوا لما آمركم،** ﴿وَلأتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ **اللام علل مطروحا وهو حصل الأمر أو هو مردود رده الواو على** (لِئَلا) **وما أم لعل حاصل، والمراد: إلى معالم المسلك الموصل إلى الله.**

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [آية:١٥١، ١٥٢]:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً﴾ هو محمد ﴿مِنْكُمْ﴾ والمراد: كمال الإكرام لكم حالا ككماله أولا لما أرسل لكم محمد رسولا ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ مطهركم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل حكم حواه كلام الله، ﴿وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ المراد: أدوا ما ورد لكم لأدائه أمرا أو صلوا واحمدوا ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ أكرمكم على عملكم لدى المعاد، ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾(١) [آية: ١٥٣، ١٥٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على المعاد ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على صالح الأعمال وردع الهوى، ﴿وَالصَّلاةِ﴾ أحد صالح الأعمال ووحدها سردا لورودها أم الأعمال والأوامر؛ ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ كالئ لهم وسامع لدعائهم.

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾ هلكى ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ كما ورد حلول أرواحهم حواصل الطائر، ﴿وَلَكِنْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ما حالهم لعدم

---

(١) الصبر هو نصف الإيمان، ودرع أهل العزيمة والإرادة القوية، وهو طريق النصر والغلبة والفلاح، والله أكّد في آيات كثيرة أنه مع الصابرين، يؤيدهم بولايته ورعايته، وينصرهم بتوفيقه وتثبيته، ويجيب دعاءهم، ويعزّز موقفهم ويحميهم من الأذى. وأما الصّلاة والاستعانة بها فلأنها أمّ العبادات، وصلة العبد بالله تعالى، وطريق الفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، وهي تعصم المؤمنين من الانحراف، وتهذّب النفوس، وتنهى أصحابها الخاشعين فيها عن الفحشاء والمنكر. وأما القتال في سبيل الله فهو طريق الحفاظ على الحقوق، والظفر بالجنة والشهادة، وأساس تحقيق المجد والعزة والكرامة واستقلال الأوطان، وصدّ عدوان المعتدين، واسترداد الحقوق المغتصبة كاغتصاب الصهاينة بلاد فلسطين العزيزة. وقد صحح القرآن الكريم مفاهيم الناس عن الشهداء، فهم خالدون على مدى التاريخ، ولهم الدرجات العليا عند الله تعالى. لما قتل بضعة عشر رجلا من قتلى بدر، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، كان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذّتها، فأنزل الله في قرآنه بيانا قاطعا بأن الشهداء أحياء في قلوب الناس والتاريخ، وأحياء في قبورهم، وأرواحهم الطاهرة في حواصل طير خضر تعلق من ثمر الجنة. وجمع الله في آيات خمس بين الصبر والصلاة والاستشهاد في سبيل الله. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٧٠).

إدراككم له حسا.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [آية: ١٥٥ - ١٥٧]:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ للعدو أو لله، ﴿وَالْجُوعِ﴾ عدم حصول مأكول لكم أو الصوم، ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ هلاكه أو أداءكم وردا أمر الله لأدائه وهو أحد أساس الإسلام، ﴿وَالأَنْفُسِ﴾ لورود الحمام أو الحصاد الحسام، وهو أحد أوامر الله، ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ المعلوم أمرها وحالها، أو المراد: هلاك الأولاد، ﴿وَبَشِّرِ﴾ الأمر لمحمد ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على ما مر كله والسرور على حصول دار المأوى لهم وهم.

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كل مكروه سار المسلم لما ورد ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكا ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ لدى المعاد، وهو معد لكل أحد عمله.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ المراد: محو كل عمل ساء عامله، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ آلاء وإكرام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك الموصل إلى الله، ولما سعى أهل اللوم أول العهد وكرهه الإسلام لسلوكهم ومسراهم على حال كحالهم أوحى الله رسوله.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ كلاهما علم لكام حول الحرم الحرام، ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللهِ﴾ إعلام مسلك الإسلام، ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أراد أحدهما على ما أمر الله ورسوله، ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ ملام ﴿عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ ولو ما سعى أحد الإسلام حكم العدد المعلوم أداء صار محله الدم، ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ سعى عدد سوى العدد المعلوم ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله ومكرم له، ﴿عَلِيمٌ﴾ مطلع على كل عمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية:١٥٩، ١٦٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ (١)كعلماء الهود ﴿مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ كالدلائل على إرسال محمد، ﴿وَالْهُدَى﴾ كل ما هدى إلى الإسلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ﴾ طاردهم لا راحمهم، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ كل ما صلح لصدورها ملكا أو أحد العوالم، والمراد: كلهم داع على المسر لدلائل إرسال محمد.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ كصموا وعادوا، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ أعمالهم، ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما أسروه أولا، ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [آية:١٦١ - ١٦٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الواو للحال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ المراد: العموم أو أهل الإسلام، والأول أولى.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دار الدرك، وورود الهاء وما مر لها سرد لهولها، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم.

﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ كلام عام لكل أحد ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كلاهما محمول على الإله، أو محمول مطروح هو هو ولما سمعوا ما أوصاه الله وهو وإلهكم

---

(١) قال الآلوسي: أخرج جماعة عن ابن عباس قال: سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عما في التوراة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعض الأحكام فكتموا، فأنزل الله - تعالى - فيهم هذه الآية ﴿إِنَّ الذين يَكْتُمُونَ﴾... إلخ.
والكتم والكتمان: إخفاء الشيء قصداً مع مسيس الحاجة إليه وتحقق الداعي إلى إظهاره. وكتم ما أنزل الله يتناول إخفاء ما أنزله، وعدم ذكره للناس وإزالته عن موضعه ووضع شيء آخر موضعه، كما يتناول تحريفه بالتأويل الفاسد عن معناه الصحيح جرياً مع الأهواء، وقد فعل أهل الكتاب ولا سيما اليهود - كل ذلك. فقد كانوا يعرفون مما بين أيديهم من آيات أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حق، ولكنهم كتموا هذه المعرفة حسداً له على ما آتاه الله من فضله، كما أنهم حرفوا كلام الله وأولوه تأويلا فاسداً تبعاً لأهوائهم. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٢٥٥).

إله واحد لا إله إلا هو راموا الدال على الواحد، ولما سألوا الرسول أوحى الله.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **[آية:١٦٤]:**

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ **عدد السماء، ووحد ما أمها إعلاما لحصول عدد الأولى لا سواها،** ﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ **سوادا وعكسه وطولا وعكسه وعودا وعكسه،** ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ **على الماء** ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ **حملا وإطلاعا على أحواله وما أودعه الله وسطه،** ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ **كل ما علا** ﴿مِنْ مَاءٍ﴾ **مطر،** ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ﴾ **لطلوع كلائها** ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ **لعدم الكلاء،** ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ **عدم مرورها على حال واحد،** ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ **المرصود لأمر الله** ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ﴾ **كل ما مر دال على الأحد الصمد** ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ **لهم أحلام أمروها على مدارك ما مر سرده، وعلموا علما طاردا لكل وهم طار على ما حاصله مصدر العالم كله واحد، ولو صور الحلم سواه معه لما كمل أمر العالم ولا صلح، وما دام عدم كمال العالم وعدم صلاحه أمرا محالا لاح للإدراك حصول سواه معه أمر محال وداله ما أوصاه الله لرسوله، وهو لو صح حصول عدد الإله سوى الله لما صلح العالم.**

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ **[آية:١٦٥]:**

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ **المراد سواه** ﴿أَنْدَادًا﴾ **كود وسواع أو هم رؤساء مللهم** ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ **المراد أطاعوهم كما أطاعوه،** ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ﴾ **هو لله وموردہ ولد آدم أو سواهم المسرى على أساس أوامره، وهو لولد آدم وسواهم وموردہ هو الله إكرامه لهم مع حصولهم على السلوك حكم أوامره،** ﴿وَلَوْ

يَرَى﴾[1] الكلام لمحمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لما أطاعوا ما هو كود وسواع ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ ورد للمعلوم وعكسه ﴿الْعَذَابَ﴾ المعد لهم على ركوعهم لسوى الله كود وسواع لعلموا ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾ أو حاصل العامل المؤكد مع معموله ساد مسد معمول ما أم لو، ﴿وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ رد الواو العامل المؤكد على العامل المؤكد الأول.

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٦٦، ١٦٧]:

﴿إِذْ﴾ على وهم العامل المكرر وهو ما أم لو ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا﴾ وهم الرؤساء ﴿مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ مأمومو الرؤساء، وروى راوٍ العكس، ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ الواو واو الحال، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ الوصل المار عهدها ودادا أو رحما.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ عوداً للدار الأولى ولو سؤال حصول المحال، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ الرؤساء، ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما أراهم ما أعد لهم على سوء أعمالهم ﴿يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ﴾ معمول لعامل الهاء وأعمالهم لو عُدَّ كأعلم وإلا حال ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ حسما لطمع العود للدار الأولى، وأوصى الله لرسوله لما حرم رهط كل طعام حلا أكلا وطمعا سوى ما ردع العدم والهلاك ردا على محرمه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي يرى بالياء ومعناه لو يرون عذاب الآخرة لعلموا أن القوة لله جيمعا وقرا نافع وابن عامر ويعقوب ولو ترى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وجوابه محذوف تقديره لرأيتم أمر عظيما كما تقول لو رأيت فلانا والسياط تأخذه وإنما حذف الجواب لأن المعنى واضح بدونه قال أبو علي وإنما قال إذ ولم يقل إذا وإن كانت إذ لما مضى لإرادة تقريب الأمر فأتى بمثال الماضي وإنما حذف جواب لو لأنه أفخم لذهاب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد وقرا أبو جعفر إن القوة لله وإن الله بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف كأنه يقول فلا يحزنك ما ترى من محبتهم أصنامهم انظر زاد المسير (١/١٧١)

تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[1] [آية:١٦٨ - ١٧٠]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً﴾ معمول لكلوا أو أصله: كلوا أكلا حلالا على طرح المصدر أو حال لما ﴿طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ محرك الطاء، وروى راوٍ عدمها مسالكه، والمراد: رد الحلال إلى الحرام ورد الحرام إلى الحلال للهوى ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ وهو ما عامله ملام أو ما لأحد على عمله، ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ ما عامله ملام كل الملام أو ما وصل عامله إلى الحد المعلوم، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ ردكم الحلال إلى الحرام وعكسه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ وهو حل المأكل كلها ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهو الركوع لما سوى الله، كود، وسواع، ورد الحلال إلى الحرام كما حرموا المأكل الا ما رد العدم والهلاك ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾ (الواو) للحال أو الرد على ما مر و(لَوْ) كالوصل، وحاصل الكلام المطروح لسلكوا على مسالكهم.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية:١٧١]:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع دعاء داع لهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ

(١) يا أيها الناس كافّة كلوا مما يوجد في الأرض حلالا أحلّه الله لكم، طيبا لا شبهة فيه ولا إثم، ولا يتعلق به حق الغير، وألا تأكلوا الخبائث التي منها ما يأخذه الرؤساء من الأتباع، فهو حرام خبيث لا يحل أكله. وألا تتبعوا طرق الشيطان بالإغواء والإضلال والوسوسة، فهو يوسوس بالشّر والمنكر، وهو لكم عدوّ ظاهر العداوة من عهد أبينا آدم عليه السّلام، فلا يأمر بالخير أصلا، ولا يأمر إلا بالقبيح من الذنوب، فاحذروه ولا تتبعوه، ويأمركم أن تقولوا على الله في دينه ما لا تعلمون يقينا أنه شرع الله في العقائد والشعائر الدينية، أو تقدموا على تحليل الحرام وتحريم الحلال، للتوصل لإفساد العقيدة وتحريف الشريعة. ثم حكى الله عن المشركين وبعض اليهود ما هم عليه من التقليد الأعمى، قال ابن عباس: دعا رسول الله اليهود إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حرملة ومالك بن عوف: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيرا منا. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٧٧).

إلا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ والمراد: حال هؤلاء كحال داع دعا ما دعاه، وسمع المدعو دعاءه سماعا لا إدراك معه.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ لما لا سمعهم ولا كلامهم ولا مراءهم ولا إدراكهم حام حول الهدى، صاروا كالمعدوم كل حواسه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [آية:١٧٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ حلال ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لما وسع الأمر أولا على ولد آدم كلهم واصل لهم المأكل سوى ما حرم كلم أهل الإسلام وأحلها كلها لهم سوى المكروه ﴿وَاشْكُرُوا لِلهِ﴾ احمدوه على ما احل لكم ما حرمه على سواكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٧٣]:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾(١) كل هالك لحاله وما صادم حد سلاح محله المعلوم والمحرم هو أكلها أو المراد الأعم، وورد على أساس كل هالك السمك وما ساواه حكما، وكلاهما أحله الله ورسوله، ﴿وَالدَّمَ﴾ المراد: الدم السائل وإلا كره، ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ أورد اللحم لأكله أصلا وسواه أولى ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ﴾ المراد: ما حسموا رأسه وسموا اسما سوى اسم الله لدى حسمه، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ وأكل مما حرم لرد العدم والهلاك، ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ سالك على سوى الإسلام، ﴿وَلا عَادٍ﴾ حاسم لمسالك أهل الإسلام، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لو أكل مما حرم ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للأكل أو لكل موال،

---

(١) في هذه الآية استئناف بياني، ذلك أن الإذْن بأكْلِ الطيبات يثير سؤال مَن يسأل ما هي الطيبات فجاء هذا الاستئناف مبيّناً المحرماتِ وهي أضداد الطيبات، لتُعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سُلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار؛ فإن المحرمات قليلة، ولأن في هذا الحصر تعريضاً بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيراً من الطيبات وأحلوا الميتة والدم، ولما كان القصر هنا حقيقياً لأن المخاطب به هم المؤمنون وهم لا يعتقدون خلاف ما يُشرع لهم، لم يكن في هذا القصر قلبُ اعتقادِ أحدٍ وإنما حصل الرد به على المشركين بطريقة التعريض.انظر التحرير والتنوير (١١٥/٢)

﴿رَحِيمٌ﴾ لكل أحد أطاعه موسع لهم لا حلاله لهم ما حرمه على سواهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾[1] [آية: ١٧٤ - ١٧٦]:

---

(١) قال الشعراوي: إن الحق سبحانه وتعالى ينزل بوساطة رسله على خلقه ليحكم المنهج حركة الحياة للناس وعلى الناس، إنه يحكم للناس أي لمصالحهم، ويحكم على الناس إن فوتوا المصالح، لأن الذي يُفَوِّت مصلحة لسواه عنده، لا بدّ أن يلحظ أن غيره سيفوّت عليه مصلحة عنده. إذن، فمن الإنصاف في التشريع أن تجعل له وعليه، فكل « تكليف عليه » يقابله « تكليف له »، لأنه إن كان له حق، فحقه واجب على سواه، وما دام حقه واجباً على ما سواه، فلزم أن يكون حق غيره واجباً عليه؛ وإلا فمن أين يأخذ صاحب الحق حقه؟ والحق سبحانه وتعالى حين ينزل المنهج يبلغه الرسل ويحمله أولو العلم؛ ليبلغوه للناس، فالذين يكتمون ما أنزل الله إنما يصادمون منهج السماء. ومصادمة منهج السماء من خلق الله لا تتأتى إلا من إنسان يريد أن ينتفع بباطل الحياة؛ ليأكل حق الناس. فحين يكتمون ما أنزل الله، فقد أصبحوا عوائق لمنهج الله الذي جاء ليسيطر على حركة الحياة. وما نفعهم في ذلك؟ لا بدّ أن يوجد نفع لهم، هذا النفع لهم هو الثمن القليل، مثل « الرشا »، أو الأشياء التي كانوا يأخذونها من أتباعهم ليجعلوا أحكام الله على مقتضى شهوات الناس. فالله يبين لهم: أن الشيء لا يُثمن إلا بثمين من يعلم حقيقته، وأنتم تُثَمِّنون منهج الله، ولا يصح أن يُثَمِّن منهج الله إلا الله. ولذلك يجب أن يكون الثمن الذي وضعه الله لتطبيق المنهج ثمنا مربحا مقنعا لكم، فإن أخذتم ثمنا على كتمان منهج الله وأرضيتم الناس بتقنين يوافق أهواءهم وشهواتهم، فقد خسرتم في الصفقة؛ لأن ذلك الثمن مهما علا بالتقدير البشري، فهو ثمن قليل وعمره قصير. والأثمان عادة تبدأ من أول شيء يتعقل بحياة الإنسان هو قوام حياته من مأكل ومشرب، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أولئك مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إلا النار﴾ وإذا كانوا يأكلون في بطونهم ناراً فكيف يكون استيعاب النار لكل تلك البطون؟ لأن المؤمن كما قال الرسول يأكل في معى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء، أي أن الكافر لا يأكل إلا تلذذاً بالطعام؛ فهو يريد أن يتلذذ به دائما حتى يضيق بطنه بما يدخل فيه. لكن المؤمن يأخذ من الطعام بقدر قوام الحياة، فسيد الخلق محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف: « حسب ابن آدم لقيمات يقمن أوده ». إذن فالأكل عند المؤمن هو لمقومات الحياة وكوقود للحركة، ولكن الكافر يأخذ الأكل كأنه متعة ذاتية. والحق يقول:
=

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ هم رؤساء الهود ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى الدال على إرسال محمد، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ هو ما رسمه أهل الملل لهم أموالا وسواها ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ﴾ إما حالا لسلوكهم على مسالكهم أو مآلا لحلولهم وسطها، ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعدم صلاحهم لكلامه، ﴿وَلا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا هو مطهرهم مما عملوه وأسروه، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم لهم وهو دار الدرك.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ لولا إصرارهم وإسرارهم الدال على إرسال محمد لطمع الأموال، ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (مَا) اسم كامل مسموك المحل على أول الكلام أو اسم سؤال، وعلى كلاهما المحمول حاصل ما أمها أو اسم موصول، والمحمول مطروح وهو طمعهم أو حرصهم على الأموال.

﴿ذَلِكَ﴾ ما أعده الله لهم ﴿بِأَنَّ اللهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ وهم حولوا وسطه كلماً وأسروا كلماً، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى لما أسروا وحاولوا أو الموحى لموسى لما ادعوا السحر وسواه، ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ كلامهم وما حكوه على سوى مسلك الهدى.

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [آية:١٧٧]:

=

﴿أولئك مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النار﴾ يعني كما أرادوا امتلاء بطونهم شهوة ولذة، فكذلك يجعل الله العذاب لهم من جنس ما فعلوه بالثمن القليل الذي أخذوه، فهم أخذوا ليملؤوا بطونهم من خبيث ما أخذوا وسيملأ الله بطونهم ناراً، جزاء وفاقا لما فعلوا، وهذا لون من العقاب المادي يتبعه لون آخر من العقاب هو ﴿وَلا يُكَلِّمُهُمُ الله﴾ أي أن الحق ينصرف عنهم يوم لا أنس للخلق إلا بوجه الحق. انظر تفسير الشعراوي (١/٣٣٥).

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[1] أوحاه الله لرسوله لما ادعاه أهل الملل ولوموا على الرسول أمر أم الحرام وعدم أمه المصلى المطهر، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ المراد: أهله ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ (ال) للعدد، والمراد: كل كلام أوحاه الله لرسله، ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى﴾ مع ﴿حُبِّهِ﴾ له ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ أحد أولاد الرحم المعدم، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ هو كل أحد لا وصول له إلى حدود أصل محله ولا مال وعدم حصول المال مراعى للكل، ﴿وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾ حل الأسرى وسواهم، ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المعلوم حكمها، ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾ رده الواو على الاسم الموصول أول الكلام لعامل هو كلعل عملا، ﴿إِذَا عَاهَدُوا﴾ عهد الله أولا حد سواه، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ أومأ الواو إلى أمدح مطروحا ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾ عدم المال، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ كل داء، ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ حال لمع الحسام وصول الحمام، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ لدى ادعائهم الإسلام أو ادعائهم العمل الصالح، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله علا اسمه وحلا حمده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ

(١) قال ابن الجوزي رحمه الله: قال قتادة ذكر لنا أن رجلا سأل عن البر فأنزلت هذه الآية فدعاه رسول الله فتلاها عليه وفيمن خوطب بها قولان أحدهما أنهم المسلمون والثاني أهل الكتابين فعلى القول الاول معناها ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه الآية وهذا المعنى مروي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك وسفيان وعلى القول الثاني معناها ليس البر صلاة اليهود إلى المغرب وصلاة النصارى إلى المشرق ولكن البر ما في هذه الآية وهذا قول قتادة والربيع وعوف الأعرابي ومقاتل وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ليس البر بنصب الراء وقرأ الباقون برفعها قال أبو علي كلاهما حسن لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فاذا اجتمعا في التعريف تكافآ في كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تتكافأ النكرتان وفي المراد بالبر ثلاثة أقوال أحدها الإيمان والثاني التقوى والثالث العمل الذي يقرب إلى الله قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه ولكن البر بر من آمن بالله والثاني ولكن ذا البر من آمن بالله حكاهما الزجاج وقرأ نافع وابن عامر ولكن البر بتخفيف نون لكن ورفع البر وإنما ذكر اليوم الآخر لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون بالبعث وفي المراد بالكتاب هاهنا قولان أحدهما أنه القرآن والثاني أنه بمعنى الكتب فيدخل في هذا اليهود لتكذيبهم بعض النبيين وردهم القرآن. انظر زاد المسير (١/١٧٨).

ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى الْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [آية:١٧٨، ١٧٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾[1] الحكم المسطور هل هو محكم أمد الدهر كما حكاه مالك، ومحمد وكلام الرسول صحح إعدام المرء لإعدامها كما لإعدام المسلم ولو مملوكا لا هلاك عكسه ولو حرا أو الحكم المحرر مر عهده وهو ممحو المؤدى لا السرد والكلام، ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ للمعدم والمهلك ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المعدوم ﴿شَيْءٌ﴾ المراد: سماح كل أحد له دعوى الدم على المعدم عمدا، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ للسامح سؤال المال لا على حال الإلحاح والكره، ﴿وَأَدَاءٌ﴾ (وَ) على المهلك عمدا (أَدَاءٌ) المال ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى مالك الدعوى وهو السامح ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ وهو عدم مطله له، ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور وهو ادعاء الدم أو السماح وأداء المال ﴿تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ لما وسع وسهله الأمر، وما حكم على واحد حكما مؤكدا كما أكد على الهود أمر الدم وعلى سواهم وهم مدعو الأهل والولد للإله أمر المال، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾

---

(١) قال الطاهر بن عاشور رحمه الله: أعيد الخطاب بيأيُّها الذين آمنوا لأن هذا صنف من التشريع لأحكام ذات بال في صلاح المجتمع الإسلامي واستتباب نظامه وأمنه حين صار المسلمون بعد الهجرة جماعةً ذات استقلال بنفسها ومدينتها، فإن هاته الآيات كانت من أول ما أنزل بالمدينة عام الهجرة كما ذكره المفسرون في سبب نزولها في تفسير قوله تعالى بعدَ هذا: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ (البقرة: ١٩٠) الآية. تلك أحكام متتابعة من إصلاح أحوال الأفراد وأحوال المجتمع، وابتُدئ بأحكام القصاص، لأن أعظم شيء من اختلال الأحوال اختلالُ حفظ نفوس الأمة، وقد أفرط العرب في إضاعة هذا الأصل، يَعلم ذلك مَنْ له إلمام بتاريخهم وآدابهم وأحوالهم، فقد بلغ بهم تطرفهم في ذلك إلى وشك الفناء لو طال ذلك فلم يتداركهم الله فيه بنعمة الإسلام، فكانوا يغير بعضهم على بعض لغنيمة أنعامه وعبيده ونسائه فيدافع المُغَار عليه وتتلف نفوس بين الفريقين ثم ينشأ عن ذلك طلب الثارات فيسعى كل من قتل له قتيل في قَتْل قاتِل وليّه وإن أعوزه ذلك قتل به غيره من واحدٍ كفءٍ له، أو عدد يراهم لا يوازونه ويسمون ذلك بالتكايل في الدم أي كأنَّ دم الشريف يُكال بدماء كثيرة فربما قدروه باثنين أو بعشرة أو بمائة، وهكذا يدور الأمر ويتزايد تزايداً فاحشاً حتى يصير تفانياً وينتقل الأمر من قبيلة إلى قبيلة بالولاء والنسب والحلف والنصرة، حتى صارت الإحن فاشية فتخاذلوا بينهم واستنصر بعض القبائل على بعض فوجد الفرس والروم مدخلا إلى التفرقة بينهم فحكموهم وأزهبوهم. انظر التحرير والتنوير (١٣٥/٢).

الصلح سماها أصلا أو مع المال، ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حالا، وهو إهلاكه أو مآلا وهو دار الدرك.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ الإحلام ووحدهم دعاء لعلمهم وإداركهم لو أهلك أحدهم أحدا صار له الإهلاك وإدراكه لمال أمره إلى إعدامه رادع له ومسلم حاله وسواه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٨٠ - ١٨٢].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾ أهل الإسلام ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المراد: الداء الموصل للحمام ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ أموالا ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ حال العدل لا كل ماله ولا ما لا كم له أصلا وهو الحد المعلوم، ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لحاصل السرد الأول ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله والأمر المسطور ممحو حكمه لا كلامه، ومحاه كلام الرسول، وحاصله: لو أوصى أحد لولده أو ما هو كحكمه ما صح.

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ الحكم المحرر ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾ أورد الاسم الموصول مورد الهاء ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلام كل أحد كل موص ﴿عَلِيمٌ﴾ معده له.

﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا﴾ ما لو مال إلى مسلك سوى العدل لا عمدا، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ما لو مال إلى المسلك المحرر عامدا له، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ المراد: الموصي لهم، وأمرهم وهواهم إلى العدل، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وعد للمصالح على إصلاحه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ

وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن
كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ
إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ
وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ
أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ
ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ
أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ
بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آية:١٨٣ - ١٨٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[1] الرسل

---

(١) قال ابن عجيبة: أي كُتب عليكم الصيام عن الحظوظ والشهوات، كما كتب على مَن سلك الطريق قبلكم من العارفين الثقات، في أيام المجاهدة والرياضات، حتى تنزلوا بساحة حضرة المشاهدات، لعلكم تتقون شهود الكائنات، ويكشف لكم عن أسرار الذات، فمن كان فيما سلف من أيام عمره مريضاً بحب الهوى، أو على سفر في طلب الدنيا، فليبادِرْ إلى تلافِي ما ضاع في أيام أخر، وعلى الأقوياء الذين يُطيقون هذا الصيام، إطعام الضعفاء من قُوت اليقين ومعرفة رب العالمين. فمَنْ تطوع خيراً بإرشاد العباد إلى ما يُقوّي يقينهم، ويرفع فهو خير له. وأَنْ تَدُوموا أيها الأقوياء على صومكم عن شهود السِّوَى، وعن مخالطة الحس بعد التمكين، فهو خير لكم وأسلم، إن كنتم تعلمون ما في مخالطة الحس من تفريق القلب وتوهين الهمم، إذ في وقت هذا الصيام يتحقق وحي الفهم والإلهام، وتترادف الأنوار وسواطعُ العرفان. فمن شهد هذا فَلْيَدُمْ على صيامه، ومن لم يَقْدِر عليه فَلْيَبْكِ على نفسه في تضييع أيامه. واعلم أن الصيام على ثلاث =

والأمم أولهم عهد آدم إلى عهد الإسلام، وإرسال محمد، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كل هوى لورود الصوم كاسرا له ﴿أَيَّامًا﴾ عامله المصدر المار أو معمول لمطروح هو صوموا أو هو الأولى، والمصدر المار دال العامل المطروح، ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾ عددها معلوم، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا﴾ له داء عسر معه الصوم أو لا وسع له لو صام، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وكسر الصوم وما صام، ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ عدد الأولى، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُ﴾ لطول عمر أوصلهم لحد الهرم ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ لكل صوم مد أو المد لواحد وواحد على ما حرره علماء الإسلام، وأسسه أهل الاطلاع الإعلام أو الحكم المسطور مما هو ممحو المؤدى لا الكلام، وعلى مسلكه حصل العمل أول العهد ومحا مؤداه أمر الصوم على كل حال، ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أعطى لكل صوم أمدادا لا مدا واحدا، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ صومكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ محمول على المصدر، والمراد: الصوم أولى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ إلى أول سماء ﴿هُدًى﴾ خال ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ ساطع أمرها ﴿مِنَ الْهُدَى﴾ مما هو هاد كأحكامه، ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ كل ما دل على سطوع الإسلام ومسالكه، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ كرره لعدم طرؤ الوهم على محو ما ساواه حكما المار لعموم أمر الصوم ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ هو كالمعلل للحكم المار، ولو سرى أمر الصوم على عمومه لحصل العسر كما هو معلوم، ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ عدد الصوم، ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ﴾ لدى كمال عدد الصوم ﴿عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ دلكم وعلمكم معالم الإسلام، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على هداه لكم.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(١) لما سأل رهط الرسول الأمر المسطر

=

درجات: صوم العوام، وصوم الخواص، وصوم خواص الخواص. انظر البحر المديد (١/٢٢٩).

(١) قال القرطبي رحمه الله: المعنى وإذا سألوك عن المعبود فأخبرهم أنه قريب يثيب على الطاعة ويجيب الداعي، ويعلم ما يفعله العبد من صوم وصلاة وغير ذلك. واختلف في سبب نزولها، فقال مقاتل: إن عمر رضي الله عنه واقع امرأته بعد ما صلى العشاء فندم على ذلك وبكى، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتما، وكان ذلك قبل نزول الرخصة، فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ وقيل: لما وجب عليهم في الابتداء ترك الأكل بعد النوم فأكل بعضهم ثم ندم، فنزلت هذه الآية في قبول التوبة ونسخ ذلك الحكم،
=

أوحاه لرسوله، والمراد: كمال علمه واطلاعه على أحوالهم وكلامهم كحال أحد حال محلهم ومعهم ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ المراد: أعطاه سؤله، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ لما أمرهم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ المراد: دوامهم على حال الإسلام؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لعل الهدى حاصل لهم ومأمول وكلما ورد لعل وسط الكلام المكرم حكم على حصول مورده لا محال.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ورد محو الحكم صدر الإسلام وهو عدم حل الوطء سوى أول المساء وحكم الأكل كحكمه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كالمعلل للحكم المار، وهو حل الوطء، ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ لحصول الوطء وصدوره مع عدم حله حصل لعمر وسواه وحكوه إلى الرسول وعاهدوه على عدم العود إلى ما حرم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ﴾ لما أحل الله لكم الوطء مساء الصوم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ وطئا، ﴿وَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ على اللوح، والمراد الأولاد، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ مساء الصوم ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ﴾ هو مد ولمع وسط السواد ﴿مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ هو ما حلك وأسود إلى حد الأول ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ سلك السرد مسلك المعار المصرح لما طرح المعار له وهو ما لمع وسطع واسوَدَّ وحلك، وأصل محلهما المعار المسطر على الاصطلاح المعلوم ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ إلى أول وروده، ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ وَرَدَ ردا لحصوله لما رحل أحدهم إلى أهله ووطئ وعاد إلى المصلى، وهو على الحكم المحرر، ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ حدها لأهل الإسلام، ﴿فَلا تَقْرَبُوهَا﴾ ردعهم أسمى ردع لحصول الردع المحرر على أصل الوصول لها حسمها مردوع للأولى؛ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمه.

﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ ردع لأكل أحد مال أحد ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام على مسلك الإسلام ولا ﴿وَتُدْلُوا بِهَا﴾ المراد: سماع أمرها وحكمها والهاء للأموال ﴿إِلَى

=

على ما يأتي بيانه. وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا، وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام، وغلظ كل سماء مثل ذلك؟ فنزلت هذه الآية. وقال الحسن: سببها أن قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت. وقال عطاء وقتادة: لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قال قوم: في أي ساعة ندعوه؟ فنزلت. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/٢).

الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ﴾ الحرام ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عدم مسراكم على المسرى العدل.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آية:١٨٩]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ عدد الهلال لم أول طلوعها لا على الكمال، وهو حاصل لها أولا أولا ولدى حصوله عراها عكسه وما العلل لعدم دوام أمرها على حال واحد، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ كالصوم وعدد الحرم ولولاها لعسر الأمر عسرا ما، ﴿وَالْحَجِّ﴾ لعلم موسمه ولو مر الأمر على حال واحد لعسر عمله عسرا ما، ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ المراد: أهله ﴿بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ ورد ردا لما وهموه حال الإحرام، وهو عدم سلوك أحدهم إلى داره مما هو مسلك لها إلا مما هو وراءها أو سطحها، ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ محارم الله، ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ حال الإحرام وسواها على السواء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ولما صد أهل اللؤم الرسول وصمموا على عدم وصوله إلى الحرم وصالحهم على وروده العالم الوارد سوى العام الأول، وحصل الصلح على الحكم المسطور، وراع أهل الإسلام عدم دوامهم على العهد وحصول صدم الجسام، وكرهوا حصوله وسط الحرم وحال الإحرام، وعصر محرم العام أوحى الله لرسوله أمرا.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:١٩٠ - ١٩٣]:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١) هم كل مار وطالع عما حده الله رسوله له والحكم المسطر أول العهد، وحصل له المحو مؤدى لا كلاما لعموم أمر الحسام سوى المحل المحرر ولأمره وهو.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أصله الإدراك علما أو عملا، والمراد: إدراك الحس حلا أو حرما أحلوا الحسام على هامهم، ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ هو الحرم المطهر، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الإلحاد الحاصل وسط الحرم ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم وسط الحرم وحال الإحرام وعصر محرم العام المكروه كله لكم، والمرام إلحادهم أولى كرها.

﴿وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وسط الحرم ﴿حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ وسطه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ وسطه ﴿كَذَلِكَ﴾ أعمال الحسام والطرد لهم ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عما هو إلحاد وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم لما صدر ﴿رَحِيمٌ﴾ لحالهم.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلحاد أصلا، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ الأعمال ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا لأحد سواه، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عما هو إلحاد وأسلموا لله ولرسوله ﴿فَلا عُدْوَانَ﴾ إهلاكا أو طردا ﴿إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ هم أهل الإلحاد.

﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آية:١٩٤]:

---

(١) يرى بعض العلماء أن هذه الآيات قد وردت في الإذن بالقتال للمحرمين في الأشهر الحرام إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً. فهي متصلة بما قبلها أتم الاتصال، لأن الآية السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس في عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفي الحج خاصة وهو في أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرماً في الجاهلية. فقد أخرج الواحدي عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلة في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صده المشركون عن البيت الحرام - ثم صالحوه فرضي على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا ألا تفي لهم قريش، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم في الحرم والشهر الحرام فأنزل الله - تعالى الآيات. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٢٣/١)

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾[1] كما أعلموا لكم الحسام وسطه اعملوا لهم وسطه، وهو رد لما كرهه أهل الإسلام وهو عمل الحسام وسط الحرام وحال الإحرام وعصر محرم العام، ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ حرام أمام حرام، ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ وسط الحرم والحرام وحال الإحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سماها كما سماها لورودها على صورها، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ حارسهم ومصلحهم.

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آية:١٩٥]:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ الأمر لعدم الإمساك كل الإمساك، ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ العامل مؤكد، والمراد الأعم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ مصدر كالهلاك والهلك، والمراد: حصوله لكم لا مسالككم أو لعدمه أصلا ولا حال وسط وكلاهما مسدد الأعداء، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ على العموم إعطاء دراهم أو سواها ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ محص لهم أعمالهم.

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا

(١) قال ابن الجوزي: هذه الآية نزلت على سبب واختلفوا فيه على قولين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل هو وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي فصدهم المشركون فصالحهم نبي الله على أن يرجع عنهم ثم يعود في العام المقبل فيكون بمكة ثلاث ليال ولا يدخلها بسلاح ولا يخرج بأحد من أهل مكة فلما كان العام المقبل أقبل هو وأصحابه فدخلوها فافتخر المشركون عليه إذ ردوه يوم الحديبة فأقصه الله منهم وأدخله مكة في الشهر الذي ردوه فيه فقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص والى هذا المعنى ذهب ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبوالعالية وقتادة في آخرين والثاني أن مشركي العرب قالوا للنبي عليه السلام انهيت عن قتالنا في الشهر الحرام قال نعم وأرادوا أن يفتروه في الشهر الحرام فيقاتلوه فيه فنزلت هذه الآية يقول إن استحلوا منكم شيئا في الشهر الحرام فاستحلوا منهم مثله هذا قول الحسن واختاره إبراهيم ابن السري والزجاج فأما أرباب القول الأول فيقولون معنى الآية الشهر الحرام. انظر زاد المسير (١/٢٠١).

ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ
عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ
خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ
حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم
مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى
يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ [آية:١٩٦ - ٢٠٣]:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلهِ﴾(١) أدُّوهما على أكمل الأحوال ﴿فَإِنْ أُحصِرْتُمْ﴾

---

(١) قال الإمام الرازي رحمه الله: وجه الاستدلال به أن الإتمام قد يراد به فعل الشيء كاملا تاماً، ويحتمل أن يراد به إذا شرعتم في الفعل فأتموه، وإذا ثبت الاحتمال وجب أن يكون المراد من هذا اللفظ هو ذاك، أما بيان الاحتمال فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّه بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٢٤) أي فعلهن على سبيل التمام والكمال، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (البقرة: ١٨٧) أي فافعلوا الصيام تاماً إلى الليل، وحمل اللفظ على هذا أولى من قول من قال: المراد فأشرعوا في الصيام ثم أتموه، لأن على هذا التقدير يحتاج إلى الإضمار، وعلى التقدير الذي ذكرناه لا يحتاج إليه فثبت أن قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه الإتيان به على نعت الكمال والتمام فوجب حمله عليه، أقصى ما في الباب أنه يحتمل أيضاً =

لحصول العدوة وورد حصره وأحصره كصده وأصده كلاما ومراما كما ورد لا حصر إلا حصر العدو، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ المراد: لو أحصر المحرم وأراد حل إحرامه إلا إهداء الدم ووصوله لمحله لدى الإمام لورود، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ وهو الحرم، والمراد: حل الإحرام للمحرم وصول الدم المهدى إلى محله كما هو مؤدى السرد المكرم أو المحل المحرر محمول على محل حل الإحرام ولو سوى الحرم الحرام وهو محل الإحصار، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ كهوام أو ألم ما، ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ كصوم عدد وهو واحد وواحد، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ كالعدد المار أصوعا ملؤها أحد ما كول أهل محله، ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ المرد: الدم، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ الإحصار أو العدو، ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ المراد: إلى إحرامه، ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو دم مهدى لحل الإحرام، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الدم لعدمه أو عدم مال ودراهم له ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ المراد: عصره أو الحال الإحرام، ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى أهلكم ومحلكم أو المراد: كمال أعماله، ﴿تِلْكَ

=

أن يكون المراد منه أنكم إذا شرعتم فيه فأتموه، إلا أن حمل اللفظ على الوجه الأول أولى، ويدل عليه وجوه الأول: أن حمل الآية على الوجه الثاني يقتضي أن يكون هذا الأمر مشروطاً، ويكون التقدير: أتموا الحج والعمرة لله إن شرعتم فيهما، وعلى التأويل الأول الذي نصرناه لا يحتاج إلى إضمار هذا الشرط، فكان ذلك أولى والثاني: أن أهل التفسير ذكروا أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الحج فحملها على إيجاب الحج أولى من حملها على الإتمام بشرط الشروع فيه الثالث: قرأ بعضهم ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله ﴾ وهذا وإن كان قراءة شاذة جارية مجرى خبر الواحد لكنه بالاتفاق صالح لترجيح تأويل على تأويل الرابع: أن الوجه الذي نصرناه يفيد وجوب الحج والعمرة، ويفيد وجوب إتمامهما بعد الشروع فيهما، والتأويل الذي ذكرتم لا يفيد إلا أصل الوجوب، فكان الذي نصرناه أكبر فائدة، فكان حمل كلام الله عليه أولى الخامس: أن الباب باب العبادة فكان الاحتياط فيه أولى، والقول بإيجاب الحج والعمرة معاً أقرب إلى الاحتياط، فوجب حمل اللفظ عليه السادس: هب أنا نحمل اللفظ على وجوب الإتمام، لكنا نقول: اللفظ دل على وجوب الاتمام جزماً، وظاهر الأمر للوجوب فكان الإتمام واجباً جزماً والاتمام مسبوق بالشروع، وما لا يتم الواجب إلا به وكان مقدوراً للمكلف فهو واجب، فيلزم أن يكون الشروع واجباً في الحج وفي العمرة السابع: روي عن ابن عباس أنه قال: والذي نفسي بيده إنها لقرينتها في كتاب الله، أي إن العمرة لقرينة الحج في الأمر في كتاب الله يعني في هذه الآية فكان كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣) فهذا تمام تقرير هذه الحجة. انظر تفسير الرازي)(١/٨٠٥).

عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ حاصلها مؤكد للحكم الأول، ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر وهو الدم أو الصوم ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ المراد: سوى أهل الحرم أو الأولى وراء محل الإحرام أو أهل الحل على العموم كله مسالك العلماء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اعملوا وأدوا ما أمركم وراعوا أوامره، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل أحد ما راعى أوامره.

﴿الْحَجُّ﴾ عصره ﴿أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾[1] المراد: إحرامه له أو أرسل ما أراد إهداءه وهو الدم، ﴿فَلا رَفَثَ﴾ وطء، ﴿وَلا فُسُوقَ﴾ ما عم الحرام، ﴿وَلا جِدَالَ﴾ مراء ﴿فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ وهو معده لكم، ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ ورد أمرا لكل أم الحرم الحرام وما معه مأكل ولا مطعم، وهو كل على السؤال، ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ لسؤال كل أحد، ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الألْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ورد ردا لما كرهوه وهو إعمال الأموال لكل آم الحرم، ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ هلوا وادعوا ﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ لكام معلوم كما ورد، ورواه مسلم حلول الرسول وروده إلى اللكام المحرر ودعاؤه، وهو محل الأمام، ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لمعالم المسلك الموصل إلى الله وأعمال ما أمركم، ولولا هداه لكم لما حصل وما لمصدر، وعامله أدى مؤدى اللام المعلل، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ المراد: الهدى، ﴿لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ الأولى لا هدى لهم.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ الأمر لكرماء أهل الحرم لما وحدوا محلهم

---

(١) في الكلام حذف تقديره أشهر الحج أشهر أو وقت الحج أشهر أو وقت عمل الحج أشهر والغرض إنما هو أن يكون الخبر عن الابتداء هو الابتداء نفسه والحج ليس بالأشهر فاحتيج إلى هذه التقديرات ومن قدر الكلام الحج في أشهر فيلزمه مع سقوط حرف الجر نصب الأشهر ولم يقرأ بنصبها أحد وقال ابن مسعود وابن عمر وعطاء والربيع ومجاهد والزهري أشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقال ابن عباس والشعبي والسدي وإبراهيم هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة والقولان لمالك رحمه الله حكى الأخير ابن حبيب وجمع على هذا القول الأخير الاثنان وبعض الثالث كما فعلوا في جمع عشر فقالوا عشرون لعشرين ويومين من الثالث، فمن قال إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لم ير دما فيما يقع من الأعمال بعد يوم النحر لأنها في أشهر الحج وعلى القول الآخر ينقضي الحج بيوم النحر ويلزم الدم فيما عمل بعد ذلك. انظر زاد المسير (١/٢٠٥)

سموا لحالهم وأمرهم الله إلى ورودهم كلهم مع العالم إلى محل واحد، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل احد أراد محو أعمال له ساء مصدرها.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ معمول المصدر، والمراد: اعملوا كعملكم على عهدكم الأول، وهو سرد أحدكم أعمال والده ومحامده على مسلك المدح، والمراد: أدوها لله كأدائكم لها لوالد أحدكم، ﴿أَوْ أَشَدَّ﴾ حال المصدر المأموم له أو مردود رده أو إلى معمول المصدر أو على المصدر الأول، ومحله كمحله على الأول اصطلاح المرسل، ﴿ذِكْرًا﴾ مصدر معمول المطروح دل على طرحه العامل الأول، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ سهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ألاء، ﴿وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ دار الدرك والكدر السرمد دعاء لعدم ورودها أصلا.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ كل عمل صالح لهم كالدعاء المحرر وسواه، ﴿وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ معد لكل العالم عملهم ومرء لكل واحد وحده ما صدر له طول عمره وما عمله وحاسم لهم كلهم كلمح المرأى.

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أسرع ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ ورمى وصدر، ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لحصول الإسراع، ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ المراد كلاهما على حد سواء ما هو مكروه ولا حرام وعدمهما هو ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾ محارم الله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ لدى المعاد وكل أحد راء عمله.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [آية: ٢٠٤ - ٢٠٦]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] وهو ادعاؤه الإسلام وما هو

(١) يعجبك: من الإعجاب بمعنى الاستحسان، تقول. أعجبني هذا الشيء، أي: استحسنته وعظم في نفسي. و" من " للتبعيض. والمعنى: ومن الناس فريق يروقك منطقهم، ويعجبك بيانهم، ويحسن =

مسلم، أو المراد: حلو الكلام وصدره طاوٍ مكرًا ومرارا، ﴿وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ آلى على كلامه ووروده مساو لما طواه صدره، وآلى على عدم مكره، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ له لك كمال المراء وهر عدو ألد.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ كما سعى هو وأهلك لما مر على كلاء أهل الإسلام واصلاه ومر على حمرهم وأهلكها، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ مردود ومكروه له.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ﴾ واعمل عملا مرادا، ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حمله حمده روحه على العمل ﴿بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مهد ووطأ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية:٢٠٧]:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾(١) معط كمال حاله للعمل المراد لله ﴿ابْتِغَاءَ

= عندك مقالهم. فأنت معجب بكلامهم الحلو الظاهر، المر الباطن، وأنت في هذه الدنيا لأنك تأخذ الناس بظواهرهم، أما في الآخرة فلن يعجبك أمرهم لأنهم ستنكشف حقائقهم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، وسيعاقبهم عقاباً أليماً لإظهارهم القول الجميل وإخفائهم الفعل القبيح. وعلى هذا التفسير يكون قوله: ﴿فِي الحياة الدنيا﴾ متعلقاً بيعجبك. وبعضهم يجعل قوله ﴿فِي الحياة الدنيا﴾ متعلقاً بالقول فيكون المعنى عليه ومن الناس فريق يعجبك قولهم إذا ما تكلموا في شئون الدنيا ومتعها لأنها منتهى آمالهم، ومبلغ علمهم، وأصل حبهم، ومن أحب شيئاً أجاد التعبير عنه، أما الآخرة فهم لا يحسنون القول فيها، لأنهم لا يهتمون بها، بل هم غافلون عنها، ومن شأن الغافل عن شيء ألا يحسن القول فيه. ويبدو لنا أن تعلق الجار والمجرور بيعجبك أرجح، لأنه يتفق مع السياق إذ سياق الحديث في شأن الذين يقولون بأفواههم لما ليس في قلوبهم، ويخدعون الناس بمعسول بيانهم مع أن نفوسهم مريضة، وليس في شأن الذين يحسنون الحديث عن شئونها المختلفة، بل إن بعض الذين يحسنون الحديث في شئون الدنيا لم يضيعوا أخراهم وإنما عمروها بالعمل الصالح، فهم جامعون بين حسنتي الدنيا والآخرة. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٤٩/١).

(١) قال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية على خمسة أقوال: أحدها أنها نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو معنى قول عمر وعلي رضي الله عنهما والثاني أنها نزلت في الزبير والمقداد حين ذهبا لإنزال خبيب من خشبته وقد شرحنا القصة وهذا قول ابن عباس والضحاك والثالث أنها نزلت في صهيب الرومي واختلفوا في قصته فروي أنه أقبل مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من قريش فنزل فانتثل كنانته وقال: قد علمتم أني من =

مَرْضَاتِ اللهِ﴾ روما لها، ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ لما أهلهم لإدراك محالها وأوحى الله ردا على ولد سلام وسواه لما حرموا لحم العلطوس مع إسلامهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٢٠٨، ٢٠٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ مكسورا وكهدم هو الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال السلم، والمراد: عملهم وسلوكهم على سائر أحكامه وعدم رد أحد ورد أحدها كردها كلها، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ ما حلاه لكم، وهو الإسلام لأحد لا أحكام ورد أحدها؛ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ مال أحدكم أو كلكم وما أسلم لكل الأحكام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ كل ما دل على سطوع هدى الإسلام، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ معد لكل أحد عمله ﴿حَكِيمٌ﴾ معامل له على مسلك العدل.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [آية:٢١٠]:

﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾ المراد: أمره أو ما أعده لهم على مسلك

=

أرماكم بسهم وايم الله لا تصلون إلي حتى ارميكم بكل سهم معي ثم أضربكم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء فان شئتم دللتكم على مالي قالوا فدلنا على مالك نخل عنك فعاهدهم على ذلك فنزلت فيه هذه الآية فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال ربح البيع أبا يحيى وقرأ عليه القرآن هذا قول سعيد بن المسيب وذكر نحوه أبو صالح عن ابن عباس وقال إن الذي تلقاه فبشره بما نزل فيه أبو بكر الصديق وذكر مقاتل أنه قال للمشركين انا شيخ كبير لا يضركم إن كنت معكم أو عليكم ولي عليكم حق لجواري فخذوا مالي غير راحلة واتركوني وديني فاشترط أن لا يمنع عن صلاة ولا هجرة فأقام ما شاء الله ثم ركب راحلته فأتى المدينة مهاجرا فلقيه أبو بكر فبشره وقال نزلت فيك هذه الآية وقال عكرمة نزلت في صهيب وأبي ذر الغفاري فأما صهيب فأخذه أهله فافتدى بماله واما أبو ذر فأخذه أهله فأفلت منهم حتى قدم مهاجرا والرابع أنها نزلت في المجاهدين في سبيل الله قاله الحسن وابن زيد في آخرين والخامس أنها نزلت في المهاجرين والأنصار حين قاتلوا على دين الله حتى ظهروا هذا قول قتادة. انظر زاد المسير (١/٢٢٤).

المرسل، وهو مسلك الطرح ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ الركام، ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ الأولى هم رسل ورود الأمر أو المعد لهم، ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ كمل أمر هلاكهم، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ لدى المعاد.

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [آية:٢١١]:

﴿سَلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله أو عام لكل أحد ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ﴾ سؤال معمول لما أمه وهو ﴿آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ أوردها لهم رسولهم موسى كالعصا والسلوى وما حمدوا لها، ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ وعلمها وأدركها، ﴿فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آية:٢١٢]:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ وأرداهم هواها، ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (وَ) هم (يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) لعدمهم كعمار وسواه، وحصولهم على الأموال سواهم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ كل مود إلى الهلاك السرمد ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ مملك أهل الإسلام أموالهم ورؤسهم.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ (١)[آية:٢١٣]:

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: في هذه الآية إضراب انتقالي عن الكلام السابق فاحتاج إلى وجه مناسبة به، فقال الطيبي أخذاً من كلام (الكشاف): إن قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ (البقرة: ٢١٣) كلام ذُكرت فيه الأمم السالفة وذُكر من بعث إليهم من الأنبياء وما لَقُوا منهم من الشدائد، ومُدْمِجٌ لتشجيع الرسول والمؤمنين على الثبات والصبر على أذى المشركين كما قال: ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ (هود: ١٢٠) فمن هذا الوجه كان الرسول =

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على المسلك السواء والهدى أولهم عهد آدم إلى علو الماء وهلاك الأمم، وحصل ما حصل وعدم الهدى، ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ﴾ إلى الأمم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أهل الهدى، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل العمى، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ (ال) للعموم لا للعهد ﴿بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ﴾ الله أو رسوله أو الكلام المرسل لهم ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ المراد: حصل العكس لورود الكلام الموحى رادعا ورادا إلى الهدى وهم عكسوا الأمر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ حسدا وحرصا الأموال وسواها؛ ﴿فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك الموصل إلى السرور السرمد.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [آية: ٢١٤]:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ الكلام للرسول وأهل الإسلام ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُمْ

=

وأصحابه مُرادين من ذلك الكلام، يدل عليه قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا ﴾(البقرة: ٢١٣) وهو المضرب عنه ببل التي تضمنّها أمْ أي دَعْ ذلك، أحَسِبُوا أن يدخلوا الجنة اهـ. وبيانه أن القصد من ذكر الأمم السالفة حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه بسوء عملهم والاقتداءُ في المحامد، فكان في قوله تعالى: ﴿كان الناس أمة واحدة ﴾ الآية إجمال لذلك وقد ختم بقوله ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾، ولما كان هذا الختام منقبة للمسلمين أُوقِظوا أنْ لا يُزْهَوْا بهذا الثناء فيحسبوا أنهم قضَوْا حق شكر النعمة فعقب بأن عليهم أن يصبروا لما عسى أن يعترضهم في طريق إيمانهم من البأساء والضراء اقتداء بصالحي الأمم السالفة، فكما حذرهم الله من الوقوع فيما وقع فيه الضالون من أولئك الأمم حرضهم هنا على الاقتداء بهدي المهتدين منهم على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالنذارة وعكس ذلك، فيكون قوله: ﴿أم حسبتم ﴾ إضراباً عن قوله: ﴿فهدى الله الذين آمنوا ﴾ وليكون ذلك تصبيراً لهم على ما نالهم يوم الحديبية من تطاول المشركين عليهم بمنعهم من العُمرة وما اشترطوا عليهم للعام القابل، ويكون أيضاً تمهيداً لقوله: ﴿كتب عليكم القتال ﴾ (البقرة: ٢١٦) الآية، وقد روي عن أكثر المفسرين الأولين أن هذه الآية نزلت في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجَهد والشدائد فتكون تلك الحادثة زيادة في المناسبة. انظر التحرير والتنوير (٢/٣١٣).

﴿مَثَلُ﴾ ما مر وورد إلى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أهل الهدى، وهو كل لأواء وأمر عسر حمله ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ﴾ العدم، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ الداء، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ لحصول الأهوال ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ المراد حصل كلام الرسول ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾ الموعود لهم لما طال حصولهم المرام سألوه الله ورد الله سؤالهم مؤكدا لهم حصوله ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ حصوله وروده لكم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [آية:٢١٥]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ المسئول محمد رسول الله، والسائل عمر، والمعهود له طول العمر ووسع المال، والسؤال حصل للكم والمحل ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ ما صرح لهم الكم لعمومه وأما المحل ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ أحد أولاد الرحم المعدم، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى حدود محله ولا مال له، والمراد هؤلاء المحل للإعطاء، وهم أولى أو للسؤال حاصل أصلا إلى الكم وحده، وورد رد السؤال إلى المحل لوروده أهم والسؤال له أولى، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ على العموم ﴿فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ معده لكم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [آية: ٢١٦]:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾ الكره مصدر ورد مورد المكروه، ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ حالا ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مآلا، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ حالا ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ مآلا لعدم حصولكم على العلو على أعدائكم ودوامكم على حال العدم لعدم المال، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ الصالح والأصلح لكم حالا ومآلا، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وعدم علم حكم أمر الآمر مود إلى إسراع المأمور أمر له.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ

مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آية:٢١٧]:

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ السائل أهل اللؤم لا أهل الإسلام، والمسئول الرسول سألوه لما أحل حلول الحسام رؤسهم أول الحرم، ورأوه عارا على الإسلام أوحاه الله لرسوله ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ﴾ أول كلام ﴿كَبِيرٌ﴾ محمول على أول الكلام ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: الإسلام أو كل مسلك موصل إلى الله، ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ (الهاء) لله، ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ (وَ) صد، (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) وهم الرسول وأهل الإسلام معه ﴿أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ﴾ عارا لدى الله لو صح حمل ما وهموه وادعوه على العار وهو عار واحد وما عدده الله لهم سوى عار واحد وحمله أولى، ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ عدم الإسلام ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم وإهلاككم، ﴿وَلا يَزَالُونَ﴾ أهل اللؤم ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ الكلام مع أهل الإسلام ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ الإسلام إلى عكسه ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ المراد: حصل المحو لكل عمل صالح لهم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ والمراد: دوامهم على عدم الإسلام إلى ورود الحمام، ولو عاد إلى الإسلام عاد له عمله، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ولما ما أمل أهل الإسلام حصولهم على العمل الصالح لإهلاكهم أهل اللؤم وسط المحرم وعدهم الله وأوحى لرسوله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٢١٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لإعلاء أمره وحكمه ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللهِ﴾ ما أعده لهم على عملهم الصالح، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لأهل الإسلام ﴿رَحِيمٌ﴾ لحالهم.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ

إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [آية:٢١٩، ٢٢٠]:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾(١) السكر وكل مسكر حكمه كحكمه، ﴿وَالْمَيْسِرِ﴾ مصدر كالموعد، وهو الوصل إلى مال سواه على مسلك واصطلاح محرم معلوم، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ كلاهما مود إلى المراء وهو محرم، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ السرور للسكر وحصول ولا كد، ﴿وَإِثْمُهُمَا﴾ ما أدى له كلامها ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ المسطور،

---

(١) السائلون هم المؤمنون وسؤالهم إنما هو عن الحكم الشرعي من حيث الحل والتحريم. لا عن الحقيقة والذات فإنهم يعرفون حقيقة الخمر والميسر وذاتهما. قال القرطبي: والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها - وكل شيء غطى شيئاً فقد خمره. ومنه: خمروا آنيتكم، فالخمر تخمر العقل، أي: تغطيه وتستره.. فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك، وقيل إنما سميت الخمر خمرا؛ لأنها تركت حتى أدركت كما يقال: قد اختمر خمراً لأنها تخالط العقل من المخامرة وهي المخالطة ومنه قولهم: دخلت في خمار الناس - بفتح الخاء وضمها - أي: اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة. فالخمر تركت وخمرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل. ثم خمرته، والأصل الستر. ويرى كثير من العلماء أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الخمر. ثم نزلت الآية التي في سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنْتُمْ سكارى حتى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ ثم نزلت الآية التي في سورة المائدة ﴿يا أيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ والدليل على ذلك ما رواه أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب أنه قال " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا " فنزلت هذه الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمر ﴾ فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ". فنزلت الآية التي في النساء ﴿يَا أَيُّهَا الذين آمَنُواْ لا تَقْرَبُواْ الصلاة وَأَنْتُمْ سكارى ﴾ فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة - نادى أن: لا يقربن الصلاة سكران. فدعى عمر فقرئت عليه، فقال: " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا " فنزلت الآية التي في المائدة، فدعى عمر فقرئت عليه، فلما بلغ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ ﴾ قال عمر: " انتهينا ". وبهذا الرأي قال ابن عمر والشعبي ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. ويرى بعض العلماء أن أول آية نزلت في الخمر هي قوله - تعالى - في سورة النحل: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النخيل والأعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ وعلى هذا الرأي سار صاحب الكشاف وتبعه بعض العلماء فقد قال: نزلت في الخمر أربع آيات، نزل بمكة قوله - تعالى - ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النخيل والأعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً ﴾ فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم. ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا: يا رسول الله، أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال، فنزلت: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ فشربها قوم وتركها آخرون. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٣٨٢/١).

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ سألوا لكم، والسائل عمرو كما مر أولا ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾ هو عدم وصول كل معط له إلى حال الكل وإعطاء ما هو سهل إعطاؤه، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أورد لكم الله ما سرده وحكاه ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ لعمل الأصلح والأولى لحالكم، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ أوحاه الله لرسوله لما طرحوهم لا واكلوهم ولا عاملوهم، وحصل لهم العسر لطرح أموالهم وحدها وطعامهم وحدها، ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ﴾ عمل الأصلح لهم مالا أو طعاما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم ولهم، ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ﴾ المراد: حط مال طعامهم إلى مال طعامكم، ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ إسلاما

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم وأحوالهم ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ لها، وهو معد لكل واحد عمله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ﴾ ما وسع لكم وحرمه ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور، ﴿حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره.

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [آية:٢٢١]:

﴿وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ سوى أهل الإسلام، وهو حكم عام حل محل مراد معلوم أحله محله حكم سوى المحرر وحلل أمم موسى والرسول الآم لموسى ﴿حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لكمال أو كلام أو مال والواو الام لها لو واو الحال.

﴿وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد: عدم إعطائهم أحد أهل الإسلام وهو حكم محكم ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ مالا وكمالا وكلاما؛ ﴿أُولَئِكَ﴾ المراد: أهل اللؤم ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ لعملهم كل عمل مؤد لها، وهو عمل حامل على عدم وروده صهر الأحد أهل الاسلام، ﴿وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾ إلى كل عمل مود لها ﴿بِإِذْنِهِ﴾ لحصول الكل مرادا له، ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لإدراك الأصلح وردع الهوى.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [آية:٢٢٢]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾[1] المراد: أهله وحال السلوك مهم ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ كره مدر، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ المراد: عدم الوطء حاله إلى حال الطهر، ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ وطئا ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ وهو المحل المعلوم لا سواه ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ المراد: مكرم لهم.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية:٢٢٣]:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ محل مورد الأولاد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ إلى محله ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ على كل حال أرادها الواطئ والأمر لعدم المكروه ورد ردا على الهود لما ادعوا وطء المرء أهله على حال حط صدرها على المهاد وهو وراءها مود إلى حول ولدها، ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح لدى الوطء كالدعاء وسواها مما هو وارد،

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: ذكر الطبري عن السدي أن السائل ثابت بن الدحداح - وقيل: أسيد بن حضير وعباد بن بشر، وهو قول الأكثرين. وسبب السؤال فيما قال قتادة وغيره: أن العرب في المدينة وما والاها كانوا قد استنوا بسنة بني إسرائيل في تجنب مؤاكلة الحائض ومساكنتها، فنزلت هذه الآية. وقال مجاهد: كانوا يتجنبون النساء في الحيض، ويأتونهن في أدبارهن مدة زمن الحيض، فنزلت. وفي صحيح مسلم عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كل شيء إلا النكاح" فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه، فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله، إن اليهود تقول كذا وكذا، أفلا نجامعهن؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ظننا أن قد وجد عليهما، فخرجا فاستقبلهما هدية من لَبَنٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسل في آثارهما فسقاهما، فعرفا أن لم يجد عليهما. قال علماؤنا: كانت اليهود والمجوس تجتنب الحائض، وكانت النصارى يجامعون الحيض، فأمر الله بالقصد بين هذين. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨١/٣).

﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ﴾ لدى المعاد وكل احد راء عمله، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أهل الإسلام الكامل لهم دار وسرور السرمد.

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] [آية:٢٢٤]:

﴿وَلا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ﴾ ورد لما آلى أحد إلا رداء الكرام وهو أولهم، وأول أمام على عدم إطعامه لمسطح لما حصل ما حصل أو آلى سواه على عدم

(١) في الآية ثلاثة أشياء: أولا: أن تبروا، أي أن تفعلوا البر. والبر قد يكرهه الإنسان لأنه شاق على النفس. ثانيا: أن تتقوا، أي أن تتجنبوا المعاصي، والتقوى تكون أيضا شاقة في بعض الأحيان. ثالثا: أن تصلحوا بين الناس، أي أن تصلحوا ذات البيْن، وقد يكون في الإصلاح بين الناس مؤونة وذلك بعد أن تمتنعوا أن تجعلوا الله عرضة للقسم.

وحين يقول الحق: ﴿وَلا تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ ﴾ فالعرضة هي الحجاب، وهي ما يعترض بين شيئين، ﴿عُرْضَةً ﴾ هي أيضا الأمر الصالح لكل شيء، فيقال: «فلان عرضة لكل المهمات». أي صالح. والعرضة كما عرفنا هي ما اعترض بين شيئين، كأن يضع الإنسان يده على عينيه فلا يرى الضوء، هنا تكون اليد « عُرْضة » بين عيني الإنسان والشمس إن الإنسان يحجب بذلك عن نفسه الضوء. كأن الحق يقول: « أنا لا أريد أن تجعلوا اليمين عرضة بين الإنسان وفعل الخير والبر والتقوى ». فعندما يطلب منك واحد أن تبر من أساء إليك فقد تقول: « أنا أقسمت ألا أبر هذا الإنسان » إنك بذلك جعلت اليمين بالله مانعاً بينك وبين البر. ويريد الحق بذلك القول أن ينبهنا إلى أن القسم به لا يجوز في منع البر أو صلة الرحم أو إصلاح بين الناس.. ومن حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فليفعل الخير وليكفر عن يمينه لماذا؟ لأن المؤمن عندما يحلف على ألا يفعل خيراً فهو يضع الله مانعاً بينه وبين الخير، وبذلك يكون قد ناقض المؤمن نفسه بأن جعل المانع هو الحلف بالله. إن الله هو صاحب الأمر بالبر والتقوى والإصلاح بين الناس. لذلك فالحق يقول: ﴿وَلا تَجْعَلُواْ الله عُرْضَةً لأيْمَانِكُمْ ﴾. أي أن الحق يريد أن يحمي عمليات البر والتقوى والإصلاح بين الناس.

إنك إن حلفت أيها المؤمن ألا تفعل هذه العمليات، فالحق يريد لك أن تحنث في هذا القسم وأن تفعل البر والتقوى والإصلاح بين الناس حتى لا تتناقض مع تشريع الله. ونحن عندما نجد المجتمع وقد صنع فيه كل فرد البر، واتقى فيه كل إنسان المعاصي، ورأى فيه كل إنسان نزاعاً بين جماعتين فأصلح هذا النزاع، أليس هذا دخولا في السلم كافة. إذن فالحق يريد أن يستبقي للناس ينابيع الخير وألا يسدوها أمام أنفسهم. إن الحق هو الآمر بألا يجعل المؤمن اليمين مانعاً بين الإنسان والبر، أو بين الإنسان والتقوى، أو بين الإنسان والإصلاح بين الناس. ويتساهل الإسلام في مسألة التراجع والحنث في البر فيقول السلف الصالح: « لا حنث خير من البر ».
انظر تفسير الشعراوي (١/٦٠٥).

إصلاحه مع أحدهم، والمراد: عدم صدوره على عدم عمله العمل الصالح كصلح وإعطاء مال وسواهما كما حكاه الله ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ ولو آلى على ما حرر حلل ما إلى وأسرع للعمل، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سامع الكلام وعالم الأحوال.

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [آية:٢٢٥]:

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو كل ما أسرع الكلام له وأصدره الواحد لا على مسلك العمد كلا والله ووالله، ولو حرك الهاء صار حكمه حكم العامد، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ المراد: ما عمد الواحد وصمم لا إسراع كلام كما مر، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لما صدر لا على العمد، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع لإهلاك كل عاص.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾ [آية:٢٢٦، ٢٢٧]:

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ على عدم الوطء ﴿تَرَبُّص أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾ عادوا إلى الوطء ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما آسوا على حرمهم وهو عدم وطئهم، ﴿رَحِيمٌ﴾ لما صدر.

﴿وَإِنْ عَزَمُوا﴾ صمموا وأموا ﴿الطَّلاقَ﴾ لعدم الوطء أو ما هو حكمه كحكمه، ﴿فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لكلامهم الحاصل، ﴿عَلِيمٌ﴾ مرامهم.

﴿وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [آية:٢٢٨]:

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾ أطهار، وهو اسم للطهر، أو اسم للدم، والحكم سار على ما وطئه المرء أو ما حكمه كحكم الوطء وسواهما لا وعدم الدم أصلا لهرم أو عكسه مود إلى ورود مدده على الحال الوسط المعلوم، والحامل حط

حملها والإماء طهر وطهر وكله سطره وحرره الكلام المكرم ما عدا الإماء أورده الرسول الأكرم.

﴿وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ على العموم دما أو ولدا ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ المعاد، ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ إلى عصمهم ما دام ما كمل عدد الأطهار أو ما حكمه كحكمها، وهو المدد على ما مر ولو كره الأهل الرد المحرر ﴿فِي ذَلِكَ﴾ وسط الأطهار أو ما حكمه وهو المدد، ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا﴾ لأهلهم، ﴿وَلَهُنَّ﴾ وللأهل على المرء ﴿مِثْلُ الَّذِي﴾ للمرء ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ وهو أحكام الأهل للمرء وأحكام المرء للأهل، كالاطعام والكسو والدار وعدم الكهر على المرء، وعلى الأهل إسلام الحال إلى المرء على كل حال سوى ما حرم، ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على ما حكم الله ورسوله، ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وهو السلوك على محور أمرهم لما أعطوه مهرا، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره وأحكامه إلى العالم.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩﴾ [آية:٢٢٩]:

﴿الطَّلاقُ﴾ المراد: ما له رد إلى العصم ﴿مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ﴾ أول كلام محمول مطروح وهو على المرء ﴿بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ إرسال للأهل ﴿بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ وهو المهور ﴿شَيْئًا﴾ لو سرح المرء أهله ﴿إِلا أَنْ يَخَافَا﴾ كلاهما الأهل والمرء ﴿أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ ما حده لهما وهو الأحكام المار سردها على المرء والأهل، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِمَا﴾ على الأهل والمرء ﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ وهو ما أعطاه الأهل للمرء على الإرسال، ﴿تِلْكَ﴾ الاحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ

يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [آية:٢٣٠]:

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾[1] المرء سوى المرء الأول ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْهِمَا﴾ على المرء الأول والأهل ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ﴾ ما حده لهما، وهو الأحكام المار سردها، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ﴾ الأحكام ﴿يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لهم إدراك لما حده الله لهم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٣١]:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ وهو الإطهار أو المدد لسوى أهل الدم والحمل، وما المراد حصول المرور كمالا، وحاصل المراد وصول الأهل إلى حدود الوصول إلى مرور الإطهار، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ ردا إلى عصمكم ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ على ما حكم الله ورسوله، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ المراد: أو دعوا الأهل إلى مرور الإطهار على الكمال، ﴿وَلا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ ردا إلى عصمكم ﴿ضِرَارًا﴾ معمول له ﴿لِتَعْتَدُوا﴾ لحمل الأهل على إعطاء المال للمرء لإرسالها، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ وهو إمساكها لحملها على إعطاء المال ﴿فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ أوردها مورد الألم.

﴿وَلا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا﴾ لعدم السلوك على أحكامها وحدودها، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ ما أولاكموه وهو الإسلام، ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلامه المكرم ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ كل حكم حواه الكلام المكرم ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ لأداء حمد الآلاء

---

(١) ذكر مقاتل أن هذه الآية نزلت في تميمة بنت وهب بن عتيك النضيري وفي زوجها رفاعة بن عبد الرحمن القرظي وقال غير مقاتل إنها عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك كانت تحت رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ثم طلقها فأتت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة فطلقني فأبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى ابن عمي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك. انظر زاد المسير (٢٦٦/١).

وأداء حمدها العمل على مسلكها، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ **عالم السر وسواه.**

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آية:٢٣٢]:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ **وهو مرور الإطهار أو المدد على الكمال أو حط الحمل،** ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ **المراد: عدم ردع الوالد أو سواه للحرم كما رواه الحاكم وعلل ورود الحكم المسطور.**

﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ **كل أحد مع أهله** ﴿ذَلِكَ﴾ **عائد إلى لا** ﴿يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ **هو الحاصل له لا سواه،** ﴿ذَلِكُمْ﴾ **عدم ردع الوالد أو سواه الحرم،** ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ **لكم ولهم لما هو مود إلى حصول أمر محرم لردعكم،** ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ **ما هو الصالح لكم** ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ **وعدم العلم مود إلى سلوك المأمور على مسلك أمر الآمر.**

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية:٢٣٣]:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾(١) **لام الأمر مطروح** ﴿أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ **مؤكد،**

(١) قال الطاهر بن عاشور: في هذه الآية انتقال من أحكام الطلاق والبينونة؛ فإنه لما نهى عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات؛ لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن، كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهم في ذلك، فإن أمر الإرضاع مهم، لأن به =

والأمر والحكم المحرر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ على الكمال، ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ وهو الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام كل أم، ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على وسع حال الوالد وعدم وسعه أو عدمه، ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ وهو إكراهها على إعطائها الولد، ﴿وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ لا كراهه على إعطاء ما لا وسع له على إعطائه، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ للوالد وهو الولد، والمراد: كل محرم، والواو للرد رد على وما أمها على الكلام الأول وهو على المولود له ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ كما على الوالد إطعاما وسواه، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ والد الولد وأمه ﴿فِصَالا﴾ للولد صادرا ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ لصالح الولد، ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ﴿عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ الكلام لكل والد ﴿أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ﴾ أراد: أحدكم، أو كلكم إعطاء ولده لسوى أمه ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ﴾ ما أراد أحدكم أو كلكم إعطاءه لسوى الام ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مع عدم الكره حال الإعطاء، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ عالم كل سر وعكسه.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية: ٢٣٤]:

=

حياة النسل، ولأن تنظيم أمره من أهم شؤون أحكام العائلة. واعلم أن استخلاص معاني هذه الآية من أعقد ما عرض للمفسرين. فجملة ﴿والوالدات يرضعن﴾ معطوفة على جملة ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن﴾ (البقرة: ٢٣٢) والمناسبة غير خفية. والوالدت عام لأنه جمع معرف باللام، وهو هنا مراد به خصوص الوالدات من المطلقات بقرينة سياق الآي التي قبلها من قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة: ٢٢٨) ولذلك وصلت هذه الجملة بالعطف للدلالة على اتحاد السياق، فقوله: ﴿والوالدات﴾ معناه: والوالدات منهن، أي من المطلقات المتقدم الإخبار عنهن في الآي الماضية، أي المطلقات اللائي لهن أولاد في سن الرضاعة، ودليل التخصيص أن الخلاف في مدة الإرضاع لا يقع بين الأب والأم إلا بعد الفراق، ولا يقع في حالة العصمة؛ إذ من العادة المعروفة عند العرب ومعظم الأمم أن الأمهات يرضعن أولادهن في مدة العصمة، وأنهن لا تمتنع منه من تمتنع إلا لسبب طلب التزوج بزوج جديد بعد فراق والد الرضيع؛ فإن المرأة المرضع لا يرغب الأزواج منها؛ لأنها تشتغل برضيعها عن زوجها في أحوال كثيرة. انظر التحرير والتنوير (٤٢٩/٢).

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ لورود حمامهم ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ لهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ لام الأمر مطروح ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وهو حكم لما سوى الحوامل والحوامل طرح الحمل كما مر ومدد الإماء وسط مدد الحرائر كما حكاه الرسول الأكرم، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ لكمال المدد وحط الحمل ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الكلام مع الولد ووالده أو ما حكمه كحكمه، وهو كل محرم مع عدم الوالد أو والده وولده كما هو معلوم ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ وهو عدم الإحداد وحمل الحلى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو ما حده الله ورسوله، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السر وسواه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:٢٣٥]:

﴿وَلا جُنَاحَ﴾ ملام ﴿عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ كأداء السلام وحلو الكلام ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ما أسره كل أحد لروم الأهل ﴿عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ وحلل لكم الكلام الحلو، ﴿وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ المراد: وطئا ووعدا مسرا وهو ما أدى الحال إلى أسراره كالوطء، ﴿إِلا أَنْ تَقُولُوا قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ وهو السلوك على مسلك ما حده الله ورسوله وحللاه لكم، ﴿وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ إلى عصمكم، ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ وهو مرور الإطهار أو المدد أو حط الحمل للحوامل، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ ما أسره كل واحد ﴿فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لكل مراع حدوده، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع إلى ألم كل أحد سرى على سوى مسلك أوامره.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية:٢٣٦]:

﴿لا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾(١) المراد: الوطء ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تفرضوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا وما للصدر، ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوها ﴿عَلَى الْمُوسِعِ﴾ أهل المال الواسع ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ وهو سوى أهل الأموال ﴿قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ على ما حكم الله وحد ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ كل طائع.

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [آية:٢٣٧]:

﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ المراد: الوطء أو ما حكمه كحكمه، ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا معلوما، ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ معطى لأهلكم ﴿إِلا أَنْ يَعْفُونَ﴾ الأهل ﴿أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ وهو المرء، والمراد: لو أعطى كل المسمى لأهله، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ حاصل المصدر أول كلام محموله ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ وهو معد لكل أحد عمله.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [آية:٢٣٨، ٢٣٩]:

---

(١) أي ما لم تجامعوهن ولم تدخلوا بهن والمس في أصل معناه: اللمس، ويقال فيما معه إدراك بحاسة اللمس، ثم أطلق على سبيل الكناية على ما يكون بين المرء وزوجه من جماع ومباشرة وعلى غير ذلك مما يكون فيه إصابة حسية أو معنوية. وهذه الكناية من ألطف التي تربى في الإنسان حسن الأدب، وسلامة التعبير، وتجنبه بالنطق بالألفاظ الفاحشة. وقد تكرر هذا التعبير المهذب في القرآن الكريم ومن ذلك قوله - تعالى - حكاية عن مريم: ﴿قَالَتْ رَبِّ أنى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ...﴾ والمراد بالفريضة هنا المهر الذي يفرضه الرجل على نفسه للمرأة قبل الدخول بها.

والمعنى: لا إثم عليكم أيها الرجال إذا طلقتم النساء لأسباب مشروعة، وبطريقة مرضية، قبل الدخول بهن، وقبل أن تقدروا لهن مهراً معيناً. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٤٣٢/١).

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ كلها أداء، ﴿وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ الوسطى: العصر أو أولها، ﴿وَقُومُوا لِلهِ قَانِتِينَ﴾ المراد: عدم الكلام حال أدائها كما رواه مسلم وسواه، أو المراد: أدوها على حال الكمال، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ورود عدو أو ماء واد أو سبع، ﴿فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ المراد على أسهل حال إلى كل مصل ولو أومأ إلى ركوعه وسواه، ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ العدو وسواه مما مر، ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ صلوا لله ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ﴾ على حال علمكموها وما اسم موصول أو لمصدر ﴿مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ أول العهد أو أول العمر أو حال عدم حصولكم على ما علمه لكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [آية:٢٤٠]:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ معمول لعامل هو داله وعامل عامله لام الأمر على ما رواه والد عمرو، وولد عامر أو مسموك على أول الكلام، ومحموله مطروح على أولئك أو حكمهم ﴿لأَزْوَاجِهِمْ﴾ وإعطاؤهم للأهل ﴿مَتَاعًا﴾ كالمأكل والمكسى والمأوى ﴿إِلَى﴾ كمال ﴿الْحَوْلِ﴾ أوله حلول الحمام للمرء ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال معمول اللام، والمراد: طردهم حرام إلى سوى محل المرء ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ حال لا طارد ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ الكلام مع كل رحم للمرء الهالك ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ أحله الله وما حرمه، وهو عدم الإحداد لحمام المرء كما وحسم مال الإطعام وسواه، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محكم أوامره وإحكامه على العوالم والسرد المحرر كله ممحو الحكم لا الكلام ومحا حكم الحول ما مر أولا ومحا حكم كل موص للحلائل ما أسسه الله للأهل والمحارم كالوالد والأم والولد وأم الأم والمرء وأولاد الأرحام وسواهم.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [آية:٢٤١، ٢٤٢]:

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ﴾ معطى ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ على وسع حال معطى، وهل المراد ما عم المهر، ومال المطعم والمكسى والمأوى، أو المراد معطى معلوم حرره العلماء

الأعلام الكلام الصالح لورودهما، ﴿حَقًّا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح هو داله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله لا على سواهم لما صاروا هم الأولى للسلوك على مسلك أوامره، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حرر لكم الأحكام المار سردها ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إدراكا لأحكامها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [آية:٢٤٣، ٢٤٤]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ روم حصول الإدراك محال على الله، والمراد: إعطاء كامل سمع السامع وإدراكه إلى الكلام اللام لألم أو سواها ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ وهو محل أمام واسط، ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾(١) عدد له كم وعدم حصره أولى، والواو واو الحال ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ معمول له دعاهم ملكهم إلى إهلاك العدو وما سارعوا لأمره أو حصل وسط محلهم داء عام مود إلى الحمام وراعهم هوله، وساروا إلى محل سواه، ولما ساروا أهلكهم الله كلهم، ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ لما دعا الله رسولهم رد الله لهم أرواحهم وكساهم لحوما سلموا دهرا وعلى صلاهم لوائح الحمام، وكلما كسوا حالهم رداء عاد كرداء الحمام وسرى مروره ووصل إلى أولادهم، ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ لما أعاد لهم أرواحهم ولحومهم، وحكى لكم أحوالهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاء مولاهم كما هو مراد وما حكاه الله وطأ أمر الحسام وصدمه لهام أعدائه اللئام ولما حرر وسطر رد على السرد المار أمره وهو ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سامع الكلام عالم الأحوال ومعد لكل عامل عمله.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ فيه قولان أحدهما أن معناه وهم مؤتلفون قاله ابن زيد والثاني أنه من العدد وعليه العلماء واختلفوا في عددهم على سبعة أقوال أحدها أنهم كانوا أربعة آلاف والثاني أربعين ألف والقولان عن ابن عباس والثالث تسعين ألفا قاله عطاء بن أبي رباح والرابع سبعة آلاف قاله أبو صالح والخامس ثلاثين ألفا قاله أبو مالك والسادس بضعة وثلاثين ألفا قاله السدي والسابع ثمانية آلاف قاله مقاتل. انظر زاد المسير (١/٢٨٨).

يَقْبِضُ وَيَبْصُّطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آية:٢٤٥]:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ المراد: هل أحد معط ماله لإعلاء كلمه ولا كره ولا إكراه، ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا﴾ اسم مصدر أو هو معمول على الحال للهاء ﴿كَثِيرَةً﴾ لا حاصر لها وحده وعدم الحصر أولى، ﴿وَاللهُ يَقْبِضُ﴾ ممسك الإعطاء لأمر هو عالمه، ﴿وَيَبْسُطُ﴾ موسع العطاء لصالح هو عالمه، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معد لكل عامل عمله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا
مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ
قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ
إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً
فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا
تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن
شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟
مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ
بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ
قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾ [آية:٢٤٦ - ٢٥٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ﴾ الملأ اسم لا واحد له كالرهط ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ حمام ﴿مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ﴾ المراد: ملك ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه أعداء الله، ومرادهم حصوله مصدرا لأمرهم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ﴾ لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ مكسورا وكهصر ﴿إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا﴾ محمول على اسم عسى وأورد هل لروعه عدم إسراعهم إلى الأعداء، ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ المراد: لا راد لهم مع حصول ما أداهم ودعاهم له، وهو طرد الملك مهلك داود لهم، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ معد لهم أعمالهم ومعاملهم على ما أصدروه.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما سأل الله إرسال الملك لهم وأرسله الله وحكمه على أمورهم ولا علم لهم ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لا هو ملك ولا ولد رسول ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ مؤسسا على وسعها أمور ملكه ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ﴾ للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ وسعا ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وهو أعلمهم وأحلمهم وأكملهم ﴿وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا راد لما أعطى ولا رادع لما أراد ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ﴿عَلِيمٌ﴾ معط الملك أهله.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما سألوه ما هو الدال على ملكه ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ﴾(١) عدم الروع لكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى﴾ المراد:

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى وقال لهم نبيهم إن أية ملكه الآية العلامة فمعناه علامة تمليك الله إياه أن يأتيكم التابوت وهذا من مجاز الكلام لأن التابوت يؤتى به ولا يأتي ومثله فاذا عزم الأمر وإنما جاز مثل هذا لزوال اللبس فيه كما بينا في قوله تعالى ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ البقرة ١٦ وروي عن ابن مسعود وابن عباس انهم قالوا لنبيهم إن كنت صادقا فأتنا بآية تدل على أنه ملك فقال لهم ذلك وقال وهب خيرهم أي آية يريدون فقالوا أن يرد علينا التابوت قال ابن عباس كان =

موسى ﴿وَآلُ﴾ المراد: هو، وحاصل ما حط وسطه صور الرسل مع عصا موسى وما هو إلى رأس ﴿هَارُونَ﴾ ومكسور الألواح الكاسر لها موسى وسوها ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾ حال معمول معمول محصل المصدر، وحاصل المصدر محمول اسم المؤكد أول الكلام؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وحمله الأملاك وسط الهواء وأوصلوه إلى ملكهم وهم رواه ولما صار إلى ملكهم أسلموا لأمر ملكه وسارعوا إلى إهلاك أعدائهم.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ وأول طلوعه المصلى المطهر مع حصول الحر وأرادوا الماء وسألوه لملكهم ﴿قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ وعالم كل عاص وطائع، ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ المراد: ما هو معه، ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ أصلا ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ المراد: معه ﴿إِلا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ وأرواه ما حصل ما على عاملها ملام ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وصلوا له وحصلوه ﴿إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾ الأولى عملوا كما أمرهم، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الأولى عملوا أمرهم ﴿قَالُوا﴾ الأولى ما سارعوا ولا سروا على مسلك أمره لهم ﴿لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ المراد: علمهم لحصوله علما حاسما لكل وهم طار ﴿أَنَّهُمْ مُلاقُو اللهِ﴾ لدى لمعاد ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ لمراده لها ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ كالئ لهم.

=

التابوت من عود الشمشار عليه صفائح الذهب وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالا قدموه بين أيديهم يستنصرون به وفيه السكينة وقال وهب بن منبه كان نحوا من ثلاث أذرع في ذراعين قال مقاتل فلما تفرقت بنو إسرائيل وعصوا الأنبياء سلط الله عليهم عدوهم فغلبوهم عليه وفي السكينة سبعة أقوال أحدها أنها ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان رواه أبو الأحوص عن علي رضي الله عنه والثاني أنها دابة بمقدار الهر لها عينان لها شعاع وكانوا إذا التقى الجمعان أخرجت يدها ونظرت إليهم فيهزم الجيش من الرعب رواه الضحاك عن ابن عباس وقال مجاهد السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان والثالث أنها طست من ذهب من الجنة تغسل فيه قلوب الأنبياء رواه أبو مالك عن ابن عباس والرابع أنها روح من الله تتكلم كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمتهم وأخبرتهم ببيان ما يريدون رواه عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه والخامس أن السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها رواه ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وذهب إلى نحوه الزجاج فقال السكينة من السكون فمعناه فيه ما تسكنون إليه إذا أتاكم والسادس أن السكينة معناها هاهنا الوقار رواه معمر عن قتادة والسابع أن السكينة الرحمة قاله الربيع بن أنس. انظر زاد المسير (١/٢٩٥).

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ المراد: ورد كلاهما لموارد المعارك وعمل الحسام والصوارم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ على هول المراس، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ لما أراد كسرهم، ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وهو معهم وسط عسكرهم ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ (الهاء) لداود ﴿اللهُ الْمُلْكَ﴾ على الهود، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد: ما عم الإرسال، وهو أول واحد حصلا له، ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كعمل الدروع وكلام الطائر، ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ حاصل مدلول السرد المكرم لولا حصول إهلاك أهل الإسلام لعكسهم اللئام لساء حال العالم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وهو حصول مراده لإهلاك أهل اللوم.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ الكلام مع محمد رسوله ﴿بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أورده مؤكدا لرد ما أدعوه وهو عدم إرساله.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [آية:٢٥٣]:

﴿تِلْكَ﴾ أول كلام والمومأ له ﴿الرُّسُلُ﴾ والمحمول على أول الكلام ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لحصول كل واحد على كمال ما حواه سواه كما حكاه الله، وهو ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾ كموسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ كمحمد رسوله لعموم إرساله إلى سائر الأمم، ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، وهو الملك سائرا معه لكل محل سار له، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هدى العالم كلهم ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (الهاء) للرسل، والمراد: أممهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لأمر أراده الله، ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ دام على إسلام، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ وهم مدعو الأهل والولد للإله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ مؤكد لما مر، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مورد كل أحد مورد ما أراده له إسلاما أو سواه لا راد لما راد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [آية:٢٥٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ المراد: إعطاءكم معلوم، وهو أحد أساس الإسلام ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ﴾ لا عدل وهو حلول أحد محل أحد ﴿فِيهِ وَلا خُلَّةٌ﴾ وداد راد المكروه، ﴿وَلا شَفَاعَةٌ﴾ إلا ما أراده الله، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لا حلالهم أمر الله سوى محله.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(1) [آية:٢٥٥]:

---

(١) هذه سيدة آي القرآن ورد ذلك في الحديث وورد أنها تعدل ثلث القرآن وورد أن من قرأها أول ليله لم يقربه شيطان وكذلك من قرأها أول نهاره وهذه متضمنة التوحيد والصفات العلى و" الله " مبتدأ و" لا إله " مبتدأ ثان وخبره محذوف تقديره معبود أو موجود و" إلا " هو بدل من موضع " لا إله " و" الحي " صفة من صفات الله تعالى ذاتية وذكر الطبري عن قوم أنهم قالوا الله تعالى حي لا بحياة وهذا قول المعتزلة وهو قول مرغوب عنه وحكي عن قوم أنه حي بحياة هي صفة له وحكي عن قوم أنه يقال حي كما وصف نفسه ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه و" القيوم " فيعول من القيام أصله قيووم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فأدغمت الأولى في الثانية بعد قلب الواو ياء وقيوم بناء مبالغة أي هو القائم على كل أمر بما يجب له وبهذا المعنى فسره مجاهد القيام والربيع والضحاك وقرأ ابن مسعود وعلقمة وإبراهيم النخعي والأعمش الحي القيوم بالألف ثم نفى عز وجل أن تأخذه " سنة " أو " نوم " وفي لفظ الأخذ غلبة ما فلذلك حسنت في هذا الموضع بالنفي والسنة بدء النعاس وهو فتور يعتري الإنسان وترنيق في عينيه وليس يفقد معه كل ذهنه والنوم هو المستثقل الذي يزول معه الذهن والمراد بهذه الآية أن الله تعالى لا تدركه آفة ولا يلحقه خلل بحال من الأحوال فجعلت هذه مثالا لذلك وأقيم هذا المذكور من الآفات مقام الجميع وهذا هو مفهوم الخطاب كما قال تعالى ﴿فلا تقل لهما أف﴾ الإسراء ٢٣ ويفرق بين الوسن والنوم ما جاء في السنة فسر الضحاك والسدي وقال ابن عباس وغيره السنة النعاس وقال ابن زيد الوسنان الذي يقوم من النوم وهو لا يعقل حتى ربما جرد السيف على أهله

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وهذا الذي قال ابن زيد فيه نظر وليس ذلك =

﴿اللهُ لا إِلَهَ﴾ للعوالم ﴿إِلا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم ﴿الْقَيُّومُ﴾ الحاصل له حده، ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ عكس السهر والسهاد، والمراد: أول الكرى، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ له ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ وهو حال الدار الأولى ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ هو حال دار المعاد، ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ ما علمه معمى على العوالم ﴿إِلا بِمَا شَاءَ﴾ إعلامهم، وهو ما أوحاه للرسل وأدوه لهم وأعلموهموه ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾

=

بمفهوم من كلام العرب وروى أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه فأرسل الله إليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى حتى نام نومة فاصطفقت فانكسرت القارورتان قال ضرب الله مثلا أن لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض وقوله تعالى﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ أي بالملك فهو مالك الجميع وربه وجاءت العبارة بـ" ما " وإن كان في الجملة من يعقل من حيث المراد الجملة والموجود ثم قرر ووقف تعالى على من يتعاطى أن "يشفع عنده" أو يتعاطى ذلك فيه إلا أن يأذن هو في ذلك لا إله إلا هو وقال الطبري هذه الآية نزلت لما قال الكفار ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى فقال الله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ الآية وتقرر في هذه الآية أن الله يأذن لمن يشاء في الشفاعة وهنا هم الأنبياء والعلماء وغيرهم والإذن هنا راجع إلى الأمر فيما نص عليه كمحمد صلى الله عليه وسلم إذا قيل له واشفع تشفع وإلى العلم والتمكين إن شفع أحد من الأنبياء والعلماء قبل أن يؤمر والذي يظهر أن العلماء والصالحين يشفعون فيمن لم يصل إلى النار وهو بين المنزلتين أو وصل ولكن له أعمال صالحة وفي البخاري في باب بقية من باب الرؤية أن المؤمنين يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فهذه شفاعة فيمن يقرب أمره وكما يشفع الطفل المحبنطئ على باب الجنة الحديث وهذا إنما هو في قرابتهم ومعارفهم وأن الأنبياء يشفعون فيمن حصل في النار من عصاة أممهم بذنوب دون قربى ولا معرفة إلا بنفس الإيمان ثم تبقى شفاعة أرحم الراحمين في المستغرقين بالذنوب الذين لم تنلهم شفاعة الأنبياء وأما شفاعة محمد في تعجيل الحساب فخاصة له وهي الخامسة التي في قوله وأعطيت الشفاعة وهي عامة للناس والقصد منها إراحة المؤمنين ويتعجل للكفار منها المصير إلى العذاب وكذلك إنما يطلبها إلى الأنبياء المؤمنون والضميران في قوله ﴿أيديهم وما خلفهم﴾ عائدان على كل من يعقل ممن تضمنه قوله ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ وقال مجاهد " ما بين أيديهم " الدنيا " وما خلفهم " الآخرة وهذا صحيح في نفسه عند موت الإنسان لأن ما بين اليد هو كل ما تقدم الإنسان وما خلفه هو كل ما يأتي بعده وبنحو قول مجاهد قاله السدي وغيره. انظر المحرر الوجيز (٣٣٥/١).

أحاط علمه ما حواه كلاهما، أو المراد ملك الله ما حواه كلاهما أو وسع أدى مؤدى حوى، والمراد: حواهما، لما أورده الرسول وحاصله السماء كلها كدراهم وسطه لوسعه، ﴿وَلا يَئُودُهُ﴾ ما هو عسر على الله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ السماء وما رد على السماء الواو ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على العالم كله ﴿الْعَظِيمُ﴾.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٥٦]:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على السلوك إلى مسالكه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ ورد ردا على الأولى أرادوا أكراه أولادهم على الإسلام، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ اسم لما هو، كود، وسواع، أو سواه ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ الممسك المحكم ﴿لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكل كلام ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم كل الأحوال.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّـٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَـٰتِ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [آية:٢٥٧]:

﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عكس الإسلام ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ هو ما مر، كود، وسواع، أو سواه ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ الإسلام، والمراد: عدم سلوكهم مسالكه أصلا لا طلوعهم حملا على الأعم، ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عكس الإسلام، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حلولهم وسطها مارد لله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [آية:٢٥٨]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ واسمه معلوم لكل أحد ﴿فِي رَبِّهِ﴾ وحمله على سوء عمله ﴿أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر، وهو حال وصل الاسم الموصل.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما سأله هو سرد علائم إلهه ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ مؤسس أمر الحمام وعكسه إلى العالم ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا أُحْيِي﴾ أسامح لا أعدم واحدا روحه ولا أهلكه، ودعا واحدا وسامحه وما أهدر دمه وصحح مدعاه، ﴿وَأُمِيتُ﴾ كالأول، ودعا واحدا وأهدر دمه وأهلكه وصحح ما أدعاه.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما رأى مرآه حول المدعى إلى مسلك سواه أسرع للرد على عدوه ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ﴾ حار ﴿الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى مسالك سطوع الدلائل على أهل الإسلام.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1)[آية: ٢٥٩]:

﴿أَوْ﴾ رد اسما موصولا على اسم موصول أول الكلام ﴿كَالَّذِي﴾ (ك) مؤكد لا عمل له أصلا، والاسم الموصول رده أو إلى الاسم الأول ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هو المصلى المطهر وهو على حماره ومعه طعام وكأس طلا، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ صار

---

(١) قوله تعالى ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ قال الزجاج هذا معطوف على معنى الكلام الذي قبله معناه أرأيت كالذي حاج إبراهيم أو كالذي مر على قرية وفي المراد بالقرية قولان أحدهما أنها بيت المقدس لما خربه بختنصر قاله وهب وقتادة والربيع بن أنس والثاني أنها التي خرج منها الألوف حذر الموت قاله ابن زيد وفي الذي مر عليها ثلاثة أقوال أحدها أنه عزير قاله علي بن أبي طالب وأبوالعالية وعكرمة وسعيد بن جبير وناجية بن كعب وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل والثاني أنه أرمياء قاله وهب ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير والثالث أنه رجل كافر شك في البعث نقل عن مجاهد أيضا والخاوية الخالية قاله الزجاج وقال ابن قتيبة الخاوية الخراب والعروش السقوف وأصل ذلك أن تسقط السقوف ثم تسقط الحيطان عليها قال أنى يحيي هذه الله أي كيف يحييها فان قلنا إن هذا الرجل نبي فهو كلام من يؤثر أن يرى كيفية الإعادة أو يستهو لها فيعظم قدرة الله وإن قلنا إنه كان رجلا كافرا فهو كلام شاك والأول أصح. انظر زاد المسير (١/ ٣٠٩).

أعلاها وسطها هدما وردما ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ رآه أمرا محالا، ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ رد روحه له ﴿قَالَ﴾ له ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لحصول ما حصل له أوله ورد روحه له لدى الرواح، ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ ما حولا مع طول المدد إلى حال سوى الحال الأول، و(الهاء) أصل أو (هاء) حسم الكلام، ﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ ما حول وكم له أعواما ولما رآه رأى ألواحا لا لحم ولا دم، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً﴾ دالا على أمر المعاد ﴿لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ (ال)حل محل (الهاء) العائد إلى الحمار ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ رواه راوٍ كحصل، وراوٍ كأكرم، وعلى كل مأموم الهاء راء، ورواه راوٍ كأكرم، ومحل الراء المهمل عكسه، والمراد على الأول رد الروح، والمراد حال عكس المهمل ما حركه محرك واصعده إلى العلو، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ ولما رآها رأى كل لوح عاد إلى محله وكساها الله لحما ورد الروح له وصاح، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ما لا وصول للإدراك له ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مرأى لا علم إدراك وروى راوٍ اعلم على الأمر والآمر له الله أو هو هو ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وأورد لهم أو أورد على علمك.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٢٦٠]:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ﴾ الله له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ سأله الله ما سأله مع علمه إسلامه وعدم طرؤ الوهم على صدره لحصول العلم لكل سامع على مراده، وهو حسم دلائل أهل المراء ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ﴾ حصل السؤال ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ المراد: لو سأله سائل هل رأى ما ادعاه، وهو رد الروح صحح له دعواه، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ﴾ (الصاد) مكسور، ورواه راوٍ كسد، والمراد: حسمها كلها ورد لحم كل واحد إلى واحد ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ المراد: كل لكام حوله لا على العموم لكل لكام كما هو معلوم ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ على كما الإسراع، ﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ومسك طاووسا وطائرا أسود وسواهما، وعمل كما مر حسمهما وحط على كل لكام كما ومسك رؤوسهما ودعاها، ولما دعاها صار كل لحم إلى أصله وعاد إلى حاله، وورد كل طائر وسعى إلى

رأسه الممسك.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾ [آية:٢٦١، ٢٦٢]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ على مراده ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إلى ما لا حد ولا حصر له، ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه، ﴿عَلِيمٌ﴾ محل الإعطاء وأهله.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المعطى له ككلامه له ساء حالك لو لم أعطك، ﴿وَلا أَذًى﴾ كاطلاع سواه على ما أعطاه له وهو كاره ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾[١] [آية: ٢٦٣]:

---

(١) ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ﴾ بأن تقول للسائل كلاما جميلا طيبا تجبر به خاطره، ويحفظ له كرامته "ومغفرة" لما وقع منه من إلحاف في السؤال، وستر لحاله وصفح عنه، ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ أي خير من صدقة يتبعها المتصدق أذى للمتصدق عليه. لأن الكلمة الطيبة للسائل، والعفو عنه فيما صدر منه، كل ذلك يؤدي إلى رفع الدرجات عند الله، وإلى تهذيب النفوس، وتأليف القلوب وحفظ كرامة أولئك الذين مدوا أيديهم بالسؤال. أما الصدقة التي يتبعها الأذى فإن إيتاءها بتلك الطريقة يؤدي إلى ذهاب ثوابها، وإلى زيادة الآلام عند السائلين ولا سيما الذين يحرصون على حفظ كرامتهم، وعلى صيانة ماء وجوههم، فإن ألم الحرمان عند بعض الناس أقل أثرا في نفوسهم من آلام الصدقة المصحوبة بالأذى، لأن ألم الحرمان يخففه الصبر الذي وراءه الفرج، أما آلام الصدقة المصحوبة بالأذى لهم فإنها تصيب النفوس الكريمة بالجراح التي من العسير التئامها وشفاؤها. قال القرطبي: روى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " الكلمة الطيبة صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق " فعلى المسئول أن يتلقى السائل بالبشر والترحيب، ويقابله بالطلاقة والتقريب ليكون مشكوراً إن أعطى ومعذوراً إن منع. وقد قال بعض الحكماء: الق صاحب الحاجة بالبشر فإن عدمت شكره لم تعدم عذره. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٤٨٩/١).

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حلو إلى كل سائل، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لإلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ وهو العار له على السؤال، ﴿وَاللهُ غَنِيٌّ﴾ لو أراد أعطى كل أحد وأوسع له ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع إلى أهلاك كل أحد ورد موارد سوى المأمور لهما.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آية:٢٦٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ ما أعد الله لكم على عملها ﴿بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ المار حكمهما ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ وهل كل مراء ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطر ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ أملس عار ﴿لا يَقْدِرُونَ﴾ أورد الواو على مؤدى الاسم الموصول ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ مما عملوه، والمراد: هم كالصلد الأملس وأعمالهم ما علاه حال وصول المطر ومحوها له، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ إلى العمل.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [آية:٢٦٥]:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ لما أعد الله لهم على صالح أعمالهم وإعطاء أموالهم لأهل العدم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ محال عال ممهد ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ مطر كامل ﴿فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ﴾ مطر كامل ﴿فَطَلٌّ﴾ مطرما محصل كمال صلاحها، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معد لكل أحد عمله.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٢٦٦]:

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ لطول عمره ووها مسعاه، ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ لا مسعى ولا إدراك لهم، ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وعدمها وصار هو وأولاده لا مال لهم ولا مسعى، وهو حال السالك على مسلك أوامر الله أول عمره، ولما وها حول مسلكه إلى مسلك سوى الأول ومحا أعماله الأول ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حرر لكم ما حرر ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ إلى العمل الصالح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [آية:٢٦٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ أعطوا ما ورد أمرا لله لإعطائه، وهو الكم المعلوم أحد أساس الإسلام ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ مالا ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾ كل محصود ومحسوم، ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ المراد: عدم إعطاء ما كرهه الواحد ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ حال الواو الام لما أم لا، ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ﴾ لو أعطاكموه معط ﴿إِلا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ لعدم إصلاحه لإعطائه لأحدكم وما حاله لدى العالم مردود هل هو لإعطائه لأوامر الله ورده على كل معط له أولى، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ﴾ أوسع مالا وأكرم عطاء، ولو أراد وسع على العالم كلهم، ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٦٨]:

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾(١) واعدكم ومهددكم العدم ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ عدم

---

(١) قال الطاهر بن عاشور: لأنّ الشيطان يصدّ الناس عن إعطاء خيار أموالهم، ويغريهم بالشحّ أو بإعطاء الرديء والخبيث، ويخوّفهم من الفقر إن أعطوا بعض مَالهم. وقدّم اسم الشيطان مسنداً إليه لأنّ تقديمه مؤذن بذمّ الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمِه لتحذير المسلمين من هذا الحكم، كما يقال في مثال علم المعاني (السَّفَّاح في دَار صديقك)، ولأنّ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تَقَوِّيَ الحُكم وتحقيقه. ومعنى ﴿يعدكم﴾ يسوّل لكم وقوعه في المستقبل إذا أنفقتم خيار أموالكم، وذلك بما يلقيه في قلوب الذين تخلّقوا بالأخلاق الشيطانية. وسمّي الإخبار بحصول أمر في المستقبل وعداً مجازاً لأنّ الوعد إخبار بحصول شيء في المستقبل من =

إعطاء سهم أموالكم ومحصودكم ورد أوامر الله ﴿وَاللهُ يَعِدُكُمْ﴾ على الإعطاء ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لسوء أعمالكم، ﴿وَفَضْلا﴾ مالا محل المعطى، ﴿وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم كل معط.

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [آية:٢٦٩]:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ كل علم أدى وأوصل إلى العمل ﴿مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمال أمره إلى المسلك الموصل إلى الله وروده على موارد السرور السرمد، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ ما أحد مردوع ﴿إِلا أُولُو الألْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آية:٢٧٠]:

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ على العموم أمروا لإعطائها أولا، ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ وحصل أداؤه على الكمال، ﴿فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ﴾ معد لكم عمله ما هو معطى سوى، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ لعدم أداء سهم المال على حكم ما أمر الله أو لرده لمحل سواه ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ المراد: كل راد لما اعد الله لهم على سوء أعمالهم.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ

=

جهة المخبِر، ولذلك يقال: أنجز فلان وعده أو أخلف وعده، ولا يقولون أنجز خَبَره، ويقولون صدق خَبَره وصدَق وعده، فالوعد أخصّ من الخبر، وبذلك يؤذن كلام أئِمة اللغة. فشُبّه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقّع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة، ووجه الشبه ما في الوعد من معنى التحقق، وحسَّن هذا المجاز هنا مشاكلته لقوله: ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ فإنّه وعد حقيقي. ثم إن كان الوعد يطلق على التعهد بالخير والشر كما هو كلام (القاموس) تبعاً لفصيح ثعلب ففي قوله يعدكم الفقر مجاز واحد، وإن كان خاصاً بالخير كما هو قول الزمخشري في الأساس، ففي قوله: ﴿يعدكم الفقر﴾ مجازان. والفقر شدّة الحاجة إلى لوازم الحياة لقلة أو فقد ما يعاوض به، وهو مشتق من فقار الظهر، فأصله مصدر فَقَره إذا كسر ظهره، جعلوا العاجز بمنزلة من لا يستطيع أدنى حركة لأنّ الظّهر هو مجمع الحركات، ومن هذا تسميتهم المصيبة فاقرة، وقاصمة الظهر، ويقال فَقْر وفُقْر وفَقَر وفُقُر بفتح فسكون، وبفتحتين، وبضم فسكون، وبضمتين، ويقال رجل فقير، ويقال رجل فَقْر وصفاً بالمصدر. انظر التحرير والتنوير (٣/٥٩).

لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آية:٢٧١]:

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ المراد: سوى ما حده الله وهو سهم الأموال المعلوم ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ عدم إسرارها ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا﴾ وهو أداؤها سرا ﴿وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إعطاؤها سرا للمعدم أولى وما حده الله على الأموال، وهو أحد أساس الإسلام أداؤها على سوى السر أولى، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ رده الواو على محل هو أو الواو واو أول الكلام واو الرد على كلام مر حكمه ﴿عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السر وسواه على حد سواء ولما ردع رسول الله أهل الإسلام وصمم على عدم إعطائهم لأحد أهل اللؤم مالا أو طعاما طمعا لإسلامهم أوحى الله له.

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [آية:٢٧٢].

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إلى الإسلام، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه إلى الإسلام، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾ معد لها مالا، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ﴾ روما لما أعده لكم على إعطائكم أهل العدم، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ إعطائكم كاملا معد لكم سواه حصل لأهل الإسلام أو لسواهم، والمراد سوى السهم المحدود المعلوم حكمه والحكم المحرر حاصله مؤكد للحكم المار أولا.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آية:٢٧٣]:

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ حصروا أرواحهم ورصدوها أما لعمل الحسام واصطلام أعداء الله وأعدائهم، وأما رصدوها وحصروها على العلم وحده وهم أهل محل وسط الحرم المطهر وحالهم معلوم ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ مرورا ورواحا إلى محل سوى محلهم ﴿فِي الأَرْضِ﴾ روما لحصول الأموال لعدم أملهم ومرآئهم لحصولها مطمح أمالهم هو أوامر الله وصالح الأعمال، ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾

لأحوالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ لعدم سؤالهم مالا ولا طعاما ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ لسطوع الصلاح على حلاهم، ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ إلحاحا، والمراد: لا سؤال لهم لأحد أصلا وعدم الإلحاح أولى لعدم صدور مورده، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ وهو معده لكم على أكمل إكرام.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية:٢٧٤]:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أوحاها الله لرسوله مدحا لولد عم الرسول، وهو الأسد الكرار لما ملك دراهم عدد الأحكام وسط السرد المار وأعطى واحدا مساء وواحد عكس المساء وواحد سرا وواحدا عكس السر كما أوحى الله وحكاه لرسوله.

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [آية:٢٧٥]:

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ كما لو أعطى أحد أحدا مد حمص وأعطاه المعطى له مدا وسدسا، وحكم الأموال كحكم الطعام وأورد الأكل، والمراد كل حاصل ولو لسوى المأكل سلوكا على اصطلاحهم وعملهم المعلوم لكل واحد ﴿لا يَقُومُونَ﴾ إلى المعاد ﴿إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ المراد: حالهم كحال المصروع، والمس عدم الحلم، وورد الحكم المسطور على مسلك ما علموه، وهو حصول الصرع للواحد للمس المحرر، ﴿ذَلِكَ﴾ ما حصل لهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ حلا ورد الله ما وهموه وادعوه، ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ﴾ ورد له ﴿مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى﴾ وما عاد إلى أكله ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ المراد: حل له أكل ما أكل، ﴿وَأَمْرُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله وادعى الحل ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [آية: ٢٧٦]:

﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا﴾ **كل مال حله هو هالك،** ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ **لادعائه الحل له** ﴿أَثِيمٍ﴾ **لا كله له.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آية:٢٧٧، ٢٧٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا﴾ **دعوا** ﴿مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ **لما رام أحد أهل الإسلام على عهد الرسول مالا ورد الأمر لعدم حله وهو المال المسطور إعطاؤه لسواه وما حصل على كله ورام إكماله مع ورود الردع أوحاه الله لرسوله.**

﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [آية:٢٧٩]:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ **على مسرى أمر الله وحكمه** ﴿فَأْذَنُوا﴾ **اعلموا** ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ **لكم والأمر مهددهم،** ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ **أصولها** ﴿لا تَظْلِمُونَ﴾ **أحدا، والمراد: كما أعطوا سواهم رده لهم،** ﴿وَلا تُظْلَمُونَ﴾ **لرده لكم لا على الكمال.**

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٌ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [1] [آية:٢٨٠]:

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وإن كان ذو عسرة﴾ ذكر ابن السائب ومقاتل أنه لما نزل قوله تعالى ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ قال بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة هاتوا رؤوس أموالنا وندع لكم الربا فشكا بنو المغيرة العسرة فنزلت هذا الآية فأما العسرة فهي الفقر والضيق والجمهور على تسكين السين وضمها أبو جعفر هاهنا وفي ساعة العسرة وقرأ الجمهور بفتح سين الميسرة =

﴿وَإِنْ كَانَ﴾ حصل واحد معطى له ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لا مال له ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ له على كل معط له إمهاله ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ عكس العسر، والمراد إلى حصول مال له، ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ على المعسر كما لو سامحه أحدكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ والمراد: إمهال المعسر عمل صالح وحط المال أصلح.

﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [آية:١٨١]:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ كلكم مردود ﴿فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ وهو لدى المعاد، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو عكسه ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كل أحد راء عمله على الكمال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

=

وضمها نافع وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين إلا أنه زاد فكسر الراء وقلب التاء هاء ووصلها بباء قال الزجاج ومعنى وإن كان وإن وقع والنظرة التأخير فأمرهم بتأخير رأس المال بعد إسقاط الربا إذا كان المطالب معسرا وأعلمهم أن الصدقة عليه بذلك أفضل بقوله تعالى ﴿وأن تصدقوا﴾ والأكثرون على تشديد الصاد وخففها عاصم مع تشديد الدال وسكنها ابن أبي عبلة مع ضم الدال فجعله من الصدق. انظر زاد المسير (١/٣٣٤).

وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [آية:٢٨٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾(١) كسلم وسواه ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم سماه أحدكم أو كلاكم، ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ حسما للمراء، ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ على حكم الكلام الحاصل لكم المال ولمدد الإمهال على الكمال، ﴿وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ لو دعاه داع لها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ﴾ حمدا لآلاء الله، وكما العامل والمعمول معاد إلى ما أم لا، ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ مؤكد للأول، ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ الإملال والإملاء واحد ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ المال وعلى كلامه المعول، ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ حال الإملاء، ﴿وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمال المأول كما مر، والمراد سرده له على الكمال مدد الإمهال وحلولها كما حصل الكلام معه ﴿شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا﴾ ما له علم الإملاء لهرم أو أول عمر أو عدم إدراك وعلم، ﴿أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾ لعدم الكلام أصلا لداء ما أو لعدم علمه اصطلاح كلام أهل المال كأحد الأكراد مع أهل مصر، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ كل واحد ملك أمره كالوالد والموصى له على الأول أو الوكلاء مع أحد الأكراد، وكل واحد حكمه كحكمهم ﴿بِالْعَدْلِ﴾ كما مر، وهو حصول الإملاء على كمال المال ومدد الحلول، ﴿وَاسْتَشْهِدُوا﴾ على كم المال وحلول المدد، والأمر لما هو أولى ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ الإسلام الأحرار العدل، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أهل العدل ل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ على طرح اللام المعلل لعدم كمال الحلم ﴿إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ ما مؤكد كما هو معلوم ﴿دُعُوا﴾ والمراد: ما عم الحمل والأداء، ﴿وَلا تَسْأَمُوا﴾ السأم والملل واحد ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ إلى مدد حلوله، وحاصل العامل وهو إلى، والمعمول حال الهاء المعمول محصل مصدر ﴿ذَلِكُمْ﴾ الأمر المسطور

---

(١) قال أبو السعود: شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا داين بعضكم بعضا وعاملة نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة أو التنبيه على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه الباعث على الكتبة وتعين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالأمر إلى أجل متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالأيام أوالأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها. انظر تفسير أبي السعود (١/٢٦٩).

﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ لو أراد أحدكم أداءها، ﴿وَأَدْنَى﴾ إلى ﴿أَلا تَرْتَابُوا﴾ لعدم الوهم لا للحال ولا لمدد الحلول ﴿إلا أَنْ تَكُونَ﴾ عامل مؤداه الحصول وهو كامل معموله ﴿تِجَارَةً﴾ وهو مسموك، وروى راوٍ عدم الكمال، وعلى ما رواه اسمها مسر وما أمها محموله ﴿حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ المراد: أمرها حال لا مدد لها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿أَن لا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ والأمر المحرر كالآمر المار، وهو للأولى ﴿وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾ كما لو هدد أحدهما على الأداء وأكره الأول على أسطار أمر ما حصل الكلام على إسطاره ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ كل عمل ورد أمر الله على عكسه ﴿فَإِنَّهُ﴾ العمل المسطور ﴿فُسُوقٌ﴾ مسلك واحد ما أطاع مولاه ﴿بِكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اعملوا ما أمركم، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾ صالح أموركم وحاصل العامل والمعمول حال أو أول كلام، ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ صالح الأمور وسواها.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [آية:٢٨٣]:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ وعامل أحدكم أحد ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ وروى راوٍ على العدد لا على الواحد ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ وحال المصر، وسواه على حد سواء لما أورده الرسول وهو حل إعطائه وسط الأمصار، ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ وهو المعطي له المال ﴿أَمَانَتَهُ﴾ هو المال، ﴿وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ﴾ المراد: أداؤه المال على أكمل الأحوال، ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ حال الدعاء إلى الأداء، ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ أورد الأصل وسواه أولى، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ السر وسواه واحد.

﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [آية:٢٨٤]:

﴿لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كل سوء أو إصرار على عمله، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ﴾ معلمكموه الله لدى المعاد أو هو ممحو الحكم لا الكلام ومحا حكمه ما وراءه ﴿بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ

يَشَاءُ﴾ كلاهما مردود على ما أدى مؤدى معلمكموه أو كلاهما مسموك على طرح هو وحاصلهما محموله ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [(1)] [آية:٢٨٥]:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو الكلام المكرم، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ مردود رده الواو على الرسول ﴿كُلٌّ﴾ على مؤدى كلهم ﴿آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ كما عمل الهود، ومدعوا الولد والأهل للإله.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ سماع إدراك وعمل لا سماع رد، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ وكل كلم مولاه أسالك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المآل والمعاد، ولما أوحى الله لرسوله ما عسر الأمر على أهل الإسلام، ورواه عسرا كاملا لعمومه لما وسوس الصدر أورد الله لرسوله على مسلك المحو للحكم الأول أو حصرا وسطوعا لما أراده.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ

---

(١) قوله: ﴿آمَنَ الرسول بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ والمؤمنون﴾ استئناف قصد به الإخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يشرفهم ويعلي من أقدارهم ومنازلهم. أي: صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما أنزل إليه من ربه في هذه السورة وغيرها من العقائد والأحكام والسنن والبينات والهدايات تصديق إذعان وإقرار واطمئنان، وكذلك المؤمنون الذين صدقوه واتبعوه آمنوا بما آمن به رسولهم وداعيهم إلى الحق صلى الله عليه وسلم. وقد قرن - سبحانه - إيمان المؤمنين بإيمان رسولهم صلى الله عليه وسلم تشريفاً لهم وللإشارة إلى أنهم متى صدقوا في إيمانهم كانت منزلتهم عند الله - تعالى - قريبة من منازل الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . وفي تأخيرهم في الذكر إشارة إلى تأخر التابع عن المتبوع، وإشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول من آمن بما أوحى إليه من ربه، وهو أقوى الناس إيماناً، وأصدقهم يقينا. وأكثرهم استجابة لأوامر الله. انظر التفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٥٣٢/١)

مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [آية:٢٨٦]:

﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ ما لا عسر مع حمله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ كل عمل صالح، ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ مما هو سوى الصالح كل أحد معامل على عمله وحده لا أحد معامل على عمل أحد سواه علمهم الله وأمرهم أدعوا ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ حصل عمل سهوا ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ حصل لا عمدا ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾ أمرا عسر حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ كما حمل على الأمم المار عهدها كإهلاك كل عاص روحه وسواه مما عسر حمله ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا﴾ امنح كل عمل ساء، ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ كل عدو لك وأعلى مسلك الإسلام الموصل لك على كل مسلك سواه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة آل عمران

مدنية، وآيها مائتان أو إلا آية

﴿الٓمٓ ۝١﴾ [آية:١]:

﴿الم﴾ أول السورة اسم لها أو أول كلم، والأصح: الله أعلم ما المراد.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آية:٢]:

﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم، ﴿الْقَيُّومُ﴾ الحاصل له حده.

﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣﴾[1] [آية:٣]:

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لكل كلام أوحاه الله ومر عهده، ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ﴾ على موسى، ﴿وَالإِنْجِيلَ﴾.

﴿مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ

---

(١) القرآن نزل ليفرق بين الحق الذي جاءت به الكتب السابقة، وبين الباطل الذي أضافه أولئك الذي ائتمنوا عليها. ثم يحدد الحق تبارك وتعالى لنا مهمتنا في أن هذا الكتاب مطلوب أن نبلغه للناس جميعاً، واقرأ قوله سبحانه: ﴿المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وذكرى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١ - ٢] فالخطاب هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، يتضمن خطابا لأمته جميعاً، فالرسول صلى الله عليه وسلم كلف بأن يبلغ الكتاب للناس، ونحن مكلفون بأن نتبع المنهج نفسه ونبلغ ما جاء في القرآن للناس حتى يكون الحساب عدلا، وأنهم قد بلغوا منهج الله، ثم كفروا به أو تركوه، إذن فإبلاغ الكتاب من المهمات الأساسية التي حددها الله سبحانه وتعالى بالنسبة للقرآن.انظر تفسير الشعراوي (٢/٤٣).

شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آية:٤]:

﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى﴾ حال على مراد كل واحد هاد ﴿لِلنَّاسِ﴾ السالك على مسلكهما، ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ كل ما سطع هداه وأوحاه الله لرسله سوى ما ورد لمحمد وموسى وما أمهما، وهو عالم لما عداها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ﴾ عام لكل كلام أوحاه الله لرسله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ كاهر لا مكهور ولا راد لصدور ما وعده أو أوعده، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ لكل عاص ومعد له على سوء عمله ما هو معد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾ [آية:٥]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ علم ما حلهما كعلمهما لدى الله على السواء وأوردهما وحدهما لما صار محور الحس ومصدره وما هو وراءهما ما الحس محصل له.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آية:٦]:

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مرءا وعكسه سوادا وعكسه ﴿لا إِلَهَ إلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أمرا وآمرا وإصدارا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [آية:٧]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿الْكِتَابَ﴾ المكرم ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ ساطع مدلولها ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله ومدار الأحكام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ كأول السور وسواها.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مالوا إلى سوى العدل، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿تَأْوِيلِهِ﴾ حل مؤداه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ حل مؤداه

على ما هو ﴿إِلا اللهُ﴾ وحده ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ كالعلم وهو أول كلام محموله ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ولولا حل مؤداه ما علم ﴿كُلٌّ﴾ المحكم وسواه ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ﴾ أولو الأحلام وأولو العلم دعاؤهم لهم ولأهل الإسلام.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آية:٨]:

﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ إلى مسلك سوى الموصل لك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إلى سلوكه، ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ دواما على المسلك المحرر ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آية:٩]:

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ هو المعاد ومعد لكل أحد عمله ﴿إِنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ كل ما وعد حاصل والعامل المؤكد واسمه وما حمل على اسمه هل هو كلام حكاه الله إكمالا لدعائهم ومرادهم سرداهم الأمور وهو أمر المعاد أو هو كلام الله كلاهما مراعى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ لا أموالهم ولا أولادهم كله ما هو راد ما أعده الله لهم على سوء أعمالهم، ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية:١١، ١٢]:

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(١) الأمم المار عصرها كعاد وسواهم

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿كدأب آل فرعون﴾ في الدأب قولان أحدهما أنه العادة فمعناه كعادة آل فرعون يريد كفر اليهود ككفر من قبلهم قاله ابن قتيبة وقال ابن الأنباري والكاف في كدأب متعلقة بفعل مضمر كأنه قال كفرت اليهود ككفر آل فرعون والثاني أنه الاجتهاد فمعناه أن =

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ولما دعا رسول الله الهود إلى الإسلام وحملهم لؤمهم على عدم الإسلام وهددوا الرسول وأهل الإسلام على ما دعاهم له أوحى الله لرسوله محمد ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم الهود مهددا وموعدا لهم ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ كلما مهد ووطئ.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [آية:١٣]:

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ لو لكم إدراك لحصل لكم الردع ﴿فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هم رسول الله، وأهل الإسلام الأولى محا الله كل عمل سوء عملوه لما أرسل الله أملاك السماء لهم رداء وأمرهم وحالهم معلوم، ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام والواو لعكسهم ﴿مِثْلَيْهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ المراد: لا وهما لروع عراهم، ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر والمسطور ﴿لَعِبْرَةً لأولِي الأَبْصَارِ﴾ أهل الإدراك.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آية:١٤]:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ما أمال كل أحد له هوى أو سواه ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ المراد الأعم حلالا أو حراما، ﴿وَالْبَنِينَ﴾ الأولاد، ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ الأموال على الأموال ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الكرام الأصول والمرأى، ﴿وَالأَنْعَامِ﴾ كل ما له در، ﴿وَالْحَرْثِ﴾ كل محصور ﴿ذَلِكَ﴾ ما حرر وسطر ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ما له دوام ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ المعاد، وهو ما له دوام، والمراد دار المأوى والسرور السرمد.

=

دأب هؤلاء وهو اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي صلى الله عليه وسلم كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام قاله الزجاج. انظر زاد المسير (١/٣٥٥)

﴿ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [آية:١٥]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ أأعلمكم ﴿بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ المحرر المار ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عدم الإسلام ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ محمول لأول كلام هو ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ معدا لهم الحلول وسطها، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ الراء مكسور، ورواه راوٍ مسموكا ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ﴾ عالم أورد المرأى وأرد العلم على اصطلاح المرسل ﴿بِالْعِبَادِ﴾ وكل أحد معد له ما عمل.

﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آية:١٦]:

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح روم العامل المكرر وهو اللام عامل الاسم الموصول الأول ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا﴾ لك ولكلامك ولرسلك، ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آية:١٧]:

﴿الصَّابِرِينَ﴾ على أوامر الله، ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ إسلامهم مصمم، ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ هم كل أحد أطاع مولاه، ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ أموالهم على أهل العدم، ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾.

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آية:١٨]:

﴿شَهِدَ اللهُ﴾ المراد: سطر وأوحى للعالم ما دلهم على ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ أسلموا كلهم لما سطر وأوحى وعلموه علما طارد الكل وهم وهو لا إله إلا هو ﴿قَائِمًا﴾ حال (هُوَ)، وعامله مؤدى الكلام وحاصله ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ كرره مؤكدا ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أحل كل أمر محله.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [آية:١٩]:

﴿إِنَّ الدِّينَ﴾ **المأمور إلى سلوكه** ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ **هو** ﴿الإِسْلامُ﴾ **كل ما أوحاه الله إلى الرسل وأوردوه إلى العالم وهو ما دل على واحد أحد لا رده له ولا ولد** ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ **هم الهود، ومدعو الأهل والولد لله** ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ **الدال على الواحد الأحد،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ **محصي لهم أعمالهم كلها.**

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آية:٢٠]:

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ **ماروك على أمر الإسلام** ﴿فَقُلْ﴾ **لهم** ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلهِ﴾ **المراد: ما عمه وهو كله وأورده لورود سواه ورود الأولى،** ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ **الهود، ومدعو الولد والأهل للإله،** ﴿وَالأُمِّيِّينَ﴾ **كل مصر على سوى الإسلام ومأواه محل الآكام والوهاد لا الأمصار** ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ **المراد: أسلموا أو السؤال مؤداه الأمر،** ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ **إلى مسالك الهدى السالم سالكها،** ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ **إعلامهم ما أوحى الله لك،** ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ **عالم ومعد لكل أحد عمله، والحكم المسطور ممحو المؤدى لورود أمر الحسام.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [آية:٢١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[1] **ما ولّوا على دعواهم،**

---

(١) روى ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبيا، أو قتل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ثم قرأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢١) ثم قال الرسول: «يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار، في ساعة واحدة، فقام مائة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فقتلوهم جميعا من آخر النهار، من ذلك اليوم، فهم الذين ذكر الله عز وجل». انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/١٨٣)

﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل وهم الهود أعدموا عددا مما عم الرسل ولما ردعهم أهل الصلاح أهلكوهم للحال، ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ المراد الأعم وهو إعلامهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وأورد على محمول اسم المؤكد ما محله رد سؤل ما حكمه كمهما إعطاء للاسم الموصول حكم مهما وما.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:٢٢]:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ كل عمل صالح لهم مردود لعدم الأساس وهو الإسلام ﴿فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [آية:٢٣]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾ سهما ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال الواو ﴿إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ هم الهود أوحاه الله لما عاهر أحدهم أحد الدمى، وحكموا رسول الله، وحكم كما أمر الله وهو حط المعاهر وسط محل إلى صدره وطرح المدر على رأسه وصدره وسواهما إلى ورود حمامه، ولما حكم رسول كما حرر ردوا حكمه وراموا الكلام الموحى إلى موسى، ورأوا الحكم مسطورا حكم رسول الله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية:٢٤]:

﴿ذَلِكَ﴾ رد الحكم المسطر ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ عدد موعد موسى لما حملهم لا مساس على الركوع لما عمله وسماه إلها، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مما لا أصل له ولا أساس.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية:٢٥]:

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ وهو المعاد، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ

نَفْسٍ﴾ العوالم كلها أهل الكلام الموحى إلى الرسل وسواهم ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا أو عكسه ﴿وَهُمْ﴾ العوالم كلهم ﴿لا يُظْلَمُونَ﴾ عملهم كاملا معد لهم ولما وعد رسول أهل الإسلام ملك الروم وسواه ورأى أهل المكر واللؤم وعد الرسول محالا وردوا ما وعد أوحى الله لرسوله.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:٢٦]:

﴿قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ وحدك لا رد معك ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ لإعطائك الملك له، ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ لسلك ملكه ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ المراد هو وعكسه كلاهما ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ سوى المحال.

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية:٢٧]:

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ وحصول الطول إلى أحدهما هو حصول عكسه إلى سواه، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كولد آدم وما حكمه كحكمه مما أصله الماء، ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالماء مورده، ومصدره ولد آدم وما هو كولد آدم وهو كل واطئ، ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ المراد: أعطاه عطاء واسعا.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آية:٢٨]:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾[1] كودادهم وطرح أسرارهم لهم ﴿مِنْ دُونِ

---

(١) قيل: نزلت في عبادة بن الصامت، كان له حلفاء من اليهود فأراد أن يستظهر بهم على العدو وقيل: في عبد الله بن أبي وأصحابه كانوا يتوالون اليهود وقيل: في قوم من اليهود، وهم: الحجاج بن عمر، وكهمس بن أبي الحقيق، وقيس بن يزيد، كانوا يباطنون نفراً من الأنصار يفتنونهم عن دينهم فنهاهم قوم من المسلمين وقالوا: اجتنبوا هؤلاء اليهود، فأبوا، فنزلت هذه الأقوال مروية عن ابن عباس. وقيل: في حاطب بن أبي بلتعة، وغيره كانوا يظهرون المودة لكفار قريش، فنزلت. ومعنى: اتخاذهم أولياء: اللطف بهم في المعاشرة، وذلك لقرابة أو صداقة. قبل الإسلام، =

الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الوداد المصمم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾ ما هو على مسلك أوامر الله لا حرم ولا أحل ما أحل ﴿إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأعداء الله ورسوله، ﴿تُقَاةً﴾ مصدر وهو الردع، والمراد: ودادهم وداد صدر محرم إلا حصوله كلاما لا صدر الردع ما هو محرم والحكم المسطور أول عهد الإسلام لما علل، وكلما المعلل صار حكمه حكم أول العهد، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ هدد الله وردع كل أحد وإلى أحد أعداء الله ورسوله وودادهم وداد صدر مصمم لا لروع حصول مكروه له، ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ المعاد، وكل أحد راء عمله.

﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٩]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ مما هو وداد لأعداء الله ﴿أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وحصل ما أوعد وهدد كل موال لأعدائه أمر سهل.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٣٠]:

=

أو يد سابقة أو غير ذلك، وهذا فيما يظهر نهوا عن ذلك، وأما أن يتخذ ذلك بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن، والمنهيون هنا قد قرر لهم الإيمان، فالنهي هنا إنما معناه النهي عن اللطف بهم والميل إليهم، واللطف عام في جميع الأعصار، وقد تكرر هذا في القرآن. ويكفيك من ذلك قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية، والمحبة في الله والبغض في الله أصل عظيم من أصول الدين. وقرأ الجمهور: لا يتخذ، على النهي وقرأ الضبي برفع الذال على النفي، والمراد به النهي، وقد أجاز الكسائي فيه الرفع كقراءة الضبي. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه من تعظيم الله تعالى والثناء عليه بالأفعال التي يختص بها، ذكر ما يجب على المؤمن من معاملة الخلق، وكان الآيات السابقة في الكفار فنهوا عن موالاتهم وأمروا بالرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه إذ هو تعالى مالك الملك. وظاهر الآية تقتضي النهي عن موالاتهم إلا ما فسح لنا فيه من اتخاذهم عبيداً، والاستعانة بهم استعانه العزيز بالذليل، والأرفع بالأوضع، والنكاح فيهم. فهذا كله ضرب من الموالاة أذن لنا فيه، ولسنا ممنوعين منه، فالنهي ليس على عمومه. انظر تفسير البحر المحيط (٢/٣٢١).

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو مأدى موداه ﴿تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ (هاء) الموصول مطروح ﴿مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ (الهاء) مطروح كالأول ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله حاصل ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ روما لعدم وصوله لها، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول، ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ولما ادعوا ما حاصله ما مالوا إلى ود وسواع وسواهما إلا روما لحصولهم على الوصل إلى الله أوحى الله لرسوله.

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آية:٣١]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ﴾ المراد: حصولكم على السلوك على مسلك أوامر ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ معد لكم ومعط لكم أكمل العطاء على كل عمل صالح لكم، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ﴾ ماح كل عمل ساء ومر عهده أولا، ﴿رَحِيمٌ﴾.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1]

---

(١) أي قل لهم يا محمد أطيعوا الله وأطيعوا رسوله في جميع الأوامر والنواهي، وإن من يدعي أنه مطيع لله دون أن يتبع رسوله فإنه يكون كاذبا في دعواه، ولذا لم يقل - سبحانه - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، للإشعار بأن الطاعة واحدة وأن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿مَّنْ يُطِعِ الرسول فَقَدْ أَطَاعَ الله﴾ ثم ذكر - سبحانه - عاقبة العصاة المعاندين فقال: ﴿فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ الله لا يُحِبُّ الكافرين﴾ أي: فإن أعرضوا عما تأمرهم به يا محمد ولم يستجيبوا لك واستمروا على كفرهم، فإنهم لا ينالون محبة الله، لأنهم كافرون. ففي هذه الجملة الكريمة دلالة على أن محبة الله لا ينالها إلا من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه - سبحانه - نفى حبه عن الكافرين، ومتى نفى حبه عنهم فقد أثبت بغضه، ولأنه عبر عن تركهم اتباع رسوله بالتولي وهو أفحش أنواع الإعراض، ومن أعرض عن طاعة رسول الله كان بعيداً عن محبة الله. وبذلك نرى أن هذه الآيات الكريمة قد ساقت للناس من التوجيهات السامية، والآداب العالية ما من شأنه أن يغرس في النفوس إخلاص العبادة لله، والخشية من عقابه، والأمل في ثوابه، والإكثار من العلم الصالح الذي يؤدي إلى رضا الله ومحبته. وبعد هذا الحديث الحكيم المتنوع - من أول السورة إلى هنا - عن وحدانية الله، وقدرته النافذة وعلمه المحيط، وعن أحقيته للعبادة والخضوع، وعن الكتب السماوية وما اشتملت عليه من هدايات وعن محكم القرآن ومتشابهه، وعن رعاية الله - تعالى - لعباده المؤمنين، وعن تهديد الكافرين بسوء العاقبة إذا ما استمروا على كفرهم، وعن الشهوات الذي ارتضاه الله لعباده، وعن بعض الرذائل التي عرفت عن أكثر أهل الكتاب، وعن حث الناس على مراقبة الله - تعالى - وإخلاص
=

[آية:٣٢]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ﴾ وأسرعوا لما أمركم وهو الإسلام ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عما أمروا وهو الإسلام ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ معد لهم على سوء أعمالهم وعدم إسلامهم ما هم أهله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٣٣]:

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ أورد الآل، والمراد كلاهما كما مر آل موسى ومراده موسى ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ لورود أولادهم رسلا وما عم الرسل.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ﴾ ولد ﴿بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ كلام كل أحد عالم محل الإرسال وأهله.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آية:٣٥]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ لمصالح المصلى المطهر ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ الدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ عالم ما صممه كل أحد وهلك الوالد والأم حامل.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آية: ٣٦]:

= العبادة له حتى يكونوا ممن يحبهم ويحبونه فيسعدوا في دينهم ودنياهم وآخرتهم... بعد كل ذلك تحدث القرآن - في أكثر من ثلاثين آية - عمن اصطفاهم الله من عباده، وعن جانب من قصة مريم، وقصة زكريا وابنه يحيى - عليهما السلام - وعن قصة ولادة عيسى - عليه السلام - وما صاحبها من خرق للعادات، وما منحه - سبحانه - من معجزات وعن محاجة الكافرين من أهل الكتاب في شأنه وكيف رد القرآن عليهم. انظر التفسير الوسيط (١/٥٩٢).

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وأملها حصولها على ولد صالح لمصالح المصلى المطهر، وهو المرء لا عكسه ﴿قَالَتْ﴾ إعلاما لعدم صلاحها لمصالح المطهر ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ والله أعلم أول كلام، ومحموله لا محل له وهو كلام الله، وروى راوٍ على كلامها، وعلى ما رواه لا محل لها كالأولى، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ المأمول لصلاحه لما مر ﴿كَالأُنْثَى﴾ لعدم صلاحها لمصالح المصلى المطهر، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود وصار دعاؤها مسموعا لدى الله لما أورده الرسل، وحاصله مولود إلا مسه المطرود إلا المدعو لها وولدها.

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آية:٣٧]:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ حسا وأحوالا، ﴿وَكَفَّلَهَا﴾ رواه راوٍ كعلم وراوٍ كسلم، ﴿زَكَرِيَّا﴾ رواه راوٍ ممدودا، وراوٍ على سوى المد.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ هو محل أسسه وعمله لها له سلم لا أحد صاعد له إلا هو ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ مأكولا، ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ المراد: هو طعام دار المأوى والسرور السرمد، ﴿إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ طعاما ومأكولا واسعا وأموالا ولا درك على معطاه.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آية:٣٨]:

﴿هُنَالِكَ﴾ لما رأى ما رأى وسمع كلامها وحصل الهلاك لأهل داره كلهم، ووصل إلى حد العمر وأراد الولد، ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما صلى وأكملها وسط سواد المساء، ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولدا صالحا، ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ لكل داع.

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [آية:٣٩]:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ﴾ المراد: الروح لا سواه ولا كلهم، ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي

﴿الْمِحْرَابِ﴾ المراد: المصلى ﴿أَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسورا ﴿اللهَ يُبَشِّرُكَ﴾ كأكرم، وراوٍ ككلم ﴿بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ﴾ المراد رسول محا مسلكه وما أورده مسلك الرسول محمد وإسلام الحصور له، وروده روحا لله لا لإرساله وحده، ﴿وَسَيِّدًا﴾ ساد أهل عصره ما عصى ولا هم له أصلا، ﴿وَحَصُورًا﴾ لا هوى له إلى أمر الوطء وحده أو إلى ما عمه وسواه، ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ كما مر لا عصى ولا هم.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آية:٤٠]:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ﴾(١) ولد، ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ حد العمر على ما حدوه، ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ لا ولد لها ولا حمل أصلا ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ أراد الله حصول ولد لكما، ﴿اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لك حد العمر ولها داء عدم الحمل، وألهمه السؤال للوصول إلى ما هو كالمحال ولما رام حصوله.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آية:٤١]:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ دالا على حصول حمل أهله ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ على الحمل ﴿أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ عدم كلامك أحدا سوى حمد الله وما هو كالحمد ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ مع سوادها ﴿إِلا رَمْزًا﴾ مصدر وهو كمصدر أومأ حكما ومؤدى، ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ هلل ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آية:٤٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ المراد

---

(١) قال العلماء منهم الحسن وابن الأنباري وابن كيسان كأنه قال من أي وجه يكون لي الولد أيكون بإزالة العقر عن زوجتي ورد شبابي أم يأتي ونحن على حالنا فكان ذلك على سبيل الاستعلام لا على وجه الشك قال الزجاج يقال غلام بين الغلومية وبين الغلامية وبين الغلومة قال شيخنا أبو منصور اللغوي الغلام فعال من الغلمة وهي شدة شهوة النكاح ويقال للكهل غلام. انظر زاد المسير (١/٣٨٥).

أحدهم، وهو الروح ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ﴾ **لا أحد ماس لك،** ﴿وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ **عالم عصرها وأهله.**

﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٣]:

﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ **هو السلوك على أوامر الله** ﴿لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ **صلي مع كل مصل.**

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[(١)] [آية:٤٤، ٤٥]:

﴿ذَلِكَ﴾ **المسطور وهو أمرهما** ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ **ما وصل له عملك** ﴿نُوحِيهِ

---

(١) اذكر أيها النبي حين قالت الملائكة: يا مريم، إن الله يبشرك بمولود منك من غير أب هو الكلمة، أي وجد بكلمة كُنْ فَيَكُونُ من الله، من غير واسطة بشر، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فهو منسوب إليك، ولقب بالمسيح، لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي يمسح به الأنبياء، وهو ذو جاه في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة، ومن المقربين إلى الله يوم القيامة. ويكلم الناس وهو طفل صغير في المهد: مضجع الطفل حين الرضاع، وفي الكهولة: ما بعد الثلاثين أو الأربعين إلى الشيخوخة، أي يكلم الناس في الحالين بالوحي والرسالة، وهو من العباد الصالحين. قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني رجل؟ فأجابها الوحي بالإلهام: مثل ذلك يخلق الله ما يشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته، وإذا أراد أمرا أو شيئا ممكنا، أوجده بكلمة كُنْ فيكون كما أراد. ويعلّم الله عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل: الكتاب الذي أوحي إليه من بعد ذلك.

ويرسله الله رسولا إلى بني إسرائيل: أني أنبئكم بعلامة دالة على صدق نبوتي ورسالتي، وهي أنني أصورّ لكم من الطين شيئا كهيئة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حيا كهيئة سائر الطيور، بإرادة الله، فالخلق الحقيقي من الله، وأبرئ الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو بياض يظهر في الجلد منفّر، وخصّ هذان المرضان، لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحيي الموتى، وكل ذلك بإرادة الله تعالى، وأخبركم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم من الحبوب وغيرها، مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر دليلا قاطعا، وحجة ظاهرة على صدق رسالتي، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١٩٦/١)

﴿إِلَيْكَ﴾ المراد: محمد رسوله، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ﴾ وسط الماء لحصول العلم لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ على الأمر المحرر ولولا إعلام الله لك ما أدركه عملك وأورد ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ﴾ أحدهم وهو الروح ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ﴾ المراد: ولد، وسماه ما سماه لورودها مصدرا له اسم الولد ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ وصل الولد ورده للام إعلاماً لحصوله لها مع عدم الوالد، ﴿وَجِيهًا﴾ له سودد ومعمول على الحال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لحصوله على ما عم الإرسال، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ لحلوله المحل الأسمى، ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ لدى الله أو أومأ إلى صعوده إلى السماء.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية:٤٦، ٤٧]:

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لا حلالا ولا عهرا ﴿قَالَ﴾ الملك وهو الروح الأمر ﴿كَذَلِكِ﴾ وهو حملها لولد لا والد له ﴿اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أراد حصوله ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آية:٤٨]:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ المراد: كلما أورده الرسل إلى العالم أو المراد علم الرسم وهو الأولى، ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾.

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آية:٤٩]:

﴿وَرَسُولا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ مع عدم إدراكه الحلم أو حال إدراكه وأرسل الملك، وهو الروح ما أرسل وسط درعها ولما أرسله الله إلى الهود كلمهم ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ

بِآيَةٍ﴾ دال مصحح للدعوى ﴿مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿أَخْلُقُ﴾ المراد: أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ (الهاء) مردود إلى معمول ما أدى مؤدى أصور وهو (ك) الحال محل اسم أدى مؤداه، ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ ورواه راوٍ: طائرا.

﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ وصوره لهم الوطواط وطار وهم رأوه وصار كلما وصل إلى محل وراء محط مرآهم حصل له الحمام، ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ هو كل مولود ولد أعمى، ﴿وَالأَبْرَصَ﴾ وأوردها لا سواهما لورودهما داء لا دواء له وداوى أمما وعوالم وعاهدهم على الإسلام له ودعا لهم وسلمهم الله للحال، ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ كسام وما عمر وحالا عاد له الحمام وسواه وعمر أو ولد لهم ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ كرره لطرد وَهْم ادعاء ما حاصله هو إله، ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وأعلمهم ما أكل أحدهم وما هو آكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آية:٥٠]:

﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ ما مر عهده أولا ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ﴾ المراد: الكل أو هو على مسلكه المعلوم ﴿الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وأحل لهم السمك وسواه، ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرره مؤكدا لما مر وأساسا لأمره لهو وهو، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ لما أمركم، وهو لا إله إلا الله، والسلوك على مسلك أوامره.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٥١﴾ [آية:٥١]:

﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ المراد ما دلهم على سلوكه ﴿صِرَاطٌ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ سوى وردوا أمره وما أسلموا له.

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية:٥٢]:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا إهلاكه ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى﴾ إعلاء أوامر ﴿اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ مورده الحور، وهو عكس السواد، وصار اسما لها لحصولهم على الحور، وهم حور أو لما حوروا كل كساء ورداء سموا حورا ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥٣]:

﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ الكلام الموحى إلى رسولهم ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ المراد رسولهم روح الله، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك على لا إله إلا الله ولرسولك على الإرسال.

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آية: ٥٤]:

﴿وَمَكَرُوا﴾ الهود لما أرسلوا ودكلوا لإهلاكه، ﴿وَمَكَرَ اللهُ﴾ حط وسم الرسول على أحدهم وأصعد رسوله إلى السماء، وأصل المكر محال على الله، وسمي ما حصل مكرا على الاصطلاح المعلوم، ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلم وأحكم إلى الوصول إلى المراد.

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1] [آية: ٥٥]:

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح وهو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مصعدك إلى السماء أو المراد: حلول حمامه حال الصعود، أو المراد: حمام الهوى الرادع وصوله إلى العالم الأعلى، أو المراد: حصول عكس السهر له كله

(١) وفي هذا التوفي قولان أحدهما أنه الرفع إلى السماء والثاني أنه الموت فعلى القول الاول يكون نظم الكلام مستقيما من غير تقديم ولا تأخير ويكون معنى متوفيك قابضك من الأرض وافيا تاما من غير أن ينال منك اليهود شيئا هذا قول الحسن وابن جريج وابن قتيبة واختاره الفراء ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى ﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾ المائدة ١١٧ أي رفعتني إلى السماء من غير موت لأنهم إنما بدلوا بعد رفعه لا بعد موته وعلى القول الثاني يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك هذا قول الفراء والزجاج في آخرين فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته قال سعيد بن المسيب رفع عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وقال مقاتل رفع من بيت المقدس ليلة القدر في رمضان وقيل عاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين ويقال ماتت قبل رفعه. انظر زاد المسير (٣٩٧/١).

مسطور وأولها أولى، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ المراد: إلى محل الإكرام، ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محول محلك إلى محل سواه لسوء حالهم، ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ الأولى اسلموا لك ولإرسالك ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم الهود وعلاهم على الهود علو كلام وحسام ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ الكلام مع الرسول وأهل الإسلام الأولى اسلموا له والهود، ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المراد: حصول الحكم على كل أمر ما سلموا لحصوله أمر حال أوامر معاد ومآل كعدم إرساله وما هو كحكمه.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [آية:٥٦]:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا﴾ وهو إهلاكهم وورودهم موارد الحمام، ووصول أهل الإسلام إلى أموالهم وأملاكهم، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ وهو ما أعده لهم على سوء أعمالهم، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أراده لهم.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آية:٥٧]:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ موردهم على موارد سوء أعمالهم وأرسل الله ركاما وسمك الركام المسطر رسوله إلى السماء، ولما رأى حال أمه كلها ما حاصله لا مرأى إلا للمعاد.

﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾ [آية:٥٨]:

﴿ذَلِكَ﴾ المحرر، وهو أمر الروح وأمه أول كلام محموله ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ حال الهاء المعمول للمحمول وعامل الحال مؤدى ما أومأ، ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ المحكم، وهو الكلام المكرم.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آية:٥٩]:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى﴾ حاله، وأمره كالحال إدراكه للعالم ﴿عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ وحالها حصول ولد ولا والد له مع حصول آدم ولا أم له ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ (الهاء) لآدم، ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ آدم ﴿فَيَكُونُ﴾ المراد: صر وصار وحكى الحال.

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آية:٦٠]:

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ محمول لأول كلام مطروح، وهو أوامر رسوله الروح، ﴿فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أهل الأوهام والكلام مع رسوله محمد روما لدوامه على حال الكمال أو مع كل سامع.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٦١﴾ [آية:٦١]:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ ما راك ﴿فِيهِ﴾ (الهاء) للروح ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ﴾ لكل ممارء ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾[1] المراد: الدعاء على السالك سوى مسلك العدل، ودعا رسول الله أهل محل معلوم إلى الحكم المسطور وما طاوعوه لحصوله ولو طاوعوه لعادوا إلى محلهم ولا رأوا لا أهلهم ولا أولادهم أو لو طاوعوه لأهلكهم الله للحال ولما علموا ما هو حاصل لهم صالحوه على الأموال وعدد حلل وعدد دروع وعادوا إلى محلهم، ﴿فَنَجْعَلْ

(١) قال الرازي: اتفق أني حين كنت بخوارزم، أخبرت أنه جاء نصراني يدعي التحقيق والتعمق في مذهبهم، فذهبت إليه وشرعنا في الحديث وقال لي: ما الدليل على نبوّة محمد صلى الله عليه وسلّم، فقلت له كما نقل إلينا ظهور الخوارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، نقل إلينا ظهور الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلّم، فإن رددنا التواتر، أو قبلناه لكن قلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق، فحينئذ بطلت نبوّة سائر الأنبياء عليهم السلام، وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق، ثم إنهما حاصلان في حق محمد وجب الاعتراف قطعاً بنبوّة محمد عليه السلام ضرورة أن عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول، فقال النصراني: أنا لا أقول في عيسى عليه السلام إنه كان نبياً بل أقول إنه كان إلهاً، فقلت له الكلام في النبوّة لا بد وأن يكون مسبوقاً بمعرفة الإله وهذا الذي تقوله باطل ويدل عليه أن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، يجب أن لا يكون جسماً ولا متحيزاً ولا عرضاً وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشري الجسماني الذي وجد بعد أن كان معدوماً وقتل بعد أن كان حياً على قولكم وكان طفلا أولا، ثم صار مترعرعاً، ثم صار شاباً، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ، وقد تقرر في بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديماً والمحتاج لا يكون غنياً والممكن لا يكون واجباً والمتغير لا يكون دائماً. انظر تفسير الرازي (١١٦٤/١).

لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ هو الدعاء المحرر أو الكلام.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية:٦٢]:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الحكم المسطر وهو أمر الروح وأمه ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ ما طراه وهم ﴿وَمَا مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ إِلا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ لا أحد سواه مساو لأحكامه وحكمه، وهو العالم كل حكم والمحل أمر محله.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آية:٦٣]:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ لا سلموا ولا أسلموا ﴿فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ معد لهم أعمالهم وموردهم على سوء مواردها على ما هم أهله.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آية:٦٤]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الهود وسواهم ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ مصدر ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ والمراد: هلموا إلى حكم وأمر سلم له الرسل والعالم وهو ﴿أَلا نَعْبُدَ إِلا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما سلموا للحكم المحرر ولا أسلموا ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آية:٦٥]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ المراد: العموم الهود وسواهم ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ ادعى كل واحد سلوك الرسول المحرر على مسلكه، ﴿وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنْجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ودعواكم سلوكه على مسلككم لا أصل لها ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ عدم صلاح دعواكم.

﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية:٦٦]:

﴿هَأَنْتُمْ﴾ أول كلام ﴿هَؤُلاءِ﴾ مدعو طرح مؤداه ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ وهو ادعاؤكم سلوك موسى الرسول والروح على مسلككم، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللهُ يَعْلَمُ﴾ حال ومسلك رسله كلهم، ﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ورد الله دعواهم.

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آية:٦٧]:

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى المسلك السوي ﴿مُسْلِمًا﴾ موحدا، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أحدا مع الله.

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:٦٨]:

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ الأولى مروا على عهده وعصره، ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ محمد لسلوكهما على مسلك واحد، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم أهل الإسلام لمحمد الأولى لو ادعوا سلوكهم على مسلكه لصح مدعاهم، ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كالئ لهم، وأوحى الله لرسوله لما دعا الهود عمارا وسواه لسلوكه على مسلكهم.

﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية:٦٩]:

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لورودهم على أسوء الموارد، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ما هم دار وسوء حالهم وما أعد الله لهم.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آية:٧٠]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾(١) الكلام المكرم الموحى لمحمد، ﴿وَأَنْتُمْ

(١) أي: لماذا تكفرون بآيات الله - تعالى - التي يتلوها عليكم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والحال أنكم تعلمون صدقها وصحتها علما يقينا كعلم المشاهدة والعيان، وتعرفون أنه نبي حقا كما تعرفون أبناءكم. والاستفهام في قوله ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ لتوبيخهم والتعجيب من شأنهم، وإنكار ما هم عليه من كفر بآيات الله مع علمهم بصدقها. وفي هذا النداء إشارة إلى أن ما أعطوه من علم كان يقتضي منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه صلى الله =

تَشْهَدُونَ﴾ على عدم عمل محمد له، وهو كلام الله.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آية:٧١]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ وهو حطهم كلاما ما أوحاه الله وسط الكلام الموحى، ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ إرسال محمد، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إرساله.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية:٧٢]:

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد الهود لأحدهم ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هو كلام الله ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾ أوله، ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ﴾ لعل أهل الإسلام ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما سلكوه، وهو الإسلام لحصول الوهم على دعواهم لأهل الإسلام لأمر حاصله ما أسلم هؤلاء لمحمد وعادوا إلى مسلكهم الأول وهم علماء إلا لما ما صح أمر الإسلام لدى علمهم وإدراكهم.

﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية:٧٣]:

﴿وَلا تُؤْمِنُوا إلا لِمَنْ﴾ (اللام) مؤكد ﴿تبعَ دِينَكُمْ﴾ أمر الله محمد ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللهِ﴾ وهو الإسلام وما سواه ما هو هدى ﴿أَنْ﴾ عامل بالكسر مطروح وهو اللام لورد اللام، والمصدر معموله إلى مطروح، والمراد حملهم الحسد على ادعائهم أو عامل المصدر سوى اللام ومرده إلى معمول لا أول الكلام واحد هو الأمر العام واحده الاسم الموصول الام لإلا، والمراد: عدم إطلاعهم أحدا على حصول الكلام الموحى والحكم لسوى السالك على مسلكهم.

=

عليه وسلم والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها صلى الله عليه وسلم. انظر التفسير الوسيط (٦٣٩/١).

﴿يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ أهل الإسلام، وأورد ما أمه على معمول محصل المصدر ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ لدى المعاد ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وادعاؤهم ما حصل أحد على الكلام المكرم الموحى ولا على الحكم سواهم دعوى لا أصل لها، ﴿وَاسِعٌ﴾ عطاؤه، ﴿عَلِيمٌ﴾ أهل العطاء والإكرام وسواهم.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية:٧٤]:

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ رد لدعواهم ومحولها.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:٧٥]:

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ﴾ مال له كم، وهو ولد سلام أودعه واحد أموالا وأداها له، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ كأحد أودع واحدا مما حرر ورام أكله وعدم أدائه إلى مودعه، ﴿إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ إلا حال دوامك على رأسه ملحا على أدائه لك ما أودعه، ﴿ذَلِكَ﴾ أو ما إلى عدم الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ حرام المراد علل عدم أداء ما أودعوه ادعاؤهم حل أموال كل أحد سلك على عدم مسلكهم وادعوا ورودا أمر الله لهم على ما ادعوه ورد الله دعواهم لما أوحى لرسول، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عدم سلوكهم على مسلك أمر الله لهم.

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [آية:٧٦]:

﴿بَلَى﴾ أموال سوى الهود حرام على الهود ﴿مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ ما عاهد الله على أدائه أو ما عاهده على ادائه كالمودع وسواه، ﴿وَاتَّقَى﴾ أطاع الله وما عصاه ﴿فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ معد لهم على أعمالهم ما هم أهله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آية:٧٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ ما عاهدوه أو ما عاهدهم وهو الإسلام للرسول محمد، أو المراد الأعم لكل عهد أو حملهم كلام الله على سوى محمله كوسم الرسول محمد، ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ على الإسلام له كما حكى الله حصوله لدى العالم الأول، أو الأعم، والمراد كل أمر آلوا على حصوله أو عدمه مع عدم الحصول أو الحصول، ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ما رسمه لهم أهل مللهم أموالا وسواها على حملهم كلام الله على سوى ما أرادوه، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ لا سهم ﴿لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ﴾ كلام سرور أو أصلا، ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ المراد: ما هو راحمهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ما هو مطهرهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم على ما عملوه، وهو حملهم كلام الله على سوى محمله أو لما آلى أحدهم على رأس مآل، والحال على سوى ما آلى أو لما حملوا وسم الرسول محمد على سواه.

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1] [آية:٧٨]:

(١) أي من اليهود طائفة تخيل للمسلمين أشياء أنها مما جاء في التوراة، وليست كذلك، إما في الاعتذار عن بعض أفعالهم الذميمة، كقولهم: ليس علينا في الأميين سبيل، وإما للتخليط على المسلمين حتى يشككوهم فيما يخالف ذلك مما ذكره القرآن، أو لإدخال الشك عليهم في بعض ما نزل به القرآن، فاللَّيُّ مجمل، ولكنه مبين بقوله: (لتحسبوه من الكتاب) وقولِه: (ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله). واللَّيُّ في الأصل: الإراغة أي إدارة الجسم غير المتصلب إلى غير الصوْب الذي هو ممتدّ إليه: فمن ذلك ليّ الحَبْل، وليّ العنان للفَرس لإدارته إلى جهة غير صوب سَيره، ومنه لَيّ العنق، وليّ الرأس بمعنى الالتفات الشزر والإعراض قال تعالى: (لووا رؤوسهم) (المنافقون: ٥). واللّي في هذه الآية يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن طريق حرف من حروف الهجاء إلى طريق حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى، وهذا مثل ما حكى الله عنهم في قولهم (راعنا) وفي الحديث من قولهم في السلام على النبي: (السامُ عليكم) أي الموت أو (السِّلام بكسر السين عليك) وهذا اللّي يشابه الإشمام والاختلاس ومنه إمالة الألف إلى الياء، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف. والظاهر أنّ الكتاب هو التوراة فلعلهم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية نطقوا بحروف من كلماتها بينَ بينَ ليوهموا المسلمين معنى غير المعنى المراد، وقد كانت لهم مقدرة ومِراس في هذا. انظر التحرير والتنوير (٣/٢٩١).

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾ المراد: حاملو كلام الله على سوى محمله كمالك وسواه، ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ أمالوها إلى ما حملوه وأرادوه ﴿بِالْكِتَابِ﴾ الموحى إلى موسى ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ (الهاء) لكلام هم أحلوه وسط كلام الله ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلام الله الموحى، ﴿وَمَا هُوَ﴾ ما أحلوه ﴿مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أكد الكلام الأول، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ عمدهم وحملهم كلام الله على سوى محمله وحطهم وسطه كلاما ما أوحاه الله، ولما أدعى مدعو الولد والأم للإله ما حاصله رسولهم الروح هو دلهم على وروده آلها لا رسولا وهو أمرهم إلى سلوك هؤلاء المسالك رد الله دعواهم وأوحى لرسوله محمد.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٩]:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ إدراك أساس الإرسال، ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ﴾ أمره للأمم والعوالم ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ علماء عمالا كملا على حكم العلم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ رواه والد عمرو وسواه على أصله مورده العلم، وراو كسلم ﴿الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ رواه راوٍ درس كأمر، وراوٍ درس ككرم، وراوٍ أدرس كأكرم.

﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آية:٨٠]:

﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ادعاؤكم أمر الرسول لواحد مما حرر محال.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آية:٨١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾

عهدهم ﴿لَمَا﴾ رواه راوٍ ككما على ورود اللام لام أول الكلام أو مؤكدا، وراوٍ مكسورا، وعلى الأول الاسم الموصول أول كلام، وعلى الكسر معمول للأم الكسر، ﴿آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ وهو محمد رسوله الأكرم، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ لو أدركوا عصره وورود أممهم على العهد المحرر ورود الأولى ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾ الأمر العهد ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أرواحكم، وعلى أممكم ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ على الأمم والرسل.

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آية:٨٢]:

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد المسطور ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آية:٨٣]:

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ﴾ رواه راوٍ إلى السامع، وراوٍ إلى سواه، ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ طأطأ رأسه ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ ما مرد على أوامره أصلا، ﴿وَكَرْهًا﴾ مع الحسام، أو لما رأى ما أكرهه على السلوك مسالك أوامره، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ رواه راوٍ إلى السامع، وراوٍ إلى سواه.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٤]:

﴿قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد رسوله ﴿آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاد الأولاد، ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ كالإسلام لأحدهم وعدم الإسلام لسواه، ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ ولما مرد أحد أهل الإسلام وعاد إلى عكسه أوحى الله لرسوله.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (١) [آية:٨٥]:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ﴾ وهو لا إله إلا الله والسلوك على مسلك حكم الله ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لوروده موارد الهلاك السرمد.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آية:٨٦]:

﴿كَيْفَ﴾ المراد: لا ﴿يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا﴾ (الواو) للحال أو لرد المصدر على الاسم المكسور على حد سماعك ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ كل ما دل على إرساله، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أصله كل محل أمرا سوى محله، وهم أحلوا عكس الإسلام محل الإسلام.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [آية:٨٧]:

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ﴾ أهل الإسلام أو الأعم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [آية:٨٨]:

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ المراد: حلولهم وسط مدلولها، وهو ما أعده الله لهم على سوء

---

(١) قال الرازي: لو كان الإيمان غير الإسلام لوجب أن لا يكون الإيمان ديناً مقبولا عند الله تعالى.
فإن قيل: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الأعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلاكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (الحجرات: ١٤) هذا صريح في أن الإسلام مغاير للإيمان.
قلنا: الإسلام عبارة عن الانقياد في أصل اللغة على ما بينا، والمنافقون انقادوا في الظاهر من خوف السيف، فلا جرم كان الإسلام حاصلا في حكم الظاهر/ والإيمان كان أيضاً حاصلا في حكم الظاهر، لأنه تعالى قال: ﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾ (البقرة: ٢٢١) والإيمان الذي يمكن إدارة الحكم عليه هو الإقرار الظاهر، فعلى هذا الإسلام والإيمان تارة يعتبران في الظاهر، وتارة في الحقيقة، والمنافق حصل له الإسلام الظاهر، ولم يحصل له الإسلام الباطن، لأن باطنه غير منقاد لدين الله، فكان تقدير الآية: لم تسلموا في القلب والباطن، ولكن قولوا: أسلمنا في الظاهر، والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١/١١١١).

أعمالهم، ﴿لا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٨٩]:

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم عادوا إلى الإسلام وسلكوا على مسلك أوامر الله وحكمه، ﴿فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما صدر، ﴿رَحِيمٌ﴾ لحالهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾ [آية:٩٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم الهود لما ما أسلموا لروح الله وراموا إهلاكه ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إسلامهم لموسى، ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم لمحمد رسوله ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ لحصولهم مع الإصرار أو لصدورها لردع هلاكهم أو لو مر العمر ووردوا موارد أول الحمام، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ المراد: دوامهم على عدم الهدى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آية:٩١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ﴾ ملء المحل ما ملأه، ﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾ عدله مردود، ولما صار الاسم الموصول كمهما أورد على محموله ما أورد على آم الآم لمهما، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لا راد لما أعده الله لهم.

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آية:٩٢]:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ ما أعد الله لكم على عمله ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ هو المال، والمراد: العطاء على العموم مأمورا لإعطائه ومحدودا كأحد أساس الإسلام أولا، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ معده لكم أكمل إعداد معاملكم على إعطائه، ولما أورد الهود على الرسول محمد ما حاصله هو مدع سلوكه على مسلك والد الرسل ووالد ما أكل لحوم العلطوس ولا درها أوحى الله لرسوله ردا لما أورده.

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن

قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (١)[آية:٩٣]:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا﴾ حلالا ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو لحم العلطوس حرمه لما حصل له داء وسلمه الله عاهد الله على أكله وصار حراما على كلهم ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ ووالد الرسل ما أدرك عصرا حرم الله على أهله لحم العلطوس، والمراد: إعلام الرسول الهود عدم علمهم عصر الحرام وعلله، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آية:٩٤]:

---

(١) قال محمد رشيد رضا: قَالُوا: إِذَا كُنْتَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ - كَمَا تَدَّعِي - فَكَيْفَ تَسْتَحِلُّ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ كَلَحْمِ الإِبِلِ؟ أَمَا وَقَدِ اسْتَبَحْتَ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ فَلا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَدَّعِيَ أَنَّكَ مُصَدِّقٌ لَهُمْ وَمُوَافِقٌ فِي الدِّينِ، وَلا أَنْ تَخُصَّ إِبْرَاهِيمَ بِالذِّكْرِ وَتَقُولَ: إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ. هَذِهِ هِيَ الشُّبْهَةُ الأُولَى. وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللهَ وَعَدَ إِبْرَاهِيمَ بِأَنْ تَكُونَ الْبَرَكَةُ فِي نَسْلِ وَلَدِهِ إِسْحَاقَ، وَجَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ كَانُوا يُعَظِّمُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَيُصَلُّونَ إِلَيْهِ، فَلَوْ كُنْتَ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ لَعَظَّمْتَ مَا عَظَّمُوا، وَلَمَا تَحَوَّلْتَ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَظَّمْتَ مَكَانًا آخَرَ اتَّخَذْتَهُ مُصَلًّى وَقِبْلَةً - وَهُوَ الْكَعْبَةُ - فَخَالَفْتَ الْجَمِيعَ. فَقَوْلُهُ - تَعَالَى - : ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ هُوَ جَوَابٌ عَنِ الشُّبْهَةِ الأُولَى، قَالَ الأُسْتَاذُ الإِمَامُ: وَلَكِنَّ الْجَلالَ وَكَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يُقَرِّرُونَ الشُّبْهَةَ وَلا يُبَيِّنُونَ وَجْهَ دَفْعِهَا بَيَانًا مُقْنِعًا، إِذْ يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ كَانَتْ مُحَرَّمَةً عَلَى إِسْرَائِيلَ، وَالصَّوَابُ مَا قَصَّهُ اللهُ - تَعَالَى - عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الآيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ الَّتِي تُوَضِّحُهَا، وَهِيَ أَنَّ كُلَّ الطَّعَامِ كَانَ حَلالا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلإِبْرَاهِيمَ مِنْ قَبْلُ بِالأَوْلَى، ثُمَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الطَّيِّبَاتِ فِي التَّوْرَاةِ عُقُوبَةً لَهُمْ وَتَأْدِيبًا، كَمَا قَالَ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [٤: ١٦٠] الآيَةَ. فَالْمُرَادُ بِإِسْرَائِيلَ شَعْبُ إِسْرَائِيلَ، كَمَا هُوَ مُسْتَعْمَلٌ عِنْدَهُمْ، لا يَعْقُوبُ نَفْسُهُ. وَمَعْنَى تَحْرِيمِ الشَّعْبِ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ: أَنَّهُ ارْتَكَبَ الظُّلْمَ وَاجْتَرَحَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ التَّحْرِيمِ، كَمَا صَرَّحَتِ الآيَةُ. فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا كَانَ الأَصْلُ فِي الأَطْعِمَةِ الْحِلَّ، وَكَانَ تَحْرِيمُ مَا حَرُمَ عَلَى إِسْرَائِيلَ تَأْدِيبًا عَلَى جَرَائِمَ أَصَابُوهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ وَأُمَّتُهُ لَمْ يَجْتَرِحُوا تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، فَلَمْ تَحْرُمْ عَلَيْهِمُ الطَّيِّبَاتُ؟ ثُمَّ قَالَ مُبَيِّنًا تَقْرِيرَ الدَّفْعِ وَسَنَدَهُ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ ؛ لا تَخَافُونَ أَنْ تُكَذِّبَكُمْ نُصُوصُهَا. أَقُولُ: كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ جِئْتُمْ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنْهَا لَمَا كَانَ إِلا مُؤَيِّدًا لِلْقُرْآنِ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَنَّهَا هِيَ حَرَّمَتْ عَلَيْكُمْ مَا حَرَّمَتْ. وَعُلِّلَتْ جُمْلَةُ التَّكَالِيفِ بِأَنَّكُمْ شَعْبٌ غَلِيظُ الرَّقَبَةِ مُتَمَرِّدٌ يُقَاوِمُ الرَّبَّ، كَمَا قَالَ مُوسَى عِنْدَ أَخْذِ الْعَهْدِ عَلَيْكُمْ بِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ. انظر تفسير المنار (٤/٤).

﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ سطوع الدلائل على أصل الحرام لم، وعلى عدم حصوله على عهد والد الرسل، ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لعدم سلوكهم على العدل.

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آية:٩٥]:

﴿قُلْ صَدَقَ اللهُ﴾ كل ما حكاه كما سطره ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مسلكه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا لأحكام الله وإلى ما حده له، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ولما ادعى الهود ما حاصله مأمهم وهو المصلى المطهر أول كل مأم أوحى الله لرسوله ردا لدعواهم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية:٩٦]:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مأما ﴿لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ هو ما أسس وسط الحرم الحرام كما ورد أسسه الأملاك ما صور ولا أسس محل عصره أصلا، ولما مر لعماره أعوام أمروا لإعمار المصلى المطهر، ﴿مُبَارَكًا﴾ حال الاسم الموصل، ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لما صار مأمًّا لهم.

﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آية:٩٧]:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ كعدم ورود الطائر على حائطه وهوى حائطه وعدم صدم الأساد وإهلاكها سواها وسط الحرام وأعلاها، ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ محل دوامه حال سمك أساسه، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ ولو لحد وسواه.

﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ﴾ مصدر مكسور الحاء وكأمر ﴿الْبَيْتِ مَنِ﴾ اسم موصول معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو على ﴿اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ مسلكا، وهو المحمل والمأكل، ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ ما أم الحرم كما أمر الله ﴿فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ولد آدم والأرواح كالملك وسواه.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آية:٩٨]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَاللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا

تَعْمَلُونَ﴾ مطلع ومعاملكم على عملكم.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٩]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلكه المؤسس للعالم وهو الإسلام ﴿مَنْ آمَنَ﴾ اسم موصول معمول لما أم لِمَ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ (الهاء) لما أدى مؤدى المسلك ﴿عِوَجًا﴾ مصدر أو حال الواو، والمراد: راموا مسلك حكم الله مائلا، ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ كلكم عالم المسلك السوى والهدى هو الإسلام، ﴿وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ مطلع على عملكم ومعد لكم، ولما مر أحد الهود على الأوس ورأى حالهم حال وداد كرهه وأساءه حالهم ورام عكسه وحصول السلاح حرك لهم ما صدر أول العهد روما لعدم صلاح حالهم أوحى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آية:١٠٠، ١٠١]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ محمد، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ﴾ كل ماسك لما أسسه الله للعالم وهو الإسلام ﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوي موصل إلى الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1]

(١) لما حذرهم تعالى من إضلال مَنْ يريدُ إضلالهم، أمرهم بمجامع الطاعات، فرهبهم أولا بقوله: اتقوا الله، إذ التقوى إشارة إلى التخويف من عذاب الله، ثم جعلها سبباً للأمر بالاعتصام بدين الله، ثم أردف الرهبة بالرغبة، وهي قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ﴾ وأعقب الأمر بالتقوى والأمر بالاعتصام بنهي آخر هو من تمام الاعتصام. قال ابن مسعود، والربيع، وقتادة، والحسن: حق تقاته هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر. وروي مرفوعاً. وقيل: حق تقاته اتقاء جميع معاصيه. وقال قتادة، والسدي، وابن زيد، والربيع: هي منسوخة بقوله: ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أمروا أولا بغاية التقوى حتى لا يقع إخلال بشيء ثم نسخ. وقال ابن عباس، وطاوس: هي محكمة. ﴿فَاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لقوله: اتقوا الله حق تقاته.
=

[آية:١٠٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وهو طرح الوسع لما أمر وعدم الورود على موارد ما ردع، ﴿وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ المراد: عدم سلوكهم على حال سوى حال الإسلام.

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٠٣]:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ﴾ المسلك الموصل له وهو الإسلام أو كلام الله المكرم كما ورد ﴿جَمِيعًا﴾ كلكم، ﴿وَلا تَفَرَّقُوا﴾ كما رام أعداؤكم، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ آلاءه ﴿عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ﴾ أولا حال عدم الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ لما حصل لكم الإسلام والهدى، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ مسلكا وإسلاما لمحمد، ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ لو أدرككم الحمام على حالكم الأول لصار كلكم لها، ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ لما هداكم للإسلام، ﴿كَذَلِكَ﴾ كما حكى آلاءه لكم ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ المراد: لحصول دوامكم على حال الهدى.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آية:١٠٤]:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ كل داع وآمر ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ محصلو صلاح حالهم ومالهم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آية:١٠٥]:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل والحكم

=

وقيل: هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم، ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو ابنه أو أبيه. وقيل: لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه. وقال ابن عباس: المعنى جاهدوا في الله حق جهاده. وقال الماتريدي: وفي حرف حفصة اعبدوا الله حق عبادته. انظر تفسير البحر المحيط (١٣/٣).

الساطع أمرها وهم الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الحد، ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أوعدهم على سوء عملهم ومسراهم.

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية:١٠٦]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول المطروح وهو أورد لهم أو عامله مؤدى لهم ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ المراد: مما هو سواد وعكسه حصول السرور وعكسه، أو المراد: حصولها لإهلهما حسا كوسم أهل الإسلام وسطوع عكس السواد على لألاء حلاهم وكلح أهل اللوم، وكلاهما أمر لا محسوس لدى المعاد.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ كلهم مكلم ﴿أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لما عاهدوا الله على الإسلام لمحمد لدى عالم الأرواح، أو لما حصل الدال على إرساله وأدركوه إدراكا كاملا صاروا كمسلم عدل إلى سوى الإسلام، ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الأمر لحصول الكدر والهم لهم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أعده لكم على سوء أعمالكم وعدم إسلامكم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آية:١٠٧]:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم أهل الإسلام ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ المراد: حلولهم وسط مدلولها، وهو دار السرور السرمد المعد لأهل لا إله إلا الله.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۗ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آية:١٠٨]:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول محمد ﴿بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ وهو على الله محال لعدم حلوله دوائر المحكوم على مراده وهو الملك والحاكم لا حد ولا محدود.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾[1] [آية:١٠٩]:

---

(١) قال الرازي: إنما ذكر هذه الآية عقيب ما تقدم لوجهين الأول: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بأن فاعل القبيح إنما يفعل القبيح إما للجهل، أو العجز، أو الحاجة، وكل =

﴿وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، ﴿وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ وهو معد لكل عمله.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَـٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [آية:١١٠، ١١١]:

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الكلام لأهل الإسلام لمحمد وهو دال على صلاح حالهم ومدحهم سرمد وأمدا على الدوام ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ ورسوله مع كل ما حده وأسسه لهم، ﴿وَلَوْ آمَنَ﴾ أسلم لمحمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ﴾ الإسلام ﴿خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ كولد سلام وسواه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ الكلام لأهل الإسلام، والواو للهود ﴿إِلا أَذًى﴾ كلاما لا طائل له، ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ﴾ لروعهم وعدم علمهم أمر المراس، ﴿ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ﴾ على أهل الإسلام أصلا.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١٢]:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾ هدر الأرواح والأموال والأهل ﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ حلوا ﴿إِلا بِحَبْلٍ﴾ وعد أو عهد ﴿مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ﴾ وعد أو عهد ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ أهل الإسلام،

=

ذلك على الله محال لأنه مالك لكل ما في السموات وما في الأرض، وهذه المالكية تنافي الجهل والعجز والحاجة، وإذا امتنع ثبوت هذه الصفات في حقه تعالى امتنع كونه فاعلا للقبيح والثاني: أنه تعالى لما ذكر أنه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه كان لقائل أن يقول: إنا نشاهد وجود الظلم في العالم، فإذا لم يكن وقوعه بإرادته كان على خلاف إرادته، فيلزم كونه ضعيفاً عاجزاً مغلوباً وذلك محال. انظر تفسير الرازي (١/١٢٢٣).

والمراد: كل أحوالهم الحصر والكهر ما عدا حال وعد أهل الإسلام وعهدهم لهم، ﴿وَبَاءُوا﴾ عادوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ﴾ ما سطر كله ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد: ولو على دعواهم ﴿ذَلِكَ﴾ مؤكد للأول ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أمر الله ورسوله ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ لإحلالهم الحرام محل الحلال.

﴿لَيْسُوا سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آية:١١٣]:

﴿لَيْسُوا﴾ (الواو) لأهل الكلام الموحى ﴿سَوَاءً﴾ حالهم ما هو واحد ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ حالها دائم على المسلك السوي كولد سلام وسواه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ﴾ وهو الكلام المكرم ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (الواو) للحال، وهو حال الواو.

﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آية:١١٤، ١١٥]:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ وكل هؤلاء المدائح ما حواها الهود وحووا عكسها، ﴿وَأُولَئِكَ﴾ أهل المحامد المحرر سردها ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سوه ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ﴾ على السامع وسواه، والمراد: ما هو سدى معاملكم الله على عمله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [آية:١١٦، ١١٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ ما هم رادو ما

أعده الله لهم، ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ﴾ (الواو) لأهل اللؤم الهود وسواهم ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمراد: إعطاؤهم الأموال على عدم صلاح أحوال الرسول حسدا ولؤما وروعا على أرواحهم وأهلهم وأموالهم ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ الصر: الحر أو عكسه وهو الأولى ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ ما هم حاصدوه ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أحلوا سوى الإسلام محل الإسلام وعصوا أوامر الله ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ راح سدى وهلك على أهله، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ لإهلاك أموالهم، ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما عصوا أمر مولاهم وما سلكوا مسالك الحامد لآلاء الله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِى صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأَيَـٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[(١)] [آية:١١٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً﴾ أحدا للوداد مطلعا على أسراركم.

---

(١) نزلت في رجال من المؤمنين يواصلون رجالا من يهود للجوار والحلف والرضاع قاله: ابن عباس. وقال أيضاً هو وقتادة والسدي والربيع: نزلت في المنافقين. نهى الله المؤمنين عنهم شبه الصديق الصدق بما يباشرُ بطن الإنسان من ثوبه. يقال: له بطانة ووليجة. وقوله: من دونكم في موضع الصفة لبطانة، وقدّره الزمخشري: من دون أبناء جنسكم، وهم المسلمون. وقيل: يتعلق من بقوله: لا تتخذوا. وقيل: مِنْ زائدة، أي بطانة دونكم. والمعنى: أنهم نهوا أن يتخذوا أصفياء من غير المؤمنين. ودل هذا النهي على المنع من استكتاب أهل الذمة وتصريفهم في البيع والشراء والاستبانه إليهم. وقد عتب عمر أبا موسى على استكتابه ذمياً، وتلا عليه هذه الآية. وقد قيل لعمر في كاتب مجيد من نصارى الحيرة: ألا يكتب عنك؟ فقال: إذن أتخذ بطانة. والجملة من قوله: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا﴾ لا موضع لها من الإعراب، إذ جاءت بياناً لحال البطانة الكافرة، هي والجمل التي بعدها لتنفير المؤمنين عن اتخاذهم بطانة. ومن ذهب إلى أنها صفة للبطانة أو حال مما تعلقت به من، فبعيد عن فهم الكلام الفصيح. لأنهم نهوا عن اتخاذ بطانة كافرة، ثم نبه على أشياء مما هم عليه من ابتغاء الغوائل للمؤمنين، وودادة مشقتهم، وظهور بغضهم. والتقييد بالوصف أو بالحال يؤذن بجواز الاتخاذ عند انتفائهما. وألا متعد إلى واحد بحرف الجر، يقال: ما ألوت في الأمر أي ما قصرت فيه. وقيل: انتصب خبالا على التمييز المنقول من المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الارْضَ عُيُونًا﴾ التقدير: لا يألونكم خبالكم، أي في خبالكم. فكان أصل هذا المفعول حرف الجر. وقيل: انتصابه على إسقاط حرف، التقدير: لا يألونكم في تخبيلكم. وقيل: انتصابه على أنه مصدر في موضع الحال. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣٠).

﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ سوى أهل الإسلام، ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا﴾ كلهم ساع إلى المكروه لكم، ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: راموا كل سوء لكم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ كلامهم دال على روم كل مكروه لكم ملكوا أسراره، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما دل كلامهم، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على رومهم ما سطر وهو كل سوء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آية:١١٩]:

﴿هَأَنْتُمْ أُولاءِ﴾ المراد: أهل الإسلام ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لعدم سلوككم ومسراكم على مسلكم ومسراهم، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ كل كلام أوحاه الله إلى الرسل وعدم إسلامهم للكلام الموحى إلى رسولكم محمد أمر معلوم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ كلاما لا إسلام صدر، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ حسدا لوداد أهل الإسلام، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ دوموا على حالكم إلى ورود حمامكم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما حل صدر كل أحد لؤما وحسدا.

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آية:١٢٠]:

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ علو على أعدائكم ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ ككسر الأعداء لعسكركم ﴿يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على حسدهم ومكرهم لكم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله، والمراد: السلوك على ما أمركم، وهو عدم ودادكم لهم وإطلاعهم على إسراركم.

﴿لا يَضُرُّكُمْ﴾ رواه راوٍ كمر، وراوٍ كمال ﴿كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه، ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم وهو معد لكل أحد عمله.

﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آية: ١٢١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح وهو: أورد أو ما أدى مؤداه ﴿غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ

﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ هو مراس أحد، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامهم الحاصل ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم ما صدر، ولما طلع رسول الله إلى المراس مع عسكره وأحل كل رام سهما أمام أحد، وصار أحد وراءهم أعاروا المراس اسم محله وسموه أحدا.

﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿إِذْ﴾ أما معمول السمع والعلم أو معمول على اصطلاح العامل المكرر، وهو العامل المطروح أول الكلام ﴿هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾ لما روعهما عدد الأعداء، وكلام اللؤماء وهم كل مسلم كلاما ومصر على سوى الإسلام صدرا لؤما ومكرا، ﴿وَاللهُ وَلِيُّهُمَا﴾ عاصمهما أو كاسر اعدائهما، ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1][آية:١٢٣]:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ محل ماء معلوم، ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ عددكم وعددكم ما هو مأمول معهما العلو على أعدائكم، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المراد: لعل الله موصل لكم آلاءه.

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴾ [آية:١٢٤]:

﴿إِذْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعدا لهم ﴿أَلَنْ

(١) وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم ببدر، وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة، وهي قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد. والجواب ظاهر وهو أنّ معنى وصفهم بالذلة هو قلة عَددهم وعُددهم يوم بدر، وقوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾نزل في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وذلك بعد أن قويت شوكة المسلمين، وكثر عَددهم، مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر وهو أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العَدد والعُدد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده، كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيّدكم بنصره ورزقكم من الطيبات﴾، وقوله: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾، فإنّ زمن الحال هو زمن عاملها، فزمان النصر هو زمان كونهم أذلة، فظهر أنّ وصف الذلة باعتبار، ووصف العزة والنصر باعتبار آخر، فانفكت الجهة، والعلم عند الله. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/٢٧).

يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾ روى واحده ولد عامر كمحمد، وراوٍ كمرسل.

﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آية:١٢٥]:

﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على صدم العدو، ﴿وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ﴾ الأعداء ﴿مِنْ فَوْرِهِمْ﴾ أصله مصدر وهو معار للإسراع ﴿هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ روى والد عمرو، وعاصم الواو مكسورا، وروى راوٍ مسموما كمحمد، والمراد: كل واحد معلم أو معلم على ما مر كسرا وسواه، وحصل وعد الله ورسوله وإمداده لهم.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آية:١٢٦ - ١٢٨]:

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ (الهاء) للإمداد المسطور ﴿إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أمره إلى الله ما هو لعدد ولا عدد.

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إعداما وأسرا، ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ كسرا أو كهرا ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ لعدم حصولهم على مرامهم ولما رموا رسول الله وسال دمه أوحى الله له.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الأمر كله لله، ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أو أدى مؤدى إلى أو مؤدى إلا ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ لإحلالهم سوى الإسلام محله.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٩﴾﴾ [آية:١٢٩]:

﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، وله الأمر كله ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ﴾ لكل أحد والاه، ﴿رَحِيمٌ﴾ لكل أحد أطاع أوامره، والمراد: عدم إسراع الرسول إلى الدعاء على أعدائه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آية:١٣٠ - ١٣٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ كما لو حل الموعد الأول ورام المعطي له موعدا سوى الأول لعسره وحط على رأس المال مالاً سواه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ اسلكوا على ما مر ودعوا لما ردع ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ راعوا حلولكم وسطها.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أوعدهم الله أولا وروعهم ووعدهم وطمعهم.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [1][آية:١٣٣]:

﴿وَسَارِعُوا﴾ أسرعوا، ورواه ولد عامر وسواه: سارعوا لا (واو) له ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ المراد: إلى عللها على اصطلاح المرسل كالإسلام وسائر أحكامه أو أمره وعكسها، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ لو وصل أحدهما إلى أحدهما لحصل الأمر كما حرر والطول لا حد له، والمراد: كمال وسعها، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لكل

(١) عِلَلَ الخلق وميلهم إلى مُنى النفوس، فدعاهم بطاعته إلى العلتين: المغفرة والجنة، ودعا الخاصة إلى نفسه، فقال: ﴿ففرّوا إلى الله﴾، ثم أعْلَم أن الكل في درك امتحان الجرم، وأثبت بالآية ذنب الكل، لأنهم وإن كانوا معصومين من الزلل، فذنبهم قلة معرفتهم لأقدار الحق، كما قال عليه الصلاة والسلام: " لو أن الله عذب الملائكة لحق منه، فقيل: إنهم معصومون، فقال عليه الصلاة والسلام: من قلة معرفتهم بربهم " ولذلك دعاهم إلى المغفرة. اهـ. قال في الحاشية: وقوله: (أثبت بالآية ذنب الكل)، يعني: شمول قوله: ﴿يغفر لمن يشاء﴾ مَنْ في السماوات الصادق بالملائكة، وإنما تكون المغفرة بعد ذنب، ولكنه في كل أحد على حسبه، وأما قوله: دعاهم إلى المغفرة، فكأنه من قوله: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾، وأن الخطاب يعم من في السماوات أيضاً، وقد يتصور في حق الملائكة الاستنادُ لظواهر الأمور والاختلاف بينهم والاختصام، مما هو معرض للخطأ، وذلك من دواعي المغفرة، وكذلك القصور عن معرفة كنه جلاله الله: نقصٌ لا يخلو منه مخلوق، لاستحالة الإحاطة به علماً، ولذلك كان الترقي في المعرفة لا حد له أبداً سرمداً. انظر البحر المديد (١/٥٠٦).

سالك على مسلك أو أمر الله.

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آية:١٣٤]:

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الأموال ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ حال العسر وعكسه، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ مع ملكهم الوصول إلى مرامهم، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ مع ملكهم الوصول إلى مرامهم، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴾ [آية:١٣٥، ١٣٦]:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ محرما ما لوطء حرام أو لهو مدام، ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ما هو أحط محلا مما مر حكمه كسماع أو لمسه ﴿ذَكَرُوا اللهَ﴾ ما أوعدهم على عمله ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ﴾ لا ﴿يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ إصرار صدر ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (الواو) للحال، والمراد: ما أصروا على ما صدر حال علمهم عدم صلاح أعمالهم.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ما أعده الله لهم مما مر سرده.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آية:١٣٧، ١٣٨]:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ مسالك أو أمم أمهلهم عصرا وأهلكهم، ﴿فَسِيرُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسل الله، والمراد: أمرهم وحالهم إلى الهلاك.

﴿هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية:١٣٩]:

﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾ على ما حصل لكم لدى أحد، ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ على أعدائكم وأعداء الله، ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ودل على إكمال عمل العامل حاصل ما مر.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية: ١٤٠]:

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾[1] رواه راوٍ كأمر، وراوٍ كصلح، والمراد: ألم سهم أو حسام أو الأعم، ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾ أعدائكم ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ لدى العراك الأول، ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ لهولاء عصرا، ولهؤلاء عصرا، ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ﴾ علم سطوع لا علم سر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ لحلول حمامهم وإكرام الله لهم، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ معاملهم على سوء أعمالهم ما هم أهله.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية:١٤١]:

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ المراد: والحصول الطهر لهم، ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ إهلاكا.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آية:١٤٢]:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ علم سطوع لا علم سر، ﴿وَيَعْلَمَ﴾ (الواو) واو الرد، ومحصل المصدر مطروح أو (الواو) واو الحال وما أمها مسموك.

(١) قال الرازي: في الآية قولان: أحدهما: إن يمسسكم قرح يوم أحد فقد مسهم يوم بدر، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ (آل عمران: ١٦٥) والثاني: أن الكفار قد نالهم يوم أحد مثل ما نالكم من الجرح والقتل، لأنه قتل منهم نيف وعشرون رجلا، وقتل صاحب لوائهم والجراحات كثرت فيهم وعقر عامة خيلهم بالنبل، وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار. فان قيل كيف قال: ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين؟ قلنا: يجب أن يفسر القرح في هذا التأويل بمجرد الانهزام لا بكثرة القتلى. انظر تفسير الرازي (١٢٦٠/١).

﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [آية: ١٤٣]:

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ أمر العراك، وسماه كما سماه لما أدى له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ رأوا علله وما أدى له، ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ما ورد أحدكم موارده.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَـٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـًٔاۗ وَسَيَجۡزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آية:١٤٤]:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كسواه ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ المراد: ما هو إله أسس مسلك الإسلام مؤسسه هو الله، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا﴾ سوء عمله له، ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آلاءه وإكرامه لهم حصول دوامهم على الإسلام.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأَخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آية: ١٤٥]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ للملك الموكل، ﴿كِتَابًا﴾ مصدر مؤكد، ﴿مُؤَجَّلا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ وهو الأموال ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ﴾ وهو ما أعده الله له ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ الأولى داموا محلهم للمراس ولا أطمعهم مال ولا سواه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آية:١٤٦]:

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ﴾ رواه راوٍ كأمر وراوٍ كصاهر، ﴿مَعَهُ﴾ محمول على أول كلام هو ﴿رِبِّيُّونَ﴾ علماء ورعاء أو عدد ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ أصله: حلول العلل، والمراد: عدم الكسل والملل، ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ كهلاك رسلهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ لدى المعارك، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ ما طأطأوا رؤسهم إلى العدو كما حصل لكم، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على مر أوامره.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آية:١٤٧، ١٤٨]:

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ لما حصل الحمام لرسولهم ﴿إلا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ سلوك الحد ﴿فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ على العراك، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ العلو على الأعداء، والوصول إلى أموالهم، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾ دار السرور السرمد، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم ما هم أهله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ [آية:١٤٩، ١٥٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ أوحاه الله لما أمر أهل اللوم أهل الإسلام إلى العود إلى مسلكهم الأول لدى أحد وسمعوا حصول الهلاك إلى رسول الله راموا عود أهل الإسلام إلى مسلكهم وكلموهم ما حصله لو محمد رسولا كما ادعى ما حصل له الإهلاك أو الحكم المحرر عام لكل أحد حسما لوداد أهل اللؤم روعا مما هو موصل إلى الأمر المسطر، وهو السلوك على مسلكهم.

﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ﴾ كاسر أعدائكم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ والسلوك على مسالك أوامره أولى لكم لحصول مرادكم.

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:١٥١]:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[1] رواه راوٍ محرك الراء وما أمها، وراوٍ

---

(١) قال ابن الجوزي: قال السدي لما ارتحل المشركون يوم أحد نحو مكة ندموا في بعض الطريق وقالوا قتلتموهم حتى إذا لم يبق الا الشرذمة تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في =

كرمح حصل لهم لما رحلوا ووصلوا إلى الروحاء، وراموا العود إلى اصطلام أهل الإسلام مع الرسول كلهم لدى أحد وروعهم الله وما عادوا، ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ما دل على ما هو كود وسواع دال، ولما حكم على صلاحه إلها حلم، ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ أصله إحلال الأمر محلا سوى محله وهم أحلوا سوى الإسلام، وهو ود وسواع محل لا إله إلا الله.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١٥٢]:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ﴾ ما وعدكم وهو العلو على أعدائكم ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ﴾ الحس: الإهلاك، ومورده: حسه لو أعدم حسه ﴿بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ المراد: مالوا إلى الأموال أو حرصوا على الأمول، ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر الرسول لهم وهو دوامهم محلهم ووراءهم أحد لصرد السهام على الأعداء، وما دام على حكم أمر الرسول لهم إلا المؤمر على أهل السهام ورهط معه وطمع سواهم، وحرصوا على الأموال، ﴿وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ وهو كسر عددكم وعلوكم على الأعداء، والمراد: مالوا أو حرصوا على الأموال وما سلكوا على مسلك أمر الرسول لهم وهود دوامهم أمام أحد واحد وراءهم لطرح السهام وعصوا الأمر ما حصلوا على مرادهم ومرامهم، وهو العلو على العدو وحصول الأموال، ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ وهم الأولى ما داموا على حكم أمر الرسول وطمعوا وحرصوا على حصول المال،

=

قلوبهم الرعب ونزلت هذه الآية والإلقاء القذف والرعب الخوف قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة الرعب ساكنة العين خفيفة وقرأ ابن عامر والكسائي ويعقول وأبو جعفر مضمومة العين مثقله أين وقعت والسلطان هاهنا الحجة في قول الجماعة والمأوى المكان الذي يؤوى إليه والمثوى المقام والثوى الإقامة قال ابن عباس والظالمون هاهنا الكافرون ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين. انظر زاد المسير (٤٧٥/١).

﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ وهم الأولى داموا محل ما أمرهم رسول الله وما حادوا إلى ورود حمامهم، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ كسركم وعلاهم على عسكركم وحصل ما حصل كله ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ لسطوع أمر دوامكم على الإسلام أو عدمه، ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما صدر كله كرما، ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ على كل حال.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٥٣]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما مؤداه ﴿تُصْعِدُونَ﴾ حولوا محلهم إلى محل سواه عدوا لروع العدو، ﴿وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾ كلكم مهموم لما حصل له لا أحد راء أحدا، ولا أحد سامع كلام أحد لما روعكم عدوكم، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ ورائكم، وحاصل كلام الرسول ودعاؤه لهم هلموا أهل الإسلام رحم الله أمرأً كر، ﴿فَأَثَابَكُمْ﴾ مردود على ما أدى مؤدى كسركم، والمراد: كسركم الله وعاملكم على عدم سلوككم مسلك أوامر الرسول ﴿غَمًّا﴾ وهو كسركم أمام العدو ﴿بِغَمٍّ﴾ للرسول لما عصوا أمره، والمراد: حصل لهم الكدر وهو كسرهم لما كدروا الرسول لعدم دوامهم على ما أمرهم، أو المراد: عاملكم كدرا على كدر الكسر لكم وعدم علوكم على عدوكم، وكدر حصول الأموال لكم، ﴿لِكَيْلا﴾ (اللام) مردود إلى معلله وهو ما أدى مؤدى عاملكم ولا مؤكد لا مؤدى له ﴿تَحْزَنُوا﴾ المراد: كسركم وعاملكم لحصول عدم السرور لكم على كسركم وما مسكم وعدم حصولكم على الأموال ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ هو الأموال، ﴿وَلا﴾ مؤكد ﴿مَا أَصَابَكُمْ﴾ ألم حد حسام أو ألم سهم، ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عالم عمل كل أحد ومعامله.

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ

إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آية: ١٥٤]:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ [(١)] معمول على اصطلاح العامل المكرر ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ ووهى حالهم لما حلهم، وصار واحدهم معطل الحواس لا طوع له إلى مسك حسامه، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ ما لهم هم سوى صلاح حالهم وما همهم أمر الرسول ولا سواه، وهؤلاء هم أهل الإسلام كلاما لا صدر ﴿يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ وما وهموه هو هلاك الرسول أو عدم علوه على أعداء الله وأعدائه.

﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾ ما ﴿لَنَا مِنَ الأَمْرِ﴾ العلو على الأعداء ﴿مِنْ﴾ مؤكد ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ﴾ مؤكد للأمر ومحله كمحله أو هو أول كلام محموله ﴿لِلَّهِ﴾ له المراد ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ﴾ حكى ما أسروه ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كما وعد رسول الله ووعده كلامه الأمر كله لله، والعلو حاصل للإسلام على أعدائهم أو لو أمر العراك لهم ما طلعوا، وحالهم كحال المكره ﴿مَا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ ما حصل الكسر لأهل الإسلام.

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم وأهلكوا وما عصمهم الحلول وسط الدور عما أراده، ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ رده (الواو) على مطروح، وحاصله صدر ما صدر وحصل ما حصل لسطوع أمر ما حل صدوركم وهو الدوام على حال الإسلام أو عدمه إلى كل أحد، ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ مما هو وسواس، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عالم ما سر أمره كالساطع على حد سواء ما عدا أراد سطوع أحوالكم لإطلاع العالم على أسراركم وما حوى صدر كل أحد وإلا هو عالم الكل على السواء.

---

(١) الباء في ﴿بِغَمٍّ﴾ على هذا بمعنى على. وقيل هي على بابها والمعنى أنهم غموا النبى صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم إياه فأثابهم بذلك غمهم بمن أصيب منهم ". ويجوز أن يكون الكلام لمجرد التكثير أى جازاكم بغموم وأحزان كثيرة متصل بعضها ببعض بأن منع عنكم نصره وحرمكم الغنيمة وأصابتكم الجراح الكثيرة وأشيع بينكم أن نبيكم قد قتل.. وكل ذلك بسبب أنكم خالفتم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم وتغلب حب الدنيا وشهواتها على قلوب بعضكم فلم تخلصوا لله الجهاد فأصابكم ما أصابكم. انظر التفسير الوسيط (١/٧٧١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:١٥٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أهل الإسلام وعكسهم لدى أحد ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ المراد: وسوس لهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ وصار أمرهم إلى ما حرر ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ لما عصوا أمر الرسول وحرصوا على حصول الأموال.

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لأهل الإسلام ما صدر وعاد عامله إلى الله أو لكل عمل ساء عامله ﴿حَلِيمٌ﴾ ما هو مسرع لأمر حلول الآلام على كل عاص.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آية:١٥٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: كالأولى أسلموا كلاما ومكروا صدرا وأصروا على عكسه، ﴿وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ﴾ لوموا على حالهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ رحلوا إلى محل لأمل المال أو المعاد والمال، ﴿فِي الأَرْضِ﴾ وحصل لهم الحمام لحلول العمر ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾ عدد واحده ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ والمراد: ردع أهل الإسلام عما هو ككلام هؤلاء اللؤماء، وهو عدم حصول الحمام لواحد دام وسط داره وما حال ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ﴾ لك الكلام ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ واللام لام المال معللا لما رده الواو على مكمل الاسم الموصول أو على أصله لو معللا للا وما أمها أول الكلام.

﴿وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ رد لما ادعوه، والمراد: أمر الحمام وعكسه له لا دوام كل أحد محله راد له ولا طلوعه مورد له على موارده، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه ﴿بَصِيرٌ﴾ مطلع عالم وهو معامل كل أحد على عمله وكلامه.

﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [آية:١٥٧]:

﴿وَلَئِنْ﴾ (اللام) لام مؤل ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ مسموكه ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع

السامع، وراوٍ على سواه، ومورد اللام مع اللام رد على اللام الأولى، وحاصل الأولى مع موردها مسموك المحل أول كلام محموله ما أمه مما، والمراد: لا أمر العراك ولا رواح أحدكم إلى دار سوى داره للحمام، ولا محصل له كما ادعى أعداء الله، ولو سلم ما أدعوه محو الله لسوء أعمالكم أصلح وأولى مما هم رأوه صلاحا وهو حصول الأموال.

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿وَلَئِنْ﴾ لام مؤل ﴿مُتُّمْ﴾ رواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ مسموكه كما مر، ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ﴾ لا إلى سواه ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آية:١٥٩]:

﴿فَبِمَا﴾ ما مؤكد ﴿رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ﴾ الكلام لمحمد رسوله ﴿لَهُمْ﴾ لما عصوا أمرك لهم إلى الإسلام أو المراد الأعم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ ما آوى أحد إلى حولك وحماك، ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما أساؤك، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ما عصوا أمر الله، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر المراس أو كل أمر صلح لها وهو أعم.

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أعطى كل أحد حولك ما رآه للأمر وعول على الأصلح، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ للحصول على ما هو الأصلح لعدم علم سواه الصالح والأصلح؛ ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ هاد لهم إلى أصلح المسالك.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية:١٦٠]:

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ﴾ على عدوكم ﴿فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ كما حصل لكم أولا، ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ﴾ كما حصل لكم لدى أحد ﴿فَمَنْ ذَا﴾ كلاهما مسموك المحل على أول الكلام ومحموله ﴿الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ لا أحد، ﴿وَعَلَى اللهِ﴾ لا سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ولما ما رأى واحد ما حصلوه وردد كلامه أحدهم لما حاصله لعل الرسول سله أوحى الله ردا على كلامهم.

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آية:١٦١]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ هو سل الرسول لأحد ما حصله أهل المعارك مع عدم علمهم، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملا له كما ورد، ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ كل أحد معامل على عمله، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ لا حطًّا مما عملوا أو لا حطًّا على عملهم.

﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آية:١٦٢، ١٦٣]

﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ﴾(١) أطاعه ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ عاد ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ﴾ وعصاه، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد لا على الحال الأولى.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ المراد: هم أولو، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ومصر معامل كل أحد على عمله.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آية:١٦٤]:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا﴾ هو محمد ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أصله وأصلهم واحد، وكلامه وكلامهم واحد، ما عسر على إدراكهم كلامه ولا ما حكاه لهم، ورواه راوٍ كأحمدهم، والمراد: أعلاهم أصلا ومولدا.

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ مطهرهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل ما أورده الرسول وعلمه أهل الإسلام سوى كلام الله الموحى له، ﴿وَإِنْ﴾ أصله المؤكد العامل عمل لعل، واسمها الهاء المطروح ﴿كَانُوا مِنْ

---

(١) في معنى هذه الآية على قولين أحدهما أن معناها أفمن اتبع رضوان الله فلم يغل كمن باء بسخط من الله حين غل هذا قول سعيد بن جبير والضحاك والجمهور والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المسلمين باتباعه يوم أحد اتبعه المؤمنون وتخلف جماعة من المنافقين فأخبر الله بحال من تبعه ومن تخلف عنه هذا قول الزجاج. انظر زاد المسير (٤٩٣/١)

قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع أمره لكل أحد.

﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية:١٦٥]:

﴿أَوَلَمَّا﴾ ما أمه (الواو) وهو (أ) للسؤال، والواو للرد رد كلاما على كلام مار ولما اسم له محل ومرد كأمدا ﴿أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ لدى أحد لهلاك عدد معلوم وردوا موارد الحمام ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ أولا لدى العراك الأول لما أهلك أهل الإسلام عدد أول العدد وأسروا العدد المسطور ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ حصول الكسر لعسكرهم وعلو أعداء الله على أهل الإسلام ورسول الله معهم مع وعد الله لهم العلو على الأعداء وسؤالهم لا لمرام الإدراك سألوا السؤال المحرر لما حصل ما هو كالمحال، وهو علو أعداء الله على أهل الإسلام مع العلل المسطر سردها.

﴿قُلْ﴾ لأهل أحد ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ مما حصله عدم سماعكم أمر الرسول لما أحلكم أمام أحد وأمر لكم وأمركم دواما محلكم وأحل سواكم محلا وأمرهم دواما محلهم، وما صار سلوككم كما أمركم حصل لكم ما حصل، وعلا أمر العدو على أمركم، ووعد الله لكم مؤسس على سماعكم لأمر رسوله الأكرم؛ ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما صح علمه، أو هو ما سوى المحال، أو هو ما سوى المعدوم، ﴿قَدِيرٌ﴾ ومما هو موكول لأمره وحكم علوكم على أعدائكم وعكسه.

﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آية:١٦٦، ١٦٧]:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1] أهل الإسلام وعكسهم لدى أحد،

---

(١) هو يوم أحد. والجمعان، جمع النبي صلى الله عليه وسلّم وكفار قريش، والخطاب للمؤمنين. وما موصولة مبتدأ، والخبر قوله: فبإذن الله، وهو على إضمار أي: فهو بإذن الله. ودخول الفاء هنا. قال الحوفي: لما في الكلام من معنى الشرط لطلبته للفعل. وقال ابن عطية: ودخلت الفاء رابطة مسددة. وذلك للإبهام الذي في ما فأشبه الكلام الشرط، وهذا كما قال سيبويه: الذي قام فله =

﴿فَبِإِذْنِ اللهِ﴾ هو مراد، وسماه كما سماه على اصطلاح المرسل، ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ المراد: علم سطوع لحال أهل الإسلام وسواهم وإلا هو عالم الكل السر وعكسه على حد سواء، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ (الواو) للرد رد ما أمه على مكمل الاسم الموصول أو الواو واو أول الكلام، ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا﴾ لما ولوا ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءكم وأعداءه، ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾ الأعداء سواد إلا إهلاكا وإعداما.

﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالا لاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ مرادهم حال أهل الإسلام حال الهلكى لا حال المعارك ولو الأمر حال عراك ما ولوا، أو المراد ما لهم علم المعارك ولو لهم علمه ما ولوا، ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ﴾ رد الله ما حكوه وادعوه وأعلمهم مكرهم وسوء صدرهم.

﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد: ولو لهم علم المعارك وأمر المراس ما ساروا معكم ولا عادوا عدوكم لما حواه صدرهم وأسروه، وهو السلوك على مسلك أعدائكم لا مسلككم لما حالهم وحال أعدائكم واحد وهم أهل إسلام كلاما، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ هو إصرارهم على عدم الإسلام سرا.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آية:١٦٨]:

﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ معمول للعلم عامل الاسم الموصول أول الكلام على اصطلاح العامل المكرر، أو معمول للعامل مطروح على عكس المدح ﴿لإِخْوَانِهِمْ﴾ لوموا على حال كل سار إلى مراس أحد، ﴿وَقَعَدُوا﴾ (الواو) وللحال ما ساروا إلى المعارك مع أهل الإسلام ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ وما ساروا مع الإسلام إلى أحد ﴿مَا قُتِلُوا قُلْ﴾ لهم ردا لما ادعوه ﴿فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لما ادعوا ما حاصله عدم

=

درهمان، فيحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء انتهى كلامه. وهو أحسن من كلام الحوفي، لأن الحوفي زعم أن في الكلام معنى الشرط. وقال ابن عطية: فأشبه الكلام الشرط. ودخول الفاء على ما قاله الجمهور وقرروه قلق هنا، وذلك أنهم قرّروا في جواز دخول الفاء على خبر الموصول أنّ الصلة تكون مستقلة، فلا يجيزون الذي قام أمس فله درهم، لأن هذه الفاء إنما دخلت في خبر الموصول لشبهه بالشرط. فكما أن فعل الشرط لا يكون ماضياً من حيث المعنى، فكذلك الصلة. انظر تفسير البحر المحيط (٨٥/٣).

الطلوع إلى المراس والمعارك والدوام وسط الدور لدى الأهل مود إلى طول العمر أمرهم الله درءا للحمام، وردا له مع دوامهم وسط دورهم وعدم مسراهم إلى المعارك، والمراد لو صح ورآهم الحمام مع دوامهم وسط الدور لصح مدعاهم، وأوحى الله مدحا لحال كل وارد موارد الحمام لدى المعارك على العموم أو لاحد أو لسواه، والأول أولى.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١٦٩ - ١٧١]:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لإعلاء أمره ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وسط دار المأوى والسرور السرمد لحلول أرواحهم وسط حواصل الطائر كما ورد ﴿يُرْزَقُونَ﴾ كل أكل مما هو مأكول دار المأوى، ﴿فَرِحِينَ﴾ حال الواو ﴿بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهم ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ وهم أهل الإسلام الأولى ما وردوا موارد الحمام ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ والمراد: أهل الإسلام الأولى إدراكهم الحمام وسط المعارك سرهم أكرام الله لهم وآلاؤه، وهو ما حرر أولا وسرهم حال الإسلام الأولى ما وردوا موارد الحمام وسط المعارك لما كلما ورد أحدهم مورد حمام صار إلى دوام إكرام ما كدره روع عدم أصلا.

﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ما أعده الله لهم على صالح أعمالهم ﴿مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ وهو إكرامه لهم كما هو أهله، ﴿وَأَنَّ﴾ رواه راوٍ مكسور على أول الكلام، وراوٍ على سوى الكسر مردودا، والواو واو الرد ﴿اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أما سواهم أعمالهم مآلها سدى.

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾[1] [آية:١٧٢]:

---

(١) مدح - سبحانه - المؤمنين الصادقين الذين لم تمنعهم جراحهم وآلامهم عن الاستجابة لأمر =

﴿الَّذِينَ﴾ مسموك المحل على أول الكلام أو معمول على المدح لعامل مطروح ﴿اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاءه للمعارك لما أراد أهل اللوم العود إلى رسول الله وأهل الإسلام لاصطلامهم، ووصلوا إلى الروحاء دعا رسول الله أهل الإسلام وساروا مع ألم حد الحسام والسهام ووصلوا إلى حمراء الأسد وروع الله أهل اللؤم، وعادوا ما حصل عراك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أمام أحد ومحمول الاسم الموصول الأول هو ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا﴾ ما عصوا وسارعوا إلى ما دعاهم له الرسول مع المهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو دار السرور السرمد.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا

=

رسولهم - صلى الله عليه وسلم - فقال - تعالى - : ﴿الذين استجابوا لِلهِ والرسول مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القرح لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ واتقوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾.

قال الفخر الرازي ما ملخصه: اعلم أن الله - تعالى - مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما: بغزوة حمراء الأسد، والثانية: بغزوة بدر الصغرى. وكلاهما متصلة بغزوة أحد. أما غزوة حمراء الأسد فهى المرادة من هذه الآية، فإن الأصح في سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه بعد أن انصرفوا من أحد وبلغوا الروحاء، ندموا وقالوا: إنا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم إلا القليل فَلِم تركناهم؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم، فهموا بالرجوع. فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوة. فندب أصحابه إلى الخروج في طلب أبي سفيان وقال: لا اريد أن يخرج الآن معي إلا من كان معي في القتال - في أحد - . فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم مع قوم من أصحابه حتى بلغوا حمراء الأسد. وهي مكان على بعد ثمانية أميال من المدينة. فألقى الله الرعب في قلوب المشركين فانهزموا. وروي أنه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة، ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى. وكان كل ذلك لإثخان الجراح فيهم، وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة.

وقوله ﴿استجابوا ﴾ بمعنى أجابوا. وقيل: استجابوا، أصلها طلبوا الإجابة لأن الأصل في الاستفعال طلب الفعل. والقرح: الجراح الشديدة. والمعنى: أن الله - تعالى - لا يضيع أجر هؤلاء المؤمنين الصادقين، الذين أجابوا داعى الله وأطاعوا رسوله، بأن خرجوا للجهاد في سبيل عقيدتهم بدون وهن أو ضعف أو استكانة مع ما بهم من جراح شديدة، وآلام مبرحة. ثم بين - سبحانه - جزاءهم فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ واتقوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي للذين أحسنوا منهم بأن أدوا جميع المأمورات، واتقوا الله في كل أحوالهم بأن صانوا أنفسهم عن جميع المنهيات، لهؤلاء أجر عظيم لا يعلم كنهه إلا الله - تعالى - .

وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آية:١٧٣، ١٧٤]:

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر مما مر ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ المراد: أحدهم، ولد مسعود أو سواه، وسماه كما سماه لوروده واحد أصلهم ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ وهو أحدهم لا كلهم وهو كالأول ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ العساكر ومرادهم اصطلامكم، ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ روعا ﴿فَزَادَهُمْ﴾ كلامهم وما وعو هموه ﴿إِيمَانًا﴾ المراد والله أعلم: حصل لهم كمال الإسراع والهمم إلى إعلاء حكم الإسلام وهو لو ادعى صدع أحكام المصدر الحكم المسطر مما طال الكلام لدى العلماء على مواده، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ الموكول كل أمر إلى إكرامه هو، ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ عادوا إلى محلهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ﴾ سلموا وحصلوا أموالا ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ لإدراكهم حمام ولا حد حسام، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ﴾ لما أطاعوا دعاء رسوله وما عصوه ﴿وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على كل أحد أطاع وما عصى أوامره.

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آية:١٧٥]:

﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أومأ إلى المكلم لهم ومروعهم، وهو ولد مسعود المار اسمه أو أومأ إلى الكلام وحده لا المكلم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ المراد: حاله كحاله وسوس لكم وروعكم والمؤدي المحرر مملوح على المؤدي الأول، أو المراد هو لو لمح ما أومأ إلى الكلام لا المكلم ﴿يُخَوِّفُ﴾ كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ كل سالك على مسلك سوى الإسلام، ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ الأمر للدور على محور أوامره ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آية:١٧٦]:

﴿وَلا يَحْزُنْكَ﴾ رواه راوٍ كطلع، وراوٍ كأكرم ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ هم أهل الحرم أو الأولى أسلموا كلاما لا صدرا أو رهط عادوا إلى إلحادهم، ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ﴾ المراد: كل موال له وهم أهل الإسلام ﴿شَيْئًا﴾ مكروه أعمالهم ما له لهم ﴿يُرِيدُ اللهُ أَلا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ سهما ﴿فِي الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد،

والمراد: إسراعهم إلى الإلحاد أداهم إلى عدم مراد الله لورودهم إلى دار السرور الدائم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مع ما أحرموه، وهو عدم مراد الله وورودهم على ما أعده الله لأهل الإسلام لهم ما أعده لهم على سوء أعمالهم وإلحادهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾ [آية:١٧٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بالإيمانِ لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] كرره للعموم أهل الحرم أولا أسلم كلاما لا صدرا وأسر الإلحاد أولا أسلم وعاد إلى الإلحاد أولا، والأول لواحد معلوم كما مر.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آية:١٧٨]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ رواه راوٍ إلى السامع وهو الرسول الأكرم، وراوٍ وهو ولد عمرو، وعاصم وسواهما إلى الاسم الموصول وكسر وسطه لسوى ولد عامر وعاصم، كلما ورد وسط الكلام المكرم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ معمول أول على الأول ﴿أَنَّمَا﴾ عامل مؤكد مع ما للمصدر ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ أملى له طول له، والمراد: إمهالهم وطول عمرهم ﴿خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ﴾ محمول العامل المؤكد وهو معمولاه ساد مسد المعمول على الأول أو ساد مسد كلاهما على ما رواه عمرو، وعاصم ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ﴾ طول عمرهم وإمهالهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ لدى المعاد.

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آية:١٧٩]:

﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ﴾ الكلام عام مع أهل العصر كلهم الإسلام وسواهم ﴿عَلَيْهِ﴾ وهو عدم الدال على حال أهل الإسلام صدرا وحال أهل الإسلام

(١) قوله تعالى إنهم لن يضروا الله شيئا فيه قولان: أحدهما لن ينقصوا الله شيئا بكفرهم قاله ابن عباس ومقاتل، والثاني لن يضروا أولياء الله شيئا قاله عطاء قال ابن عباس والحظ النصيب والآخرة الجنة ولهم عذاب عظيم في النار. انظر زاد المسير (١/٥٠٨).

كلاما لا سرا، ﴿حَتَّى يَمِيزَ﴾ رواه راوٍ كمال، وراوٍ كهدَّرَ ﴿الْخَبِيثَ﴾ كل مصر على سوى الإسلام صدرا ومسالم كلاما ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ هم أهل الإسلام وحصول الحكم المسطر، إما لإعلام الله رسوله أحوالهم وأسرارهم، وإما لأمره لهم الأوامر العسر حملها على سوى أهل الإسلام كما حصل لدى أحد، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ لوصول عملكم إلى أسرار هؤلاء وهؤلاء، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لإطلاعه الرسول على الإسلام وعكسهم، ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الإصرار على سوى الإسلام ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آية:١٨٠]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ رواه راوٍ على الكلام للرسول، وراوٍ إلى الاسم الموصول كما وكسر وسطه لسوى ولد عامر وعاصم كلما ورد، ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو إعطاؤهم سهم الأموال المعلوم حده وسط الكلام المكرم، وهو أحد أساس الإسلام ﴿هُوَ﴾ عائد إلى مصدر وصل الاسم الموصول ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مكملا لعمل العامل، والمعمول الأول مصدر مكمل الاسم الموصل مطروحا، ومحله أمام الاسم الموصول، وكله على ما رواه الأول، وهو ورود الكلام إلى الرسول، وعلى وروده إلى الاسم الموصول المعمول الأول هو المصدر المحرر ما عدا محله أمام هو، ﴿بَلْ هُوَ﴾ عدم إعطائهم سهم أموالهم وحرصهم ﴿شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ سهم الأموال المأمور لأعطاه كما حده الله ورسوله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لورود أموالهم المحروص على عدم إعطائهم كما أمر الله ورسوله حلا دائرا حول لهاهم.

﴿وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ لهلاك أهلهما وعود الملك للمالك الأول، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿خَبِيرٌ﴾ عالمه ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آية:١٨١ - ١٨٣]:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾(١) أورد السمع وأراد إعداده لهم ما هم أهله على عدم السلوك على الحدود مع الله ورسوله، وهم الهود ﴿سَنَكْتُبُ﴾ رواه راوٍ لسوى المعلوم المراد أمره الملك الموكل ﴿مَا قَالُوا﴾ وسط ألواح أعمالهم، ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ مردود على الموصول رده الواو ﴿الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ولو دعواهم، ﴿وَنَقُولُ﴾ رواه راوٍ للملكم، وراوٍ لسواه والمؤدى واحد وهو الله وعلى كل المراد أمر الملك ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ المراد: أصل حصوله على الله محال ﴿لِلْعَبِيدِ﴾.

﴿الَّذِينَ﴾ واسم للموصل الأول ومعمول لعامله ﴿قَالُوا﴾ لرسوله محمد ﴿إِنَّ اللهَ

---

(١) قائله: فِنْحَاص بن عَازُوراء، في جماعة منهم، وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر إلى يهود بني قينقاع، يدعوهم إلى الإسلام، وإلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه مِدْرَاسَهُم، فوجد خلقاً كثيراً اجتمعوا إلى فنحاص، وهو من علمائهم - ومعه حبر آخر اسمه: (أيشع)، فقال أبو بكر لفنحاص: اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله، قد جاءكم بالحق من عند الله، فأسلِمْ وصَدِّق، وأقْرِض الله قرضاً حسناً يدخلك الجنة، فقال فنحاص لعنه الله: يا أبا بكر؛ تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا، وما يستقرض إلا الفقير من الغني، ولو كان غنيّاً ما استقرض، فلطمه أبو بكر رضي الله عنه وقال: لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك، فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام: - " ما حملك على ما فعلت؟ " فقال: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولا عظيماً، زعم أن الله فقير، وهم أغنياء، فجَحَد ما قال، فنزلت الآية؛ تكذيباً له. والمعنى: أن الله سمع مقالتهم الشنيعة، وأنه سيعاقبهم عليها، ولذلك قال: ﴿سنكتب ما قالوا﴾ أي: سنسطرها عليهم في صحائف أعمالهم، أو سنحفظها في علمنا ولا نهملها، لأنها كلمة عظيمة، فيها الكفر بالله والاستهزاء بكتاب الله وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك نظمت مع قتلهم الأنبياء، حيث عطفه عليه، وفيه تنبيه على أن قولهم الشنيع ليس هو أول جريمة ارتكبوها، وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد أمثال هذا القول منه. انظر البحر المديد (١/ ٤٠٧).

عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ وسط كلامه الموحى إلى موسى ﴿أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ والعهد المسطور مسلم لهم لسوى الروح الصاعد إلى السماء، ومحمد رسوله الأكرم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كالحصور ووالده والكلام مع الهود عصر الرسول، ولو العامل سواهم وهو والدوهم لعدم ردهم عملهم ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ لو صح ادعاؤكم لحصل إسلامكم أولا على عهد الرسل الأول.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آية:١٨٤]:

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ الكلام مع رسوله محمد ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كل أمر دال على إرسالهم كعصا موسى، ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كل لوح حوى حكما محركا لا إحكامه، ﴿وَالْكِتَابِ﴾ ما الأسرار وما حوى الصدر أو لإعلامه له كما أطلع وأعلم رسولكم الأكرم أسرار أهل حوى أحكاما ومسالك أسسها الله للأمم ورواهما راوٍ معادا عامل الكسر لهما، ﴿الْمُنِيرِ﴾ الساطع أمره، وهو ما أوحاه إلى موسى والروح.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آية: ١٨٥]:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ كل أحد معامل على عمله صالحا أو عكسه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ حصل على مأمله، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أحوالها كلها ﴿إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ المدلس على سائمه لإعطائه له، والمراد: كل حال لها لا دوام له وهو هالك.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آية:١٨٦]:

﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ اللام لام مؤل والمراد والله ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ كإعطاء ما حده الله وكمأكل المحارم ولحصول المهالك إلى الأموال، ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ كداء وأسر ومراس وأم للحرم

الحرام، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هم الهود، ومدعو الأهل للواحد الأحد، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كل ملحد سواهم ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ كالكلام على الرسول، وأهل الإسلام، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ما حرر ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ﴾ المراد كلاهما ﴿مِنْ عَزْمِ الأمُورِ﴾ المأمور أهل الإسلام على السلوك مسالكها.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آية:١٨٧]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عهدهم وسط الكلام الموحى لموسى ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ المراد: الكلام الموحى، ﴿وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ رواهما راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا العهد ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ وما عملوا كما عوهدوا، ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾ هو ما رسمه لهم أهل مللهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آية:١٨٨]:

﴿لا تَحْسَبَنَّ﴾ الكلام مع الرسول، وروى راوٍ له ولأهل الإسلام معه كما روى راوٍ إلى سوى السامع ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ عملوا، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ وهو سلوكهم على ما أمر الله مع عدم سلوكهم على أوامره ﴿فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ﴾ رواه راوٍ كالأول وهو مؤكد للأول ومعمول المؤكد والهما معمولا المؤكد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ المراد: هم ما حصلوا مأملهم وسلموا مما هو معد لهم ﴿مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آية:١٨٩]:

﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾ هما وما حلهما وما حولهما، ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾ [آية:١٩٠ - ١٩٧]:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [(١)] طولا وعكسه، وسوادا وعكسه، وورودا وعكسه ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على كمال علمه ﴿لأولِي الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

﴿الَّذِينَ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو اللام ﴿يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ ودائما على كل الأحوال، والمراد: كل مصل أو كل حامد لله على العموم، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ محولوا حسهم وإدراكهم إلى أمرهما وما حواه كلاهما لوصولهم إلى الدلال على الواحد الأحد، وكلامهم حال حدسهم هو.

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ العالم ﴿بَاطِلا﴾ حال ما هو إلا دال على كمال عملك، ﴿سُبْحَانَكَ﴾ عما وهمه أهل الأوهام ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

---

(١) في سبب نزولها ثلاثة أقوال أحدها أن المشركين قالوا للنبي اجعل لنا الصفا ذهبا إن كنت صادقا فنزلت هذه الآية حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس والثاني انهم لما قالوا انسب لنا ربك وصفه فنزلت ﴿وإلهكم إله واحد﴾ قالوا فأرنا آية ذلك فنزلت ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿يعقلون﴾ رواه أبو صالح عن ابن عباس والثالث أنه لما نزلت ﴿وإلهكم إله واحد﴾ قال كفار قريش كيف يسع الناس إله واحد فنزلت هذه الآية قاله عطاء. انظر زاد المسير(١/١٦٧).

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ﴾ لحلولها أمدا وسطها على الدوام ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أصله محل وما لهم، والمراد: الاسم الموصول المار سرد العلل دوامهم وما أوصلهم إلى الدرك وهو سوء عملهم وإحلالهم محل الإسلام سواه ﴿مِنْ﴾ مؤكد ﴿أَنْصَارٍ﴾ لا راد ولا رادع لما أراده الله وأعده لهم.

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ وهو رسوله الأكرم محمد ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ عامل الكسر مطروح، ومحله أمام محصل المصدر ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ المراد: ما هو كالعهر وما حكمه كحكمهما، ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ ما هو أحط محلا كلمس، أو مرآى محرم، أو سماع محرم، ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ المراد: عم الرسل وأهل الصلاح.

﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ على الإسلام لهم أو على عدم رد ما حكوه لهم أو ما وعدهم محمولا على الرسل، ﴿وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ موعد المعاد.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ عامل الكسر مطروح أمام العامل المؤكد، ورواه راوٍ مكسورا ﴿لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم أصول، وكلكم معامل على عمله، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ محلهم الأول الحرم الحرام حولوه إلى سواه لله ولرسوله، وهو سرد لعمل العمال وما أعد لهم على أعمالهم على مسلك المدح، ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا﴾ أعداء الله، ﴿وَقُتِلُوا﴾ رواه راوٍ كطلع، وراوٍ كسدد، وراوٍ أمام الأول كما هو حكم واو الرد ﴿لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المراد: إما محوها أو حط الكل لها ﴿وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا﴾ مصدر مؤكد لمورد اللام ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ عدل عما هو مسلك الكلام الأول، ﴿وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ على كل عمل صالح ولما اطلع الله على حال أهل الإسلام وكلامهم وحاصله أعداء الله على حال وسع المال وما هو معلوم وأهل الإسلام على حال العدم أوحى لرسوله الأكرم ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ﴾ وحصولهم على الأموال هو ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ لا دوام له ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ما مهدوه لهم.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا

مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آية:١٩٨]:

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً﴾ هو ما أعده كل أحد للوارد على داره مأكلا ومطعما ووطاء وسواه وهو معمول على الحال لعدد دار السرور المار أو مصدر مؤكد وعامله هو داله، ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ﴾ لدوامه ﴿خَيْرٌ لِلأَبْرَارِ﴾ مما لا دوام له.

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۗ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آية:١٩٩]:

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ هو ولد سلام أو رهط للروم أسلموا أو سواهما، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ كالكلام الموحى إلى موسى، والموحى إلى الروح ﴿خَاشِعِينَ﴾ حال عائد الموصول المعمول اسما للعامل المؤكد وعدد الحال لمؤدى الموصول وهو العدد ﴿لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ كما عمل سواهم لطمع الأموال ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ الموعود لهم وهو حصوله مكررا لهم حكم الوعد ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ لعلم العامل والعمل، والمراد: حصول العامل على ما وعده الله حاصل على الإسراع لا الإمهال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1][آية:٢٠٠]:

(١) ختمت السورة بوصاية جامعة للمؤمنين تجدّد عزيمتهم وتبعث الهمم إلى دوام الاستعداد للعدوّ كي لا يثبّطهم ما حصل من الهزيمة، فأمَرَهم بالصبر الذي هو جماع الفضائل وخصال الكمال، ثم بالمصابرة وهي الصبر في وجه الصابر، وهذا أشدّ الصبر ثباتاً في النفس وأقربه إلى التزلزل، ذلك أنّ الصبر في وجه صابرٍ آخر شديد على نفس الصابر لما يلاقيه من مقاومة قِرن له في الصبر قد يساويه أو يفوقه، ثم إنّ هذا المصابر إن لم يثبت على صبره حتّى يملّ قرنه فإنّه لا يجتني من صبره شيئاً، لأنّ نتيجة الصبر تكون لأطول الصابرين صبراً فالمصابرة هي سبب نجاح الحرب وقوله: (ورابطوا) أمر لهم بالمرابطة، وهي مفاعلة من الرّبْط، وهو ربط الخيل للحراسة في غير الجهاد خشية أن يفجأهم العدوّ، أمر الله به المسلمين ليكونوا دائماً على حذر من عدوّهم تنبيهاً لهم على ما يكيد به المشركون من مفاجأتهم على غِرّة بعد وقعة أُحُد كما قدّمناه =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على مر الأوامر، ﴿وَصَابِرُوا﴾ أعداء الله لدى المعارك أو أعدى عدوكم وهو الهوى، ﴿وَرَابِطُوا﴾ للعدو كالدوام محل الحدود وهو كل محل ما وراء إسلام على ما صحح، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ على كل حال ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ لعل ما ملكم وهو حلولكم ووصولكم إلى دار السرور الدائم حاصل، ولعل للحصول وحكمه حكم الوعد وسط الكلام المكرم.

=

آنفاً، وقد وقع ذلك منهم في وقعة الأحزاب فلمّا أمرهم الله بالجهاد أمرهم بأن يكونوا بعد ذلك أيقاظاً من عدوّهم. وفي كتاب الجهاد من (البخاري): بابُ فضل رباط يوم في سبيل الله وقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ إلخ. وكانت المرابطة معروفة في الجاهلية وهي ربط الفرس للحراسة في الثغور أي الجهات التي يستطيع العدوّ الوصول منها إلى الحيّ مثل الشعاب بين الجبال. انظر التحرير والتنوير (٢٠٨/٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة النساء

مدنية، وآيها مائة وخمس وسبعون آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴾ (1)[آية:١]:

---

(١) مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب، ونبه تعالى بقوله: ﴿أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم﴾ على المجازاة. وأخبر أنَّ بعضهم من بعض في أصل التوالد، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل، وتفرَّع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف، ولينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرده بالتوحيد والتقوى، طائعاً له، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه. فنادى تعالى: دعاء عامًّا للناس، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة. ومن كان قادراً على مثل هذا الإيجاد الغريب الصنع وإعدام هذه الأشكال والنفع والضر فهو جدير بأنْ يتقى. ونبه بقوله: من نفس واحدة، على ما هو مركوز في الطباع من ميل بعض الأجناس إلى بعض، وألف له دون غيره، ليتألف بذلك عباده على تقواه. والظاهر في الناس: العموم، لأن الألف واللام فيه تفيده، وللأمر بالتقوى وللعلة، إذ ليسا مخصوصين بل هما عامان. وقيل: المراد بالناس أهل مكة، كان صاحب هذا القول ينظر إلى قوله: ﴿تَسَآءَلُونَ بِها وَالارْحَامَ﴾ لأن العرب هم الذين يتساءلون بذلك. يقول: أنشدك بالله وبالرحم. وقيل: المراد المؤمنون نظراً إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله: "المسلم أخو المسلم" والأغلب أنه إذا كان الخطاب والنداء بيا أيها الناس وكان للكفرة فقط، أو لهم مع غيرهم أعقب بدلائل الوحدانية والربوبية، لأنهم غير عارفين بالله، فنبهوا على الفكر في ذلك لأن يعرفوا نحو: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ وإذا كان الخطاب للمؤمنين أعقب بذكر النعم لمعرفتهم بالربوبية. قيل: وجعل هذا المطلع مطلعاً السورتين: إحداهما: هذه وهي الرابعة من النصف الأول. والثانية: سورة الحج، وهي الرابعة من النصف الثاني. وعلل هنا الأمر بالتقوى بما يدل =

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ الكلام عام مع كل ولد آدم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ المراد: عدم سلوككم على أوامره ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ والدكم آدم، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أمكم حواء، ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ آدم وحواء ﴿رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ أولدهم لهما، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ ورواه عاصم كصاهر كما لو كلم أسالك الله إلا حصل الأمر، ﴿وَالأرْحَامَ﴾ مردود الواو على اسم الله، والمراد وصلها، ورواه راوٍ مكسورا ردا على الهاء العائد لاسم الله، وراوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله مطروح؛ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ مطلعا على أعمالكم كلها ومعاملكم على ما ساء وما صلح، ولما أراد ولد لا والد له ما له وما أعطاه عمه أوحى الله لرسوله ردعا للعم وسواه وأمرا لهم.

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [آية:٢]:

﴿وَآتُوا الْيَتَامَى﴾ الأولى لا والد لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ والمراد: حال إدراكهم الحلم، ﴿وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال كسلهم ما هو أعلى دراهم لكل سائم وحطهم محله ما هو أحط دراهم حرصا وطمعا، ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ المراد: عدم إهلاك أموالهم مع أموالكم معا ﴿إِنَّهُ﴾ أكلها ﴿كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ على عامله.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ [آية:٣]:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا﴾ هو العدل ﴿فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ

=

على معرفة المبدأ، وهناك بما يدل على معرفة المعاد. وبدأ بالمبدأ بأنه الأول، وهو ظاهر الأمر بالتقوى أنها تقوى عامّة فيما يتقى من موجب العقاب، ولذلك فسر باجتناب ما جاء فيه الوعيد. وقيل: يجوز أن يكون أراد بالتقوى خاصة، وهو أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم، فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله. فقيل: اتقوا ربكم الذي وصل بينكم بأن جعلكم صنواناً مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب لبعضكم على بعض ولبعض، فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه. وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة. انظر تفسير البحر المحيط (١٢٣/٣).

مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾ كلها معدول العدد المكرر، والمراد: كما روعكم أو عدم العدل إلى الأولاد الأولى لا والد لهم راعوا أم عدم العدل إلى إهلاككم، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ معمول لعامل مطروح واله الأمر الأول، ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كالإماء ودعوا الأحرار، ﴿ذَلِكَ﴾ مسراكم على ما أمركم ﴿أَدْنَى﴾ إلى ﴿أَلا تَعُولُوا﴾ العول عكس العدل.

﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [آية:٤، ٥]:

﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ المهور ﴿نِحْلَةً﴾ مصدر، وهو الإعطاء مسرورا لا مكرها، ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمهر حملا على المؤدي ﴿نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ كلاهما حال محل المصدر أو حال هاء كلوه، والمراد: كلوه حلالا سهلا محمود المال.

﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ المراد: عدم إعطائه كل أحد ما أولاه الله إلى أهله وولده وعوده كلا على المعطى لهم، وسماهم كما سماهم لعدم كمال إصلاحهم أو المراد: ردع كل أحد له ولاء على ولد لا والد له والردع لعدم إعطائه مال الولد حال عدم وصوله لحد الحلم أو صلاح حاله، ﴿الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر لصلاح أودكم، ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ أحلوها محلا إطعامهم وكسوهم، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ المراد: عدوهم وعدا حلوا كلما راموها مع عدم صلاحهم لإعطائهم أموالهم.

﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ [آية:٦]:

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ لسطوع صلاح حالهم لكم أو عدمه ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ صاروا أهلا له، إما لوصولهم حده عمرا، وإما لحصول الماء، ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾

صلاحا لأموالهم، ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ حال أو معمول له، والمراد: عولا على الأولاد، ﴿وَبِدَارًا﴾ إسراعا إلى هلاكها على الأولاد روع ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ صلاحا لإعطائهم أموالهم، ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ مملوح عمله، ومسعاه لمال الولد.

﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى الأولاد ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ حسما للدعوى والمرء وإلا كلامهم مسموع، ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾ مطلعا على أحوالكم ومعاملكم، وواحى الله ردا لما سلك على مسلكه هل العمى، وهو عدم إعطاء الحرم مما هو مال والد أو عم أو محرم هالك أدركه حمامه وله أموال.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ ﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ المدركهم حمامهم، ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ (الهاء) للمال، وهو على اصطلاح العامل المكرر وهو مكرر كلاما لا حكما ﴿أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا﴾ معمول الحال أو مصدر مؤكد، ﴿مَفْرُوضًا﴾ محكوما على إعطائه لهم.

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى﴾[1] للمرء أو عكسه الهالك، وما حد الله

---

(١) إنّ ذلك يناسب الميراث، ولا يناسب إيتاءَ أموال اليتامى. ولا جرم أنّ من أهمّ شرائع الإسلام شرع الميراث، فقد كان العرب في الجاهلية يجعلون أموالهم بالوصيّة لعظماء القبائل ومن تلحقهم بالانتساب إليهم حسن الأحدوثة، وتجمعهم بهم صلات الحلف أو الاعتزاز والودّ، وكانوا إذا لم يوصوا أو تركوا بعض مالهم بلا وصية يُصرف لأبْناء الميّت الذكور، فإن لم يكن له ذكور فقد حكي أنّهم يصرفونه إلى عصبته من إخوة وأبناء عمّ، ولا تعطى بناته شيئاً، أمّا الزوجات فكنّ موروثات لا وارثات. وكانوا في الجاهلية لا يورثون بالبنوّة إلا إذا كان الأبناء ذكوراً، فلا ميراث للنساء لأنّهم كانوا يقولون إنّما يرث أموالنا من طاعن بالرمح، وضرب بالسيف. فإن لم تكن الأبناءُ الذكورُ وَرِث أقربُ العصبة: الأبُ ثمّ الأخُ ثمّ العمّ وهكذا، وكانوا يورثون بالتبني وهو أن يتّخذ الرجل ابن غيره ابنا له فتنعقد بين المتبنِّي والمتبنَّى جميع أحكام الأبوّة. ويورثون أيضاً بالحلف وهو أن يرغب رجلان في الخلّة بينهما فيتعاقدا على أنّ دمهما واحد ويتوارثا، فلمّا جاء الإسلام لم يقع في مكّة تغيير لأحكام الميراث بين المسلمين لتعذّر =

سهم مال معطى لهم كعم الهالك مع ولده، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ المراد: أعطوهم عطاء ما أولا مما هو محدد أسهما ومعطى لأهله، ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفًا﴾ كلاما حلوا كالدعاء لهم وعدم صدعهم والحكم المحرر مما هو ممحو المؤدي لا الكلام، وروى ولد عم الرسول أحكامه وحكم على إعطائهم.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ [آية:٩]:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ المراد: وصلوا إلى حده ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ لورود حمامهم، ﴿ذُرِّيَّةً﴾ أولادا، ﴿ضِعَافًا﴾ لا مسعى لهم، ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ سوء الحال والعدم، ﴿فَلْيَتَّقُوا اللهَ﴾ المراد: عاملوا أولاد سواكم كأولادكم، ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا﴾ إما لأولاد سواهم كما لو دلوهم على صالح حالهم، وإما للواصل إلى حد موارد الحمام كرده وردعه عما هو إهلاك لكل أمواله وعود أولاده كلا على الورى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [آية:١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ على سوى العدل ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ المراد: ملئها ﴿نَارًا﴾ ما هو موصل ومؤد لها، ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه وهو الحلول وسطها ﴿سَعِيرًا﴾ أحدها حرا.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

=

تنفيذ ما يُخالف أحكام سكّانها، ثمّ لمّا هاجر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبقي معظم أقارب المهاجرين المشركون بمكّة صار التوريث: بالهجرة، فالمهاجر يرث المهاجر، وبالحلف، وبالمعاقدة، وبالأخوّة التي آخاها الرسول عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين والأنصار. انظر التحرير والتنوير (٢٤٨/٤).

لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [آية:١١]:

﴿يُوصِيكُمُ اللهُ﴾ **المراد: أمره** ﴿فِي أَوْلادِكُمْ﴾ **وأمره لكم هو،** ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ﴾ **الأولاد** ﴿نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ **محمول أم محمولا** ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ **الهالك وداله المؤدي،** ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ **روى العامل راوٍ كاملا وما أمه معموله، ورواه راوٍ على سوى الكمال وما أمه محمول اسمه،** ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ﴾ **الهالك،** ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ﴾ **معمول على العامل المكرر وهو اللام** ﴿مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ **وحكم والد الوالد كحكم الوالد كما حكم ولد الوالد كحكم الولد.**

﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ **وحدهما أو معهما سواهما** ﴿فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ **وهم لا سهم لهم أصلا مع الوالد وعاد ما روعوه الأم إلى الوالد وسواه** ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ **حكاها أولا لورود أمرها مهما** ﴿يُوصِي﴾ **رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه** ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ **على الهالك.**

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ **أول كلام محموله** ﴿لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ **المراد: سلوكهم على ما حده لهم لعدم علمهم الصالح لإعطائه الأموال وهو عالم الصالح للأموال وسواه** ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ **مصدر مؤكد، والعامل مطروح، أو مصدر أوصى المار أول الكلام لوروده للأمر كما مر،** ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ **الصالح لإعطاء المال،** ﴿حَكِيمًا﴾ **محلا أوامره محلها.**

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [آية:١٢]:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وحكم ولد الولد كحكم الولد، ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وحكم ولد الولد كحكم الولد.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ محمول على اسم العامل ﴿كَلالَةً﴾[1] حال أو محمول على اسم العامل، وما مر وسم لاسم العامل، والمراد: لا والد له ولا ولد، ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ حكمها حكمه لا والد لها ولا ولد، ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ المراد: لأم كما رواه ولد مسعود مصرحا ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك، ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أولاد الأم ﴿أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ الواحد المار ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ على حد سواء المرء وعكسه ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ رواه راوٍ مكسور الصاد للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال، والمراد: موصله إلى أولاده وسواهم وعدم سلوكه على ما حد الله ورسوله لكل موصى ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد ﴿مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ ما هو الصالح لكم، ﴿حَلِيمٌ﴾ ما، أمره مسارع إلى إهلاك السالك على سوى ما جده.

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آية:١٣، ١٤]:

---

(١) في الكلالة أربعة أقوال: أحدها أنها ما دون الوالد والولد قاله أبو بكر الصديق وقال عمر بن الخطاب أتى عليَّ حين وأنا لا أعرف ما الكلالة فإذا هو من لم يكن له والد ولا ولد وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس الحسن وسعيد بن جبير وعطاء والزهري وقتادة والفراء وذكر الزجاج عن أهل اللغة أن الكلالة من قولهم تكلله النسب أي لم يكن الذي يرثه ابنه ولا أباه قال والكلالة سوى الوالد والولد وإنما هو كالاكليل على الرأس وذكر ابن قتيبة عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب إذا أحاط به والابن والأب طرفان للرجل فاذا مات ولم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب الطرفين كلالة وكأنها اسم للمصيبة في تكلل النسب مأخوذ منه نحو هذا قولهم وجهت الشيء أخذت وجهه وثغرت الرجل كسرت ثغره والثاني أن الكلالة من لا ولد له رواه ابن عباس عن عمر بن الخطاب وهو قول طاوس والثالث أن الكلالة ما عدا الوالد قاله الحكم والرابع أن الكلالة بنو العم الأباعد ذكره ابن فارس عن ابن الأعرابي. انظر زاد المسير (٣١/٢).

﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المار سردها ﴿حُدُودُ اللهِ﴾ ما حدها للعالم للسلوك والعمل على حكمها، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ رواه راوٍ للمكلم، وراوٍ لسواه ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مصور حصولها ﴿فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ رواه ولد عامر للمكلم، وسواه لسواه ﴿نَارًا خَالِدًا﴾ حال مصور حصولها ﴿فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ [آية:١٥]:

﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ العهر ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ﴾ المراد: ملكه، ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلا﴾ أمر ورد أولا لأهل الإسلام ومحا حكمه، ومؤداه أمر الحدود.

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٦]:

﴿وَاللَّذَانِ﴾ روى راوٍ ما أم مده كالمؤكد، وراوٍ على أصله مسدسا، ﴿يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ كلاما وملاما، ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ عملهما ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ والحكم المسطر كالحكم المار محا مؤداه وحكمه أمر الحد، اللهم إلا لو حصر الحكم المحرر على أمر اللواط لا العهر.

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ﴾ كما وعد كرما ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ العامل والمعمول محله الحال لواو الاسم الموصول ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ وهم أصحاء حال عدم وصولهم إلى أول موارد الحمام، أو المراد: عوده إلى الله عما هو إلحاد ما

سوى الإسلام، أما لو عصى وهو مسلم ودام على ما هو وما عاد الله إلى وروده موارد أول الحمام ولدى وروده عاد إلى مولاه عوده، ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ وعد لعدم الرد، ﴿وَكَانَ اللهُ﴾ العامل للدوام والمرور ﴿عَلِيمًا﴾ أطوار الورى وأحوالهم، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا كل أمر محله.

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وورد على موارده ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ هو كل مسلم أصر على ما عصى، أو كل مصر على إلحاده وما عاد إلى مولاه إلى وصول حمامه ولدى عمله مرور العمر وورود الحمام صدر عما صدر، ﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ كما لو عادوا إلى الله لدى مرآهم ما أعده لهم على سوء أعمالهم، ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [آية:١٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ ورد ردا لسلوكهم الأول، وهو لو هلك أحدهم ولد عم أو عم أو سواه صار حكمه حكم الهالك أموالا وأهلا كما لو رام أهل الهالك ردهما لوطائه كرها، ولو رام أعطاها لسواه أعطاها له كرها ومهرها له أو أمسكها وسط داره كرها لحصوله على مالها المحدود لها مما هو للهالك أو لورود حمامها وحصوله على أموالها، ﴿كَرْهًا﴾ رواه راوٍ كرمح، وراوٍ كرعد، ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾[1] أول كلام صدره الواو، والكلام ردع لكل أحد له أهل

(١) أصل العضل: التضييق، يقال: عضلَت الدجاجة ببيضها إذا ضاقت، ثم أُطلق عُرفًا على منع المرأة من التزوج. يقول الحقّ جلّ جلاله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لا يحل لكم أن تمنعوا النساء من النكاح لترثوا ما لهن ﴿كرهًا﴾. قال ابن عباس: كانوا في الجاهلية إذا مات الرجل، وله امرأة كان قريبه من عصبته أحق بها من نفسها ومن غيره، فإن شاء تزوجها من غير صداق، إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها ولم يُعطها شيئًا، وإن شاء عَضَلَها وضيّق عليها لتفتدي منه بما ورثت من الميت، أو تموت فيرثُها، وإن ذهبت إلى أهلها قبل أن يُلقِيَ وليُّ زوجها ثوبَه عليها فهي أحق بنفسها. فكانوا على ذلك في أول الإسلام، حتى توفي أبو قَيس بن الأسْلتَ الأنصاري، وترك امرأته " كبشة بنت معن الأنصارية "، فقام ابنٌ له من غيرها فطرح ثوبه عليها، ثم تركها ولم يقربها، ولم ينفق عليها، يضارّها لتفتدي منه، فأتت إلى
=

عما حرر، والكلام الأول كمل لدى كرها ﴿إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ﴾ كعهر أو سوء وداد ﴿مُبَيِّنَةٍ﴾ رواه راوٍ مكسور الوسط، وراوٍ على سوى الكسر، ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ كلاما ومأوى ومطعما ومكسى، ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ سلكوا مسالك الحلم ودعو مسلك الإرسال لأمر وهو ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ هو الأصلح لكم مآلا، ﴿وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله حملها لولد صالح.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [آية:٢٠، ٢١]:

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ كما لو أراد إرسالا لسلمى وإمهارا وإمساكا لأسماء وإحلالها محل الأولى، ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ مالا ما وهو عام المهر وسواه، ﴿فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ على سوى مسلك العدل مما لا أصل له ولا أساس سوى الهوى وهو حال الواو، ﴿وَإِثْمًا﴾ رد الواو حالا على حال ﴿مُبِينًا﴾ أمره ساطع لامع.

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ وطئا أحد محله المهر المسمى، ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا﴾ مؤكدا، وهو ما حده الله لكم إما إمساك كل أحد أهله على أصلح الأحوال كلاما، ومأكلا، ومأوى، ومكسى، وإما إرساله لها.

=

النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إن أبا قيس تُوفي ووَرِثَ نكاحي ابنُه، وقد أضرَّ بي وطوّل عليّ، فلا هو ينفق عليّ ولا يدخل بي، ولا يخلي سبيلي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: " اقعدي في بيتك حتى يأتي فيك أمرُ الله " قالت: فانصرفتُ وسمعت بذلك النساءُ في المدينة فأتين النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد الفضيخ، فقلن: يا رسول الله: ما نحن إلا كهيئة كبشة، غير أنه لا ينكحنا الأبناء، ونكَحَنا أبناء العَم، فنزلت الآية. فمعنى الآية على هذا: لا يحل لكم أن تجعلوا النساء يُورثن عن الرجال كما يُورث المال. وقيل: الخطاب للأزواج الذين يمسكون المرأة في العصمة ليرثوا مالها، من غير غبطة بها، وإنما يمسكها انتظارًا لموتها، وقيل: الخطاب للأولياء الذين يمنعون ولياتهم من التزوج ليرثوهن دون الزوج. انظر البحر المديد (٣٣/٢).

﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [آية:٢٢]:

﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ إلا طرد ما عما هو عام مؤدى لا كمًّا، والمراد: كل عامل وسالك على مسلك ما حرر ملوم إلا عاملا عمله عصر عدم ورود الردع ﴿إِنَّهُ﴾ الأمر المسطور ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ محرما أحله الله للأمم أصلا، ﴿وَمَقْتًا﴾ مكروها، ﴿وَسَاءَ سَبِيلا﴾ مسلكا الأمر المحرر.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَـٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۖ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ على العموم، ﴿وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ﴾ المراد: حرم رد الكل إلى العصم، والوطاء صاعدا إلى العلو ومحدرا إلى عكسه، ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وسط مدده وسماها إما لورود حكمها كحكمها، ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ وحكم سوى الأم وسواها كحكمهما إلا ما علم محله، ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ﴾ ولد أهل الواحد لسواه ﴿اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ الحد لما الأمر على سلوكه لا مؤدى له ﴿مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ وحصل الوطء أو ما حكمه كحكمه، ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ وطئا ولا حصل ما حكمه كحكمه ﴿فَلا جُنَاحَ﴾ لا ملام ولا حرام ﴿عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمْ

الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ﴾ وحلائل سواهم حل لكم وولد الولد كالولد كمًّا وحكم ولده الماص حلم أهله كحكمه كما حكاه الرسول، ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأخْتَيْنِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ المراد عامله ملام إلا عملا عصرا لا أمر أمر معه ولا رسول ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما مر عهده حال عدم ورود الردع لكم، ﴿رَحِيمًا﴾ لا عسر مع أمره وردعه لعلمه أحوالكم أكمل علم.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ ورواه راو مكسور الصاد ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ ردها إلى عصمكم محرم على العموم حرائر أولا ﴿إلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ حال عدم حصولهما معا، ﴿كِتَابَ اللهِ﴾ مصدر، وعامله هو داله ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ مكسور الحاء ﴿لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ سوى ما حرم ومر سرده، ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ﴾ كالمهر للحرائر وإعطاء الأموال على ملك سوى الحرائر، ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ المراد: العهر، ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ وطئا أو ما حكمه كحكمه ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المهور على الوطء أو ما حكمه كحكمه ﴿فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ﴾ لا حرام ولا ملام ﴿عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ كما لو حطا مما سماه كلاهما أو عكسه، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ كل صالح، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا كل الأحكام محلها.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٢٥]:

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلا﴾ مالا واسعا ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ كما هو الأولى ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ المراد: الإماء ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ إسلامكم، وإسلام الإماء هل هو سرا وصدرا أو لا المراد: سلموا لإسلام الإماء، ودعوا الأمور على مسراها ومسلكها هو عالم سرائر الإماء والحرائر، ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كلكم سواء إسلاما، ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾

هم كل أحد له الولاء على الإماء، ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المراد: المهور ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ لا مطل ولا حط مما سماه كلاهما ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ حال ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ أهل عهر على عكس السر، ﴿وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ أهل عهر سرا.

﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ مكسور الصاد، ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ عهر ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ وهو الحد وحكم المملوك كحكم الإماء وكله لما سوى الوصول لحد الحمام، ﴿ذَلِكَ﴾ الوصول إلى الإماء لدى عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ العهر أو الحد، والمراد: الحكم المسطور والسلوك على مسلكه لكل أمر روعه وروده موارد العهر أو الحد.

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لما ورد وحكاه الرسول الأكرم الحرائر صلاح الدار والإماء هلاكه، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [آية: ٢٦ - ٢٨]:

﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ الحلال والحرام، ومصالح أمركم، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ مسالك ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الرسل والأمم وما حرم على كل وما حلل لسلوككم على مسالكهم، ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾(١) محواً لسوء أعمالكم، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره مؤكدا وأساسا لما أمه وهو ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ الهود، أو كل عاهر، أو أهل الإلحاد ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيمًا﴾

---

(١) قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ صريح في أنه تعالى هو الذي يفعل التوبة فينا. والعقل أيضا مؤكد له، لأن التوبة عبارة عن الندم في الماضي، والعزم على عدم العود في المستقبل، والندم والعزم من باب الارادات، والارادة لا يمكن إرادتها، وإلا لزم التسلسل، فاذن الارادة يمتنع أن تكون فعل الانسان، فعلمنا أن هذا الندم وهذا العزم لا يحصلان إلا بتخليق الله تعالى، فصار هذا البرهان العقلي دالا على صحة ما أشعر به ظاهر القرآن وهو أنه تعالى هو الذي يتوب علينا فأما قوله: لو تاب علينا لحصلت هذه التوبة، فنقول: قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ خطاب مع الأمة، وقد تاب عليهم في نكاح الأمهات والبنات وسائر المنهيات المذكورة في هذه الآيات، وحصلت هذه التوبة لهم فزال الإشكال والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١١/١٠).

عدولكم عدولا كاملا عما حلل لكم إلى ما حرم.

﴿يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ كل عسر كإحلاله الإماء لأهل الطول وسواهم، ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ حمله مر الأوامر وردعه الهوى أمر عسر على كل أحد إلا الأولى عصمهم الله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام ككل محرم على العموم ﴿إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ رواه راوٍ على وروده محمولا والاسم هو الأموال مطروحا، وراوٍ مسموكا على كمال عامله ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ المراد: صادر أمرها عما حرر لا على مسلك الإكراه، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المراد: عدم ورودهم موارد الردى والهلاك حالا ومآلا لمال أو لهوى ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ رادعا عما هو هلاك لكم أو لما ما عاملكم كما عامل الهود وأمرهم إهلاكا لأرواحهم لما راموا العود إلى الله، وسأله موسى.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [آية:٣٠، ٣١]:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ كل ردع مر حكمه ﴿عُدْوَانًا﴾ عولا على سواه، ﴿وَظُلْمًا﴾ له أو كلاهما عائد إلى العامل لا لسواه، ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ أصلاه وصلاه أحله ﴿نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ المراد: كل عمل هدد الله عالمه وأوعده أو حكى له حد ﴿نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كل محرم لا هدد الله عامله ولا حكى له حدا، ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا﴾ رواه راوٍ كمرسل، وراوٍ كمطمع للمصدر أو المحل كما هو معلوم ﴿كَرِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم وما أعده الله لأهل السلوك على مسلك أوامره.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [آية:٣٢]:

﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مالا أو كمالا لمآل أمره إلى الحسد، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ لكل ساع ما سعى، وروموا الكمال أو المال عملا لا حسدا، ﴿وَاسْأَلُوا﴾ ورواه راوٍ: وسلوا، ﴿اللهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وهو معط لكم كما أعطاهم، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومما علمه محل العطاء وأهله وسوا لكم.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَالِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [آية:٣٣]:

﴿وَلِكُلٍّ﴾ المراد: ولكل مال هالك مالكه ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ معطى لهم ماله وما ملك، ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾ أموالا لهم، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ وهو السدس، وهل الحكم المسطور ممحو المؤدى محاه وأولوا الأرحام أو حكمه ممدود والمراد: المعاهد، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلعا على أحوالكم كلها ولما لطم سعد أهله وحكى والدها للرسول أوحى الله لرسوله.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [آية:٣٤]:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾[1] سلطهم الله ﴿عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ علما وحلما وولاء وإدراكا، ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ لمأكل ومأوى ومكسى ومهر، ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ﴾ أمر الله، وأمر الأولى أدوا المهور، ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ الموطئ

---

(١) سبب نزولها أن رجلا لطم زوجته لطمة فاستعدت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وذكر المفسرون أنه سعد بن الربيع الأنصاري قال ابن عباس قوامون أي مسلطون على تأديب النساء في الحق وروى هشام ابن محمد عن أبيه في قوله الرجال قوامون على النساء قال إذا كانوا رجالا. انظر زاد المسير (٢/٧٣).

عما هو عهر ﴿بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ (ما) للمصدر وكلاء الله لما وصى كل أمره إصلاحا لحال الحائل، ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ لدال دلكم على حصوله ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ كلاما أول الأمر، ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ لو ما حصل الردع والمراد إما عدم الوطء، وإما على أصله، ﴿وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (وَ) لو دام الإصرار (اضْرِبُوهُنَّ) لا كسرا، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ على المراد والسلوك على أوامركم كما حد الله ورسوله، ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا﴾ المراد: عدم روم مسلك إلى سوء وداد الأهل لو حصل السلوك كما أمر الله، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ معد ومعامل كل عائل وسالك على سوى مسلك العدل ما هو أهله.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [آية:٣٥]:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ المرء وأهله، والمراد: عدم الوداد وسوء الحال، ﴿فَابْعَثُوا﴾ الأمر إما لكل حاكم أو لكل امرء ﴿حَكَمًا﴾ محكما عدلا ﴿مِنْ أَهْلِهِ﴾ موكلا له المرء أمره كما أراد أصلح، ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ موكلا له أمرها كما أراد أصلح، ﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ حكم أهله وحكم أهلها ﴿إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللهُ﴾ مسهل الإصلاح ﴿بَيْنَهُمَا﴾ المرء وأهله، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ السرائر وعكسها على حد سواء ومما هو مسر علمه محصل الصلاح لحالهما.

﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه، ﴿وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ كسواع وسواه سرا وعكسه، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر هو دال عامله، ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ على العموم أولاد رحم أو أولاد ماء، ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى﴾ حائطا أو دارا كما لو داره إلى دارك أو حائطه إلى حائطك، أو المراد: رحما معها أو إسلاما معهما، ﴿وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ هو عكس الأول إما لا حائطا ولا دار أو لا رحما أو لا إسلاما، ﴿وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنْبِ﴾ علما أو كارا أو مرحلا لا حلا، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى حدود محله ولا مال معه أو كل وارد إلى دارك، ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كل مملوك لكم، ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالا فَخُورًا﴾ على الورى لا له وداد إلى أرحامه ولا إلى سواهم.

﴿الَّذِينَ﴾ أول كلام مطروح المحمول أو محمول لمطروح هو هو، ﴿يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ علما أو مالا والمحمول أولى لكل ملام، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [آية:٣٨، ٣٩]:

﴿وَالَّذِينَ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ لا روما للسلوك على أوامر الله، ﴿وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ عاملا على ما وسوس له كهؤلاء، ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾ هو.

﴿وَمَاذَا﴾ كلاهما معا اسم واحد أول كلام ومحموله ﴿عَلَيْهِمْ لَوْ﴾ للمصدر ﴿آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٤٠]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ﴾[١] أحدا ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ما صعد وسط لهواء أو سواة ﴿وَإِنْ تَكُ﴾ روى راوٍ العامل كاملا، وراوٍ على سوى الكمال والمحمول ﴿حَسَنَةً﴾ وعاملها أهل

---

(١) استئناف بعد أن وصف حالهم، وأقام الحجّة عليهم، وأراهم تفريطهم مع سهولة أخذهم بالحيطة لأنفسهم لو شاءوا، بيّن أنّ الله منزّه عن الظلم القليل، بله الظلم الشديد، فالكلام تعريض بوعيد محذوف هو من جنس العقاب، وأنّه في حقّهم عدل، لأنّهم استحقّوه بكفرهم، وقد دلّت على ذلك المقدّر أيضاً مقابلته بقوله: ﴿وإن تك حسنة ﴾ ولمّا كان المنفي الظلم، على أنّ ﴿مثقال ذرّة﴾ تقدير لأقلّ ظلم، فدلّ على أنّ المراد أنّ الله لا يؤاخذ المسيء بأكثر من جزاء سيّئته. انظر التحرير والتنوير (٥٥/٥).

الإسلام ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ ورواه راوٍ ككلم، ولا حد على الله هو أعلم إلى كم، ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو أعلم ما هو.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [آية:٤١، ٤٢]:

﴿فَكَيْفَ﴾ حال أهل الإلحاد ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ على أعمالهم وسوء مسالكهم وهو رسولهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد الأكرم الأطهر ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ الرسل لعلمك مسالك الكل، أو المراد على هؤلاء أهل الإسلام ﴿شَهِيدًا﴾ معدلا لهم أول على أصلها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ للمصدر ﴿تُسَوَّى﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه مع طرح ما كأوله وأحكامه ﴿بِهِمُ الأَرْضُ﴾ المراد: ودوا دوامهم وسطها وعدم رد الروح لهم أو ودوا حالهم كحالها أو ودوا عدم ورودهم على سطحها أصلا، ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه حال أداء الرسل ما سئلوا على أممهم وحال سواه مسروه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [آية:٤٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ﴾ المراد محلها أو أداؤها حال السكر، ﴿وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ حال السكر ورواه راوٍ محرك الأول كما حرك ما أمه، وراوٍ سكرى كهلكى، ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ كما لو مر وسطه لعدم مسلك له سواه ولو له مسلك حرم أو لا لكل ملمح، أو المراد أداؤها، وهو على سوى طهر حال عدم الماء ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ لداء مولكم معه الماء، ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ المحل المعد له، ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ ورواه راوٍ مع عدم المد، وعلى كل هو الوطء أو المراد: المس على أصله، ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ أموا

﴿صَعِيدًا﴾ كل ما على السطح ولو أملس صلدا، ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرا، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ مسهلا لكم أوامره وراحمكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَـٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [آية:٤٤، ٤٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم علماء الهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ سلكوا مسالكها، ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ مسلك الهدى، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ وحكى لكم سرائرهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَلِيًّا﴾ كالئا لكم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ نَصِيرًا﴾ لكم على الأعداء.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَـٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [آية: ٤٦]:

﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [(١)]عامل الاسم الموصول مع ما معه محمول لمطروح وهو رهط أو علماء ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الموحى إلى موسى، ورواه راوٍ الكلم مكسور الأول كعلم ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ﴾ للرسول محمد حال أمره لهم ﴿سَمِعْنَا﴾ كلامك، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك، ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ دعاء على الرسول الأكرم ومرادهم: لا سمع وعدم السمع، إما لحمام أو صمم وكلاهما دعاء، ﴿وَرَاعِنَا﴾ كلام مكروه على اصطلاحهم وأوهموا السامع ما مورده راعى ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أمالوا الكلام عما هو مدح إلى المكروه على اصطلاحهم، ﴿وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ هو الإسلام، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ﴾ الكلام المحرر للرسول ﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾ مما حكوه،

---

(١) ظاهره الانقطاع في الإعراب عن ما قبله، فيكون على حذف موصوف هو مبتدأ، ومن الذين خبره، والتقدير: من الذين خبره، والتقدير: من الذين هادوا قوم يحرّفون الكلم، وهذا مذهب سيبويه، وأبي عليّ، وحذف الموصوف بعد من جائز وإن كانت الصفة فعلا كقولهم: منا ظعن، ومنا أقام أي: منا نفر ظعن، ومنا نفر أقام.. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٢١٣).

﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل، ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ﴾ طردهم ﴿اللهُ﴾ عما هو هدى ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلاً﴾ كولد سلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [آية:٤٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ هو كلام الله الموحى إلى محمد رسوله ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ كلام الله الموحى إلى موسى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ الطمس: محو إعلام الصور وردها إلى حال كاللوح أو المراد: عمى المرآى وعمه الصدر وصمم الأسماع عما هو سلوك مسالك الهدى، ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ لحصول حالها كحالها لوحا واحدا أو لعدم ورودهم على موارد الهدى، ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ المراد: طردهم عما هو صور ولد آدم وردهم إلى صور سواها، أو المراد: الطرد على أصله عما هو هدى ﴿كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ﴾ حكمه ومراده ﴿مَفْعُولا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [آية:٤٨]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ محو سوء أعماله وإحلاله دار السرور السرمد كرما، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ هم الهود لما ادعوا أولاد الله وأهل ولائه، ﴿بَلِ اللهُ يُزَكِّي﴾ هو مطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ﴾ لحط ما عملوا صالحا أو على ما ساء ﴿فَتِيلا﴾.

﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ لدعواهم هم أولاد الله وأهل ولائه، ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ ما ادعوه ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا (٥١) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)﴾ [آية:٥١ - ٥٥]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ هم علماء الهود لما وردوا إلى الحرام وحركوا همم أهل الإلحاد على الرسول وأهل الإسلام ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ هما كود وسواع، ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ﴾ أومأ إلى الاسم الموصول والمراد هم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا﴾ أعدل مسلكا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ﴾ طردهم ﴿اللهُ﴾ عما هو هدى، ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ﴾ (هُ) ﴿اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ رادا ورادعا لما أعده الله له، ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ﴾ المراد: ما لهم ولو سلم، ﴿فَإِذًا لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ لحرصهم وعدم سماحهم، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ رسوله الأكرم محمدا ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ كالإرسال والكلام المكرم والعلو على الأعداء، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ كموسى، وداود، وولده ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ المراد: ما عم الإرسال، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ واحدهم أصوله واحدهم أولاد عمومه وحكمه كحكمهم.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ (الهاء) لمحمد، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ ما أسلم له، ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ لكل صاد ومول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)﴾ [آية:٥٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ وعدم إحساسها ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أصلها الأولى لعود الإحساس لها ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أحده وأمر ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ ما أراده حاصل، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا آلاءه على أهلها وآلامه على أهلها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً ﴿٥٧﴾ [آية:٥٧]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مرادا ومصورا حلولهم ودوامهم ﴿فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ لا دماء لها، ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾(١) لا محوله له أمد الدوام ودوام الأمد.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [آية:٥٨]:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ الأمر إلى العموم على العموم، ولو الأصل والأساس لواحد معلوم، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا﴾ ما اسم معمول موصول للعامل أو اسم حال أمرا محمودا، والمراد مدحه مطروح وهو أداؤها أهلها والحكم عادلا ﴿يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ لكلامكم وأحكامكم وهل كلاهما على مسلك العدل أو لا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [آية:٥٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ المراد: العلماء لما حكى الله، ولوروده إلى الرسول وإلى أولي الأمر أمراء الإسلام على العموم ما داموا على العدل كما أمرهم، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى﴾ كلام ﴿اللهِ وَالرَّسُولِ﴾

---

(١) قوله: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا﴾ قال الواحدي: الظليل ليس ينبئ عن الفعل حتى يقال: إنه بمعنى فاعل أو مفعول، بل هو مبالغة في نعت الظل، مثل قولهم: ليل أليل. واعلم أن بلاد العرب كانت في غاية الحرارة، فكان الظل عندهم أعظم أسباب الراحة، ولهذا المعنى جعلوه كناية عن الراحة. قال عليه الصلاة السلام: "السلطان ظل الله في الأرض" فاذا كان الظل عبارة عن الراحة كان الظليل كناية عن المبالغة العظيمة في الراحة، هذا ما يميل اليه خاطري، وبهذا الطريق يندفع سؤال من يقول: إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي بحرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل. وأيضاً نرى في الدنيا أن المواضع التي يدوم الظل فيها ولا يصل نور الشمس اليها يكون هواؤها عفنا فاسدا مؤذيا فما معنى وصف هواء الجنة بذلك لأن على هذا الوجه الذي لخصناه تندفع هذه الشبهات. انظر تفسير الرازي (١٠/١٠٧)

ما طال عمره ودام معمرا ولدى مرور العمر إلى ما أورده، ورواه كل راوٍ مصححا كمسلم ومالك وسواهما، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ﴾ الرد المحرر ﴿خَيْرٌ﴾ لكم، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ مآلا وداعى أحد الهود أحد أهل الإسلام كلاما لا صدرا وأراد هو الحكم لدى رأس مكرهم وأساس لؤمهم وما طاوعه أحد الهود حكى، ودعاه إلى الرسول وحكم الرسول الأكرم له لا للمسلم كلاما وهرولا إلى عمر، ولما وردا على عمر حكى أحد الهود، وحكم الرسول له، وسأل عمر المسلم كلاما هل حصل كما أدعى رد له سؤله حصل كما حكى، ولما رأى عمر رد المسلم كلاما لحكم الرسول أمرهما دوما محلكما لا حكم لكما وأسرع سل حسامه وورد على الراد لحكم الرسول وأهوى حسامه إلى رأسه أهلكه وكلمه ما حاصله ها هو الحكم لراد حكم الرسول، ولما حصل ما حرر وسطر أوحى الله لرسوله الأكرم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [آية:٦٠ - ٦٣]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ هو رأس أهل المكر واللؤم وهم كل مصر على عدم الإسلام سرا ومسلم كلاما، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾[1] على رسوله، وهو كل حكم حواه الكلام

---

(١) قرأ الحسن: تعالوا بضم اللام. قال أبو الفتح: وجهها أنَّ لام الفعل من تعاليت حذفت تخفيفاً، وضمت اللام التي هي عين الفعل لوقوع واو الجمع بعدها. وأظهر الزمخشري حذف لام الكلمة هنا بحذفها في قولهم: ما باليت به بالة، وأصله: بالية كعافية. وكمذهب الكسائي في آية، أن أصلها أيلة فحذفت اللام. قال: ومنه قول أهل مكة: تعالي بكسر اللام للمرأة. انظر البحر =

المكرم ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ﴾ إلى سواك ﴿صُدُودًا﴾ مصدر واسم مصدر، وهو الصد لسوى المحسوس والسد للمحسوس وعامل الصد محله الحال.

﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم وأمرهم ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كإهلاك عمر أحدهم أو الأعم ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ كرد حكم الرسول وروم حكم سواه أو عدم سلوكهم على مسلك الهدى وهو الإسلام، ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ مردود على عامل صدودا ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ حال روم سواك حاكما ﴿إِلا إِحْسَانًا﴾ صالحا ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ لا حملا لحكمك على سوى العدل.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وهو الإصرار على عدم الإسلام ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾ روعهم ما أعده الله لهم على طالح أعمالهم، ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حال السر معهم لا على الملأ العام ﴿قَوْلا بَلِيغًا﴾ المراد: رادعا لهم، وأصله لكل كلام دل على مدلوله المراد.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [آية: ٦٤، ٦٥]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ﴾ أمره ولحكمه ﴿بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما راموا حاكما سواك أو المراد: لما ما أسلموا لك، وعصوا أمرك كما وراموا سواك حكما ﴿جَاءُوكَ﴾ أهل إسلام، وهو محمول العامل المؤكد ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ سلوك على سوى مسلك الكلام الأول علو الحال الرسول وإكراما ﴿لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ لهم.

﴿فَلا﴾ لا مؤكد ﴿وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ كل أمر أدى إلى ادعاء ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ عدم وسع صدر لحكمه ﴿مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا﴾ لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ سرا وعكسه.

=

المحيط (٢٢٨/٣).

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [آية:٦٦ - ٦٨]:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما ورد الأمر للهود ﴿مَا فَعَلُوهُ إلا قَلِيلٌ﴾ رواه راوٍ على اصطلاح العامل المكرر، وراوٍ على أصل عمل إلا ﴿مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ وهو إسلامهم للرسول على كل حال ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ لإسلامهم.

﴿وَإِذًا﴾ المراد: لو صححوا إسلامهم وسدوده وداموا على سلوكه ﴿لآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم، ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ موصلا سالكه إلى كل مأمل ومرام، ولما راع مولى رسول الله صلى الله على روحه وسلم عدم مرآه للرسول وسط دار المأوى والسرور السرمد لحلول الرسول المحل الأعلى وعدم وصوله هو له وأساءه ما حرر، وسأل الرسول أوحى الله إلى رسوله.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [آية:٦٩، ٧٠]:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾ هم أرداء الرسل الكرام، ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ هلكى المعارك، ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ كل صالح سوى المحرر أسماؤهم، ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ والمراد: ولواحدهم له المحل الأعلى واحدهم له سواه هم معهم وكل راء أعلاه محلا، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى حصولهم معهم، وهو أول كلام محموله ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللهِ﴾ حصلوا على ما حرر كرما لا لعمل أدى إلى وصولهم، ﴿وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا﴾ ما هو حاصل لدى المعاد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ

يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[1] [آية:٧١، ٧٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ أعدوا للأعداء أكمل إعداد وهو عام للسلاح وسواه، ﴿فَانْفِرُوا﴾ إلى المعارك ﴿ثُبَاتٍ﴾ عددا وراء عدد لا كلكم معا ﴿أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ كلكم معا، ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ﴾ الكلام مع عسكر الرسول كلهم أهل الإسلام سرا وصدرا، وأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ ما هو مسرع إلى المعارك، وهم أهل الإسلام كلاما لا سرا وصدرا واللام الأولى لام أول الكلام، واللام الآم لها لام مول، ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كهلاك أو عدم علو على أعدائكم ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ علو على أعدائكم وحصولكم على أموالهم ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ أكده سوى الأول دالا على حسره ﴿كَأَنْ﴾ اسمها الهاء مطروح ﴿لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا﴾ للدعاء، والمدعو مطروح أو رد ما لحصول إدراك السامع ﴿لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿فَلۡيُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَـٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [آية:٧٤، ٧٥]:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ لإعلاء ما أسسه وأوصاه للرسل وأمر الأمم للسلوك على مسالكه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾ المراد: كل معط دارا لا دوام لها وسائم

---

(١) حددت هذه الآيات قواعد القتال، وأوجبت أن تكون الحرب لغرض شريف، وأول هذه القواعد: التزام الحذر، ومراقبة تحركات العدو، والإعداد اللازم لملاقاته في أي وقت، فقد يباغتنا العدو في أي لحظة، ويستغل بعض الظروف الأزمات، وعندها يكون الاستعداد السابق مفوتا لأغراضه الدنيئة، وملحقا به الهزيمة المنكرة. والمؤمن الصادق الإيمان لا يخشى الموت واقتحام المعارك لأن أجل الإنسان لا يتقدم ساعة ولا يتأخر، لكن ينبغي مع الإقدام أخذ الحذر، لأن الحذر داخل في القدر. انظر التفسير الوسيط لزحيلي (١/٣٤٤)

محلها دارا سرورها وعمرها دائم هو أولى إسراعا إلى المعارك، ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هو المسلك المأمور كل أحد لسلوكه ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الوعد حاصل له سواء أدركه حمامه أو علا على أعدائه.

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أعداءه وأعداءكم، ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ مردود رده الواو على اسم الله، والمراد: لحل أسرهم ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ لما حصروهم وسط الحرام ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دعاء لله ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ المحل الحرام ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ لإلحادهم، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ لأمورهم، ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ رادعا عول الأعداء وسمع الله دعاءهم وأعطاهم مأملهم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [آية:٧٦]:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ المطرود عدو آدم وولده، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ﴾ مكر ﴿الشَّيْطَانِ﴾ وإردائه لأهل الإسلام ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ ما هو معادل ومساو لمكر الله مع أعدائه أهل الإلحاد.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧٧﴾﴾ [آية:٧٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ دعوا أمر العراك لما راموه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ﴾ وأمرهم الله إعلاء لأحكام الإسلام ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ﴾ المراد: راعوا أهل الإلحاد وروعهم أمرهم ﴿كَخَشْيَةِ اللهِ﴾ كما روعهم ما أوعدهم الله حلوله، والعامل والمعمول حال محل المصدر أو الحال، ﴿أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ مما أوعدهم الله حلوله وأورد ما أمه على ما حل محل المصدر أو الحال ومكمل لما حاصل أول الكلام ومحموله وما معهما أو هو داله، ﴿وَقَالُوا﴾ لما هالهم وروعهم أمر العراك ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ

قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا﴾ حالها أو عمرها ﴿قَلِيلٌ﴾ مروره مسرع لا دوام له، ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ ما أوعده الله وعمل كما أمر، ﴿وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ لحط على عمل طالح أو مما هو صالح، ورواه راوٍ للسامع وراوٍ لسواه.

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [آية:٧٨]:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ كل محل محكم إعماره، ﴿مُشَيَّدَةٍ﴾ سام حائطها، ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ كلاء ومحصود ما ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ محل وسمو أسعار ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الكلام مع الرسول ردد الله لروحه أسمى سلام، والمراد: لما حل دارهم حصل المحل لهم، ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ المحل وعكسه ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ما هم أهل إدراك لما حواه الكلام المكرم ولو أدركوا ما حواه الكلام المكرم لعلموا مصدر المحل وسواه هو الله.

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [آية:٧٩]:

﴿مَا أَصَابَكَ﴾ الكلام للرسول أو لكل سامع ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ واحد الآلاء ﴿فَمِنَ اللهِ﴾ كرما لا لعمل أدى لها، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ لطالح عمل عاملك مولاك على صدوره وموصل الكل هو الله، ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ الكلام مع الرسول ﴿لِلنَّاسِ﴾ على العموم لكل العوالم ﴿رَسُولا﴾ حال مؤكد، ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على إرسالك.

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [1] [آية:٨٠]:

(١) احترَس بقوله: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ عن توهّم السامعين التفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع، فأثبت أنّ الرسول في تبليغه إنّما يبلّغ عن الله، فأمره أمرُ الله، ونهيُه نهيُ الله، وطاعتُه طاعةُ الله، وقد دلّ على ذلك كلّه قولُه: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ لاشتمالها على إثبات كونه رسولا واستلزامها أنّه يأمر وينهى، وأنّ ذلك تبليغ لمراد الله تعالى، فمن كان على

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ لورود الرسل كلهم وسائط للعالم، ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ كالئ أعمالهم، وهو مما محا مؤداه أمر العرك.

﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [آية:٨١]:

﴿وَيَقُولُونَ﴾ أهل الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك، ﴿فَإِذَا بَرَزُوا﴾ طلعوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ﴾ أسر ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لك أولا لما وردوا إلى محلك، ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ﴾ المراد: أمر الملك الموكل ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ وهو معاملهم على مكرهم وسوء عملهم، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ هو كالئك، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية:٨٢، ٨٣]:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ﴾ وما حواه حكما وحكما وإحكاما، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عما حصل على عسكر الإسلام ﴿مِنَ الأَمْنِ﴾ كعلوهم على الأعداء ﴿أَوِ لْخَوْفِ﴾ كعلو الأعداء على الإسلام ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ على الملاء، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ الأمر المحرر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ كعمرو كل واحد مدرك لأمور المعارك أو المراد إلى الأمراء ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل إسراره أولى أم عدم إسراره ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ محصلو علمه وحاكوه إلى الملأ ﴿مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للرسول والإرداء الكرام

=

بيّنة من ذلك أو كان في غفلة فقد بيّن الله له اختلاف مقامات الرسول، ومن تولّى أو أعرض استمرّ على المكابرة ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾، أي حارساً لهم ومسؤولا عن إعراضهم، وهذا تعريض بهم وتهديد لهم بأنْ صَرَفه عن الاشتغال بهم، فيعلم أنّ الله سيتولّى عقابهم. والتولّي حقيقته الانصراف والإدبار، وقد تقدّم في قوله تعالى: ﴿وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها﴾ (البقرة: ٢٠٥) وفي قوله: ﴿مَا ولاهُم عن قبلتهم﴾ في سورة البقرة (١٤٢). واستعمل هنا مجازاً في العصيان وعدم الإصغاء إلى الدعوة. انظر التحرير والتنوير (١٣٥/٥).

أو الأمراء كما مر، والمراد: لعلم محصلوه، وحاكوه هل صلاح الإسلام لإسراره أم لا، ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وهما إرسال الرسل وما أوحى لهم كلاما مكرما ﴿لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ للسلوك مسالك وسواسه ﴿إلا قَلِيلا﴾ وهم كل امرء عصمه الله.

﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٤]:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ولو وحدك، ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ عراك ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحصل لما ملأ الله صدورهم روعا وعادوا، ﴿وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلا﴾ وآلى رسول الله على الطلوع للعراك ولو وحده.

﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾ [آية:٨٥]:

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ على حكم أمر الله ولو دعاء لمسلم ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ على سوى أمر الله كما لو حاول أمرا محرما ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ سهم ﴿مِنْهَا﴾ مساو لها ولعمل عاملها لو سواه، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ هو الكالئ أو كل ما أراده حاصل لا راد له.

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾(١) [آية:٨٦]

﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كالسلام، ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ كدعائكم للمسلم سوى رد السلام وحده، ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ كما سلم سلموا؛ ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

---

(١) وفي الآية مسائل: المسألة الأولى: التحية تفعلة من حييت، وكان في الاصل تحيية، مثل التوصية والتسمية، والعرب تؤثر التفعلة على التفعيل في ذوات الاربعة، نحو قوله: ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة: ٩٤) فثبت أن التحية أصلها التحيية ثم أدغموا الياء في الياء. المسألة الثانية: اعلم أن عادة العرب قبل الاسلام أنه إذا لقي بعضهم بعضا قالوا: حياك الله واشتقاقه من الحياة كأنه يدعو له بالحياة، فكانت التحية عندهم عبارة عن قول بعضهم لبعض حياك الله، فلما جاء الاسلام أبدل ذلك بالسلام، فجعلوا التحية اسما للسلام. قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ (الأحزاب: ٤٤) ومنه قول المصلي: التحيات لله، أي السلام من الآفات لله، والأشعار ناطقة بذلك. انظر تفسير الرازي (١٥٧/١٠).

معامل كل أحد على عمله ولو السلام ورده.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [آية:٨٧]:

﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ أول كلام ومحموله أو الله أول كلام والمحمول هو حاصل ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ لما هو عدم كمال، وهو على الله محال وعاد حال عراك أحد عدد معلوم إلى محلهم والرسول والإسلام وسط المعارك ولما عاد هؤلاء العدد، وحكم أحد أهل الإسلام على مكرهم وعدم إسلامهم وأحد أهل الإسلام على إسلامهم وعدم مكرهم أوحى الله لرسوله.

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴿٨٨﴾ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [آية:٨٨ - ٩٠]:

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ حال عاملها لكم، ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ﴾ الإركاس: رد كل أمر معكوسا، والمراد: ردهم إلى إلحادهم ﴿بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ هُ ﴿اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ﴾ هُ ﴿اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ إلى الهدى.

﴿وَدُّوا لَوْ﴾ للمصدر ﴿تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ معهم ﴿سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ أهل وداد لكم ولو هم أسلموا كلاما ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾، وهو المسلك المأمور كل أحد لسلوكه، ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما صححوا إسلامهم وداموا على حالهم وإصرارهم لعدم الإسلام.

﴿فَخُذُوهُمْ﴾ أسراء، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ هم، وأهل الإلحاد سواء، ﴿وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ للوداد، ﴿وَلا نَصِيرًا﴾ على الأعداء، ﴿إِلا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾

المراد: حكمهم كلهم سواء أسرا وإهلاكا إلا الراحل ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد على عدم الأسر والعراك لا معهم ولا مع أحد وصل لهم وحكم الواصل لهم حكمهم والمعاهد هو هلال عاهده الرسول لما أم الحرم ﴿أَوْ﴾ الأولى ﴿جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ كرها ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ والمراد: هم لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، والأولى كما حرر دعوهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ أطاعوا لكم وصالحكم ﴿فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلا﴾ إلى أسرهم أو عراكهم أو عمل سوء أصلا.

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ ﴾ [آية: ٩١]:

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ هو أسد وسواهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ لإسلامهم كلاما لكم، ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ عودا إلى إلحادهم ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الإلحاد وعراك أهل الإسلام ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ عادوا وعكسوا لها أردى عود وعكس، ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ﴾ أسرا، ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ وكله محا حكمه أمر العراك على العموم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [آية: ٩٢، ٩٣]:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ ما صح له ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً﴾[١] حال أو اسم مصدر مطروح أو معمول له، ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ كما لو رمى رصاصه أو سهمه إلى طائر ومر إلى مسلم وأرداه، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ المراد: على كل رام ما حرر ﴿مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ أهل المرمى ﴿إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ الأهل على المهلك لعدم عمده لما حصل، والحكم المحرر لكل مسلم وأهله إسلام أما سواه، ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المرمى ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ﴾ أهله ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على مهلكه ولا مال مسلم إلى أهله، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد كالهود وسواهم ﴿فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ لعدم ملكها أو ملك مال محصل لها، ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً﴾ حال أو معمول له أو مصدر ﴿مِنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ حال الكل ﴿حَكِيمًا﴾ محكما أوامره ومحلها محلها.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ عامدا لإهلاكه مع علمه إسلامه، ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا﴾ مدد أطوالا ﴿فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ المراد: لو عومل كما هو أهله لعومل كما سطر أو حمله على المدد الطوال كما مر، ولما مر أحد الإرداء الكرام على واحد هو مرداس أو سواه وسلم على إرداء الرسول وهلل معهم لما هللوا أو لما رآهم هموا على إهلاكه عصم دمه وماله مكلما لهم لا إله إلا الله

---

(١) في سبب نزولها قولان: أحدهما أن عياش بن أبي ربيعة أسلم بمكة قبل هجرة رسول الله ثم خاف أن يظهر إسلامه لقومه فخرج إلى المدينة فقالت أمه لابنيها أبي جهل والحارث ابني هشام وهما أخواه لأمه والله لا يظلني سقف ولا أذوق طعام ولا شرابا حتى تأتياني به فخرجا في طلبه ومعهما الحارث بن زيد حتى أتوا عياشا وهو متحصن في أطم فقالوا له انزل فان أمك لم يأوها سقف ولم تذق طعاما ولا شرابا ولك علينا أن لا نحول بينك وبين دينك فنزل فأوثقوه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة فقدموا به على أمه فقالت والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر فطرح موثقا في الشمس حتى أعطاهم ما أرادوا فقال له الحارث بن زيد يا عياش لئن كان ما كنت عليه هدى لقد تركته وإن كان ضلالا لقد ركبته فغضب وقال والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك ثم أفلت عياش بعد ذلك وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم أسلم الحارث بعده وهاجر ولم يعلم عياش فلقيه يوما فقتله فقيل له إنه قد أسلم فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان وقال لم أشعر بإسلامه فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس وهو قول سعيد بن جبير والسدي والجمهور

والثاني أن أبا الدرداء قتل رجلا قال لا إله إلا الله في بعض السرايا ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ما صنع فنزلت هذه الآية هذا قول ابن زيد. انظر زاد المسير (٢/١٦١).

محمد رسول الله وعمدوا وأهلكوا أوحى الله لرسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [آية:٩٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ رحل أحدكم أو كلكم إلى محل سوى محله روماً للمعارك ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ ما أمر كل أحد إلى سلوكه، ﴿فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ﴾ ورواه ولد عامر وسواه: السلم كالعلم ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حطامها المسرع مروره ولا دوام له، وهو حال الواو المسلط لا على عامله، ﴿فَعِنْدَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أول إسلامكم وما عصم دماءكم وأموالكم إلا الكلام وهو لا إله إلا الله ﴿فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ﴾ بما صارا سلامكم معلوما لدى كل أحد، ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ودعوا إهلاك امرء مسلم عصم دمه وماله لا إله إلا الله كما عصم دمكم ومالكم أولا وكرره مؤكدا، ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ عالما أحوالكم ومرامكم، وهو معامل كل أحد على عمله.

﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَـٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَـٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَـٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٩٥ دَرَجَـٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾ [آية:٩٥، ٩٦]:

﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ الأولى ما ساروا إلى المعارك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ﴾ معمول كالوا والمسلط على عامله لا على اصطلاح العامل المكرر، كما رواه راوٍ، ورواه ولد عامر وسواه معمولا على الحال، وراوٍ رواه مكسورا وسما لمأمومه، ﴿أُولِي الضَّرَرِ﴾ لداء عسر أو عمى أو عطل ما، ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لداء أو عمى كما مر لا كسلا أو مكرا ﴿دَرَجَةً﴾ إما معمول لطرح عامل الكسر أو مصدر أو حال، ﴿وَكُلا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾

دار المأوى والسرور الدائم، ﴿وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لا مرادا هم كداء، وسواه مما مر وكرره روما لعلوا الهمم أو الأول هم أولو العمى وسواه، وهؤلاء هم الأولى صدر لهم أمر الرسول على عدم طلوعهم إلى المعارك أو الأول معاركو أهل الإلحاد وهؤلاء معاركو الهوى ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ كل معمول على اصطلاح العامل المكرر أو كلها على المصدر، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما عسى هو حاصل، ﴿رَحِيمًا﴾ لوعده لهم ما وعدهم ولما أسلم رهط وداموا وسط دارهم وهو الحرام وما سارعوا إلى ما أمرهم الله، وهو المرحل إلى سواه وحصل العراك، وساعدوا أهل الإلحاد وأهلكوا معهم أوحى الله لرسوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٧ - ٩٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لما راموا مع أهل الإلحاد وما رحلوا كما رحل أهل الإسلام ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ مما هو عائد إلى أهل الإسلام ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾ لسمو حال أهل الإلحاد على حالهم وله ما حصل لهم ولا سوعدوا على إعلاء أحكام الإسلام، ﴿قَالُوا﴾ لهم ردا على ما ادعوه ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ إلى محل علا أمر إسلامه على إلحاده كما رحل أهل الإسلام والرسول الأكرم، ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ولعل إسلامهم حصل كلاما وحده لا صدرا وسرا.

﴿إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الأولى ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لعدم ملكهم ما هو موصلهم إلى محل سواه مالا أو رواحل أو طعاما أو عللا ما، ﴿وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا﴾ لعدم علمهم المسالك وعدم حصول هاد لهم ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾ محلا سام حال إسلامه وعال أمره أو المراد مسالك سالكها كهرا لرهطه الأولى هم أهل الإلحاد، ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ مأكلا ومطعما، ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ﴾ رواه راوٍ محركا كسرا، وراوٍ على عكسه، وراوٍ على طرح محصل المصدر، وراوٍ ما حركه أصلا ﴿الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [آية:١٠١]:

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ رحل أحدكم مراحل آمًّا محلا ما ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ﴾ عملا على أصلها وسماه كما سماه لما راعى مسراهم وعملهم ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ حال الروع وحال عكسه على حد سواء ما عدا الحكم المسطور حكى حالهم عصر وروده ولا مؤدى له.

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا

تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [آية:١٠٢ - ١٠٦]:

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ الكلام للرسول وحكم كل إمام سواه كحكمه ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ المراد: إحداهما معك وإحداهما أمام العدو، ﴿وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ﴾ الأولى صلوا روع وهم أعداهم لهم، ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ المراد: صلوا، ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ الأولى ما صلوا معك وهم أمام العدو ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ للحرس، ﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا﴾ وهم أولو الحرس ﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ﴾ إلى كمال عددها وسلام الإمام محل الأولى والأولى للحرس، وحكمهم حكم كل مصل لإكمالهم لها كمأموم لدى سلام الإمام، ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم كالأولى ولدى سلام الإمام عادوا إلى حرسهم، وعاد الأولى صلوا أولا لإكمالها، وحكمهم حكم المأموم ولدى إكمالهم لها عادوا إلى محل الحرس، وعاد أولو الحرس لإكمالها، وحكمهم حكم كل أحد ما أدرك أولها مع أمامه وحكم كل عدو كحكم المعارك.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ﴾ [١]حال أدائكم لها، ﴿وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ هو كالمعلل لأمر عدم إهمال السلاح، ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ على كل حال مع عدم حملكم للسلاح أولى؛ ﴿إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ﴾ هللوا واحمدوا ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ المراد: على كل حال والأمر للحل، ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ وحال حال روعكم العدو ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أدوها على أكمل الأحوال؛ ﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ أمرا محكوما على حصوله وأدائه، ﴿مَوْقُوتًا﴾ لها محل معلوم كأولها له محل وعصرها

---

(١) أي بالقتال. عن ابن عباس وجابر أن النبي صلى الله عليه وسلّم صلّى بأصحابه الظهر، ورأى المشركون ذلك، فقالوا بعد ذلك: بئسما صنعنا حيث لم نقدم عليهم، وعزموا على ذلك عند الصلاة الأخرى، فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وسلّم على أسرارهم بهذه الآية. انظر تفسير الرازي (١١/٢٠٤).

له محل ولما رام الرسول ورود أهل الإسلام كلاما وحاولوه لدعوى ألم الحسام والسهام أوحى الله لرسوله.

﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ﴾ روم ﴿الْقَوْمِ﴾ **هم أهل الإلحاد** ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ **لحصولهم ألم حد الحسام لكم** ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ **وهو حاصل لهم ألم كالحكم كلاكما على السواء،** ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ **هم وهو علوكم على أعدائكم،** ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ **ولما سأل واحد لواحد درعا وداره لداره وأودعها أحد الهود، وسأل أهلها اللص وآلى على عدم سلها لهم، وحصلوا على الدرع لدى أحد الهود المسطور، وحكى لأهلها اسم المودع، وسأل رهط اللص الرسول الحكم على أحد الهود روع عدم سطوع سوء حال أحدهم وهو اللص أوحى الله لرسوله.**

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ **الكلام المكرم** ﴿بِالْحَقِّ﴾ **على مسلك العدل، ولو المحكم له أحد الهود أو سواهم** ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ **علمك** ﴿اللهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ **اللصوص** ﴿خَصِيمًا﴾.

﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ﴾ **أمره لله لما هم الرسول على وروده موارد ما سألوه؛** ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا﴾ **[آية: ١٠٧ - ١٠٩]:**

﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ **المراد: معامله على سوء عمله.**

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ **اللص ورهطه** ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ **الأولى حكمهم كحكمهم،** ﴿وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ﴾ **مالكهم كلهم وهو الأولى،** ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ **عالم ومطلع على ما أسروه وراموه** ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ **لما رموا أحد الهود وهو لا علم له وآلى على عدم سل الدرع ولا أصل لما آلى،** ﴿وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ **علمه أحاط ودار على كل صادر.**

﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ﴾ أول كلام ومحموله ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ﴾ ورواه راوٍ للواحد وهو سال الدرع ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ لرد ما أعده لهم لو عاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [آية: ١١٠ - ١١٢]:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ لسواه كما رمى هو أحد الهود ولا علم له أو عملا حكم على حد عامله، ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ كعلمه عملا ما ساء سواه وماله وحده أو عملا ما حكم على حد عامله، ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لعود سوئه له، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ما حصل على سوى العمد ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ما حصل على العمد، ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ واحدا سواه ﴿بَرِيئًا﴾ لا علم ولا عمل له كما رمى مودع الدرع المودع، ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾[1] [آية:١١٣]:

---

(١) الظاهر: أنّ الضمير في منهم عائد على بني ظفر المجادلين والذابين عن بني أبيرق. أي: فلولا عصمته وإيحاؤه إليك بما كتموه، لهموا بإضلالك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل، مع علمهم بأنّ الجاني هو صاحبهم. فقد روي أنّ ناساً منهم كانوا يعلمون حقيقة القصة، هذا فيه بعض كلام الزمخشري، وهو قول ابن عباس من رواية السائب: أنها متعلقة بقصة طعمة وأصحابه، حيث لبسوا على الرسول أمر صاحبهم. وروى الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في وفد ثقيف قدموا على الرسول صلى الله عليه وسلّم قالوا: جئناك نبايعك على أنْ لا نحشر ولا نعشر، وعلى أن تمتعنا بالعزى سنة، فلم يجبهم فنزلت. وقال ابن عطية: وفق الله نبيه على مقدار عصمته له، وأنها بفضل من الله ورحمته. وقوله تعالى: لهمت معناه لجعلته همها وشغلها حتى =

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لعصمه لك وإعلامك الأمر ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ لما راموا سلوكك على سوى العدل وما أمر الله، وهو الحكم على أحد الهود، ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ لما عصمك الله، ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم، ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ كل حكم حواه الكلام المكرم، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ سرائر الأمور أو أمور الأحكام، ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ وأعلاه الإرسال.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [آية: ١١٤]:

﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ﴾ (الهاء) لولد آدم ﴿إلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ كإعطاء المعسر دراهم وإمهاله لحد معلوم، ﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿مَرْضَاتِ اللهِ﴾ لا لأمر سواها ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ رواه راوٍ إلى المكلم، وراوٍ على مسلك الكلام الأول ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [آية:١١٥]:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ المراد: كل عاص لأمره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ الدال على إرساله، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ﴾ مسلك ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ وهو الإسلام ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ﴾ روى راوٍ أصله أصلاه، وراوٍ صلاه ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾

=

تنفذه، وهذا يدل على أنّ الألفاظ عامة في غير أهل النازلة، وإلا فأهل الغضب لبني أبيرق، وقد وقع همهم وثبت. والمعنى: ولولا عصمة الله لك لكان في الناس من يشتغل بإضلالك ويجعله همّ نفسه، كما فعل هؤلاء. انظر البحر المحيط (٢٨٢/٣).

وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١١٦ - ١٢١]:

﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ عما هو هدى.

﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ المراد سواه والهاء لله علا اسمه ﴿إِلا إِنَاثًا﴾ كود وسواع، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ أملس ما علاه صلاح، أو المراد طالعا عما أمر الله وهو عدو آدم.

﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ طرده، ﴿وَقَالَ﴾ هو المطرود ﴿لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ محكوما على ورودهم موارد ما أمرهم.

﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عما هو هدى موسوسا لهم، ﴿وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أدع كلا مؤملا طول العمر وعدم المعاد، ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ﴾ حسما لها رد للكامل إلى عكسه والحلال إلى الحرام، ﴿وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ كإحلالهم ما حرم وعكسه، ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ المراد: كل طائع له ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ لمآل أمره إلى أسوء الحال.

﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر، ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ حصول الآمال وعدم المعاد، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾ ما لا أصل له ولا حصول؛ ﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معد لا إلى مأوى سواها.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [آية:١٢٢]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ المراد: أمواهها على اصطلاح المرسل، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ حال مصور حصولها ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر معمول لعامل مطروح هو داله، ﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾ ولما ادعى أهل الإسلام ما حاصله حالهم أصلح حال، وادعى

أهل الكلام سواهم ما ادعوه وحصل المراء أوحى الله لرسوله.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1] [آية:١٢٣، ١٢٤]:

﴿لَيْسَ﴾ أمر صلاح الحال ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ صلاح الحال هو العمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ﴾ حالا أو مآلا لدى المعاد كما ورد، ﴿وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ رادعا له عما هو ورود على موارد عمله صالحا أو طالحا.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ حطا مما هو صالح، أو على طالح.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [آية:١٢٥]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ سلم حاله كله ﴿لِلهِ﴾ عالما لا مولى له سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى المسلك السوي، وهو حال للموصول، أو حال للرسول، أو حال للمسلك المسطور، ﴿واتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا﴾ إكرمه إكراما كإكرام أحد أهل الوداد لمواده.

---

(١) فيه قولان: الأول: أنه خطاب مع عبدة الأوثان، وأمانيهم أن لا يكون هناك حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب، وإن اعترفوا به لكنهم يصفون أصنامهم بأنها شفعاؤهم عند الله، وأما أماني أهل الكتاب فهو قولهم ﴿لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ (البقرة: ١١١) وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨) فلا يعذبنا، وقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠). القول الثاني: أنه خطاب مع المسلمين، وأمانيهم أن يغفر لهم وإن ارتكبوا الكبائر، وليس الأمر كذلك، فإنه تعالى يخص بالعفو والرحمة من يشاء كما قال ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (النساء: ١١٦) وروي أنه تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: نبيّنا خاتم النبيّين، وكتابنا ناسخ الكتب، فأنزل الله تعالى هذه الآية.. انظر تفسير الرازي (١١/٢٢٥).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [آية:١٢٦]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ **كلاهما وما حواه ملكا ومملوكا،** ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ **أحاط علمه الكل على الدوام.**

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [آية:١٢٧ - ١٣٠]:

﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي﴾ **حال وسهم مال** ﴿النِّسَاءِ قُلِ﴾ **لهم** ﴿اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ **الكلام المكرم الموحى لرسوله محمد، والمراد: الأحكام المار سردها** ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ **وهو سهم الأموال كما مر حكمه،** ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ **الكلام مع كل أحد له الولاء على الحرم** ﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ **عامل الكسر للمصدر، والمراد: كرهوا وأكرهوا الحرام طمعا لحصولهم على أموالهم وحكم الله راد لعملهم المسطور،** ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ **حكم الله إعطاؤهم أموالهم** ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ **(وَ) أمره وحكمه** (أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) **العدل لأموالهم ومهورهم،** ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ **معاملكم على كل عمل صالح سواء حصل لحال الأولاد والحرم أو لسواهم.**

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ **معمول لعامل مطروح هو** ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ **كعدم وطئه لها، أو عدم إكماله لها مطعمها، أو طموح مرآه لسواها،** ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ **كعدم كلامه لها**

لا أصلا، ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ وروى راوٍ أصله أصلح كاصطلح مؤدى، ورواه راوٍ أصلح كأكرم ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ معمول للعامل المار أو مصدر وصلحهما على المطعم والمكسى وسواه أو إرساله لها كما حكم الله، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ لهما لا الإرسال لها ولا عدم إعطاؤها ما حكم لها على المرء كالمطعم والمأوى وسواهما، ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ لا أهل المرء مسامحوه مأكلا ومأوى وسواه، ولا هو مسامح وطئا وكلاما حلوا ومطعما لو طمح مراه ومال إلى سوى أهله، ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ للأهل، ﴿وَتَتَّقُوا﴾ العول وعدم العدل، ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ معاملكم على عملكم.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾[1] على العدل، ﴿فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى سواهما مأكلا ومأوى وكلاما حلوا ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ لا أمرها ولا واطئ ولا مطعم ولا مكلم لها، ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ سلوكا على العدل ﴿وَتَتَّقُوا﴾ عدم العدل ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لكل مائل ولا عول معه، ﴿رَحِيمًا﴾ لعلمه حالكم أكمل علم.

﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ المرء وأهله لإرساله لها ﴿يُغْنِ اللهُ كُلا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعًا﴾ عطاؤه على العالم كلهم، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا أوامره كلها محلها.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ ﴾ [آية:١٣١]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (ال) للعدد ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أمم موسى والروح، ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ أهل الكلام المكرم الموحى لمحمد رسولكم ﴿أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ ما هددكم وأوعدكم على عمله، ﴿وَإِنْ

(١) وفيه قولان: الأول: لن تقدروا على التسوية بينهن في ميل الطباع، وإذا لم تقدروا عليه لم تكونوا مكلفين به. قالت المعتزلة: فهذا يدل على أن تكليف ما لا يطاق غير واقع ولا جائز الوقوع، وقد ذكرنا أن الاشكال لازم عليهم في العلم وفي الدواعي. الثاني: لا تستطيعون التسوية بينهن في الأقوال والأفعال لأن التفاوت في الحب يوجب التفاوت في نتائج الحب، لأن الفعل بدون الداعي ومع قيام الصارف محال. انظر تفسير الرازي (١١/٢٣٥).

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا وعدم سلوككم على أوامره مآله وسؤه لكم، ﴿وَكَانَ اللهُ غَنِيًّا﴾ عما سواه ﴿حَمِيدًا﴾ محمودا.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [آية:١٣٢ - ١٣٤]:

﴿وَلِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ كرره مؤكدا، ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ محلكم، ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ على عمله ﴿فَعِنْدَ اللهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ ولم روم الأحط مع حصول الأعلى، ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لكلامكم، ﴿بَصِيرًا﴾ أحوالكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [آية:١٣٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل، ﴿شُهَدَاءَ لِلهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ﴾ على ﴿الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المحكوم على ما له ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ وعالم صالحهما، ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى﴾ لدى أدائكم لها كما راعى كل مؤد لها لدى أدائها أهل الأموال أو رحم حال أهل العدم ﴿أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا﴾ وراوٍ طرح الواو الأولى، والمراد: حاولها وما أداها على العدل، ﴿أَوْ تُعْرِضُوا﴾ ما أداها أصلا وأسرها، ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وهو معامل كل أحد حاولها أو أسرها وما أداها أصلا على عمله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا﴾ **دوموا على الإسلام** ﴿بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾ **محمد وهو الكلام المكرم،** ﴿وَالْكِتَابِ﴾ **(ال) للعدد** ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ **ورواه راوٍ لسوى المعلوم** ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ **على الرسل،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ **هو المعاد** ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا بَعِيدًا﴾ **عما هو هدى وسلك مسالك عكسه.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [آية:١٣٧ - ١٤١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ **لموسى وهم الهود** ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ **لما ركعوا إلى ما سواه لهم لا مساس** ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ **لما عادوا إلى الله،** ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ **لعدم إسلامهم إلى الروح لما أرسل وأوردوه موارد الحمام على دعواهم وردها الله وصعد إلى السماء،** ﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾ **لما أرسل محمد وما أسلموا له** ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ **ما داموا على سوء مسلكهم،** ﴿وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا﴾ **مسلكا إلى الهدى.**

﴿بَشِّرِ﴾ **الأمر لمحمد رسوله** ﴿الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ **مؤلما** ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **لما وهموه وهو علوهم على أهل الإسلام،** ﴿أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا﴾ **العلو لكل موال لله لا لأعدائه.**

﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ **رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه** ﴿عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ **الكلام المكرم** ﴿أَنْ﴾ **أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء المطروح** ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ﴾ **كلامه**

المكرم ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما حصل إصرارهم كلهم على عدم الإسلام، ﴿الَّذِينَ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر وهو عامل الموصول الأول ﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ الدوائر كل ما دار على الواحد، والمراد: حصول أمر لكم، ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ علو على أعدائكم وحصولكم على أموالهم ﴿مِنَ اللهِ قَالُوا﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ إسلاما ومعارك، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ مما مر وهو العلو على أهل الإسلام ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ اصطلاح العلماء على عدم، وورد للواو، وورد على الأصل، والمراد: صار لهم الولاء ولو أرادوا إهلاككم لأهلكوهم ﴿وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (وَ) ألم (نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإرسال أسرارهم لكم سرا، ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ الكلام لأهل الإسلام أو للكل وهو الأولى ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ معاملكم على عملكم وموصلكم إلى دار السرور الدائم، ومعاملهم على عملهم ومحلهم دار الدرك، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ مسلكا موصلا إلى اصطلامهم.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[1] [آية:١٤٢، ١٤٣]:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ لإسلامهم كلاما وإسرارهم المكروه لأهل الإسلام والرسول وإصرارهم على سوء مسراهم معاملهم على عملهم وهو إطلاعه رسوله على سرهم ومكرهم وسطوع أمرهم لكل أحد وسوء حالهم، ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع أهل الإسلام ﴿قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ﴾ المراد: ما هم ركع ﴿إِلا قَلِيلا﴾.

---

(١) أي: بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، ﴿وهو خادعهم﴾، أي: مجازيهم على خداعهم؛ بأن يظهر لهم يوم القيامة، نورًا يمشون به على الصراط، كما يعطي المؤمنين، فإذا مضوا به طُفِئَ نورهم وبقي نور المؤمنين، فينادونهم: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِس مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، فيتهافتون في النار، فسمي هذه العقوبة خداعًا تسمية للعقوبة باسم الذنب. انظر البحر المديد (٢/١٦٨).

﴿مُذَبْذَبِينَ﴾ حال واو العامل الآم لكسالى أو واو العامل الآم للآ، والمراد: أمرهم مردد لا إلى أهل الإسلام، ولا إلى عكسهم وأصله الطرد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾ مسلكا إلى الهدى.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [آية:١٤٤ - ١٤٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ﴾ المحل ﴿الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ وهو عكس أعلاها، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ راد لما أعده الله لهم ﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا﴾ مما هو إسلام كلاما لا صدرا وصححوا إسلامهم، ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم وسرهم ﴿وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ﴾ مسكوا أوامره، ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ﴾ ما رأوا، ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عددا وآلاء، ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم وهو معهم كما وعدهم.

﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ آلاءه، ﴿وَآمَنْتُمْ﴾ لرسوله، ﴿وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا﴾ أعمال أهل الإسلام ومعاملهم على صالحها، ﴿عَلِيمًا﴾ عالما إسلامكم وحمدكم آلاءه.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [آية:١٤٨، ١٤٩]:

﴿لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو معامل عامله ﴿إِلا مَنْ ظُلِمَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه، والمراد: عامله معامل على سوء عمله الادعاء على عائل، ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا﴾ لدعاء كل أحد عال على حاله سواه، ﴿عَلِيمًا﴾ حال العائل والمعال.

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا﴾ ككل عمل صالح، ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ كعمله سرا، ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ عول ﴿فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [آية:١٥٠، ١٥١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ لإسلامهم لله سوى رسله، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ أحد الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسلام وعكسه ﴿سَبِيلًا﴾ مسلكا.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لحاصل الكلام الأول، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ هو ما أعد لهم على سوء أعمالهم وهو الدرك.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [آية:١٥٢]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم، ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ رواه راوٍ على مسرى الكلام الأول، وراوٍ للمكلم ﴿أُجُورَهُمْ﴾ على أعمالهم، ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لكل موال له، ﴿رَحِيمًا﴾ لكل طائع.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [آية:١٥٣، ١٥٤]:

﴿يَسْأَلُكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ هم الهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ

السَّمَاءِ﴾[1] محررا على ألواح كما ورد لموسى، ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ المراد: والدوهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ الحمام ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ وهو سؤالهم ما لا وصول له حالا وأما مآلا حاصل، ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدلائل على الله سوى كلامه الموحى لموسى لعدم وروده حال ما عصوا، ﴿فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ وما حصل اصطلامهم، ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ لما رام إهلاكهم وأطاعوه، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ لكام الطور ﴿بِمِيثَاقِهِمْ﴾ لردعهم وإعطائهم العهد، ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ والطور مطل أعلاهم ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا، ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا﴾ أصله عدا كدعا وراو عدو الدال، والمراد: على الكل عدم العول ﴿فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا﴾ عهدا ﴿غَلِيظًا﴾ مؤكدا على عدم عدوهم وعدوا.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) قال السدي: قالت اليهود: إن كنت صادقاً فجئ بكتاب من السماء جملة كما جاء موسى بالكتاب. وقال محمد بن كعب القرظي: قالوا: ائت بألواح فيها كتابك كما أتى موسى بألواح فيها التوراة. وقال الحسن وقتادة: سألوه أن يأتي بكتاب خاص لليهود يأمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلّم. وقال ابن جريج: قالوا: لن نتابعك على ما تدعونا إليه حتى تأتينا بكتاب من عند الله فلان وإلى فلان إنك رسول الله. فعلى قول ابن جريج يقتضي أن سؤالهم كان على نحو سؤال عبد الله بن أمية الزهري، وقيل: كتاباً نعاينه حتى ينزل، وسمى من سائلي اليهود: كعب بن الأشرف، وفنحاص بن عازوراء. وقيل: السائلون هم اليهود والنصارى وسؤالهم إنما هو على سبيل التعنت. وقال الحسن: لو سألوه لكي يتبين الحق لأعطاهم، فإن فيما أعطاكم كفاية. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣١٣).

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ
وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ﴿١٦٠﴾ وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡبَٰطِلِۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ
وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾
[آية:١٥٥ - ١٦٢]:

﴿فَبِمَا﴾ ما مؤكد لا مؤدى له سواه ولا محل، والعامل مسلط على ﴿نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ لما اصطادوا السمك وعاهدوا على عدمه، ﴿وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ﴾ الكلام المكرم الموحى إلى محمد أو ما حواه الكلام الموحى إلى موسى، ﴿وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ المراد: ولو على دعواهم، ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ لرسوله محمد أو للرسل الأول ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لها وعاء عما دعاهم له ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾ كولد سلام، ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ وعدم إسلامهم لرسوله الروح، ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ لما رموها وحكموا على عهرها، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ﴾ مرادهم: على دعواه ودعوى كل أحد أسلم له وإلا على ادعاؤهم ما هو مرسل، ورد الله ادعاءهم إهلاكه لما أوحى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ لما أحل الله حلا رسوله ورسمه على واحدهم وأمسكوه وأهلكوه وصعد الرسول إلى السماء، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ادعى أحدهم الإرسال، واحدهم عدم الإرسال ادعى أحدهم هو هو المهلك، وادعى سواه سواه، ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (الهاء) لأمر إهلاكه أو لأمر إرساله على ما مر ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ ما أم إلا ما هو موصل إلى ما أمه إلا وهو العلم لوروده سواه إلا على لح، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكد لعدم الحصول.

﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ كاهرا لا مكهورا، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا إحكامه محلها، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ (الهاء) للروح رسوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (الهاء) للأحد المار، والمراد: كل ما حصل إسلامه لأمر الروح وإرساله

هو مسلم له ولو حال وروده موارد الحمام كما ورد، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ رسوله الروح ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ لدعائهم له ولد الله، ولعدم إسلام الهود له.

﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ﴾ الأمم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ مسلكه صدا ﴿كَثِيرًا﴾.

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ محرر وسط الكلام الموحى لموسى، ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كسائر ما حرم، ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ عدا الأولى أسلموا وعادوا إلى الله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾(١) كولد سلام، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كل كلام أوحاه الله لرسله، ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ معمول على المدح لعامل مطروح أو مردود رده الواو على الاسم الموصول المكسور محلا، وهو رد الموحى، والمراد الرسل، وراوٍ سلك المسلك الأول وحكى الواو له، ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو دار السرور الدائم.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ

(١) روى ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أن الآية: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.. أنزلت في عبد الله بن سلام، وأسيد بن سعية، وثعلبة بن سعية، وأسد بن عبيد، حين فارقوا اليهود وأسلموا، أي دخلوا في الإسلام، وآمنوا بالقرآن وبما أرسل الله به محمدا صلّى الله عليه وسلّم. ومنهم مخيريق أيضا، كان هؤلاء من علماء اليهود وأحبارهم، وكان مخيريق غنيّا كثير الأموال، أسلم وأوصى بأمواله للنبّي صلّى الله عليه وسلّم، مات في غزوة أحد. فرضي الله عن مواكب الإيمان، وفتيان الإسلام، وجند الحق والفضيلة والاستقامة إلى يوم الدين.. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (٤١٢/١).

أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [آية: ١٦٣ - ١٦٦]:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ كما ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ المراد: ولداه، ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ولد ولده، ﴿وَالأَسْبَاطِ﴾ أولاده، ﴿وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا﴾ والده ﴿دَاوُدَ زَبُورًا﴾ رواه راوٍ كأطوم اسم للطرس المعطى، وراوٍ كهموم مصدر، والمراد مرسوما، ﴿وَرُسُلا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ سمع موسى دال كلام الله وكلم المؤكدة مصدره وروده لما ما وسط الله ملكا ولا سواه لموسى أو أهله الله لسماع كلامه، وأعطاه ما اعطاه، وأسمعه المدلول لا الدال، والأول أولى لما هو حمله على سماعه المدلول، موهم حلول كلام الله محلا ما وهو محال، ﴿رُسُلا﴾ معمول على المدح، أو معمول على مصطلح العامل المكرر رسلا ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ أهل لا إله إلا الله حصولا على ما أعده الله على صلح أعمالهم، ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أهل الإلحاد ورودا على موارد سوء أعمالهم وما أعده الله لهم على صالحها، ﴿لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ محمول على اسم العامل الوارد ﴿عَلَى اللهِ﴾ أو حال والمحمول ﴿حُجَّةٌ﴾ اسم العامل ﴿بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ المراد: لحسم كلام الأمم وهو لولا أرسل الله لهم رسلا دلوهم وهدوهم، ﴿وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ كاهر لا مكهور، ﴿حَكِيمًا﴾ محلا أوامره محلها، ولما سئل الهود هل دل الكلام المكرم على إرسال محمد ردوا سؤال السائل ما حاصله ما دل على إرساله ولا صح ما ادعاه أوحى الله لرسوله ﴿لَكِنِ اللهُ يَشْهَدُ﴾ على إرسالك ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ وهو الكلام المكرم؛ ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ عالمه أو المراد: عمله لأكله وسطه، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لك على إرسالك، ﴿وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾ على الإرسال المسطور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [آية:١٦٧، ١٦٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ هو الإسلام لما أسروا ما دل على إرسال

محمد وسط الكلام الموحى إلى موسى وهم علماء الهود ﴿قَدْ ضَلُّوا ضَلالا بَعِيدًا﴾ عما هو مسلك الهدى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا﴾ رسوله لما أسروا ما دل على إرساله ﴿لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ مسلك هدى ولا سواه ﴿إِلا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ المسلك الموصل لها، ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مصورا حلولهم حلول دوام ﴿فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ سهلا ككل أمر سواه ما سوى المحال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [آية:١٧٠]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا﴾ أسلموا له وأموا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ معمول للعامل المحرر أو ما أدى مؤداه، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملك ومملوكا وإسلامكم وعدمه على السواء لورود أمره لصالح أحوالكم لا لصالحه. ﴿وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ محلا أوامره كلها محلها.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [آية:١٧١ - ١٧٣]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ الموحى إلى الروح رسوله ﴿لا تَغْلُوا﴾ المراد: الطلوع عما حده

لكم ﴿فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا الْحَقَّ﴾[1] ودعواه سواه وهو ادعاؤكم الولد والأهل؛ ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ﴾ لا كما ادعوا ولده ﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أمره ﴿أَلْقَاهَا﴾ أوصلها ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ المراد: هو روح صدر ﴿مِنْهُ﴾ (الهاء) لله، ولو صدور سواه كصدوره ما عدا صدور سواه وسط له وطئ الوالد للأم وصدور الروح ما وسط له أحدا وما هو كما ادعوا ولد له أو إله معه وداله صدوره معدد الأصل روحا ولحما وسواهما، والإله أصل واحد ما هو معدد، ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا﴾ الإله ما هو واحد هم ﴿ثَلاثَةٌ﴾ إله، والولد، والأم ﴿انْتَهُوا﴾ وعودوا عما ادعاه لا أصل له وأموا ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ وهو لا إله إلا الله ﴿إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ مكرما ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلا﴾.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ المدعو إلها على دعواكم ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ رد الواو سردا ما دل على علو الملك على ولد آدم وأوردهم للمح أعدادهم، ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ لدى المعاد، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ على صالح أعمالهم، ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا مرأى رأى ولا مسمع سمع ولا مر على صدر أحد، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عما حرر ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ لا راد ولا رادع لما أعده الله لهم على سوء أعمالهم وادعائهم ما لا أصل له ولا أساس.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا

(١) قيل: نزلت في نصارى نجران قاله مقاتل. وقال الجمهور: في عامة النصارى، فإنهم يعتقدون الثالوت يقولون: الأب، والابن، وروح القدس إله واحد. وقيل: في اليهود والنصارى، نهاهم عن تجاوز الحد. والمعنى: في دينكم الذي أنتم مطلوبون به، وليست الإشارة إلى دينهم المضلل، ولا أمروا بالثبوت عليه دون غلو، وإنما أمروا بترك الغلو في دين الله على الإطلاق. وغلت اليهود في حط المسيح عليه السلام عن منزلته حيث جعلته مولوداً لغير رشده. وغلت النصارى فيه حيث جعلوه إلهاً. والذي يظهر أنّ قوله: يا أهل الكتاب خطاب للنصارى، بدليل آخر الآية. ولما أجاب الله تعالى عن شبه اليهود الذين يبالغون في الطعن على المسيح أخذ في أمر النصارى الذين يفرطون في تعظيم المسيح حتى ادعوا فيه ما ادعوا. انظر تفسير البحر المحيط (٣/٣٢٤).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آية:١٧٤، ١٧٥]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ **هو رسوله محمد،** ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ **ساطعا وهو الكلام المكرم،** ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ﴾ **وعدا وكرما لا حكما وهو الحاكم على الأمم،** ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا﴾ **هو مسلك الإسلام حالا ومسلك دار لسرور الدائم مآلا** ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ **سوى.**

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌاْ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [آية:١٧٦]:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾(١) **المراد: كل واحد هلك لا والد له ولا ولد** ﴿إِنِ امْرُؤٌ﴾ **معمول لعامل مطروح هوك** ﴿هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ **لوالد وأم أو لوالد،** ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ **المراد: المرء** ﴿يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ **مرء وعكسه لو المال كل المراد، ولو المراد سهما ما المراد لا عكسه ولو هما**

---

(١) في سبب نزولها قولان: أحدهما أنها نزلت في جابر بن عبد الله روى أبو الزبير عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني هو وأبو بكر وهما ماشيان فوجدني قد أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه فأفقت وقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي وكان لي تسع أخوات ولم يكن لي ولد فلم يجبني بشيء ثم خرج وتركني ثم رجع إلي وقال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وإن الله عز وجل قد أنزل في أخواتك وجعل لهن الثلثين فقرأ علي هذه الآية ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في والثاني أن الصحابة أهمهم بيان شأن الكلالة فسألوا عنها نبي الله فنزلت هذه الآية هذا قول قتادة وقال سعيد بن المسيب سأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نورث الكلالة فقال أوليس قد بين الله تعالى ذلك ثم قرأ «إن كان رجل يورث كلالة» فأنزل الله عز وجل ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾.

المرء الهالك وما معه لام سهمها السدس كما مر أولها، ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ﴾ معالم الإسلام وأحكامه ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومما هو عالمه أمر أموال الهلكى.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة المائدة

مدنية وآيها مائة وعشرون آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[1] [آية:١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهود وهو كل عهد عاهدكم الله على سلوكه وأكده ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ أكلا على ما حده الله وهو حسم رأسها إلى اللها ﴿إلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ حكمه مما أكله محرم وما أم إلا موصول على لمح حصول أمر الحمام لها ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ حال إحرام أحدكم ما دام محرما ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ محلل أراد حله ومحرم ما أراد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى

---

(١) اختلفوا في المخاطبين بهذا على قولين أحدهما أنهم المؤمنون من أمتنا وهذا قول الجمهور والثاني أنهم أهل الكتاب قاله ابن جريج والعقود العهود قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والضحاك والسدي والجماعة وقال الزجاج العقود أوكد العهود واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوال: حدها أنها عهود الله التي أخذها على عباده فيما أحل وحرم وهذا قول ابن عباس ومجاهد والثاني أنها عهود الدين كلها قاله الحسن والثالث أنها عهود الجاهلية وهي الحلف الذي كان بينهم قاله قتادة والرابع أنها العهود التي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن جريج وقد ذكرنا عنه أن الخطاب للكتابيين والخامس أنها عقود الناس بينهم من بيع ونكاح أو عقد الإنسان على نفسه من نذر أو يمين وهذا قول ابن زيد. انظر زاد المسير (٢/٢٦٨).

ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية:٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللهِ﴾ معالم الإسلام وأحلاها عدم السلوك على ما أمر كما لو حاد أحدكم حال الإحرام، ﴿وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ هصرا للرماح إلى المعارك، ﴿وَلا الْهَدْيَ﴾ مس سوء له، وهو كل ما أهداه مهد إلى الحرم، ﴿وَلا الْقَلائِدَ﴾ ما علم لعدم مسه سوء، ﴿وَلا﴾ إحلالا لـ ﴿آمِّينَ﴾ عدد آم ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ عراكا لهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حصول أموال، ﴿وَرِضْوَانًا﴾ لأمهم الحرم على دعواهم والحكم المحرر ممحو المؤدى سوى الأول، ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ كمل أمر إحرامكم ﴿فَاصْطَادُوا﴾ الأمر للحل وعدم الحرام، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾ رواه راوٍ الوسط، وراوٍ حركه ﴿قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ على المحرر أسماؤهم وهم كل أم للحرم الحرام إهلاكا لصد الأولى صدوهم وما وادوهم على ما حرر، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾ هو ما أمركم الله سلوكا على مسلكه، ﴿وَالتَّقْوَى﴾ هو عدم الورود على موارد ما ردع، ﴿وَلا تَعَاوَنُوا﴾ طرح ما كاوّله ﴿عَلَى الإِثْمِ﴾ ما عامله عاص ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ على حدود الله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للأولى ما سلكوا على مسلك أوامره.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٣]:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ المراد: أكلها، ﴿وَالدَّمُ﴾ السائل، ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ كما لو أهل على اسم سواه، ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾ لماء أو سواه، ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ إهلاك عصى أو سواها سوى عمل الحد أو ما حكمه كحكمه، ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ إلى عكس العلو رماها رام أولا وحصل لها الحمام، ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ حصل لها الهلاك مما حرر،

﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ عائد إلى الكل، والمراد: كله حرام ما هو مأكول إلا ما أدرك حال حلول روحه وعدم هلاكه أصلا، وأهل على اسم الله، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿النُّصُبِ﴾ كل ما هو كود وسواع، ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ﴾ عود كالسهام محرر على أحدها العمل، وعلى أحدها عدمه، وعلى إحدها سواهما كلما رام أحدهم أمرا ما أسرع إلى مودعها ورام الحكم على اصطلاح لهم، ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ المحرر كله، وأوحى الله لرسوله عام الوداع ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ عودكم إلى مسلكهم وأولا طمعوا، ﴿فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه حراما وحلال، ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ لما كمل لهم أحكامه أو لما أحلهم الحرم الحرام، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ رام أكلا وما حصل له إلا ما حرم وراءه هلاكه وأكل ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكله، ﴿رَحِيمٌ﴾ لما أحله له وما أحله لسواه، وهو كما لو رحل مائلا إلى محرم كسد المسالك وروم السوء لكل سالك لدى أحد العلماء وسواه ما حصر وحمل المائل على سوى المحمل المحرر.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[1] [آية: ٤، ٥]:

(١) سبب نزولها فيما قال عكرمة ومحمد بن كعب، سؤال عاصم بن عدي وسعيد بن خيثمة وعويمر بن ساعدة. ماذا يحل لنا من هذه الكلاب؟ وكان إذ ذاك أمر الرسول بقتلها فقتلت حتى بلغت العواصم لقول جبريل عليه السلام: "إنا لا ندخل بيتاً فيه كلب" وفي صحيح أبي عبد الله الحاكم بسنده إلى أبي رافع. قال: "أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقتل الكلاب"، فقال الناس: يا رسول الله ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى يسألونك ماذا =

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الكلام لمحمد ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ مما هو طعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا﴾ أحل لكم ما صاده ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ ككل كأسر علم طائرا أو سواه، ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال معمول علم، وهو إرسال ما علم على الصاد، ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حاصله حال لهم الحال وسط الحال الأول ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ﴾ وهو كإرسال المعلم لو رام أهله إرساله وعوده لو رام أهله عوده لو طار أو سواه عدم أكله مما صاده لو أكل، والأول ما عاد لا والسهم، وكل محدد عمل حده حكمه واسم الله مراعي لكلها لدى الإرسال إلا لو سها المرسل، ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ إمساك عدم أكل لأحدها على ما مر حكمه، ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) للمصاد، والمراد: لدى إرسال المعلم، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أمم موسى، وأمم الروح رسوله ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَكُمْ﴾ والمراد: ما أهله كلاهما مأكول لحمه وحلال لإحلالهم له لاسم الله لا لاسم سواه، ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ

=

أحل لهم الآيات. وقال ابن جبير: نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل قالا: يا رسول الله، إنا نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل درع وآل أبي حورية لتأخذ البقر والحمروالظباء والضب، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت. وعلى اعتبار السبب يكون الجواب أكثر مما وقع السؤال عنه، لأنهم سألوا عن شيء خاص من المطعم، فأجيبوا بما سألوا عنه، وبشيء عام في المطعم. ويحتمل أن يكون ماذا كلها استفهاماً، والجملة خبر. ويحتمل أن يكون ما استفهاماً، وذا خبراً. أي: ما الذي أحل لهم؟ والجملة إذ ذاك صلة. والظاهر أنّ المعنى: ماذا أحل لهم من المطاعم، لأنه لما ذكر ما حرم من الميتة وما عطف عليه من الخبائث، سألوا عما يحل لهم؟ ولما كان يسألونك الفاعل فيه ضمير غائب قال لهم بضمير الغائب. ويجوز في الكلام ماذا أحل لنا، كما تقول: أقسم زيد ليضربن ولأضربن، وضمير التكلم يقتضي حكاية ما قالوا كما لأضربن يقتضي حكاية الجملة المقسم عليها. وقال الزمخشري: في السؤال معنى القول، فلذلك وقع بعده ماذا أحل لهم، كأنه قيل: يقولون: ماذا أحل لهم انتهى. ولا يحتاج إلى ما ذكر، لأنه من باب التعليق كقوله: سلهم أيهم بذلك زعيم، فالجملة الاستفهامية في موضع المفعول الثاني ليسألونك. ونصّوا على أنّ فعل السؤال يعلق، وإن لم يكن من أفعال القلوب، لأنه سبب للعلم، فكما تعلق العلم فكذلك سببه. وقال أبو عبد الله الرازي: لو كان حكاية لكلامهم لكانوا قد قالوا: ماذا أحل لهم ومعلوم أن ذلك باطل، لأنهم لا يقولون ذلك، وإنما يقولون: ماذا أحل لنا. بل الصحيح: أنّ هذا ليس حكاية كلامهم بعبارتهم، بل هو بيان كيفية الواقعة انتهى. انظر البحر المحيط (٣/٣٤٤).

وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ **الحرائر** ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ **حل لكم، وأورد الحكم المسطور مع أحكام حل أكل اللحوم سردا للحلال مع الحلال** ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ **المراد: المهور** ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ **أهل عهر على ملاء العالم** ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ **أهل عهر على السر،** ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ﴾ **عودا إلى مسلك سواه** ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ **الصالح الصادر أولا حال الإسلام،** ﴿وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ **لمعاده إلى دار الألم والكدر السرمد.**

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [1][آية:٦، ٧]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن الله تعالى لما ذكر هذا التكليف أردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد، وذلك من وجهين: الأول: كثرة نعمة الله عليهم، وهو المراد من قوله ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ ومعلوم أن كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لأوامره ونواهيه وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: إنما قال ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ ولم يقل نعم الله عليكم، لأنه ليس المقصود منه التأمل في إعداد نعم الله، بل المقصود منه التأمل في جنس نعم الله لأن هذا الجنيس جنس لا يقدر غير الله عليه، فمن الذي يقدر على إعطاء نعمة الحياة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات والإيصال إلى جميع الخيرات في الدنيا والآخرة، فجنس نعمة الله جنس لا يقدر عليه غير الله، فقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ المراد التأمل في هذا النوع من حيث إنه ممتاز عن نعمة غيره، وذلك الامتياز هو أنه لا يقدر عليه غيره، ومعلوم أن النعمة متى كانت على هذا الوجه كان وجوب الاشتغال بشكرها أتم وأكمل.

المسألة الثانية: قوله ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ مشعر بسبق النسيان، فكيف يعقل نسيانها مع أنها متواترة متوالية علينا في جميع الساعات والأوقات، إلا أن الجواب عنه أنها لكثرتها وتعاقبها =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾ المراد: أرادوه ﴿إِلَى الصَّلاةِ﴾ مع عدم الطهر ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المراد: معها، كما حكاه الرسول، والمراد: إمرار الماء لا الدلك إلا لدى مالك، ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ العامل لا مؤدى له، والمراد: امسحوا رءوسكم، وهل هو لمسحها كلها كما حكاه مالك، وأحمد أو لما هو مسمى مسحا كما رواه الإمام محمد، والأولى حمله على ما عمله الرسول الأكرم، وهو الحال الوسط لا كلها ولا ما هو مسمى مسحا، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ رواه ولد عامر وسواه ردا على معمول إمرار الماء أول الكلام، ورواه سواهم مكسور اللام لحصول إمرار كالمسح ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ معهما كما مر أولا، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ وإمرار الماء مروعكم ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ المراد: الوطء أو ما حكمه كحكمه كما مر ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ أموا ﴿صَعِيدًا﴾ كل ما على السطح ولو أملس صلدا مؤسسا أولا، ﴿طَيِّبًا﴾ طاهرا، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ مما على السطح ومر حكمه وكرره لوصل الكلام ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ ما أراد اله لكم عسرا والعامل مؤكد مؤدى له، ﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ الطهر للأعمال أو للأمر المعلوم، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ مكملا لكم مسلك الإسلام؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاءه.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ لما هداكم للإسلام، ﴿وَمِيثَاقَهُ﴾ عهده ﴿الَّذِي وَاثَقَكُمْ﴾ عاهدكم ﴿بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا﴾ لكلامك، ﴿وَأَطَعْنَا﴾ أوامرك لما عاهدكم الرسول على السمع وعدم السلوك على سوى ما هو آمركم عسرا وعكسه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ﴾ وراعوا عهود وعدم حلها ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ما أسره كل أحد هو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ

=

صارت كالأمر المعتاد، فصارت غلبة ظهورها وكثرتها سبباً لوقوعها في محل النيسان، ولهذا المعنى قال المحققون: إنه تعالى إنما كان باطناً لكونه ظاهراً، وهو المراد من قولهم: سبحان من احتجب عن العقول بشدة ظهوره، واختفى عنها بكمال نوره. انظر تفسير الرازي (٢٩٦/١١).

بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:٨]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل، ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ مؤدى مصده الحمل ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ هم أعداء الله ورسوله ﴿عَلَى أَلا تَعْدِلُوا﴾ والمراد: عدم ورود عدم الود لهم حاملا على عدم السلوك معهم على مسالك العدل، ﴿اعْدِلُوا﴾ مع العدو وعكسه ﴿هُوَ﴾ العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهو معد لكل أحد عمله.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ۝١٠ ﴾ [آية:٩، ١٠]

﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعدا حاصلا ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو دار المأوى والسرور الدائم ومعمول وعد الأول الاسم الموصول ودال المعمول سوى الأول هو أول الكلام ومحموله أو حاصله حال محل المعمول.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما سرد حال أهل الإسلام وما وعدهم سرد حال عكسهم وما أوعدهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١١ ﴾ [آية:١١]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ وهم أهل اللؤم أعداء الله راموا إهلاك الرسول وأهل الإسلام لما سارعوا إلى أداء العصر ورد الله مكرهم، ﴿أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أرادوا مدها لكم وإهلاككم، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوه، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٢ فَبِمَا

نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[1] [آية:١٢، ١٤]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا﴾ سلوك على سوى المسلك الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ عاهدوا كلهم على سلوك أممهم مسالك الأوامر، ﴿وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ معل لكم على أعدائكم وعهد الله لهم هو ﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ صار كلكم أرداء لهم، ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا﴾ مصدر أو معمول ﴿حَسَنًا﴾ كإعطائكم الأموال وسواها على إعلاء أمره وحكمه ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ مكمل لمدلول اللام الأولى وساد مسد مكمل العامل الام للام المحرر، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ العهد ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المسلك السوى والسواء أصلا اسم للوسط ولما ما داموا على العهد، حكى الله ما حصل لهم على عدم دوامهم وهو:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ﴾ (ما) مؤكد لا مؤدى له ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ طردوا عما هو ورود

---

(١) يخبر الله تعالى في هذه الآيات عن نقض الإسرائيليين مواثيق الله تعالى، فلقد أخذ الله العهود والمواثيق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى عليه السّلام، ليعملن بالتوراة، وأمرناه أن يختار اثني عشر نقيبا منهم، يتولون شؤون الأسباط (ذرية يعقوب) ويرعونهم، ويتحسسون أخبار أعدائهم ليقاتلوهم، فخان عشرة منهم العهد، وبقي اثنان، وأخبر الله على لسان موسى: أني مؤيّدكم وناصركم على عدوكم، ومطّلع عليكم ومجازيكم على أعمالكم. ومضمون الميثاق أو العهد الإلهي الشامل: لئن أقمتم الصلاة بشروطها وأدّيتموها أداء كاملا تامّا، وآتيتم الزكاة للمستحقّين وهو شيء من المال كان مفروضا عليهم، وآمنتم إيمانا صادقا برسلي وناصرتموهم، وأقرضتم القرض الحسن من غير ربا ولا فائدة، لأكفرن عنكم سيئاتكم، ولأدخلنكم جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، فمن جحد منكم شيئا من هذه الأوامر، وخالف مقتضى الميثاق بعد عقده. انظر التفسير الوسيط للزحيلي (١/٤٤٠).

على موارد المراحم، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا صلاح لها إلى الإسلام ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ حاصل العامل والمعمول لا محل له أو حال الهاء المعمول لما أدى مؤدى الطرد، ﴿وَنَسُوا حَظًّا﴾ ما عملوا كما أمروا ﴿مِمَّا ذُكِّرُوا﴾ وأمروا ﴿بِهِ﴾ وسط الكلام الموحى لموسى وهو الإسلام لمحمد، ﴿وَلا تَزَالُ﴾ الكلام مع الرسول محمد ﴿تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾ كعدم الدوام على العهود أو سواه ﴿إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ﴾ وهم الأولى أسلموا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ هل الأمر المحرر ممحو الحكم أو هو محمول على كل وارد على الرسول مسلما.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ العامل ومعموله الموصول معمول لعامل هو ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ عهدهم كما عوهد الأول، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما سلكوا على مسلك الأوامر ولا داموا على العهود، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أصدر الله ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وسلكوا عدد مسالك وأهل كل مسلك حاكم على عدم هدى سواهم، ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ لدى المعاد ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آية:١٥، ١٦]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ المراد كلاهما ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى، والموحى للروح كحكم الحد للعاهر وإسرارهم ما حكاه الروح على ورود أحمد، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما أسروه لعدم صدوره مصادما لإرساله ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ﴾ هو محمد رسوله الأكرم، ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ وحده لورودها كالواحد حكما ﴿اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ الإسلام ﴿سُبُلَ السَّلامِ﴾ اسم الله أو اسم للمسلك المسلم، ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ مسلك سوى الإسلام ﴿إِلَى النُّورِ﴾ مسلك الإسلام ﴿بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ المسلك الموصل له.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] [آية:١٧]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لما حكمو إلا واحد وحكموا على ورود الروح إلها صار كحكمهم على الله هو الروح ولو ما صرحوا، ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ﴾ رد مراد ﴿اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ رد لما ادعوه ولو إلها كما ادعوا لما صح وروده موارد الهلاك، ﴿وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [آية:١٨]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ﴾ المراد: كل مكرم لدى الله كإكرام الوالد لولده، ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ لهم الأمر لمحمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إهلاكا وأسرا، ولو

---

(١) المشهور في الأخبار، أن النصارى هم الذين اعتقدوا هذا الاعتقاد دون بني إسرائيل، نعم، أصل دخول هذه الشبهة على النصارى من يهودي يقال له: بولس، حسدًا منه، وذلك أنه دخل في دينهم، وفرق أموالهم، وتأهب للتعبد معهم، ثم سار إلى بيت المقدس وقطّع نفسه تقربًا عند قبري مريم وعيسى - عليهما السلام - في زعمهم، وكان معه رجلان اسمهما: يعقوب وناسور، فأخذ يعلمهما ذلك الفساد ويقول لهما: عيسى هو الله أو ابن الله، فلما قطع نفسه صار الرجلان يُفشيان ذلك عنه، فشاع مذهب الرجلين، وكان منهما الطائفة اليعقوبية والناسورية. ثم هددهم على الشرك فقال، أي: عيسى: ﴿إنه من يشرك بالله﴾ في عبادته، أو فيما يختص به من الصفات والأفعال، ﴿فقد حرم الله عليه الجنة﴾ أي: يمنع من دخولها؛ لأنها دار الموحدين، ﴿ومأواه النار﴾ أي: محله النار. لأنها معدة للمشركين، ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ أي: وما لهم أحد ينصرهم من النار. ووضع المظهر موضع المضمر، تسجيلا على أنهم ظلموا بالإشراك، وعدلوا عن طريق الحق، وهو يحتمل أن يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام، أو من كلام الله تعالى. انظر البحر المديد (٣/٢٨٣).

صح مدعاكم ما صدر كلاهما لكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الأولى أسلموا، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهم الأولى أسلموا، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ملكا ومملوكا وكلهم لدى الله سواء على الأساس المسطور، ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المال والمعاد، وهو معامل الكل على صالح أعمالهم وطالحها.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [آية:١٩]:

﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ أحكام الإسلام والمسلك المسلم ﴿عَلَى فَتْرَةٍ﴾ عدم وصول أحكام ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ كره ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ﴾ أولا مطروح أو لمحصل المصدر، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كإرسال الرسول واحد؛ إما لواحد وعصر، إما لعصر كما حصل لموسى والروح عكسه، وهو إرسال الرسول وحصول طول العهد والعصر وإرسال سواه كما حصل للروح ومحمد.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَـٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ

عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(١) [آية:٢٠ - ٢٦]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كالسلوى وما معها ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهر محلها، وهو المصلى المطهر وما حوله أو الطور وما حوله أو سواهما ﴿الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾ أمركم سلوكها، ﴿وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ لروع عدوكم، ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ المسعى.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هو كل مكره سواه على مراده وهم أولاد آل عاد أو سواهم، ﴿وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ لها.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ عدم السلوك والمرور على العهد المار ﴿أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا﴾ اطلعا على أحوال الأمم المار سردهم وعصمهم الله وما اطلعا أممهم على أمرهم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ المعد لسلوك محلهم مع عدم الروع، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ وحكما على علو الأمم على أعدائهم لما عهداه لموسى وهو

---

(١) قال السدي: " لما دخل بنو إسرائيل التيه، قالوا لموسى - عليه السلام - كيف لنا بما ها هنا، أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجرة النجبيل، والسلوى وهو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فإن كان سميناً ذبحه وإلا أرسله، فإذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب؟ فأمر الله - تعالى - موسى أن يضرب بعصاه الحجر فضربه فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، فشرب كل سبط من عين، فقالوا: هذا الشراب فأين الظل؟ فظلل الله عليهما الغمام. قالوا: هذا الظل فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتمزق لهم ثوب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغمام وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ المن والسلوى... ﴾ ومعنى الآية الكريمة: واذكروا يا بني إسرائيل من بين نعمي عليكم نعمة إظلالكم بالغمام وأنتم في التيه ليقيكم حر الشمس، وحرارة الجو، ولولا منحي إياكم الطعام اللذيذ المشتهى بدون تعب منكم في تحصيله لهلكتم، وقلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الذي رزقكم هذه النعم، ولكنكم كفرتم بها، فظلمتم أنفسكم دون أن ينالنا من ذلك شيء، لأن الخلق جميعاً لن يبلغوا ضري فيضروني ولن يبلغوا نفعي فينفعوني. فالآية الكريمة قد أشارت إلى جحودهم النعمة بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ولكن كانوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معطوف على محذوف، أي فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر. ويرى البعض أنه لا حاجة إلى التقدير، وأن جملة ﴿وَمَا ظَلَمُونَا ﴾ معطوفة على ما قبلها لأنها مثلها في أنها من أحوال بني إسرائيل. انظر التفسير الوسيط (٩٥/٣).

علوه على أعدائه، ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ **لما وعده رسله وهو كسرهم لأعدائهم.**

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ **مصدر (مَا دَامُوا) معمول على اصطلاح العامل المكرر،** ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾ **هم** ﴿إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾ **موسى لما سمع كلامهم وعدم سلوكهم على أمر الله** ﴿رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي﴾ **إلا** ﴿وَأَخِي﴾ **ولا أملك سواهما** ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ **الله علا اسمه** ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ **المراد: حلولهم وسطها** ﴿عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرْضِ﴾ **كلما ساروا عادوا إلى محلهم الأول وحصل الحمام لموسى وهم وسط المحل المحرر،** ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [آية:٢٧ - ٣٢]:

﴿وَاتْلُ﴾ **الأمر لمحمد** ﴿عَلَيهِمْ﴾ **المراد: لأهل الإسلام** ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ **إلى الله، والاسم مع معموله حال محل الحال لمعمول الأمر أو معمول على اصطلاح العامل المكرر،** ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ **لسوء عمله لعمد الأول إلى أعلى ما ملك وعمده هو إلى أحطه ومكر إلى الأول وحسده، ولما أم آدم أعمال المحرم وأراد محالها** ﴿قَالَ﴾ **الحاسد** ﴿لأقْتُلَنَّكَ﴾ **لحسده له** ﴿قَالَ إِنَّمَا

يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿لَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ﴾ هو مدها ﴿لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (ما) وما أمها مكمل اللام ودال مكمل العامل آلام لها.

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ الأول إهلاكه له وما أمه كل حرام أصدره أولا، ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ حاصل (الواو) وما أمها محمولا وعامله أول كلام لا محل له، وهو كلام الله أورده مصححا مدعى ولد آدم.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ رآه أمرا محمودا أو المراد كسهل مؤدى وكلما، ورواه راوٍ طاوع كعامل، والمراد طوع هو هو، ﴿فَقَتَلَهُ﴾ أمام حراء، ﴿فَأَصْبَحَ﴾ صار لما أهلكه ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ حالا ومآلا، مر عمره وهو مطرود ولا رأى سرورا إلى ورود حمامه.

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ [1] لما حمله وصار حائرا لورودهما أول مهلك وهالك، ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ المراد: لم أدرك ما أدركه هو لما أهلك سواه ولحده وها هو أحمله عاما حائرا ولم اهد إلى أمر لحده، ﴿فَأُوَارِيَ﴾ الحد ﴿سَوْءَةَ أَخِي﴾ المراد كله، ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على إهلاكه وحمله له عاما كاملا وطرد آدم له واسوداده، ولما رأى لحد الطائر لحده هو كما لحد الطائر.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ المراد: لما حرر وسطر، وهو مصدر الأصل وصار معللا لكل محرم وأوسع له إلى وروده معللا على العموم ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ﴾ (الهاء)

---

(١) البعث هنا مستعمل في الإلهام بالطيران إلى ذلك المكان، أي فألْهم الله غراباً ينزل بحيث يراه قابيل. وكأنّ اختيار الغراب لهذا العمل إمّا لأنّ الدفن حيلة في الغِربان من قبلُ، وإمّا لأنّ الله اختاره لذلك لمناسبة ما يعتري الناظر إلى سواد لونه من الانقباض بما للأسيف الخاسر من انقباض النفس. ولعلّ هذا هو الأصل في تشاؤم العرب بالغراب، فقالوا: غُراب البين. والضمير المستتر في (يُريَه) إن كان عائداً إلى اسم الجلالة فالتعليل المستفاد من اللام وإسناد الإرادة حقيقتان، وإن كان عائداً إلى الغراب فاللام مستعملة في معنى فاء التفريع، وإسناد الإرادة إلى الغراب مجاز، لأنّه سبب الرؤية فكأنّه مُرِيءٌ. و(كيف) يجوز أن تكون مجرّدة عن الاستفهام مراداً منها الكيفية، أو للاستفهام، والمعنى: ليريه جواب كيف يُواري. وَالسَّوْأة: مَا تَسُوء رؤيتُه، وَهِي هنا تغيّر رائحة القتيل وتقطّع جسمه. انظر التحرير والتنوير (١٧٣/٦).

لحاصل الحال والأمر ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أهلكها الملك، ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ حركه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ كحسم المسالك والسوء لكل سالك، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لهدمه ما أسسه الله واحدا أو عددا، ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ كما لو ردع أحدا رام إهلاك أحد، ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الأمر المحرر والحكم المؤكد ﴿فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ ما راعوا الحدود والعهود.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٌ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آية:٣٣، ٣٤]:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: كل أحد والاهما وهم أهل الإسلام، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ سدا للمسالك ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ لو هم أصدروه وحده ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ معه لو أصدروه وحصلوا الأموال معه، ﴿أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ﴾ لو حاولوا الأموال وحدها، ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ لو راموا ردع كل سالك وما مرادهم لا الأرواح ولا الأموال ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما هو عائد له كحدوده وحدها ولو عائد إلى ولد آدم لا، وحكمه على ما حرر الإهلاك لو أهلك والحسم لو حصل على الأموال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية:٣٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ راعوا ما وعد وما أوعد، ﴿وَابْتَغُوا﴾ روموا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ كل أمر موصل له أو محل وسط دار المأوى كما ورد، ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ أعداءه لإعلاء أمره، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وصولا وحصولا على إكرامه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ

مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ﴾ (الواو) حال محل مع ﴿مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ محصل مصدر العامل المؤكد الآم لـ (لو) معمول مطروح محله وراء لو، وهو لو صح أو سلم وما أدى مؤداهما مما هو أولى، والكلام المصدر ما مكمل ولو مع ما معها محمول اسم العامل المؤكد الأول.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه ﴿مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾[1] (ال) اسم موصول أول كلام ومحموله حاصل، ﴿فَاقْطَعُوا

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قد قطع السارق في الجاهلية، وأول من حكم بقطعه في الجاهلية الوليد بن المغيرة، فأمر الله بقطعه في الإسلام، فكان أول سارق قطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام من الرجال الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومن النساء مرة بنت سفيان بن عبدالأسد من بني مخزوم، وقطع أبو بكر يد اليمنى الذي سرق العقد؛ وقطع عمر يد ابن سمرة أخي عبدالرحمن بن سمرة ولا خلاف فيه. وظاهر الآية العموم في كل سارق وليس كذلك؛ لقوله عليه السلام "لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا" فبين انه إنما أراد بقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ بعض السراق دون بعض؛ فلا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار، أو فيما قيمته ربع دينار؛ وهذا قول عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي رضي الله عنهم، وبه قال عمر بن عبدالعزيز والليث والشافعي وأبو ثور؛ وقال مالك: تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم، فإن سرق درهمين وهو ربع دينار لانحطاط الصرف لم تقطع يده فيهما. والعروض لا تقطع فيها إلا أن تبلغ ثلاثة دراهم قل الصرف أو كثر؛ فجعل مالك الذهب والورق كل واحد منهما أصلا بنفسه، وجعل تقويم العروض بالدراهم في المشهور. وقال أحمد وإسحاق: إن سرق ذهب فربع دينار، وإن سرق غير الذهب والفضة كانت قيمته ربع دينار أو ثلاثة دراهم من =

﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ كرعها كما رواه ولد مسعود مصرحا وحد الحسم إلى الكوع، والمراد مما هو محكى لكم حكمها، وروى راوٍ وصل الموصول معمولا للأمر آلام له ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالا مِنَ اللهِ﴾ كلاهما معمول على المصدر ودال عاملهما الأمر المار، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها.

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ عمله وصمم على عدم العود، ﴿فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما هو عائد لله وما عاد أمره إلى ولد آدم إلا لدى أحد العلماء الأعلام.

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الكلام مع الرسول أو مع أحد كل أحد، والسؤال لصدور الحكم كلاما على ﴿أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا

=

الورق. وهذا نحو ما صار إليه مال في القول الآخر؛ والحجة للأول حديث ابن عمر أن رجلا سرق جحفة، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بها فقومت بثلاثة دراهم. والشافعي حديث عائشة رضي الله عنها في الربع دينار أصلا رد إليه تقويم العروض لا بالثلاثة دراهم على غلاء الذهب ورخصه، وترك حديث ابن عمر لما رآه - والله أعلم - من اختلاف الصحابة في المجن الذي قطع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٠/٦)

حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية: ٤١ - ٤٣]:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ محمد ﴿لا يَحْزُنْكَ﴾ عمل ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ الأولى سارعوا له ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ هم كل مسلم كلاما ومصمم على عدمه سرا وصدرا، والواو للحال أو للرد، ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هودهم.

﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ سماعا مسلما لدى أحلامهم ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ أرسلوهم لك لسماع حكم العاهر وحده لما عهر أحد الهود، وكرهوا حده، وأرادوا سؤالك الحكم على العاهر ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ داموا الملام، وأرسلوا سواهم للسؤال، ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الموحى لموسى كالحكم على العاهر وحده أوله أهل، ﴿بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ محاله إما أهمالا وإما حملا على سوى ما أراده الله ﴿يَقُولُونَ﴾ لما أرسلوهم لمحمد ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ﴾ حكم لكم محمد على ﴿هَذَا﴾ الحكم المحول على سوى ما أراده الله ﴿فَخُذُوهُ﴾ اعملوا على حكمه، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾ وحكم لكم محمد على سواه ﴿فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا﴾ أمر أراد إلها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ ولو أراده لحصل ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ رواه راوٍ محرك الحاء كأوله، وراوٍ ما حركه وهو الحرام على كل، ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ المراد للسؤال والحكم على العاهر وسواه، ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ وحكم أو المحرر محا مؤداه أمر الحكم كما أمر الله على كل حال ولو الدعوى لمسلم مع سواه وحصل السؤال، وروم الحكم لا مسلك سوى الحكم لدى كل العلماء الأعلام، ﴿وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المراد: مكرم لكل عادل.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ﴾ ما حكموك إلا لردع العسر، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ عما حكم لهم الرسول وهو حد العاهر ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الحكم، ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا

تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾(١) [آية:٤٤]:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى﴾ لكل سالك على مسلكها، ﴿وَنُورٌ﴾ سطوع احكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ موسى وسواه إلى محمد إلا لو ورد ما محا حكمها والحاكم الرسل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ أطاعوا وسلموا لأوامر الله، ﴿وَالرَّبَّانِيُّونَ﴾ العلماء على العموم، ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ علماء الملل ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا﴾ أودعهموه الله ﴿مِنْ كِتَابِ اللهِ﴾ ما حولوه ولا حاولوه، ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ ما سلموا المحاول ومحول لإحكامه.

﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ الكلام مع الهود لإسرارهم ما دل على إرسال محمد أو مع الحكام لحكمهم على ما أمر الله، ﴿وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا﴾ ما رسمه الهود لعلمائهم لو الكلام لهم أو ما رامه الحكام على الحكم على سوى أمر الله، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لو ادعى حل الحكم على سوى ما أمر الله أو ادعى عدم وروده حكما.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [آية:٤٥]:

---

(١) قال ابن أبي زمنين: قيل: الربانيون العباد فلا تخشوا الناس في إقامة الحدود على أهلها من كانوا واخشون في ترك إقامتها ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله قال الحسن يقول من لم يتخذ ما أنزل الله دينا ويقر به فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها يريد التوراة أن النفس بالنفس إلى قوله ﴿والجروح قصاص﴾ وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة وكل ما ذكر الله في القرآن أنه أنزله في الكتاب الأول ثم لم ينسخه بالقرآن فهو ثابت يعمل به فمن تصدق به فهو كفارة له قال قتادة يعني كفارة لذنبه يحيى عن المعلى عن أبان عن الشعبي عن رجل من الأنصار قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل فمن تصدق به فهو كفارة له قال هو الرجل تكسر سنه أو يجرح في جسده فيعفو فيحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه إن كان نصف الدية فنصف خطاياه وإن كان ربع الدية فربع خطاياه وإن كان ثلث الدية فثلث خطاياه وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها سورة المائدة من الآية إلى الآية ﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم﴾ إلى قوله ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الفسق ها هنا الشرك قال محمد ومعنى قفينا أتبعنا والمصدر منه تقفية. انظر تفسير ابن أبي زمنين (١٦٢/٣).

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ رواه راوٍ مردود أرده الواو على اسم العامل المؤكد، وراوٍ مسموك المحل على العامل المؤكد وما معه، ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ كلام ومحموله أو مردود على اسم العامل المؤكد، ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ﴾ سامح ﴿بِهِ﴾ سواه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ للسوى، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ على العموم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٦]:

﴿وَقَفَّيْنَا﴾ هو الإرسال واحدا إما لواحد ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الرسل وأعمهم ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لما أوحاه الله لموسى ﴿مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ حاصل الهدى وما معه محله الحال، ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ محله الحال ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [آية:٤٧]:

﴿وَلْيَحْكُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام على طرح محصل المصدر ﴿أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [آية:٤٨]:

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام مع الرسول محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كله الموحى لسائر الرسل، ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المراد: الكلام المكرم كالئ لكل كلام أوحاه الله إلى الرسول عما حوله أهل المرام ما ﴿فَاحْكُمْ

﴿بَيْنَهُمْ﴾ **أمم موسى والروح لو راموا حكمك لهم** ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ **عادلا** ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ **الكلام للأمم** ﴿شِرْعَةً﴾ **أصله مسلك الماء أعاروه إلى ما أسسه الله للعوالم معارا مصرحا،** ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ **مسلكا،** ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ **على مسلك واحد،** ﴿وَلَكِنْ﴾ **ما أراد وحصل ما حصل** ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ **وهو سطوع أمر كل طائع وعاص** ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ **سارعوا لها** ﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ **لدى المعاد** ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ **وكل أحد معامل على عمله.**

﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ﴾[1] **لا** ﴿يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ **عما حكم الله وأوحاه لك وأرادوا سواه،** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ **حالا ومعاملهم على ما عداه مآلا،** ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ **هو كما لو مال الحاكم مع أحد أهل الدعوى وعدل عما هو عدل** ﴿يَبْغُونَ﴾ **رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه،** ﴿وَمَنْ﴾ **لا أحد** ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ **اللام حال محال لدى.**

---

(١) سبب نزولها أن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشأس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وأنا إن تبعناك اتبعك اليهود وإن بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية هذا قول ابن عباس وذكر مقاتل أن جماعة من بني النضير قالوا له هل لك أن تحكم لنا على أصحابنا أهل قريظة في أمر الدماء كما كنا عليه من قبل ونبايعك فنزلت هذه الآية قال القاضي أبو يعلى وليس هذه الآية تكرارا لما تقدم وإنما نزلتا في شيئين مختلفين أحدهما في شأن الرجم والآخر في التسوية في الديات حتى تحاكموا إليه في الأمرين. انظر زاد المسير (٢/٣٧٥).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [آية:٥١، ٥٢]:

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ المراد: عدم ودهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ وصدر لا مرام له إلا الود، ولو لأمر أداه له كروعه لا كما مر، ﴿فَإِنَّهُ﴾ معدود ﴿مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ هم كل مواد لأعداء الله ودا مصمما لإحلالهم الود سوى محله.

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عدم كمال إسلام ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ إلى ودهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معللا كل واحد وداده لهم لأمر هو ﴿نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ ما أداره الدهر كعدم علو محمد وأهل الإسلام، أو علوهم هم على الإسلام، أو لمدهم لهم لدى عسر المطعم وعلو أسعاره، ورد الله عللهم لما أوحى، ﴿فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ لرسوله على الأعداء، ﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ كإهلاكهم وطردهم أو الأمر اطلاع رسوله على سواء صدورهم وسرهم ومكرهم وإسلامهم الحاصل كلاما وسطوع حالهم إلى العالم كلهم، ﴿فَيُصْبِحُوا﴾ هؤلاء الأولى أسلموا كلاما لا سرا ﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية:٥٣]:

﴿وَيَقُولُ﴾ رواه راوٍ مردودا على معمول محصل المصدر، وراوٍ مسموكا أول كلام مع الواو وعدمها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لدى اطلاعهم على أحوالهم ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ إسلاما ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ كل عمل صالح لهم، وهو محل سؤال لعدم ورود عمل صالح لهم أصلا مع إصرارهم على عكس الإسلام، ولو سلم ورود صالح الأعمال لهم سلم عدم هدمها ودوامها على حالها الأول لعدم صلاح سطوع سوء حالهم للورى هادما لأعمالهم، ولعل المراد: الحكم على هدمها لدى

العالم أو هو حال محل ما أسرع هدم أعمالهم، ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [1] [آية: ٥٤ - ٥٦]:

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: فيه أربع مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ شرط وجوابه ﴿فَسَوْفَ﴾. وقراءة أهل المدينة والشام ﴿مَنْ يَرْتَدِدْ﴾ بدالين. الباقون ﴿مَنْ يَرْتَدَّ﴾. وهذا من إعجاز القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم: إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيبا، فكان على ما أخبر بعد مدة، وأهل الردة كانوا بعد موته صلى الله عليه وسلم. قال ابن إسحاق: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب إلا ثلاثة مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد جؤاثى، وكانوا في ردتهم على قسمين: قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها؛ قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي؛ فقاتل الصديق جميعهم؛ وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم وسباهم؛ على ما هو مشهور من أخبارهم. الثانية - قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ في موضع النعت. قال الحسن وقتادة وغيرهما: نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه. وقال السدي: نزلت في الأنصار. وقيل: هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت، وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية؛ وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة، ومن أشجع. وقيل: إنها نزلت في الأشعريين؛ ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين، وقبائل اليمن من طريق البحر، فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن؛ هذا أصح ما قيل في نزولها. والله أعلم. وروى الحاكم أبو عبدالله في "المستدرك" بإسناده: أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري لما نزلت هذه الآية فقال: "هم قوم هذا" قال القشيري: فأتباع أبي الحسن من قومه؛ لأن كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الأتباع. الثالثة - قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَذِلَّةٍ﴾ نعت لقوم، وكذلك ﴿أَعِزَّةٍ﴾ أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم؛ من قولهم: دابة ذلول أي تنقاد سهلة، وليس من الذل في شيء. ويغلظون على الكافرين ويعادونهم. قال ابن عباس: هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد، وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته؛ قال الله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. ويجوز " أَذِلَّةً " بالنصب على الحال؛ أي يحبهم ويحبونه في هذا الحال، وقد =

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ ورواه راوٍ على الأصل، وهو حل داله وعدم حلولها مع الدال الأول ﴿مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ﴾ هم آلوا والد موسى كما ورد، ورواه الحاكم ﴿يُحِبُّهُمْ﴾ هاد لهم ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ كلهم رائم السلوك على مسلك أوامره، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ رحماء لأهل الإسلام، ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ مسلطهم الله على أعدائه وكاهروهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ كلاهما مدح لهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى مدائحهم ﴿فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ﴾ عطاؤه وكرمه، ﴿عَلِيمٌ﴾ محل العطاء وأهله ولما ردعوا عما هو وداد للأعداء حكى الله لهم محل الوداد وأهله وأوحى.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ المراد: على أكمل الأحوال أو حال ركوعهم والمدح وارد لولد عم الرسول الأسد الكرار لما سأله سائل وهو راكع وأعطاه حرصا وإسراعا إلى الإكرام.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ورد ردا لما ادعاه أهل الإسلام كلاما وهو ودادهم للأعداء روع علوهم على أهل الإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ ورواه والد عمرو مكسورا ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ دعوا وداد أعدائه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ لكل ما وعد وأوعد.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمْ

=

تقدمت معنى محبة الله تعالى لعباده ومحبتهم له. الرابعة - قوله تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ في موضع الصفة أيضا. ﴿وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ بخلاف المنافقين يخافون الدوائر؛ فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؛ لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقاتلوا المرتدين بعده، ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٢٠).

قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ لأمر، وهو عدم الكمال دال على عدم العلم والإدراك.

﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾ [آية:٥٩]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هو الهود ﴿هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ وهو الكلام المكرم، ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل الأول مر عهدهم كموسى، والمراد: ما لكم مسلك لعدم المدح إلا إسلام أهل الإسلام لله ورسوله وللرسل الأول، وما ورد لهم وكله مؤد إلى المدح لا إلى عكسه، ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ العامل المؤكد رده الواو معموله على محصل المصدر الآم لالا، وحاصل الكلام عدم مدحكم لأهل الإسلام وسلوككم على عكسه لإسلامهم للرسل وعدم إسلامكم، ولما كلم الهود الرسول ما حاصله مسلكك أسوء المسالك أوحى الله لرسوله:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّـٰغُوتَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [آية:٦٠ - ٦٣]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر وهو عامل الكسر ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ طرده، ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ﴾ مردود رده الواو على وصل الاسم الموصول ﴿الطَّاغُوتَ﴾ هو كل ما أطاعوه، أو المراد: عدو آدم المطرود، ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ لحلولهم دار الدرك وسوء الدار، ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المسلك الوسط لا كدعوى ما أدعوه للروح ولا كما ادعوه الهود.

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ اليهود الأولى أسلموا كلاما ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ كلاهما حال الواو، والمراد: حلولهم مع أهل الإسلام وطلوعهم على حال واحد وسماعهم لكلام الرسول سدى، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ وهو إصرارهم على عدم الإسلام.

﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ﴾ كل حرام أو كل كلام لا أصل له، ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ العول وعكس العدل، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم المحرر.

﴿لَوْلا﴾ هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ﴾ علماء سائر العلوم، ﴿وَالأَحْبَارُ﴾ علماء الملل والأحكام ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ﴾ ما لا أصل له، ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ علماؤهم وهو وهو عدم ردعهم لهم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [آية: ٦٤]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ﴾ (١) هو ممسك ماله كرم ولا عطاء، وورد ردا لما ادعوه ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ دعاء لحصول الأسر لهم، ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ عطاؤه وكرمه موسع لكل أحد ﴿يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ مع وسع العطاء لواحد وعدم وسعه لواحد على ما أدى له علمه أحوال الكل، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو الكلام المكرم ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم له، ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كل واحد سلك مسلكا سوى مسلك سواه، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا

---

(١) في سبب قولهم هذا ثلاثة أقوال: أحدها أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وكفروا به كف عنهم بعض ما كان بسط لهم فقالوا يد الله مغلولة رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال عكرمة والثاني أنه الله تعالى استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة فقالوا إن الله بخيل ويده مغلولة فهو يستقرضنا قاله قتادة والثالث أن النصارى لما أعانوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس قالت اليهود لو كان الله صحيحا لمنعنا منه فيده مغلولة ذكره قتادة أيضا. انظر زاد المسير (٣٩٢/٢).

لِلْحَرْبِ﴾ مع الرسول الأكرم وأهل الإسلام ﴿أَطْفَأَهَا اللهُ﴾ المراد: كلما أرادوه ردهم، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا﴾ ما مسعاهم الإله، ﴿وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ أسلموا لمحمد، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ ما عدد لهم ومر حكمه ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ ما أصدروه أولا، ﴿وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ على ما أوحاه الله لهم ولا حاولوهما ولا حولوهما ولا أسروا أحكامهما، ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ المراد: لوسع الله لهم العطاء، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ سلكوا مسلك العدل وهم الأولى أسلموا لمحمد كولد سلام وسواه، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ه حاصل الكلام حال محل ما أسوء عملهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آية:٦٧]:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ كل ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ رواه راوٍ على الواحد، وراوٍ على العدد، والمراد: إسرارك حكما واحدا كإسرارك سائر الأحكام على حد سواء، ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ دمك معصوم لا وصول لهم إلى روحك، ﴿إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آية:٦٨]:

﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مسلك مراعى أمره ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

وَالإنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كما أوحى الله مع عدم إسرار حكم ما، ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وهو كلامه المكرم ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لعدم إسلامهم له، ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ لعود سوء مسراهم، وعملهم لهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آية:٦٩]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ الهود، ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾ مسموك على أول الكلام ومحموله مطروح، وهو حكمهم كحكم الأول، ﴿وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللهِ﴾ ورسوله، ولولاه لما صح إسلامه، ﴿وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ الاسم الموصول أول كلام محموله، ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهو دال محمول اسم العامل المؤكد.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [آية:٧٠]:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على لا إله إلا الله، وإسلامهم للرسل، ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ حوله لما حكى الحال.

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [آية:٧١]:

﴿وَحَسِبُوا أَلا تَكُونَ﴾ رواه راوٍ معمولا لمحصل المصدر، وراوٍ مسموكا، والعامل أصله العامل المؤكد، وعلى كل لو للمصدر أو المؤكد هو وما معه سد مسد ما رامه العامل الأول، ﴿فِتْنَةٌ﴾ لهم مع عدم إسلامهم وحل العهد وعهدهم الرسل، ﴿فَعَمُوا﴾ ما رأوا الهدى، ﴿وَصَمُّوا﴾ ما سمعوا دلائله لما أموا ما سواه لهم لا مساس، ﴿ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما عادوا إلى الله، ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ رواهما راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سواه، والمراد: عما هم الله وصمهم ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر أو واو عموا وصموا لعدد وهو معموله كأكلوهم أو محمول على مروح هو أهل العمى والصمم، ﴿وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ

يَـٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾ [آية:٧٢]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ **لما حكموا إلا إله إلا واحد، وحكموا على ورود الروح إلها كحكمهم على الله هو الروح،** ولو ما صرحوا كلاما، ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ **ما ادعى وروده مملوكا والمملوك سوى الإله** ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ **ما لهم راد لم أعدَّ الله لهم.**

﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ (1)[آية:٧٣ - ٧٥]:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ **المراد: أحدهم، وهما الروح وأمه،** ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ **رد لدعواهم،** ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ **وما وحدوه** ﴿لَيَمَسَّنَّ

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ أي أحد ثلاثة. ولا يجوز فيه التنوين؛ عن الزجاج وغيره. وفيه للعرب مذهب آخر؛ يقولون: رابع ثلاثة؛ فعلى هذا يجوز الجر والنصب؛ لأن معناه الذي صير الثلاثة أربعة بكونه منهم. وكذلك إذا قلت: ثالث اثنين؛ جاز التنوين. وهذا قول فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية؛ لأنهم يقولون أب وابن وروح القدس إله واحد؛ ولا يقولون ثلاثة آلهة وهو معنى مذهبهم، وإنما يمتنعون من العبارة وهي لازمة لهم. وما كان هكذا صح أن يحكى بالعبارة اللازمة؛ وذلك أنهم يقولون: إن الابن إله والأب إله وروح القدس إله. وقد تقدم القول في هذا في ﴿النساء﴾ فأكفرهم الله بقولهم هذا، وقال ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي أن الإله لا يتعدد وهم يلزمهم القول بثلاثة آلهة كما تقدم، وإن لم يصرحوا بذلك لفظا؛ وقد مضى في ﴿البقرة﴾ معنى الواحد. و﴿مِنْ﴾ زائدة. ويجوز في غير القرآن ﴿إِلَهاً وَاحِداً﴾ على الاستثناء. وأجاز الكسائي الخفض على البدل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٤٩).

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: داموا على عدم عملهم وعماهم ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ودال الحمل على الدوام هو:

﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ لما أساؤا، وهو الحلول أو هو أحد عدد، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل عائد له عما صدر ومردوع عما أوعده على عمله.

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ما هو إلا رسول كالرسل الأول أعطاه الله رد الروح كما أعطاه لموسى لما رد الروح إلى عصا وورد ولا والد له ها آدم لا والد له ولا أم، وهو أصلح لدعواهم ما ادعوها له، ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ كسائر ولد آدم، وما حال إلا له أكل الطعام، ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ﴾ على إله واحد ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [آية: ٧٦، ٧٧]:

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا﴾ هو الروح وأورد له ما لأمر وهو لورد إلى حاله لما أدرك ولا ملك ﴿لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾ أورده أولا لوروده أهم، ﴿وَلا نَفْعًا وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ كلامكم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ عالم أحوالكم، ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ أم موسى والروح ﴿لا تَغْلُوا﴾ هو الوصول إلى ما وراء الحدود ﴿فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كدعوى ورود الروح إلها، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم والدوهم الأولى مر عهدهم أولا، ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ مسلك الهدى والسواء الوسط.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [آية: ٧٨، ٧٩]:

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ دعاوا وود على أهل محل معلوم لما عصوا أوامر الله وحول الله صورهم، ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ دعا على أهل الموائد، وحول الله صورهم إلى سوى صور ولد آدم، ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ﴾.

﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ **المراد: أرادوا عمله** ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ **ه عملهم المحرر.**

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [آية:٨٠، ٨١]:

﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] **وداد وحملهم على ودهم لهم حسدهم للرسول وأهل الإسلام** ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ **لورودهم على موارده لدى المعاد** ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ﴾ **محمد أو رسولهم** ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ **لما مالوا إلى سوى ما أمرهم.**

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ﴾ أي من اليهود؛ قيل: كعب بن الأشرف وأصحابه. وقال مجاهد: يعني المنافقين ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي المشركين؛ وليسوا على دينهم. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي سولت وزينت. وقيل: المعنى لبئس ما قدموا لأنفسهم ومعادهم. ﴿أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿أَنْ﴾ في موضع رفع على إضمار مبتدأ كقولك: بئس رجلا زيد. وقيل: بدل من ﴿مَا﴾ في قوله ﴿لَبِئْسَ﴾ على أن تكون ﴿مَا﴾ نكرة فتكون رفعا أيضا. ويجوز أن تكون في موضع نصب بمعنى لأن سخط الله عليه: ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ ابتداء وخبر. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٥٤).

﴿ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝٨٤ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٥﴾ [آية:٨٢ - ٨٥]:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أهل الحرم الحرام لمرودهم وسلوكهم مسالك الهوى، ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ لعدم مرودهم كما مرد أولئك، ولحصول هممهم إلى العلم والعمل؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ولما أسمع الرسول رهطا لهم كلام الله ومالوا له وأسلموا أوحى الله لرسوله:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ لكلامك أو لرسولك محمد، ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المراد: مع أهل إسلام لأدائهم لها على الأمم لدى المعاد كما مر.

﴿وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ كلامه الموحى لرسوله، ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ أهل الإسلام دار المأوى والسرور السرمد.

﴿فَأَثَابَهُمُ اللهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لسلوكهم مسالك الإسلام لما سطع لهم داله.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٨٦﴾ [آية:٨٦]:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ لما حكى حال أهل الإسلام، ووعدهم حكى حال عكسهم وأوعدهم وسرد ما أعد لأولئك وما أعد لهؤلاء، ولما صمم رهط لأهل الإسلام على عهد الرسول على دوام الصوم وطول السهر والسهاد وعدم أكل اللحم والودك وعدم الوطء أوحى الله لرسوله ردعا لهم عما صمموا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [آية:٨٧، ٨٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا﴾ حدود ما حلل لكم إلى ما حرم ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ ۖ فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّـٰرَةُ أَيْمَـٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [آية:٨٩]:

﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما أسرع له كلام المرء ولا عمد كلا والله ووالله، وما حكمه كحكمه أو ما آلى المرء على حصوله والأمر على عكس ما علم، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ﴾ رواه راوٍ كسدد، وراوٍ كورد، وراوٍ كعاهد، والمراد: ما آلى على حصوله، ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل واحد مدا والصاع لواحد وواحد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ لا أعلاه ولا أحطه، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ كما لو عممهم أو أعطى لكل واحد رداء، ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ الإسلام مراعى، ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحدا مما حرر ﴿فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ﴾ مع وصلها أو مع عدم الوصل ﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ والأمر على عكس ما آلى أحدكم، ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ كما لو آلى على عدم وروده إلى محل معلوم دام على ما آلى إلا لو الأصلح وروده، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أحكامه ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آلاءه على ما سهل لكم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آية:٩٠ - ٩٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ [(١)] السكر وكل مسكر حكمه حكمه، ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ مصدر كالموعد، وهو الوصول إلى مال سواه على مسلك واصطلاح محرم معلوم لهم، ﴿وَالأَنْصَابُ﴾ كود وسواع، ﴿وَالأَزْلامُ﴾ عود كالسهام محرر على أحدها العمل، وعلى أحدها الردع، وعلى أحدها عدمهما، كلما رام أحدهم أمرا أسرع إلى مودعهما ورام حكمه له على العمل أو عدمه كما أمره السهم المحرر عمل ﴿رِجْسٌ﴾ عمل مكروه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وهو حكم مؤكد للردع عما هو سكر لسرده له أولا.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ أورد هل أعلا ما لوصول أمر الردع إلى حده وهو أردع لأهل الإدراك والأحلام.

﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾ الورود على موارد روعهما لكم، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ وهو أداه لكم كما أمر.

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾ ملام ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ أو مما حرر سكرا وسواه ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ كل محرم، ﴿وَآمَنُوا﴾ داموا على الإسلام، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ لما ورد لهم الردع عما هو سكر وسواه، ﴿وَآمَنُوا﴾ أسلموا وسلموا لعدم حله، ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ داموا على كل عمل صالح، ﴿وَاللهُ يُحِبُّ

---

(١) ذكرالمفسرون في سبب نزول هذه الآيات روايات منها: ما جاء في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت في آيات من القرآن، وفيه قال. وأتيت على نفر من الأنصار فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً وذلك قبل أن تحرم الخمر - قال فأتيتهم في حش - أي بستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال. فأخذ رجل - من الأنصار - لحي جمل فضربني به فجرح أنفي، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأنزل الله - تعالى - ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشيطان فاجتنبوه ﴾.. الآيات. ومنها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار. شربوا حتى ثملوا، فعبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا، وجعل الرجل منهم يرى الأثر بوجهه ولحيته فيقول: فعل هذا بي أخي فلان - وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن - والله لو كان بي رءوفاً رحيما ما فعل بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن فأنزل الله: ﴿ياأيها الذين آمَنُواْ إِنَّمَا الخمر ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّنتَهُونَ ﴾. انظر التفسير الوسيط (٥٣٠/٢).

الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: مكرمهم على صالح أعمالهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾ [آية: ٩٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بِشَيْءٍ﴾ مرسل لكم حال إحرامكم ﴿مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ وصار المصاد واردا إلى رحالهم ﴿لِيَعْلَمَ اللهُ﴾ علم سطوع أو أورد العلم وأراد حصول معلومه ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ واصطاد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٥، ٩٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ واحده حرام كرداح وردح، والمراد: حال الإحرام، ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ أول كلام مطروح المحمول وهو على صائده هو ﴿مِثْلُ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ صورا أو أموالا.

﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهما إدراك كامل ﴿هَدْيًا﴾ حال الهاء المكسور محله ﴿بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ المراد: سال دمه وسط الحرم ﴿أَوْ﴾ على صائده ﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ﴾ محمول على مطروح، ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿ذَلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامًا﴾ أو ما ساوى الإطعام مما هو صوم على عدد المعطى لهم ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ هو ما حمله عسر ﴿أَمْرِهِ عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ ما صاده المرء حال الإحرام لدى عدم ورود الردع، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ سمكه وحده أو كل ما لا عمر له إلا وسط الماء، وداله

ما ورد وهو هو الطهور ماؤه الحل هالكه، ﴿وَطَعَامُهُ﴾ المراد: طعام الماء وهو ما هالكا ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ لو صاده المحرم ولو صاده الحلال حل له أكله، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾(١) [آية:٩٧ - ٩٩]:

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة وذلك أنه تعالى ذكر تعظيم الإحرام بالنهي عن قتل الوحش فيه بحيث شرع بقتله ما شرع وذكر تعظيم الكعبة بقوله هدياً بالغ الكعبة، فذكر تعالى في هذه الآية أنه جعل الكعبة قياماً للناس أي ركز في قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها أذى أحد، وصارت وازعة لهم من الأذى وهم في الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من أذى بعضهم فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم وأخذهم بالثأر، ولذلك جعل الثلاثة المذكورة بعد الكعبة قياماً للناس فكانوا لا يهيجون أحداً في الشهر الحرام ولا من ساق الهدي لأنه لا يعلم أنه لم يجئ لحرب ولا من خرج يريد البيت بحج أو عمرة فتقلد من لحي الشجر ولا من قضى نسكه فتقلد من شجر الحرم، ولما بعثت قريش زمن الحديبية إلى المؤمنين الحلس قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم)): (هذا رجل يعظم الحرمة فألقوه بالبدن مشعرة) فلما رآها الحلس عظم عليه ذلك وقال ما ينبغي أن يصد هؤلاء ورجع عن رسالة قريش، وجعل هنا بمعنى صير. وقيل جعل بمعنى بين وينبغي أن يحمل هذا على تفسير المعنى إذ لم ينقل جعل مرادفة لهذا المعنى لكنه من حيث التصيير يلزم منه التبيين والحكم، ولما كان لفظ الكعبة قد أطلقه بعض العرب على غير البيت الحرام كالبيت الذي كان في خثعم يسمى كعبة اليمانية، بين تعالى أن المراد هنا بالكعبة البيت الحرام، وهو بدل من الكعبة أو عطف بيان، وقال الزمخشري: البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك انتهى. وليس كما ذكر لأنهم ذكروا في شرط عطف البيان الجمود فإذا كان شرطه أن يكون جامداً. لم يكن فيه إشعار بمدح إذ ليس مشتقاً وإنما يشعر بالمدح المشتق إلا أن يقال أنه لما وصف عطف البيان بقوله الحرام اقتضى المجموع المدح فيمكن ذلك والقيام مصدر كالصيام ويقال هذا قيام له وقوام له وكأنهم ذهبوا في قيام إلى أنه ليس مصدراً بل هو اسم كالسواك فلذلك صحت الواو قال: قوام دنيا وقيام دين. إذا لحقت تاء التأنيث لزمت التاء قالوا القيامة واختلفوا في تفسير قوله =

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ **المحرم** ﴿قِيَامًا﴾ **ورواه راوٍ كارم، وهو حال أو مصدر** ﴿لِلنَّاسِ﴾ **إعلاء لأمر حالهم ومعادهم،** ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ **المراد:** الحرم كلها، ﴿وَالْهَدْيَ﴾ **ما أهدوه للحرم،** ﴿وَالْقَلائِدَ﴾ **ما علموه وأرسلوه** ﴿ذَلِكَ﴾ **الحكم المسطور وهو حصول ما عدده إعلاء لأمر حال أهل الحرم وإعدادهم أو أومأ إلى ردع المحرم،** ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ **لكل معاد له،** ﴿وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **لكل موال له.**

﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ﴾ **لكم،** ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ **وهو معاملكم على أعمالكم.**

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آية:١٠٠]:

﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ﴾ **الحرام،** ﴿وَالطَّيِّبُ﴾ **الحلال مالا وأعمالا** ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [آية:١٠١، ١٠٢]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا﴾ **الرسول** ﴿عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ **لعسرها**

=

﴿قِيَاماً لِّلنَّاسِ﴾ فقيل باتساع الرزق عليهم إذ جعلها تعالى مقصودة من جميع الآفاق وكانت مكة لا زرع ولا ضرع، وقيل بامتناع الإغارة في الحرم، وقيل بسبب صيرورتهم أهل الله فكل أحد يتقرب إليهم، وقيل بما يقام فيها من المناسك وفعل العبادات، وروي عن ابن عباس، وقيل: يأمن من توجه إليها وروي عنه، وقيل بعدم أذى من أخرجوه من جر جريرة ولجأ إليها، وقيل ببقاء الدين ما حجت واستقبلت، وقال عطاء لو تركوه عاماً واحداً لم ينظروا ولم يؤخروا. وقال أبو عبد الله الرازي لا يبعد حمله على جميع الوجوه، لأن قوام المعيشة بكثرة المنافع وبدفع المضار وبحصول الجاه والرئاسة وبحصول الدين والكعبة سبب لحصول هذه الأقسام انتهى. انظر تفسير البحر المحيط (٢٨/٤)

﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ﴾ المراد: على عهد الرسول المكرم ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾ والعسر حاصل لكم، والمراد: دعوا سؤال الرسول ﴿عَفَا اللهُ عَنْهَا﴾ مما صدر أو لا ﴿وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ وألح ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ رسلهم وورد لهم أحكام سؤالهم وعسر الأمر على أهل السؤال، ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿بِهَا كَافِرِينَ﴾ لعدم عملهم على مسلك ما سألوه وأمروا أوحاه الله لرسوله لما أطالوا سؤال الرسول، ولو داموا على مسراهم وما ورد لهم الردع لحصل العسر على الأمم.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [آية:١٠٣، ١٠٤]:

﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ما أرصدوا درها إلى ما هو كود وسواع، ﴿وَلا سَائِبَةٍ﴾ ما أرصدوها لها وحرموا حط الحمل على أعلاها، ﴿وَلا وَصِيلَةٍ﴾ ما وصل ولدها على اصطلاح لهم، ﴿وَلا حَامٍ﴾ ما أولد عددا معلوما، وكما أكمل العدد حرموا أكله ولحمه وودعوه لكل إله لهم، ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ لما حرموها وادعوا المحرم لها هو الله، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ هل له أصل أو لا، وهل هو محرم أو لا لسلوك كل على مسلك والده.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ إلى حكمه ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1] [آية:١٠٥]:

(١) قال القرطبي: فيه أربع مسائل: الأولى - قال علماؤنا: وجه اتصال هذه الآية بما قبلها التحذير مما يجب أن يحذر منه، وهو حال من تقدمت صفته ممن ركن في دينه إلى تقليد آبائه وأسلافه.
وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب إذا استقام الإنسان، وأنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، لولا ما ورد من تفسيرها في السنة وأقاويل =

=

الصحابة والتابعين على ما نذكره بحول الله تعالى. الثانية - قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ معناه احفظوا أنفسكم من المعاصي؛ تقول عليك زيدا بمعنى الزم زيدا؛ ولا يجوز عليه زيدا، بل إنما يجرى هذا في المخاطبة في ثلاثة ألفاظ عليك زيدا أي خذ زيدا، وعندك عمرا أي حضرك، ودونك زيدا أي قرب منك. الثالثة - روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن قيس قال: خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح؛ قال إسحاق بن إبراهيم سمعت عمرو بن علي يقول: سمعت وكيعا يقول: لا يصح عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا حديث واحد، قلت: ولا إسماعيل عن قيس، قال: إن إسماعيل روى عن قيس موقوفا. قال النقاش: وهذا إفراط من وكيع؛ رواه شعبة عن سفيان وإسحاق عن إسماعيل مرفوعا؛ وروى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟ فقال: أية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرا، سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحّاً مُطاعا وهَوىً مُتبعاً ودنيا مُؤثَرةً وإعجابَ كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العامة فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم". وفي رواية قيل: يا رسول الله أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: "بل أجر خمسين منكم". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. قال ابن عبدالبر قوله: "بل منكم" هذه اللفظة قد سكت عنها بعض الرواة فلم يذكرها، وقد تقدم. وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا" قال: هذا حديث غريب. وروي عن ابن مسعود أنه قال: ليس هذا بزمان هذه الآية؛ قولوا الحق ما قُبل منكم، فإذا رُد عليكم فعليكم أنفسكم. وقيل لابن عمر في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه؟ فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: "ليبلغ الشاهد الغائب" ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل. في رواية عن ابن عمر بعد قوله: "ليبلغ الشاهد الغائب" فكنا نحن الشهود وأنتم لأقوام يجيؤون من بعدنا إن قالوا، لم يقبل منهم. وقال ابن المبارك قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ خطاب لجميع المؤمنين، أي عليكم أهله دينكم؛ كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضا؛ ولينه بعضكم بعضا فهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب؛ وهذا لأن الأمر بالمعروف يجري مع المسلمين من أهل العصيان كما تقدم؛ وروي معنى هذا

=

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ إكلاؤها وهموا وأسرعوا لصلاحها ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ومعاملكم على عملكم.

=

عن سعيد بن جبير وقال سعيد بن المسيب: معنى الآية لا يضركم من ضل إذا اهتديتم بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال ابن خويز منداد: تضمنت الآية اشتغال الإنسان بخاصة نفسه، وتركه التعرض لمعائب الناس، والبحث عن أحوالهم فإنهم لا يسألون عن حاله فلا يسأل عن حالهم وهذا كقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "كن جليس بيتك وعليك بخاصة نفسك". ويجوز أن يكون أريد به الزمان الذي يتعذر فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فينكر بقلبه، ويشتغل بإصلاح نفسه. قلت: قد جاء حديث غريب رواه ابن لهيعة: قال حدثنا بكر بن سوداة الجذامي عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان رأس مائتين فلا تأمر بمعروف ولا تنه عن منكر وعليك بخاصة نفسك". قال علماؤنا: إنما قال عليه السلام ذلك لتغير الزمان، وفساد الأحوال، وقلة المعينين. وقال جابر بن زيد: معنى الآية: يا أيها الذين آمنوا من أبناء أولئك الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوائب؛ عليكم أنفسكم في الاستقامة على الدين، لا يضركم ضلال الأسلاف إذا اهتديتم؛ قال: وكان الرجل إذا أسلم قال له الكفار سفهت آباءك وضللتهم وفعلت وفعلت؛ فأنزل الله الآية بسبب ذلك وقيل: الآية في أهل الأهواء الذين لا ينفعهم الوعظ؛ فإذا علمت من قوم أنهم لا يقبلون، بل يستخفون ويظهرون فاسكت عنهم. وقيل: نزلت في الأسارى الذين عذبهم المشركون حتى ارتد بعضهم، فقيل لمن بقي على الإسلام: عليكم أنفسكم لا يضركم ارتداد أصحابكم. وقال سعيد بن جبير: هي في أهل الكتاب وقال مجاهد: في اليهود والنصارى ومن كان مثلهم؛ يذهبان إلى أن المعنى لا يضركم كفر أهل الكتاب إذا أدوا الجزية. وقيل: هي منسوخة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قاله المهدوي. قال ابن عطية: وهذا ضعيف ولا يعلم قائله. قلت: قد جاء عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال: ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير هذه الآية. قال غيره: الناسخ منها قوله: ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ والهدى هنا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله أعلم. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين متى رجي القبول، أو رجي رد الظالم ولو بعنف، ما لم يخف الرابعة - الآمر ضررا يلحقه في خاصته، أو فتنة يدخلها على المسلمين؛ إما بشق عصا، وإما بضرر يلحق طائفة من الناس؛ فإذا خيف هذا فـ ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ محكم واجب أن يوقف عنده ولا يشترط في الناهي أن يكون عدلا كما تقدم؛ وعلى هذا جماعة أهل العلم فاعلمه. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤١/٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آية:١٠٦ - ١٠٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ المراد: دلائل الحمام ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ هم أولوا الأرحام أو عكسهم صارا أمره ساطعا وحكمه لامعا ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ﴾ محلا ومرحلا، ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ﴾ للعصر أو الأعم ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ الكلام مع أهل الهالك ﴿لا نَشْتَرِي بِهِ﴾ (الهاء) لما آلى إلى كلاهما ﴿ثَمَنًا﴾ أدى له طمع ما، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المراد: المرء المؤلى له، ﴿وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ﴾ ما حملاه أولا ﴿إِنَّا إِذًا لَمِنَ الآثِمِينَ﴾.

﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطلع ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ لأدائهما لها على سوى ما حملاه ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ وهم أهل الهالك ﴿الأَوْلَيَانِ﴾ محمول على أول كلام مطروح هو هما، ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المسطور ﴿أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ كما لو عاد الأمر وآلى أهل الهالك، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا﴾ ما أوصاكم الهالك سماع إدراك، ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ والحكم المسطور ممحو المؤدى لا الكلام على أحد أحكامه.

﴿يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ

ٱلۡغُيُوبِ﴾ [آية:١٠٩]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذكر ﴿يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ﴾ لدى المعاد ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ عدموا العلم حال السؤال لهول المعاد، أو المراد: لا علم لأحد مع علمك رد الأمر إلى عمله.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلاً ۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي ۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِي ۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي ۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [آية:١١٠]:

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الملك والرسول المكرم، وهو رسول الله إلى الرسل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلا﴾ المراد: كلامك لهم حال حلولك المهد وكلامك لهم كهلا كلاهما على حد سواء معدلا مكملا، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ ما ورد للرسل أولا سوى المسرود أو علم الرسم، ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ المولود كما مر، ﴿وَالأبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ كسام وما عمرو حالا عاد له الحمام وسواه وعمرو أولد ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ الهود لما راموا إهلاكه ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ﴾ ورواه راوٍ ساحر، ﴿مُبِينٌ﴾.

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن

نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا
وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرۡزُقۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡۖ فَمَن
يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آية:
١١١ - ١١٥]:

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾(١) مورده الحور، وهو عكس السواد، وصار اسما لهم لحصوله وهم حور أو لما حور وأكل كساء ورداء سموا حورا ﴿أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ الروح ﴿قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ المراد: لو سأل الروح هل الله مطاوع له ﴿رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللهَ﴾ ودعوا سؤالكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ على الحال الكامل ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها له ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ لما ادعى الإرسال، ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ سرورا عائدا ﴿لأَوَّلِنَا﴾ معمول على اصطلاح العامل المكرر، وكرر العامل ﴿وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ﴾ لإرسال الروح، ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا﴾ رواه راوٍ كمكرم، وراوٍ كمسدد ﴿عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: أهل عصرهم وعالمه أو على العموم وأرسلها الله لهم مع الأملاك ولما اطلعوا على وسط الوعاء رأوا لحما وكعكا وسمكا لا حسك له كله دسم وحولها ملح وسواه وأمروا أوامر وما سلكوا على مسالكها وحول الله صورهم.

---

(١) قال ابن عطية إما أن يكون وحي إلهام أو وحي أمر والرسول هنا هو عيسى وهذا الإيحاء إلى الحواريين هو من نعم الله على عيسى بأن جعل له أتباعاً يصدقونه ويعملون بما جاء به ويحتمل أن تكون تفسيرية لأنه تقدّمها جملة في معنى القول وأن تكون مصدرية. انظر تفسير البحر المحيط (٥٦/٤).

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾ [آية:١١٦ - ١٢٠]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قَالَ اللهُ﴾ أورد ما مر وأراد ما هو وارد على مسلك المعار المصرح والسؤال المحرر صادر لدى المعاد ما مر حكمه ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ ما أسره، ﴿وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ ما هو معلوم لك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ وهو ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ لدى حمله وسمكه إلى السماء ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ المطلع على أعمالهم والكالئ لها، ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على أعمالهم وكلامهم وأعمال سواهم وكل ما عداه.

﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾ المراد الأولى داموا على سوء حالهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ كلهم لك مملوك، ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ للأولى عادوا عما صدر وحصل وأسلموا لك ووحدوك، ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿قَالَ اللهُ﴾ أصل ما هو حاصل على مسلك المعار المصرح ما مر لو حمل على عدم كمال الأول، ولو حمل الكلام الأول على الكمال لأوامره معلوم ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ حال دار ورود الأوامر لهم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لوصولهم إلى دار الحصول على

الأعمال ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ **لما أطاعوه،** ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ **لما أكرمهم،** ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ **عوالم وأمطارا ومأكلا وما سواها،** ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **ومورده إكرام كل طائع وما أعده لكل عاص.**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنعام

مكية، وهي مائة وخمس وستون آية

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [آية:١]:

﴿الْحَمْدُ﴾ هو سرد المحامد المردود ورودها إلى عمل الطوع ﴿لِلهِ﴾ وهل المراد الإعلام للإسلام له أو لسلوك الأمم وحمدهم كما حمد هو أو المراد كلاهما الأولى ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أوردهما لما هما أدل على الواحد الأحد مرآى ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ كل سواد دامس وعكسه، ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ادعوا سواه معادلا له ومساو.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾[1] [آية:٢]:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ﴿مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ عمرا لكم لدى كماله حصوله حمامكم، ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ وهو حال معادكم له، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ وعودكم إلى دار المعاد أسهل على دعواكم مما هو أصله كله عدم، ومع كل هؤلاء الدلائل ما أدركه أحلامكم.

---

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ الآية خبر وفي معناه قولان: أحدهما: وهو الأشهر وعليه من الخلق الأكثر أن المراد آدم عليه السلام والخلق نسله والفرع يضاف إلى أصله فلذلك قال: ﴿خَلَقَكُمْ﴾ بالجمع فأخرجه مخرج الخطاب لهم إذ كانوا ولده؛ هذا قول الحسن وقتادة وابن أبي نجيح والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم الثاني: أن تكون النطفة خلقها الله من طين على الحقيقة ثم قلبها حتى كان الإنسان منها ذكره النحاس. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٣٨٧).

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [آية:٣]:

﴿وَهُوَ اللهُ﴾ إله ومسمى ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ كل عمل صالح لكم وسواه.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُواْ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝﴾ [آية:٤، ٥]:

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ هو كلامه المكرم ﴿إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ الكلام المكرم الموحى إلى رسوله الأكرم ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ لدى حلول ما أعده الله لهم، أو لدى علو أمر الإسلام وأهله.

﴿أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [آية:٦]:

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ هو ما عهد عمرا إلى ولد آدم أو هو أهل عصر لهم رسول أو عالم له مدار أمرهم ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ أموالا وملكا، ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ (الهاء) لدورهم على مسلك المرسل ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ عدم إسلامهم للرسل، ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [آية:٧]:

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ محررا ومرسوما ﴿فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ﴾ مسوه ﴿بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝

وَلَوْ جَعَلْنَهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ [آية:٨، ٩]:

﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿مَلَكٌ﴾ معه مسلم لكل ما ادعاه، ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ لأدى الأمر إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ﴾ لا إمهال لهم لحصولهم على مرادهم وما سألوه كما حصل للأمم الأول.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ المراد لهم: أو الرسول ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلا﴾ لأمر مرآى الملك مروع لولد آدم، ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ ولما أدركوه هل هو ملك أو أحد ولد آدم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١) [آية:١٠، ١١]:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله ﴿فَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو هلاكهم.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم دمرهم الله كلهم.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا

(١) قوله - سبحانه - ﴿وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ.... ﴾ تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم - عما أصابه من حزن بسبب تعنت المشركين معه. ومطالبتهم له بالمطالب السخيفة التي لا صلة لها بدعوته، كطلبهم منه تسيير الجبال وتقطيع الأرض، وتكليم الموتى. والاستهزاء: المبالغة في السخرية والتهكم من المستهزأ به. والإملاء: الإمهال والترك لمدة من الزمان. والتنكير في قوله ﴿برسل ﴾ للتكثير، فقد استهزأ قوم نوح به، وكانوا كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا منه. واستهزأ قوم شعيب به وقالوا له: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السمآء إِن كُنتَ مِنَ الصادقين ﴾ واستهزأ قوم هود به وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ... ﴾ واستهزأ فرعون بموسى فقال: ﴿أَمْ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْ هذا الذي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ والمعنى: ولقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسل كثيرين من قبلك - أيها الرسول الكريم - ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي: فأمهلتهم وتركتهم مدة من الزمان في أمن ودعة. انظر التفسير الميسر (١٢٥/٣).

يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية:١٢]:

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ لو ما صرحوا هم لك ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ للعوالم كرما الإمهال لهم وعدم إسراع إهلاكهم وسواهما ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لورودكم على موارد أعمالكم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ العالم كله ملكا ومملوكا، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ إلها ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معمول لعامل أم الواو مطروح على سوى المعلوم واله الأمر؛ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [آية:١٧ - ٢٠]:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾[1] كداء أو عدم ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كما لو سلمك وأعطاك أموالا ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ علو ملك، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ لما سألوا الرسول الدال على إرساله لردهم على الهود أوحى الله لرسوله:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ﴾ لو ما هم صرحوا لك ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْءَانُ لأنْذِرَكُمْ﴾ الكلام مع أهل الحرام ﴿بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ وهل له حكم الكلام المكرم ولد آدم وسواهم ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ﴾ لهم ﴿لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه كود وسواع ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ (الهاء) لمحمد رسوله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد هلاكها ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لمحمد رسوله.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [آية:٢١]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وساوى معه سواه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: المس والكشف من صفات الأجسام، وهو هنا مجاز وتوسع؛ والمعنى: إن تنزل بك يا محمد شدة من فقر أو مرض فلا رافع وصارف له إلا هو، وإن يصبك بعافية ورخاء ونعمة ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من الخير والضر روى ابن عباس قال: كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: "يا غلام - أو يا بني - ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن"؟ فقلت: بلى؛ فقال: "احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن يضروك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل الله بالشكر واليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا" أخرجه أبو بكر بن ثابت الخطيب في كتاب "الفصل والوصل" وهو حديث صحيح؛ وقد خرجه الترمذي، وهذا أتم.انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٩٨).

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [آية:٢٢، ٢٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لمطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾ المراد: كل آله لكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ دعواهم وسماها كما سماها لورودها ولا أصل ﴿إِلا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية:٢٥، ٢٦]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ كلام الله، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ كلولا لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ صمما لا سماع معه سماع إدرا ﴿وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ﴾ عدد لاسطار وهو ما لا أصل له ﴿الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ (الهاء) إما للكلام المكرم أو للرسول والمراد: الإسلام له، ﴿وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ هلكوا وأهلكوا، ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يُهْلِكُونَ إِلا أَنْفُسَهُمْ﴾ لعود سوء عملهم لهم لهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [1][آية:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ أي إذ وقفوا غدا و﴿إِذْ﴾ قد تستعمل في موضع ﴿إِذَا﴾ و﴿إِذَا﴾ في موضع ﴿إِذْ﴾ وما سيكون فكأنه كان؛ لأن خبر الله تعالى حق وصدق، فلهذا =

[٢٧ - ٢٩]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدّ﴾ إلى الدار الأولى، ﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ كلاهما مسموك على أول الكلام أو معموا لمحصل المصدر

=

عبر بالماضي. ومعنى ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾ حبسوا يقال: وقفته وقفا فوقف وقوفا. وقرأ ابن السميفع ﴿إِذْ وَقَفُوا﴾ بفتح الواو والقاف من الوقوف. ﴿عَلَى النَّارِ﴾ أي هم فوقها على الصراط وهي تحتهم. وقيل: ﴿على﴾ بمعنى الباء؛ أي وقفوا بقربها وهم يعاينونها. وقال الضحاك: جمعوا، يعني على أبوابها. ويقال: وقفوا على متن جهنم والنار تحتهم. وفي الخبر: أن الناس كلهم يوقفون على متن جهنم كأنها متن إهالة، ثم ينادي مناد خذي أصحابك ودعي أصحابي. وقيل: ﴿وُقِفُوا﴾ دخلوها - أعاذنا الله منها - فعلى بمعنى ﴿فِي﴾ أي وقفوا في النار. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف ليذهب الوهم إلى كل شيء فيكون أبلغ في التخويف؛ والمعنى: لو تراهم في تلك الحال لرأيت أسوأ حال، أو لرأيت منظرا هائلا، أو لرأيت أمرا عجبا وما كان مثل هذا التقدير. قوله تعالى: ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفا قراءة أهل المدينة والكسائي؛ وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم بالضم. ابن عامر على رفع ﴿نُكَذِّبَ﴾ ونصب﴿نكُونَ﴾ وكله داخل في معنى التمني؛ أي تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. واختار سيبويه القطع في ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾ فيكون غير داخل في التمني؛ المعنى: ونحن لا نكذب على معنى الثبات على ترك التكذيب؛ أي لا نكذب رددنا أو لم نرد؛ قال سيبويه: وهو مثل قوله دعني ولا أعود أي لا أعود على كل حال تركتني أو لم تتركني. واستدل أبو عمرو على خروجه من التمني بقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ لأن الكذب لا يكون في التمني إنما يكون في الخبر. وقال من جعله داخلا في التمني: المعنى وإنهم لكاذبون في الدنيا في إنكارهم البعث وتكذيبهم الرسل. وقرأ حمزة وحفص بنصب ﴿نكذب﴾ و﴿نكُونَ﴾ جوابا للتمني؛ لأنه غير واجب، وهما داخلان في التمني على معنى أنهم تمنوا الرد وترك التكذيب والكون مع المؤمنين. قال أبو إسحاق: معنى ﴿وَلا نُكَذِّبَ﴾ أي إن رددنا لم نكذب. والنصب في ﴿الكذب﴾ و﴿نكُونَ﴾ بإضمار ﴿أَنَّ﴾ كما ينصب في جواب الاستفهام والأمر والنهي والعرض؛ لأن جميعه غير واجب ولا واقع بعد، فينصب، الجواب مع الواو كأنه عطف على مصدر الأول؛ كأنهم قالوا: يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء من الكذب، وكون من المؤمنين؛ فحملا على مصدر ﴿نرد﴾ لانقلاب المعنى إلى الرفع، ولم يكن بد من إضمار ﴿أَنَّ﴾ فيه يتم النصب في الفعلين. وقرأ ابن عامر ﴿نكُونَ﴾ بالنصب على جواب التمني كقولك: ليتك تصير إلينا ونكرمك، أي ليت مصيرك يقع وإكرامنا يقع، وأدخل الفعلين الأولين في التمني، أو أراد: ونحن لا نكرمك على القطع على ما تقدم؛ يحتمل. وقرأ أبي ﴿وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا أَبَداً﴾. وعنه وابن مسعود ﴿يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا أبداً﴾ بالفاء والنصب، والفاء ينصب بها في الجواب كما ينصب بالواو؛ عن الزجاج. وأكثر البصريين لا يجيزون الجواب إلا بالفاء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٠٨).

المطروح، ورواه راوٍ مع، وروى راوٍ عمل محصل المصدر له، والأول مسموك ومكمل لو مطروح، وهو له؛ أي: الرسول أمرا ما ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ هو سوء أعمالهم لا إصرار على الإسلام، ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلى الدار الأولى ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا﴾ مردود رده الواو على لعادوا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [آية: ٣٠، ٣١]:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا﴾ طال أمره ﴿عَلَى رَبِّهِمْ﴾ للسؤال ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾ المعاد ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ المراد: حرموا إكرامه وآلاءه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ حال أو مصدر ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار الأولى ولو ما مر لها اسم لعلمها، ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٣٢، ٣٣]:

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وما أحوالها إلا أحوال لهو ألهى العالم الصالح لهم ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ لدوامها ودوام سرورها، وروى راوٍ: ولدار والحكم المسطور على دعواهم ما للمرء إلا الدار الأولى ولا معاد ولا عود إلى الله ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام مع السامع.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم، والمراد كلهم سرا مسلم لك، ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٣٤ - ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلى الله رسوله المطهر ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ هلاك أممهم كما هلاك هؤلاء صادر، ﴿وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ مواعده، ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما سلاك.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ لحرصك على إسلامهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ مسلكا ﴿فِي﴾ وسط ﴿الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ مصعدا إلى السماء ﴿فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مما سألوك ومكمل العامل مطروح، والمراد: اعمل وإلا دع الحكم لله، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ هداهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ حارصا على حصول أمر ما أراده الله حالا أو مآلا.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإسلام ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك ﴿وَالْمَوْتَى﴾ المراد: هؤلاء الأولى ما أسلموا وسماهم كما سماهم لعدم سماعهم أوامر الله ﴿يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ لدى المعاد، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَقَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى وسواها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿آيَةً﴾ كما سألوا، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ورودها لهم هو هلاكهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي

ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1] [آية:٣٨، ٣٩]:

﴿وَمَا مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ﴾ وسط الهواء ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ مأكلا وأعمارا وأحوالا ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح لما هو محرر وسطه أعمارا لكل وأحوالهم ﴿مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ﴾ ما حرر وسطه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ وهو معامل كل على عوله أو عدله.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم ﴿صُمٌّ﴾ ما هم سامعوه سماع إدراك ﴿وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ سواد عدم الإسلام وعمى عدم العلم ﴿مَنْ يَشَإِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ﴾ هداه ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوى، وهو الإسلام.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [آية:٤٠، ٤١]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد، والمراد: لأهل الحرم ﴿أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ﴾ كما حصل للأمم الأولى مر عهدها، ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ﴾ لرده لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أدعوا ما هو كود وسواع لرده.

﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا سواه ﴿تَدْعُونَ﴾ لكل أمر مكروه لكم ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ رده ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿وما من دابة في الأرض﴾ قال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض قال الزجاج وذكر الجناحين توكيد وجميع ما خلق لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير. وفي معنى أمثالكم أربعة أقوال أحدها أمثالكم في كون بعضها يفقه عن بعض رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني في معرفة الله قاله عطاء والثالث أمثالكم في الخلق والموت والبعث قاله الزجاج والرابع أمثالكم في كونها تطلب الغذاء وتبتغي الرزق وتتوقى المهالك قاله ابن قتيبة قال ابن الانباري وموضع الاحتجاج من هذه الآية أن الله تعالى ركب في المشركين عقولا وجعل لهم أفهاما ألزمهم بها أن يتدبروا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويتمسكوا بطاعته كما جعل للطير أفهاما يعرف بها بعضها إشارة بعض وهدى الذكر منها لإتيان الأنثى وفي كل ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك فيها انظر زاد المسير (٣/٣٤).

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آية:٤٢ - ٤٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلا وما أسلموا لهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ﴾ العدم وعدم المال، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الداء؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ المراد: ما دعوا الله لرده مع حصول ما دعاهم لدعاهم له، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وأصروا على عملهم ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما روعوا حصوله لهم وهو العدم والداء ﴿فَتَحْنَا﴾ ورواه راوٍ كسدد ﴿عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ كل الآلاء ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ لا أمل لهم أصلا.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ المراد: اصطلموا، ﴿وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على علو أمر الرسل، وهلاك أعداء الله.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [آية:٤٦]:

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم، ﴿وَأَبْصَارَكُمْ﴾ أعمالكم، ﴿وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ سد مسالك إدراككم ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾ الدلائل على لا إله إلا الله، ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [آية:٤٧]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ مع الدال على وروده أولا ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ ما هالك ﴿إِلا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ [آية:٤٨، ٥٠]:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ﴾[١] **لكل مسلم،** ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ **لكل عاص،** ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ﴾ **عمله** ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ **لا أملك عطاءه للأمم،** ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ **ما أسر أمره،** ﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ **أحد الأملاك** ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ **عكس المسلم،** ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ **المسلم لا** ﴿أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٍ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٍ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آية: ٥١ - ٥٣]:

﴿وَأَنْذِرْ﴾ روع ﴿بِهِ﴾ (الهاء) **لكلام الله المكرم** ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ **سواه** ﴿وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ﴾ **حال واو معمول محصل المصدر وهم كل مسلم عاص،** ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ **لعلهم مصلحوا أعمالهم.**

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ أي بالترغيب والترهيب. قال الحسن: مبشرين بسعة الرزق في الدنيا والثواب في الآخرة؛ يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾. ومعنى﴿منذرين﴾ مخوفين عقاب الله؛ فالمعنى: إنما أرسلنا المرسلين لهذا لا لما يقترح عليهم من الآيات، وإنما يأتون من الآيات بما تظهر معه براهينهم وصدقهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٦/٤٢٩)

﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [(١)] **لا أمرا سوى الله**

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: وله تعالى: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ الآية. قال المشركون: ولا نرضى بمجالسة أمثال هؤلاء - يعنون سلمان وصهيبا وبلالا وخبابا - فاطردهم عنك؛ وطلبوا أن يكتب لهم بذلك، فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، ودعا عليا ليكتب؛ فقام الفقراء وجلسوا ناحية؛ فأنزل الله الآية. ولهذا أشار سعد بقوله في الحديث الصحيح: فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع؛ وسيأتي ذكره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إنما مال إلى ذلك طمعا في إسلامهم، وإسلام قومهم، ورأى أن ذلك لا يفوت أصحابه شيئا، ولا ينقص لهم قدرا، فمال إليه فأنزل الله الآية، فنهاه عما هم به من الطرد لا أنه أوقع الطرد. روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء عنك لا يجترئون علينا؛ قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. قيل: المراد بالدعاء المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن. وقيل: الذكر وقراءة القرآن. ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره؛ ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق. ويختموه بالدعاء طلبا للمغفرة. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ أي طاعته، والإخلاص فيها، أي يخلصون في عبادتهم وأعمالهم لله، ويتوجهون بذلك إليه لا لغيره. وقيل: يريدون الله الموصوف بأن له الوجه كما قال: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالأَكْرَامِ﴾ وهو كقوله: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ وخص الغداة والعشي بالذكر؛ لأن الشغل غالب فيهما على الناس، ومن كان في وقت الشغل مقبلا على العبادة كان في وقت الفراغ من الشغل أعمل. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يصبر نفسه معهم كما أمره الله في قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ فكان لا يقوم حتى يكونوا هم الذين يبتدئون القيام، وقد أخرج هذا المعنى مبينا مكملا ابن ماجه في سننه عن خباب في قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صهيب وبلال وعمار وخباب، قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين؛ فلما رأوهم حول النبي صلى الله عليه وسلم حقروهم؛ فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت؛ قال: "نعم" قالوا: فاكتب لنا عليك كتابا؛ قال: فدعا بصحيفة ودعا عليا - رضي الله عنه - ليكتب ونحن قعود في ناحية؛ فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن؛ فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا =

أوحاه الله لرسوله لما أراد الرسول طرد كل مسلم معدم طمعا لإسلام أهل اللؤم، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لو حصل طردك لهم، ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ الأحط مع الأعلى وأهل العدم مع أهل الأموال لوصول الأحط والمعدم إلى الإسلام وعدم وصول سواهم له ﴿لِيَقُولُوا﴾ أولو العلى والأموال ﴿أَهَؤُلاءِ﴾ أهل العدم ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ وهداهم ومرادهم لو ما سلكه هؤلاء هو الهدى لحصل لهم أولاً، ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ رد الله دعواهم.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝﴾ [آية:٥٤، ٥٥]:

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾ حال محال الحال لمعمول عمل العائد على الاسم الموصول ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ عاد إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء)

=

أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا؛ فأنزل الله عز وجل ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا تجالس الأشراف ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ يعني عيينة والأقرع، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾، أي هلاكا. قال: أمر عيينة والأقرع؛ ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم؛ رواه عن أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عمرو بن محمد العنقزي حدثنا أسباط عن السدي عن أبي سعيد الأزدي وكان قارئ الأزد عن أبي الكنود عن خباب؛ وأخرجه أيضا عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة، في وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال؛ قال: قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنا لا نرضى أن نكون أتباعا لهم فاطردهم، قال: فدخل قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ما شاء الله أن يدخل؛ فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية. وقرئ ﴿بِالْغُدَاةِ﴾ انظر الجامع لأحكام القرآن (٤٣٣/٦).

للعمل، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُ﴾ (الهاء) لله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ لحاله ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آية:٥٦]:

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قُلْ لا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ أكد عدم سلوكه مسالكهم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ لو حصل سلوكه على ما سلكوه، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ هو حلول ما روعهم لو ما أسلموا ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلا لِلهِ يَقُصُّ﴾ وروى راوٍ محلها صادا ﴿الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ حلول ما أوعدهم على عدم إسلامهم ﴿لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ المراد: لأسرع إلى هلاكهم، ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [آية:٥٩]:

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ هو كل مسلك موصل إلى عمله ﴿لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ وعددها هو عصر المعاد وحلول الأمطار وما حل وسط الأرحام، وما كل أحد وارده، وعصر حمام كل واحد ومحل وروده، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ المراد: ما أسرو عكسه معلوم له، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ﴾ لا مؤدى لها ﴿وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية:٦٠]:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ حال عكس السهر، وسماه لعدم الإحساس على سلك المعار المصرح، ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ حصله كلكم وعمله ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ رادا لكم إحساسكم وحواسكم ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ هو العمر ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ عودكم لدى حلول الأعمار وورود الحمام، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [آية:٦١، ٦٢]:

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [1]علو ملك لا علو محل، ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ لكلاء الأعمال وهم الكرام ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ ورواه راوٍ مع عدل الدال على عكس المرء ﴿رُسُلُنَا﴾ هم ملك الحمام وإرداؤه، ﴿وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ﴾ كعدم إسراعهم إلى ما أمروا ولعدم عدوهم إلى وراء ما حد لهم، ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ﴾ إلى حكمه ﴿مَوْلاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ العادل ﴿أَلا لَهُ الْحُكْمُ﴾ الحاصل أمره كما أراده، ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ راء أعمال كل العالم على أسرع حال.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: قال هنا ابن عطية: (الْقَاهِرُ) إن أخذ صفة فعل أي مظهر القهر بالصواعق والرياح والعذاب، فيصح أن تجعل دفوق (ظرفية للجهة لأن هذه الأشياء إنما تعاهدها للعباد من فوقهم وإن أخذ) الْقَاهِرُ (صفة ذات بمعنى القدرة والاستيلاء ففوق لا يجوز أن يكون للجهة وإنما هو لعلو القدر والشأن، كما تقول: الياقوت فوق الحديد؛ انتهى. وظاهر (وَيُرْسِلُ) أن يكون معطوفاً على (وَهُوَ الْقَاهِرُ) عطف جملة فعلية على جملة اسمية وهي من آثار القهر. وجوز أبو البقاء أن تكون معطوفة على قوله: (يَتَوَفَّاكُم) وما بعده من الأفعال وأن يكون معطوفاً على (الْقَاهِرُ) التقدير وهو الذي يقهر ويرسل، وأن يكون حالا على إضمار مبتدإ أي وهو يرسل وذو الحال إما الضمير في (الْقَاهِرُ) وإما الضمير في الظرف وهذا أضعف هذه الأعاريب. انظر تفسير البحر المحيط (١٥١/٤)

هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [آية:٦٣، ٦٤]:

﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم والأمر لمحمد ﴿مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ﴾ أهوال ﴿الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ على السر وعكسه ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ ورواه كأعلى ﴿مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ سواها، ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [آية:٦٥ - ٦٧]:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ مورده السماء، أو المراد: إلى أمرئكم، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كعلو الماء أو سواه، أو المراد: لكل مملوك، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ مللا كل مسالكها الأهواء، ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ سل حسام وعراكا ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ (الهاء) للكلام المكرم ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ﴾ لهم ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ المراد: ما على الرسول إلا دعاؤهم إلى أوامر الله، والحكم المسطور ورد حال عدم ورود الأمر لعراكهم وإهلاكهم لو ما أسلموا.

﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾(١) عصر ورود معلوم، ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ حكم مهدد لهم.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ لكل خبر حقيقة، أي لكل شيء وقت يقع فيه من غير تقدم وتأخر. وقيل: أي لكل عمل جزاء. قال الحسن: هذا وعيد من الله تعالى للكفار؛ لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث. الزجاج: يجوز أن يكون وعيدا بما ينزل بهم في الدنيا. قال السدي: استقر يوم بدر ما كان يعدهم به من العذاب. وذكر الثعلبي أنه رأى في بعض التفاسير أن هذه الآية نافعة من وجع الضرس إذا كتبت على كاغد ووضع على السن. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/١٢).

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [آية:٦٨، ٦٩]:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ رد إلها، والمراد: كلام الله المكرم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ (الهاء) للحلول معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا﴾ أصله العامل وما ﴿يُنْسِيَنَّكَ﴾ مؤكدا مع كلا أحكام المؤكد ﴿الشَّيْطَانُ﴾ المراد: وحل الرسول معهم محلهم ﴿فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ الادكار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ولما عسر أمر عدم الحلول معهم على أهل الإسلام أوحى الله لرسوله.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ﴾ لا مؤدى ﴿شَيْءٍ﴾ لو حلوا معهم محالهم، ﴿وَلَكِنْ﴾ على أهل الإسلام ﴿ذِكْرَى﴾ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ رد كلام الله وعدم إسلامهم له.

﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ

﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [1][آية: ٧٠ - ٧٣]:

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا﴾ أي ما لا ينفعنا إن دعوناه. ﴿وَلا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه؛ يريد الأصنام. ﴿نُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ أي نرجع إلى الضلالة بعد الهدى. وواحد الأعقاب عقب وهو مؤنث، وتصغيره عقيبة. يقال: رجع فلان على عقبيه، إذا أدبر. قال أبو عبيدة: يقال لمن رد عن حاجته ولم يظفر بها: قد رد على عقبيه. وقال المبرد: معناه تعقب بالشر بعد الخير. وأصله من العاقبة والعقبى وهما ما كان تاليا للشيء واجبا أن يتبعه؛ ومنه ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. ومنه عقب الرجل. ومنه العقوبة، لأنها تالية للذنب، وعنه تكون.
قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي﴾ الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف. ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ أي استغوته وزينت له هواه ودعته إليه. يقال: هوى يهوي إلى الشيء أسرع إليه. وقال الزجاج: هو من هوى يهوي، من هوى النفس؛ أي زين له الشيطان هواه. وقراءة الجماعة ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ أي هوت به، على تأنيث الجماعة. وقرأ حمزة ﴿اسْتَهْوَاه الشَّيَاطِينُ﴾ على تذكير الجمع. وروي عن ابن مسعود ﴿اسْتَهْوَاه الشَّيَاطانُ﴾، وروي عن الحسن، وهو كذلك في حرف أبي. ومعنى ﴿ائْتِنَا﴾ تابعنا. وفي قراءة عبدالله أيضا ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى بَيِّنا﴾. وعن الحسن أيضا ﴿اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِون﴾. ﴿حَيْرَانَ﴾ نصب على الحال، ولم ينصرف لأن أنثاه حيرى كسكران وسكرى وغضبان وغضبى. والحيران هو الذي لا يهتدي لجهة أمره. وقد حار يحار حيرا وحيرورة، أي تردد. وبه سمي الماء المستنقع الذي لا منفذ له حائرا، والجمع حوران. والحائر الموضع الذي يتحير فيه الماء. قال ابن عباس: أي مثل عابد الصنم مثل من دعاه الغول فيتبعه فيصبح وقد ألقته في مضلة ومهلكة؛ فهو حائر في تلك المهامه. وقال في رواية أبي صالح: نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمون؛ وهو معنى قوله: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى﴾ فيأبى. قال أبو عمر: أمه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية؛ فهو شقيق عائشة. وشهد عبدالرحمن بن أبي بكر بدرا وأحدا مع قومه وهو كافر، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "متعني بنفسك". ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية. هذا قول أهل السير. قالوا: كان اسمه عبدالكعبة فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبدالرحمن، وكان أسن ولد أبي بكر. قال: إنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ولاء: أب وبنوه إلا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبدالرحمن بن أبي بكر وابنه أبا عتيق محمد بن عبدالرحمن. والله أعلم. قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ﴾ اللام لام كي، أي أمرنا كي نسلم وبأن أقيموا الصلاة؛ لأن حروف الإضافة يعطف بعضها على بعض. قال الفراء: المعنى أمرنا بأن نسلم؛ لأن العرب تقول: أمرتك لتذهب، وبأن تذهب بمعنى. قال النحاس: سمعت أبا الحسن بن كيسان يقول هي لام الخفض، واللامات كلها ثلاث: لام خفض ولام أمر ولام توكيد، لا يخرج شيء

﴿وَذَرِ﴾ دع ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ والحكم المسطور مما حكمه المعارك، ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ (الهاء) لكلام الله لا ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ المراد: أسلم أمرها إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ لسوء عملها ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ المراد: إعطاؤها أحدا محلها ﴿لا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ الأحد المعطى محلها، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ سلموا إلى ما أعد لهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ لسوء أعمالهم ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ هو كل ما كود وسواع، ﴿وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ أهدوه إلى المهامه ﴿فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ حال الهاء ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ وأمرهم له ودعاؤهم هو ﴿ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ﴾ وهو الإسلام ﴿هُوَ الْهُدَى﴾ وما عداه عمى، ﴿وَأُمِرْنَا﴾ الأمر هو الله ﴿لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للمعاد ومعاملكم على أعمالكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَقُولُ﴾ ما أراد ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ والمراد: أمره للعوالم لدى المعاد عودوا ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ
﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ

=

عنها. والإسلام الإخلاص. وإقامة الصلاة الإتيان بها والدوام عليها. ويجوز أن يكون ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ عطفا على المعنى، أي يدعونه إلى الهدى ويدعونه أن أقيموا الصلاة؛ لأن معنى ائتنا أن ائتنا. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ابتداء وخبر وكذا ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي فهو الذي يجب أن يعبد لا الأصنام. ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بكلمة الحق. يعني قوله ﴿كُنْ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٩/٧).

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي
لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ
أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي
فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ
قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا
تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ
بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ
ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ
مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ
وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٨٥﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنۡ
ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ
هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ
﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا
بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ
أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ
قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا
وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ

وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آية:٧٤ - ٩٢]:

﴿وَإِذْ﴾ معموله لعامل مطروح ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أراه مولاه مسلك والده على سوى الهدى أراه ملك السماء الدال على لا إله إلا الله، وأراه ما أراه، ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ اسود وحلك ﴿عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ﴾ للأولى حوله ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على دعواكم، وحصل الأمر وما هو مدرك الحلم، ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ لما هو حكم أحكام الإله.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعا ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ المراد: دوام الهدى ﴿لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ أراد إطلاعهم على حالهم وهو عدم هداهم، ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ مما طلع أولا، ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ وهو الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الصراط السوي، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ معه سواه.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ وهددوه سوء ما كود وسواع ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي﴾ ورواه ولد عامر وسواه مكسورا على واحد ﴿فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ إلى المسلك الموصل له، ﴿وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ المراد: مس سوء ما هو كود وسواع ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ مكروها ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وسع علمه كل معلوم ﴿أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللهِ﴾[1] وروعكم أولى لعدم

---

(١) قوله تعالى ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ أي من هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تخافون أنتم أنكم أشركتم بالله الذي خلقكم ورزقكم وهو قادر على ضركم ونفعكم ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي بأن يأمن العذاب الموحد الذي يعبد من بيده الضر والنفع أم المشرك الذي يعبد مالا يضر ولا ينفع ثم بين الأحق من هو بقوله =

حصول سوء مما سواه مع عدم مراده ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ دلائل ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ هو ادعاؤهم مع الله سواه ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾ ولا مروع لهم، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى المسلك المسلم.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ﴾ علما وحكما ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولده ﴿كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ولده، ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد كلهم معامل إكراما كما عومل هو.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ولده، ﴿وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ولد والد الرسل، ﴿وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ إرسالا.

﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ للإرسال، ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ ما هدوا له ﴿هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم وما للمصدر.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ للعدد لا للعهد، ﴿وَالْحُكْمَ﴾ كل حكم حواها، ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ﴾ المراد: أهل الحرم الحرام وما حوله، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم أهل الإسلام أو الرسل أو إرداء الرسول أو إرداء الرسل كلهم.

=

﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ أي يخلطوه بشرك روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله وأينا ذلك فقال إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ وفيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال أحدها أنه إبراهيم وأصحابه وليست في هذه الأمة قاله علي بن أبي طالب وقال في رواية أخرى هذه الآية لإبراهيم خاصة ليس لهذه الأمة منها شيء والثاني أنه من هاجر إلى المدينة قاله عكرمة والثالث أنها عامة ذكره بعض المفسرين وهل هي من قول ابراهيم لقومه أم جواب من الله تعالى. انظر زاد المسير (٣/٧٧).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ على سلوكهم أسلك، وهو لا إله إلا الله والهاء ما هو محرك على الوصول وسواه، ورواه راوٍ مع عدم الهاء أصلا ﴿قُلْ﴾ لأهل الحرم الحرام ﴿لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على كلام الله ﴿أَجْرًا﴾ معطى ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما كلام الله ﴿إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ الهود ﴿اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما وحدوه ولا عملوا ولا أحكامه وأوامره ﴿إِذْ قَالُوا﴾ لرسوله محمد ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ كلام موحى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ رواه راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ﴾ محررا على طروس ﴿تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ﴾ رواهما راوٍ على الكلام مع السامع، وراوٍ على سواه ﴿كَثِيرًا﴾ مما حواه كإسراركم دلائل إرسال محمد، ﴿وَعُلِّمْتُمْ﴾ الكلام مع الهود، والمراد: وعلمكم الرسول ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللهُ﴾ أوحاه ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ حال هم الأول.

﴿وَهَذَا﴾ الكلام الموحى لمحمد ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه كالموحى إلى موسى، والموحى إلى الأروح وسواهما، ﴿وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أهل الحرم الحرام وما حوله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[1] [آية:٩٣، ٩٤]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ابتداء وخبر؛ أي لا أحد أظلم. ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً﴾ أي اختلق.
=

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعائه أمر الإرسال وما أرسل له ولا هو رسول، ﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ﴾ اسمك موصول رده الواو على الاسم الموصول المكسور المحل ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ إلى سل أرواحهم وكلامهم معهم وأمرهم لهم هو ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ ادعاؤهم الإرسال وما هم رسل أو الكلام عائد إلى الأعم، والمراد: دعوى الوالد ودعوى إله معه، ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ لا أموال معكم ولا ولد ولا أهل ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ﴾ كل مال معطى لكم ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وهو الدار الأولى ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ كدعواكم، وهو ود وسواع وسواهما ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ لله على ملككم ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ عامل ومعمول مسموك وهو الوصل، ورواه راوٍ على سوى السمك والكسر والمعمول المسموك مطروح، وهو وصلكم، ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

=

﴿أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ فزعم أنه نبي ﴿وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في رحمان اليمامة والأسود العبسي وسجاح زوج مسيلمة؛ كلهم تنبأ وزعم أن الله قد أوحى إليه. قال قتادة: بلغنا أن الله أنزل هذا في مسيلمة؛ وقال ابن عباس. قلت: ومن هذا النمط من أعرض عن الفقه والسنن وما كان عليه السلف من السنن يقول: وقع في خاطري كذا، أو أخبرني قلبي بكذا؛ فيحكمون بما يقع في قلوبهم ويغلب عليهم من خواطرهم، ويزعمون أن ذلك لصفائها من الأكدار وخلوها من الأغيار، فتتجلى لهم العلوم الإلهية والحقائق الربانية، فيقفون على أسرار الكليات ويعلمون أحكام الجزئيات فيستغنون بها عن أحكام الشرائع الكليات، ويقولون: هذه الأحكام الشرعية العامة، إنما يحكم بها على الأغبياء والعامة، وأما الأولياء وأهل الخصوص، فلا يحتاجون لتلك النصوص. وقد جاء فيما ينقلون: استفت قلبك وإن أفتاك المفتون؛ ويستدلون على هذا بالخضر؛ وأنه استغنى بما تجلى له من تلك العلوم، عما كان عند موسى من تلك الفهوم. وهذا القول زندقة وكفر، يقتل قائله ولا يستتاب، ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب؛ فإنه يلزم منه هد الأحكام وإثبات أنبياء بعد نبينا صلى الله عليه وسلم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٩/٧).

حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [آية:٩٥، ٩٦]:

﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كولد آدم والطائر ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالماء لولد آدم والوعاء للطائر، ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ وهو الوعاء والماء ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم والطائر ﴿ذَلِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ عمود لهدوء العالم، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ على أدوار لا على مسرى واحد وهو حال مطروح ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية:٩٧]:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ﴾ الحكم والدلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [آية:٩٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هو آدم، ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ حل حل الأرحام، ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ على حاله ماء، ورواهما راوٍ مكسورا الدال وما أمه راء الأول ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [آية:٩٩، ١٠٠]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركم، وسماه سماء على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ مرآه ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ واحدا على واحد، ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ حاصله محمول ﴿مِنْ طَلْعِهَا﴾ معمول على

مسلك العامل المكرر ﴿قِنْوَانٌ﴾ الطلع ووعاؤه ﴿دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ مرأى وطمعا، وكلاهما حال ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ ورواه راوٍ كعمر ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ حال أول طلوع صلاحه، ﴿وَيَنْعِهِ﴾ حال إدراكه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ﴾ معمول أول مكمله لله المار ﴿الْجِنَّ﴾ لما وسوسوا لهم وأطاعوهم، ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ﴾ ورواه راوٍ كهدد ﴿بَنِينَ وَبَنَاتٍ﴾ ادعوها له ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال الواو أو حال مصدر مطروح ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ لا أحد معه ولا له ولد.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (١)[آية:١٠١ - ١٠٧]:

---

(١) قال القرطبي: فيه مسائل: الأولى - قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ﴾ فعيل للمبالغة، وارتفع على خبر ابتداء محذوف، واسم الفاعل مبدع، كبصير من مبصر. أبدعت الشيء لا عن مثال، فالله عز وجل بديع السموات والأرض، أي منشئها وموجدها ومبدعها ومخترعها على غير حد ولا مثال. وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل له مبدع، ومنه أصحاب البدع. وسميت البدعة بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير فعل أو مقال إمام، وفي البخاري "ونعمت البدعة هذه" يعني قيام رمضان.
الثانية - كل بدعة صدرت من مخلوق فلا يجوز أن يكون لها أصل في الشرع أولا، فإن كان لها أصل كانت واقعة تحت عموم ما ندب الله إليه وخص رسول عليه، فهي في حيز المدح. وإن لم يكن مثاله موجودا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهذا فعله من الأفعال المحمودة، وإن لم يكن الفاعل قد سبق إليه. ويعضد هذا قول عمر رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه، لما =

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ أهل، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ كالئ أعمالكم، ومعامل كل أحد على عمله.

﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ إدراكا محاطا، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ رآءٍ لها أو مدركها علما أحاطها، ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ﴾ دلائل ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها وأسلم ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ لعود صالح عمله له، ﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ كالئ لأعمالكم كالئ

=

كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح، وهي وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها إلا أنه تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس، عليها، فمحافظة عمر رضي الله عنه عليها، وجمع الناس لها، وندبهم إليها، بدعة لكنها بدعة محمودة ممدوحة. وإن كانت في خلاف ما أمر الله به ورسول فهي في حيز الذم والإنكار، قال معناه الخطابي وغيره. قلت: وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته: "وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة" يريد ما لم يوافق كتابا أو سنة، أو عمل الصحابة رضي الله عنهم، وقد بين هذا بقول: "من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء". وهذا إشارة إلى ما ابتدع من قبيح وحسن، وهو أصل هذا الباب، وبالله العصمة والتوفيق، لا رب غيره. الثالثة - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي إذا أراد إحكامه وإتقانه - كما سبق في علمه - قال له كن. قال ابن عرفة: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، ومنه سمي القاضي، لأنه إذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين. وقال الأزهري: قضى في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء قال علماؤنا: "قضى" لفظ مشترك، يكون بمعنى الخلق، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي خلقهن. ويكون بمعنى الإعلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤] أي أعلمنا. ويكون بمعنى الأمر، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام، ومنه سمي الحاكم قاضيا. ويكون بمعنى توفية الحق، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ﴾ [القصص: ٢٩]. ويكون بمعنى الإرادة، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [غافر: ٦٨] أي إذا أراد خلق شيء. قال ابن عطية: "قضى" معناه قدر، وقد يجيء بمعنى أمضى، ويتجه في هذه الآية المعنيان على مذهب أهل السنة قدر في الأزل وأمضى فيه. وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد. الرابعة - قوله تعالى: ﴿أَمْراً﴾ الأمر واحد الأمور، وليس بمصدر أمر يأمر.

الأعمال هو الله وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا﴾ اللام للمال ﴿دَرَسْتَ﴾ أهل الكلام الموحى والعلماء، ورواه ولد عامر درس أصله الدروس، وراوٍ أصله الدرس، ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ هو الكلام المكرم لا إله إلا هو، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ﴾ عدم حصوله ﴿مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ معاملا لهم على أعمالهم، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ مكره لهم على الإسلام والحكم المسطور، ورد حال عدم ورود حكم الحسام، ولما ورد أمر المعارك محا حكمه.

﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [آية:١٠٨]:

﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كود وسواع ﴿فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا﴾ وعولا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ صالحا أو طالحا، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آية:١٠٩، ١١٠]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما سألوا على حكم سؤلهم ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللهِ﴾ لا أملك ورودها لكم المالك ورودها هو الله، ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ والعامل المؤكد حال محل لعل، ورواه راوٍ مكسور الأول، وراوٍ روى ما أم لا على الكلام مع السامع.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ ورود ما سألوه لا هم مدركوه ولا هم رآؤه ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ (الهاء) لما ورد لهم أولا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدر كالعمى للمرأى.

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا

كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [آية:١١١]:

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ﴾ رسلا أو مع الرسل، ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما سألوا وراموا، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ رواه راوٍ كعمر، وراوٍ كحول، وهو حال كل وصح لعمومه ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما علم الله عدمه ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ المراد: على كل حال إسلامهم محال إلا حال أراده الله لهم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ عدم إسلامهم لو ورد لهم ما سألوه.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [آية: ١١٢، ١١٣]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هؤلاء أعدائك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ﴾ معمول لعامل عدوا على مسلك العامل المكرر ﴿الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾ مما لا أصل له ولا أساس ﴿غُرُورًا﴾ معمول له أو مصدر حال محل الحال، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ ولا صاروا أعداء لرسله، ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دعهم ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ﴾ (الهاء) لما أوحوه لهم ﴿أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ ولما سألوا الرسل حكما عادلا لهم وله أوحى الله لرسوله.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [آية:١١٤، ١١٥]:

﴿أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَمًا﴾[1] حال مما أمه اسم الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ

(١) قال ابن الجوزي: سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما إن شئت من أحبار اليهود وإن شئت من أحبار النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك فنزلت هذه الآية ذكره الماوردي فأما الحكم فهو بمعنى الحاكم والمعنى =

﴿الْكِتَابَ﴾ كلامه المكرم ﴿مُفَصَّلا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى وسواه كولد سلام ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ الكلام المكرم الموحى لمحمد ﴿مُنَزَّلٌ﴾ وراوه راوٍ كمسدد ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أحكاما ووعدا وعكسه ﴿صِدْقًا وَعَدْلا لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لما هو أعدل وأحكم أولا محولها أحلها لمرورها إلى المعاد، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَـٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [آية:١١٦ - ١١٩]:

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: أولوا الأهواء ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ عما أسسه للعوالم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له، كادعائهم لمسلكهم هو المسلك الموصل إلى الله؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المراد: عالم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ معاملهم على صالح أعمالهم.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ لا مما سال دمه على اسم سواه أو ما هلك لحاله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿لَكُمْ مَا حَرَّمَ﴾ للمعلوم وسواه ﴿عَلَيْكُمْ إِلا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ مما حرم وهو حال العدم كما مر حكمه، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ﴾ ورواه راوٍ كأسر ﴿بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لا أساس لهم إلا أهواؤهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ كل واصل إلى وراء

=

أفغير الله أطلب قاضيا بيني وبينكم والكتاب القرآن والمفصل المبين الذي بان فيه الحق من الباطل والأمر من النهي والحلال من الحرام. انظر زاد المسير (١١٠/٣)

ما حد له كإحلال المرحم وعكسه.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١٢٠، ١٢١]:

﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ **العهر على السر وعكسه، أو المراد الأعم** ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ **لدى المعاد** ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾.

﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ﴾ **كما لو أهل لاسم سواه أو هلك لحاله أو ما سمى الله المسلم عامدا ولو سها لا، والعمد والسهو لدى أحد العلماء على حد سواء، وحكى حله،** ﴿وَإِنَّهُ﴾ **الأكل مما مر كله والهاء لما الاسم الموصول** ﴿لَفِسْقٌ﴾ **لعدم الحل،** ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ﴾ **كلهم موسوس** ﴿إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ **على حل أكل ما هلك لحاله،** ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ **لا حلال ما حرم** ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ **حكمكم حكمهم.**

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا﴾ **على حال العمى وعدم الإسلام** ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ **هدى وسلك مسالك الإسلام،** ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ **المراد: هو** ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ﴾ **كما رأى المسلم عمله هو الصالح** ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **والحكم المسطور حكى حال عمر أو عمار مع حال عم الرسول.**

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ

كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [آية:١٢٣ - ١٢٧]:

﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رؤساء الحرم الحرام على سوى الهدى ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾(١) صدًّا لأهل الإسلام عما راموا، ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لعود السوء لهم، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم الحرام ﴿آيَةٌ﴾ دال على دعوى الرسول ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ﴾ كإرسال الملك وكلام موحى لهم ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ﴾ معمول لعامل داله أعلم ﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ورواه راوٍ على أحدها، والمراد: هو عالم محلها والصالح لها، وهؤلاء لا هم أهل، ولا هم محل لها، ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ﴾ لدى المعاد، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ ورواه راوٍ كعدل ﴿حَرَجًا﴾ ورواه راوٍ مكسور الراء ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وروى راوٍ وراء الصاد مدا على ورود أصله صاعد، وراوٍ ما مصدره صعود، وعلى كل المراد كل أحد ما أراد الله هداه راء سلوكه إلى الإسلام كالصاعد إلى السماء لعسر وصوله، ﴿فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ﴾ ما أعده لهم على سوء أعمالهم، أو المراد: عدو آدم لما سلطه ووسوس لهم ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ المعنى: وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا في كل قرية. ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ مفعول أول لجعل "مفعول ثاني على التقديم والتأخير. وجعل بمعنى صير. والأكابر جمع الأكبر. قال مجاهد: يريد العظماء. وقيل: الرؤساء والعظماء. وخصهم بالذكر لأنهم أقدر على الفساد. والمكر الحيلة في مخالفة الاستقامة، أصله الفتل؛ فالماكر يفتل عن الاستقامة أي يصرف عنها. قال مجاهد: كانوا يجلسون على كل عقبة أربعة ينفرون الناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؛ كما فعل من قبلهم من الأمم السالفة بأنبيائهم. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إلا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي وبال مكرهم راجع إليهم. وهو من الله عز وجل الجزاء على مكر الماكرين بالعذاب الأليم. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ في الحال؛ لفرط جهلهم أن وبال مكرهم عائد إليهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧٩/٧).

﴿وَهَذَا﴾ مسلك رسوله محمد ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ حال مؤكد لحاصل الكلام، وعامله مؤدى ما وراء الواو ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ﴾ اسم الله، والمراد: دار المأوى والسرور الدائم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آية:١٢٨ - ١٣٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم ﴿جَمِيعًا﴾ وحاصل الكلام لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ المراد: عدو آدم وإرداؤه ﴿قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ﴾ وسوء سؤالهم، وصاروا معهم، ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ﴾ الأولى أطاعوهم ﴿مِنَ الإنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ حصل كل على مراده حصل الموسوس على مراده لما أطاعه الموسوس له، وحصل الموسوس على مسالك هواه، ﴿وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو المعاد ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ محلكم ومأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلا مَا شَاءَ اللهُ﴾ المراد: أمدا إلا إمهالاً حاصلا لهم أو إلا حال عدم حلولهم وسطها، أو المراد: حلولهم محلا سوى المحل الحار ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ عالم أحوال الكل وأعمالهم، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ الرسل مورده ولد آدم وحدهم،

والأول رسلهم سامعوا كلام الرسل وموصلوه لهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ للمصدر أو هو العامل المؤكد، واسمه الهاء مطروح، وعلى كل اللام مطروح ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ والمراد: إرساله الله الرسل هو لعدم إهلاك الأمم لما عصوه ولا دال لهم على أوامره ولا على ما أراده.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ كل وارد على موارد عمله صلاحا وعكسه، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام إلى كل سامع، وهو ما عمل الكل على أعمالهم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾[1] كلام مهدد لكل عاص أوامره. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ كأمر المعاد وسواه ﴿لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ورودكم على موارد وما أوعدكم سها.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾ [آية:١٣٥]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حال ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ المآل المحمود لدى المعاد؛ ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ كل حائد عما أمره ما هو مسعود.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ

---

(١) الغنيّ: هو الّذي لا يحتاج إلى غيره، والغنيّ الحقيقي هو الله تعالى لأنّه لا يحتاج إلى غيره بحال، وقد قال علماء الكلام: إنّ صفة الغِنَى الثّابتة لله تعالى يَشمل معناها وجوب الوجود، لأنّ افتقار الممكن إلى الموجد المختار، الّذي يرجح طَرف وجوده على طرف عدمه، هو أشدّ الافتقار، وأحسب أنّ معنى الغِنى لا يثبت في اللّغة للشّيء إلا باعتبار أنّه موجود فلا يشمل معْنى الغنى صفة الوجود في متعارف اللّغة. إلا أن يكون ذلك اصطلاحاً للمتكلّمين خاصّاً بمعنى الغِنى المطلق. وممّا يدلّ على ما قُلتهُ أنّ من أسمائه تعالى المغني، ولم يُعتبر في معناه أنّه موجد الموجودات. انظر التحرير والتنوير(٨/٨٥).

وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [آية:١٣٦]:

﴿وَجَعَلُوا﴾ الواو لأهل الحرم ﴿لِلهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ للوارد وأهل العدم ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ رواه راوٍ كعهد، وراوٍ كعهر، وورد الكسر كالود والود والود، ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ كود وسواع، ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللهِ﴾ إلى مورده المحصور له، وهو الوارد أهل العدم، ﴿وَمَا كَانَ لِلهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المحرر.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [آية:١٣٧]:

﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ﴾ رواه راوٍ على المعلوم، وراوٍ على سؤال ﴿لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ﴾ مسموك لو العامل لسوى المعلوم وإلا هو معموله ﴿أَوْلادِهِمْ﴾ وأدا، وهو معمول المصدر لو العامل لسوى المعلوم ﴿شُرَكَاؤُهُمْ﴾ ورواه راوٍ مكسورا على ورود العامل لسوى المعلوم ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لإهلاكهم، ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آية:١٣٨ - ١٤٠]:

﴿وَقَالُوا هَذِهِ﴾ أومأوا إلى ما أرصدوه إلى ما هو كود وسواع ﴿أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام على سوى ما حصروها له ﴿لا يَطْعَمُهَا إلا مَنْ نَشَاءُ﴾ وهم الأولى أودعوها لهم ﴿بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كما مر أحكامها، ﴿وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ

اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا﴾ وأسالوا دمها على اسم سواه وادعوا سلوكهم على أوامر الله ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً﴾ مسموكا على ورود العامل كاملا ومحمولا على عود اسمه إلى ما الاسم الموصول، ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ حرموا ما حلل وحللوا ما حرم ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ رواه راوٍ كعدل، وراوٍ كامل ﴿أَوْلادَهُمْ﴾ لروع العدم أو علو العدو ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ﴾ مما مر حكمه ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [آية:١٤١]:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾[1] كروما ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾ محمول أملودها على الأعواد، ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ ما هو محمول على الأعواد، ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ﴾ حمله مطعما وصورا، ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ أملوده أو حمله طعما وصورا، ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ ولو ما أدرك وهو حلال للمالك، ولو ما أدى سهمه المعلوم، ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ حال إدراكه، ورواه راوٍ مكسور الحاء، ﴿وَلا تُسْرِفُوا﴾ كإعطائه كله؛ ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ كل واصل إلى وراء ما حد له.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ

---

(١) قوله تعالى ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها أن المعروشات ما انبسط على وجه الأرض فانتشر مما يعرش كالكرم والقرع والبطيخ وغير معروشات ما قام على ساق كالنخل والزرع وسائر الأشجار والثاني أن المعروشات ما أنبته الناس وغير معروشات ما خرج في البراري والجبال من الثمار رويا عن ابن عباس. الثالث أن المعروشات وغير المعروشات الكرم منه ما عرش ومنه ما لم يعرش قاله الضحاك والرابع أن المعروشات الكروم التي قد عرش عنبها وغير المعروشات سائر الشجر التي لا تعرش قاله أبو عبيدة. انظر زاد المسير (١٤٣/٣).

ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آية:١٤٢ - ١٤٤]:

﴿وَمِنَ الأنْعَامِ حَمُولَةً﴾ ما هو صالح للأحمال، ﴿وَفَرْشًا﴾ ما لا صلاح لها للأحمال ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ مسالك ﴿الشَّيْطَانِ﴾ كرد الحلال إلى الحرام والحرام إلى الحلال ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿ثَمَانِيَةَ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر مما هو صالح للأحمال ﴿أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ رواه راوٍ كولد، وراوٍ كمهد ﴿اثْنَيْنِ قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد ﴿ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ الله ﴿أَمِ الأنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ أمر معلوم دال على ما حرم الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿وَمِنَ الإبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهَذَا﴾ والمراد: رد دعواهم لكل ما حرر هو محرم، ﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ وحرم ما حلله ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:١٤٥]:

﴿قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً﴾ محمول على اسم العامل العائد لما أو معمول للعامل لو كاملا، ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ سائلا أما سواه كالطحال لا، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ حرام، ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ مردود رده أو على لحم ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ﴾ أسالوا دمه وسموا سوى الله، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى

أكل واحد مما عده الله حال العدم وأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على أحد حكمه كحكمه، ﴿وَلا عَادٍ﴾ إلى ما وراء ردع الهلاك ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكله، ﴿رَحِيمٌ﴾ راحم لحاله لما حلله.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية:١٤٦، ١٤٧]:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ الهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ سوى ما للكلى وسواها لا كلهما ﴿إلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾ ما حوى الأمعاء، ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ الوعد وعكسه حاصل.

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهو ممهلكم على عدم الإسراع لأوامره، ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ لا راد له لو حال حوله ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آية:١٤٨ - ١٥٠]:

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (١)

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ قال مجاهد: يعني كفار قريش. قالوا ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ يريد البحيرة والسائبة والوصيلة. أخبر الله عز وجل بالغيب عما سيقولونه؛ وظنوا أن هذا متمسك
=

مرادهم كل ما حصل مراد، وما هو مكروه لدى الله ولو مكروها لما حصل ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ **رسلهم** ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ﴾ **أمر دال ومصحح لمدعاكم** ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ﴾ **ما** ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ **ما** ﴿أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ **مدعو ما لا أصل له ولا أساس.**

﴿قُلْ﴾ **لو ما صححوا مدعاهم** ﴿فَلِلهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ﴾ **أراد هداكم** ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ **معمول لهلم** ﴿الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ **عادلوه مع سواه.**

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آية:١٥١ - ١٥٣]:

=

لهم لما لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما كانوا عليه. والمعنى: لو شاء الله لأرسل إلى آبائنا رسولا فنهاهم عن الشرك وعن تحريم ما أحل لهم فينتهوا فأتبعناهم على ذلك. فرد الله عليهم ذلك فقال ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي أعندكم دليل على أن هذا كذا؟: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾ في هذا القول. ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ لتوهموا ضعفتكم أن لكم حجة. وقول ﴿وَلا آبَاؤُنَا﴾ عطف على النون في ﴿أَشْرَكْنَا﴾.ولم يقل نحن ولا آباؤنا؛ لأن قول ﴿وَلا﴾ قام مقام توكيد المضمر؛ ولهذا حسن أن يقال: ما قمت ولا زيد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٢٨).

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ معمول لحرم ﴿أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر معمول لعامل مطروح هو داله، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ وأدًا ﴿مِنْ إِمْلاقٍ﴾ لروع عدم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ العهر أو كل ما على عامله حد ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرها وعكسه ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ﴾ لحد ما ﴿ذَلِكُمْ﴾ الأمر محرر ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كل ما دار حول صلاح ماله ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ الحلم، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ وما وراء الوسع مسامح، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ لحكم أو سواه

﴿فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ المحكوم له أو عكسه، ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا﴾ هو السلوك على العدل على كل حال ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ مسالك الهوى، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٤، ١٥٨]:

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ للآلأ والإكرام ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ سلوكه على مسالكه، ﴿وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ وهو المعاد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَهَذَا﴾ الكلام المكرم ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ على محمد ﴿مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأمر لأهل الحرام الحرام، ﴿وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أوحاه الله إلى رسوله له.

﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ هم الهود، ومدعو الأهل والولد للواحد الأحد ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمها مطروح ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ لعدم إطلاعهم على ما وسطها.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ﴾ صدا ولوى ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

﴿هَلْ﴾ المراد ما ﴿يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لسل أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أمره وحلول ما أوعدهم على صدهم المحرر، ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ما دل على حلول الدور وأمر المعاد كورود روح الله إلى العالم ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا﴾ ورود أحد الأمور المحرر سردها ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ معكم الأمر المسطور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾(١) [آية:١٥٩ - ١٦١]:

---

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ قرأه حمزة والكسائي ﴿فارقوا﴾ بالألف، وهي قراءة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ من المفارقة والفراق. على معنى أنهم تركوا دينهم وخرجوا عنه. وكان علي يقول: والله ما فرقوه ولكن فارقوه. وقرأ الباقون بالتشديد؛ إلا النخعي فإنه قرأ ﴿فَرَقوا﴾ مخففا؛ أي آمنوا ببعض وكفروا ببعض. والمراد اليهود والنصارى في قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك. وقد وصفوا بالتفرق؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]. وقال: ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]. وقيل: عنى المشركين، عبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة. وقيل: الآية عامة في جميع الكفار. وكل من ابتدع وجاء بما لم يأمر الله عز وجل به فقد فرق دينه. وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ هم أهل البدع والشبهات، وأهل الضلالة من هذه الأمة. وروى بقية بن الوليد حدثنا شعبة بن الحجاج حدثنا مجالد عن =

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾ ورواه راوٍ كعامل ﴿دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ سلكك كل واحد مسلكا وأم كل واحد إماما ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ المراد: دعهم وحالهم وهو حكم محاه أمر المعارك، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وهو معاملهم على سوء أعمالهم ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ كل معامل على عمله كمالا صالحا أو طالحا.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الهدى وهو حال، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية:١٦٢، ١٦٣]:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي﴾ كل ما أمر إلى سلوكه، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ﴾ أو ما حكاه كله ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لما هو أول مأمور.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [آية:١٦٤]:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ إلها، والمراد: لا أروم سوى الله إلها، ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك

=

الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا إنما هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة وأنا بريء منهم وهم منا برآء". وروى ليث بن أبي سليم عن طاوس عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿نَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾. ومعنى ﴿شِيَعاً﴾ فرقا وأحزابا. وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع. "لست منهم في شيء" فأوجب براءته منهم؛ وهو كقوله عليه السلام: "من غشنا فليس منا" أي نحن برآء منه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٤٩/٧).

﴿كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ **كل امرئ معامل على عمله لا أحد حامل حمل أحد،** ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ **لدى المعاد،** ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [آية:١٦٥]:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ **مآلا وسؤددا وسواهما** ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ **أعطاكم** ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ **لكل عاص،** ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ **لكل مسلم أطاعه.**

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

مكية، وهي مائتان وخمس آيات

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(١) [آية:١ - ٣]:

﴿المص﴾ الله أعلم ما المراد كسائر السور على ما هو المعول.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على مطروح كالموحى لك أو هو ﴿أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى محمد، ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ عدم وسع ﴿مِنْهُ﴾ لروع عدم إسلامهم لك ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأمرك لهم هو.

---

(١) قوله تعالى: ﴿تاب أنزل إليك﴾ قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء ومذهب الفراء أن الله اكتفى في مفتتح السور ببعض حروف المعجم عن جميعها كما يقول القائل ا ب ت ث ثمانية وعشرون حرفا فالمعنى حروف المعجم كتاب أنزلناه إليك قال ابن الانباري ويجوز أن يرتفع الكتاب باضمار هذا الكتاب وفي الحرج قولان أحدهما أنه الشك قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن قتيبة والثاني أنه الضيق قاله الحسن والزجاج وفي هاء منه قولان أحدهما أنها ترجع إلى الكتاب فعلى هذا في معنى الكلام قولان أحدهما لا يضيقن صدرك بالإبلاغ ولا تخافن قاله الزجاج والثاني لا تشكن أنه من عند الله والقول الثاني أنها ترجع إلى مضمر وقد دل عليه الإنذار وهو التكذيب ذكره ابن الانباري قال الفراء فمعنى الآية لا يضيقن صدرك إن كذبوك قال الزجاج وقوله تعالى لتنذر به مقدم والمعنى أنزل إليه لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه وذكرى يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض فأما النصب فعلى قوله أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين أي ولتذكر به ذكرى لأن في الإنذار معنى التذكير ويجوز الرفع على أن يكون وهو ذكرى كقولك وهو ذكرى للمؤمنين فأما الخفض فعلى معنى لتنذر لأن معنى لتنذر لأن تنذر المعنى للانذار والذكرى وهو في موضع خفض. انظر زاد المسير (١٥٦/٣)

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو كلامه المكرم، ﴿وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾ (الهاء) لله، والمراد سواه ﴿أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ رواه راوٍ على الكلام إلى السامع، وراوٍ على عكسه، وراوٍ أصل أول أصوله ما ساواه، وراوٍ ما عدد أول أصوله.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝٤ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ [آية:٤ - ٧]:

﴿وَكَمْ﴾ معمول لأهلك مطروح ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها على مسلك المرسل ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أراد الله إهلاكها، ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ ما أعده وأراده لهم ﴿بَيَاتًا﴾ مساء، ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ حال الحر، ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ الأمم الأولى أسلموا للرسل على ما أوصل الرسل لهم، ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عما دعوهم له.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عما أوصله الرسل وما عمله الأمم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [آية:٨ - ١٠]:

﴿وَالْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لطروسها كما ورد ﴿يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ العدل، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ لصالح أعماله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ لطالح أعماله، ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمآلهم إلى الدرك ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أصله إحلال أمر سوى محله، وهم أحلوا العمى محل الهدى.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ الكلام مع ولد آدم ﴿فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلا مَا﴾ مؤكد لا مؤدى له سواه ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على الآلاء.

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ
إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠
خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن
تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ
مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم
مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ
﴿١٧﴾ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا
مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا
مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا
ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا
رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ
ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا
تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي
سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ
﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا

وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية: ١١ - ٣٠]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ والدكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾(١)

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ لما ذكر نعمه ذكر ابتداء خلقه. وقد تقدم معنى الخلق في غير موضع. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي خلقناكم نطفا ثم صورناكم، ثم إنا نخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم. وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: المعنى خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره. وقال الأخفش: ﴿ثُمَّ﴾ بمعنى الواو. وقيل: المعنى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم عليه السلام، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم؛ على التقديم والتأخير. وقيل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ يعني آدم؛ ذكر بلفظ الجمع لأنه أبو البشر. ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ راجع إليه أيضا. كما يقال: نحن قتلناكم؛ أي قتلنا سيدكم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾ وعلى هذا لا تقديم ولا تأخير؛ عن ابن عباس أيضا. وقيل: المعنى ولقد خلقناكم، يريد آدم وحواء؛ فآدم من التراب وحواء من ضلع من أضلاعه، ثم وقع التصوير بعد ذلك. فالمعنى: ولقد خلقنا أبويكم ثم صورناهما؛ قاله الحسن. وقيل: المعنى خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم حين أخذنا عليكم الميثاق. هذا قول مجاهد، رواه عنه ابن جريج وابن أبي نجيح. قال النحاس: وهذا أحسن الأقوال. يذهب مجاهد إلى أنه خلقهم في ظهر آدم، ثم صورهم حين أخذ عليهم الميثاق، ثم كان السجود بعد. ويقوي هذا ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. والحديث "أنه أخرجهم أمثال الذر فأخذ عليهم الميثاق". وقيل: ﴿ثُمَّ﴾ للإخبار، أي ولقد خلقناكم يعني في ظهر آدم صلى الله عليه وسلم، ثم صورناكم أي في الأرحام. قال النحاس: هذا صحيح عن ابن عباس.

قلت: كل هذه الأقوال محتمل، والصحيح منها ما يعضده التنزيل؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الأنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] يعني آدم. وقال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]. ثم قال: ﴿جَعَلْنَاهُ﴾ أي جعلنا نسله وذريته ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣] الآية. فآدم خلق من طين ثم صور وأكرم بالسجود، وذريته صوروا في أرحام الأمهات بعد أن خلقوا فيها وفي أصلاب الآباء. وقد تقدم في أول سورة "الأنعام" أن كل إنسان مخلوق من نطفة وتربة؛ فتأمله. وقال هنا: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ وقال في آخر الحشر: ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]. فذكر التصوير بعد البرء. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وقيل: معنى "ولقد خلقناكم" أي خلقنا الأرواح أولا ثم صورنا الأشباح آخرا. قوله تعالى: ﴿إلا إِبْلِيسَ =

اركعوا له ركوع سلام وإكرام؛ ﴿فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿مَا مَنَعَكَ أَلاَ﴾ لا مؤكد لا مؤدى له ﴿تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ (الهاء) عائد إلى السماء أو إلى دار المأوى والسرور السرمد، ولو ما مر له اسم لعلمه حال الأمر ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ (ما) للمصدر وعامله كواو والله ومكمله ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ (الهاء) لولد آدم أو لآدم وولده ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ المسلك الموصل لك.

﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ أهل إسلام.

﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ مكدراً لا مسرورا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودا ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ﴾ اللام لام الكلام أو اللام الموطئ ﴿مِنْهُمْ﴾ (الهاء) للأمم ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الكلام مع عدو آدم السامع المطرود مع سواه المعدوم وهم أولاده، وكل أحد سلك مسالك ما وسوسوا له وأطاعهم.

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ مؤكد ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء ممدودا ﴿الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أكلا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ المطرود عدو الله ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلا﴾ كرها ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام، ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ آلى لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿فَدَلاهُمَا﴾ حطهما عما أحلهما الله ﴿بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا﴾ أكلا ﴿الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

=

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ استثناء من غير الجنس. وقيل: من الجنس. وقد اختلف العلماء: هل كان من الملائكة أم لا؛ كما سبق بيانه في "البقرة". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٨/٧).

﴿قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ لعدم السلوك على مسلك أوامرك ﴿وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ الأمر لآدم وحواء وعدوهما، أو لآدم وحواء مع أولادهما الأولى حواه كلاهما ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ المراد: الأولاد للأولاد ﴿عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ وهو حلول الأعمار ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أعلى الرداء، أو المراد: الأموال، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ العمل الصالح مردود رده الواو على المعمول المار أو هو مسموك على أول الكلام ومحموله حاصل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ سلوك للكلام على سوى مسلكه الأول.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال معمول العامل الآم كما ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ أرداؤه ﴿مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لما أطاعوهم على ما سولوه لهم ووسوسوه.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾[1] كركوعهم إلى ما هو كود وسواع ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ العدل، وهو وسط كل أمر، ﴿وَأَقِيمُوا﴾ مردود رده الواو على ما أدى مؤدى العدل كما لو أمرهم اعدلوا وأموا كل مصلى، ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ وأصلكم العدم ﴿تَعُودُونَ﴾ إلى المعاد.

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ هم للإسلام، ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ والوهم وأطاعوهم لما وسوسوه لهم وسولوه ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد وسواه، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

---

(١) الفاحشة هنا في قول كثر المفسرين طوافهم بالبيت عراة. وقال الحسن: هي الشرك والكفر. واحتجوا على ذلك بتقليدهم أسلافهم، وبأن الله أمرهم بها. وقال الحسن: ﴿وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ قالوا: لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه. ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بين أنهم متحكمون، ولا دليل لهم على أن الله أمرهم بما ادعوا. وقد مضى ذم التقليد وذم كثير من جهالاتهم. وهذا منها. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨٧/٧).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [آية:٣١]:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ المراد ما عم كل رداء وسواه ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ مصلى ومرد المحل وأراد ما هو مؤسس له، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ كل مأكول سوى المحرم وسما وسواه، ﴿وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [آية:٣٢ - ٣٤]:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ رداء أو دروعا، ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ المطاعم كلها لحما ودسما وسواهما ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أصلا، ولو أكلها سواهم ﴿خَالِصَةً﴾ حال، ورواه راوٍ مسموكا على وروده محمولا أو محمولا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ما لها أكل سوى أهل لا إله إلا الله؛ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ﴾ كل عمل صد عامله كالعهر وسواه ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ سرها وعكسه، ﴿وَالإِثْمَ﴾ كل عمل مكروه لأحد على عامله، وهو للسكر والأول للعهر، ﴿وَالْبَغْيَ﴾ على ولد آدم وهو العدل ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ العدل مؤكد له، ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ كالحكم على أمر مع عدم الدال، ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ كالإحلال لما حرم وعكسه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ لحلول ما أوعدهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ ومر عصر إمهالهم ﴿لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ

أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [آية:٣٥، ٣٦]:

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا﴾ أصله العامل كمهما وما المؤكد ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى﴾ الإلحاد، ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ وما أسلموا لها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [آية:٣٧، ٣٩]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعاء الأهل والولد له أو ادعاء آله معه، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه المكرم الموحى إلى رسوله محمد ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ مما سطر لهم وسط اللوح أموالا وأعمارا وسواهما ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ حاصل العامل والمعمول حال الرسل ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله لهم أو أحد الأملاك ﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ حالهم كحالكم أهل إلحاد ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ معمول للأمر المار ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا﴾ أدرك كل الأولى سلكوا أولا ووصلوا كلهم ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأولاهُمْ﴾ المراد: الأولى أمروا للأولى أمروا ﴿رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ معدد العماهم وإعماهم سواهم ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ لأولئك لما عموا وأعموا

ولهؤلاء لما أموا سواهم وسلكوا مسالكهم وما راعوا الدلائل، ﴿وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ورواه عاصم على الكلام لسوى السامع.

﴿وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ المراد: كلهم على حد سواء ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [آية:٤٠، ٤١]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾[1] وما أسلموا لها ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لدعائهم وأعمالهم، أو حال صعود أرواحهم مع الملك، ﴿وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾ المعلوم، ورواه راوٍ كدمل، وهو اسم لمسد، وهو مسد الملاح المعد للمرسى وهو أولى ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ وحاصل الكلام: حلولهم دار المأوى، والسرور الدائم مرصود إلى سلوك مسد الملاح مسلك السم وهو أمر محال، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ إكلال وأصلها وأصل المهاد واحد، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوة الأنبياء وتكبروا عن الإيمان بها لا تفتح لهم أبواب السماء قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر تفتح بالتاء وشددوا التاء الثانية وقرأ أبو عمرو لا تفتح بالتاء خفيفة ساكنة الفاء وقرأ حمزة والكسائي لا يفتح بالياء مضمومة خفيفة وقرأ اليزيدي عن اختياره لا تفتح بتاء مفتوحة أبواب السماء بنصب الباء فكأنه أشار إلى أفعالهم وقرأ الحسن بياء مفتوحة مع نصب الأبواب كأنه يشير إلى الله عز وجل وفي معنى الكلام أربعة أقوال أحدها لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء رواه الضحاك عن ابن عباس وهو قول أبي موسى الأشعري والسدي في آخرين والأحاديث تشهد به والثاني لا تفتح لأعمالهم رواه العوفي عن ابن عباس والثالث لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم رواه عطاء عن ابن عباس والرابع لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم قاله ابن جريج ومقاتل. انظر زاد المسير (١٩٦/٣).

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٢، ٤٣]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ ما لا عمر لحمله ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ محمول على الاسم الموصول.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ الإصرار على السوء لا حد ما ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ المراد: محالهم ﴿الأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ لدى وصولهم إلى محلهم ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾ مكمل لولا مطروح وداله ما وما أمها ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ﴾ أصله العامل المؤكد، واسمها مطروح أو هو محل المراد ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آية: ٤٤: ٥٣]:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ﴾(١) حكمها حكم العامل المار ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ وهو الإكرام، وحلولهم دار السرور السرمد ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ وهو حلولكم دار الدرك والكدر الدائم ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أعلم معلم أسمعهم، وهل هو الملك مأمور الصور أو سواه الله أعلم ﴿أَنْ﴾ حكمه كالمار أولا واسمه مطروح وهو الهاء ﴿لَعْنَةُ اللهِ﴾ أول كلام أول العامل على أصله عامل مؤكد

(١) قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هذا سؤال تقريع وتعيير. ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا﴾ مثل ﴿أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ أي أنه قد وجدنا. وقيل: هو نفس النداء. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي نادى وصوت؛ يعني من الملائكة. ﴿بَيْنَهُمْ﴾ ظرف؛ كما تقول: أعلم وسطهم. وقرأ الأعمش والكسائي: ﴿نَعِم﴾ بكسر العين وتجوز على هذه اللغة بإسكان العين. قال مكي: من قال ﴿نعِم﴾ بكسر العين أراد أن يفرق بين ﴿نَعَم﴾ التي هي جواب وبين ﴿نعم﴾ التي هي اسم للإبل والبقر والغنم. وقد روي عن عمر إنكار ﴿نَعم﴾ بفتح العين في الجواب، وقال: قل نعم. ونعم ونعم، لغتان بمعنى العدة والتصديق. فالعدة إذا استفهمت عن موجب نحو قولك: أيقوم زيد؟ فيقول نعم. والتصديق إذا أخبرت عما وقع، تقول: قد كان كذا وكذا، فيقول نعم. فإذا استفهمت عن منفي فالجواب بلى نحو قولك ألم أكرمك، فيقول بلى. فنعم لجواب الاستفهام الداخل على الإيجاب كما في هذه الآية. وبلى، لجواب الاستفهام الداخل على النفي؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وقرأ البزي وابن عامر وحمزة والكسائي ﴿أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ﴾ وهو الأصل. وقرأ الباقون بتخفيف ﴿أَنْ﴾ ورفع اللعنة على الابتداء. فـ ﴿أَنْ﴾ في موضع نصب على القراءتين على إسقاط الخافض. ويجوز في المخففة ألا يكون لها موضع من الإعراب، وتكون مفسرة كما تقوم. وحكي عن الأعمش أنه قرأ ﴿إِنَّ لَعْنَةَ اللهِ﴾ بكسر الهمزة؛ فهذا على إضمار القول كما قرأ الكوفيون ﴿فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ إِنَّ اللهَ﴾ ويروى أن طاوسا دخل على هشام بن عبدالملك فقال له: اتق الله واحذر يوم الأذان. فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ فصعق هشام. فقال طاوس: هذا ذل الصفة فكيف ذل المعاينة. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢١٠).

واسمه، ورواه راوٍ مكسوه الأول ومحموله ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المأمور كل أحد إلى سلوكها، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ عما أسسها الله للأمم ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أهل دار المأوى والسور، وأهل دار الدرك والكدر ﴿حِجَابٌ﴾ سور، ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾ هو السور المسطور ﴿رِجَالٌ﴾ هل هم ملاء ساوى صالح أعمالهم لطالحها لا علو ولا حط كما ورد أو هم أهل السؤدد والمحل الأعلى كالرسل والعلماء أو هم أملاك ﴿يَعْرِفُونَ كُلا بِسِيمَاهُمْ﴾ كحور أهل الإسلام وسواد أهل الإلحاد.

﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ﴾ حكمه حكم الأول ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ المراد: سلموا على أهلها والمسلم هم أهل السور ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ (الواو) لأهل السور، و(الهاء) لدار السرور ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ (الواو) للحال، و(هم) ومحموله حال الواو لو حمل أهل السور على أول المحامل وحال أهل دار المأوى لو حمل على سواه.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ (الهاء) لأهل السور ﴿تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا﴾ هم رؤساء أهل الإلحاد ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ الأموال أو عددكم، ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ما للمصدر.

﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ إكمال لكلام أهل السور مع رؤساء أهل الإلحاد الأولى أحلهم الله دار الدرك وحولوا الكلام إلى أهل الإسلام وأمروهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم، وراوٍ كعدلوا.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ﴾ حكمها حكم العامل الأول ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ كسائر الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا﴾ ماء دار السرور وطعامها ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ المراد: ما عملوا له العمل الصالح، ﴿وَمَا﴾ وكما ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ و(ما) للمصدر.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿بِكِتَابٍ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿فَصَّلْنَاهُ﴾ وعدا وعكسه ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حال ﴿هُدًى﴾ حال الهاء، ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ﴾ ما هو عائد له أمره ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ لدى المعاد

﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ هم الأولى ما أسلموا له ولا أطاعوا أوامره ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدار الأولى ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما لهم إلى الهلاك والكدر، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاؤهم إلها مع الله.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [آية: ٥٤ - ٥٦]:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ المراد: مددها لا عددها، ولولاه لما صح الحمل، ولو أراد إصدارها كلمح المرأى أصدرها، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أمره أو هو على مؤدى أراده ما هو معلوم لأحد.

﴿يُغْشِي﴾ رواه راوٍ كأعطى، وراوٍ كسمى ﴿اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ ما أرود عكسه للعلم ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ مسرعا، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ رواه راوٍ مردودا على عدد السماء المار، وراوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ كله لا مالك لهما سواه ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ﴾ ملك ﴿الْعَالَمِينَ﴾.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال (واو) ادعوا، ﴿وَخُفْيَةً﴾(١) سرا ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ

---

(١) الظاهر أنّ الدعاء هو مناجاة الله بندائه لطلب أشياء ولدفع أشياء، وقال الزّجاج: المعنى اعبدوا وانتصب ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ على الحال أي متضرّعين ومخفين أو ذوي تضرّع واختفاء في دعائكم وفي الحديث الصحيح (إنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً) وكان الصحابة حين أخبرهم الرسول بذلك قد جهروا بالذكر أمر تعالى بالدعاء مقروناً بالتذلل والاستكانة والاختفاء إذ ذاك ادّعى للإجابة وأبعد عن الرياء والدعاء خفية أفضل من الجهر ولذلك أثنى الله على زكريا عليه السلام فقال: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً﴾ وفي الحديث (خير الذّكر الخفي) وقواعد الشريعة مقررة أن السرّ فيما لم يفترض من أعمال البر أعظم أجراً من الجهر. قال الحسن: أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرون أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت إن هو إلا الهمس بينهم =

﴿الْمُعْتَدِينَ﴾ كل واصل إلى وراء ما حد له كرومه الصعود إلى السماء.

﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ كادعاء إله مع الله ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ وهو إرسال الرسل، ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ مما أوعده لكل عاص ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول ما وعده كل طائع؛ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا﴾ كعمر، وراوه راوٍ كأمر، وراوٍ موحدا؛ أوله كحكم ﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ أمام ﴿رَحْمَتِهِ﴾ المطر ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ﴾ أدى مصدره مؤدى الحمل

=

وبين ربهم انتهى ولو عاش الحسن إلى هذا الزمان العجيب الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصّلاح ويتركون الاكتساب ويرتبون لهم أذكاراً لم ترد في الشريعة يجهرون بها في المساجد ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم ويذيعون عنهم كرامات ويرون لهم منامات يدوّنونها في أسفار ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنّة ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبي مرسل ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة ونصب أيديهم للتقبيل وقلّة الكلام وإطراق الرؤوس وتعيين خادم يقول الشيخ مشغول في الخلوة رسم الشيخ قال الشيخ رأى الشيخ الشيخ نظر إليك الشيخ كان البارحة يذكرك إلى نحو من هذه الألفاظ التي يخشون بها على العامة ويجلبون بها عقول الجهلة هذا إن سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذ ذاك يكون منسلخاً عن شريعة الإسلام بالكليّة والتعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرّواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليها الأوقاف ويخدمهم الناس في عروهم عن سائر الفضائل ولكن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم وقد أطلنا في هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به، وقرأ أبو بكر بكسر ضمة الخاء وهما لغتان ويظهر ذلك من كلام أبي علي ولا يتأتى إلا على ادعاء القلب وهو خلاف الأصل ونقل ابن سيده في المحكم أنّ فرقة قرأت ﴿وَخِيفَةً﴾ من الخوف أي ادعوه باستكانة وخوف. انظر تفسير البحر المحيط (٣١٣/٤).

﴿سَحَابًا ثِقَالا﴾ لحمله المطر ﴿سُقْنَاهُ﴾ (الهاء) عائد للركم ﴿لِبَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ لا كلأ له، ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ﴾ (الهاء) للمحل المعدوم الكلأ، ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ (الهاء) للمطر ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ رمله ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلا نَكِدًا﴾ عسرا ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [آية:٥٩، ٦٤]:

﴿لَقَدْ﴾ (اللام) كلام والله للأمر حاصل ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الراء ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ أهل السؤدد ﴿مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ﴾ ورواه راوٍ كأكرمكم ﴿رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ أحد ولد آدم ما هو ملك ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا﴾ الله، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أما حال الموصول أو حال هاء معه أو لا محل له، ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمى الصدور.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ

مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ
وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ
ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ
أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟
مُؤْمِنِينَ﴾[1] [آية:٦٥ - ٧٢]:

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملاء ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ لا علم لك ولا حلم ﴿وَإِنَّا

(١) قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا. قال ابن عباس أي ابن أبيهم. وقيل: أخاهم في القبيلة. وقيل: أي بشرا من بني أبيهم آدم. وفي مصنف أبي داود أن أخاهم هودا أي صاحبهم. وعاد من ولد سام بن نوح. قال ابن إسحاق: وعاد هو ابن عوص بن إرم بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. وهود هو هود بن عبدالله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. بعثه الله إلى عاد نبيا. وكان من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا. و﴿عَادٍ﴾ من لم يصرفه جعله اسما للقبيلة، ومن صرفه جعله اسما للحي. قال أبو حاتم: وفي حرف أبي وابن مسعود ﴿عاد الأولى﴾ [النجم: ٥٠] بغير ألف. و﴿هُوداً﴾أعجمي، وانصرف لخفته؛ لأنه على ثلاثة أحرف. وقد يجوز أن يكون عربيا مشتقا من هاد يهود. والنصب على البدل. وكان بين هود ونوح فيما ذكر المفسرون سبعة آباء. وكانت عاد فيما روي ثلاث عشرة قبيلة، ينزلون الرمال، رمل عالج. وكانوا أهل بساتين وزروع وعمارة، وكانت بلادهم أخصب البلاد، فسخط الله عليهم فجعلها مفاوز. وكانت فيما روي بنواحي حضرموت إلى اليمن، وكانوا يعبدون الأصنام. ولحق هود حين أهلك قومه بمن آمن معه بمكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا. ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي في حمق وخفة عقل. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٣٥).

لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ **لادعائك ما لا أصل له وهو الإرسال.**

﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ **هو أحد ولد آدم ما هو ملك** ﴿لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ **ملوكا** ﴿مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ **طولا،** ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ **كود وسواع** ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **دال مصحح للمدعي،** ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ **حلول ما أوعدكم الله وهددكم** ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ **الأولى أسلموا له** ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ **المراد: حصل اصطلامهم كلهم،** ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٣ - ٧٩]:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ **المراد: وأرسل، وهو اسم والدهم ولد ولد ولد سام** ﴿أَخَاهُمْ﴾ **ملأ**

﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ حال عاملها مؤدى ما أومأ وهم سألوه أولا وراموا ورودها لهم، ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أحلكم وآواكم ﴿فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ للمأوى حال الحر، ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ للمأوى حال عكس الحر ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لعامله.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وما أسلموا له ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ معمول على مسلك العامل المكرر وهو اللام ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ لكم ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ المهلك لها أحدهم وأورد العمل للكل لأمرهم له، ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] [آية: ٨٠ - ٨٤]:

(١) قال القرطبي في تفسير هذه الآية: فيه أربع مسائل: الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ قال الفراء: لوط مشتق من قولهم: هذا أليط بقلبي، أي ألصق. وقال النحاس: قال الزجاج زعم بعض النحويين - يعني الفراء - أن لوطا يجوز أن يكون مشتقا من لطت إذا ملسته بالطين. قال: وهذا غلط؛ لأن الأسماء الأعجمية لا تشتق كإسحاق، فلا يقال: إنه من السحق وهو البعد. وإنما صرف لوط لخفته لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط. قال النقاش: لوط من الأسماء الأعجمية وليس من العربية. فأما لطت الحوض، وهذا أليط بقلبي من هذا، فصحيح. ولكن الاسم أعجمي كإبراهيم وإسحاق. قال سيبويه: نوح ولوط أسماء أعجمية، إلا أنها خفيفة فلذلك =

=

صرفت. بعثه الله تعالى إلى أمة تسمى سدوم، وكان ابن أخي إبراهيم. ونصبه إما بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ المتقدمة فيكون معطوفا. ويجوز أن يكون منصوبا بمعنى واذكر.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ يعني إتيان الذكور. ذكرها الله باسم الفاحشة ليبين أنها زنى؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢]. واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد إجماعهم على تحريمه؛ فقال مالك: يرجم؛ أحصن أو لم يحصن. وكذلك يرجم المفعول به إن كان محتلما. وروي عنه أيضا: يرجم إن كان محصنا، ويحبس ومؤدب إن كان غير محصن. وهو مذهب عطاء والنخعي وابن المسيب وغيرهم. وقال أبو حنيفة: يعزر المحصن وغيره؛ وروي عن مالك. وقال الشافعي: يحد حد الزنى قياسا عليه. احتج مالك بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر: ٧٤]. فكان ذلك عقوبة لهم وجزاء على فعلهم. فإن قيل: لا حجة فيها لوجهين؛ أحدهما - أن قوم لوط إنما عوقبوا على الكفر والتكذيب كسائر الأمم. الثاني: أن صغيرهم وكبيرهم دخل فيها؛ فدل على خروجها من باب الحدود. قيل: أما الأول فغلط؛ فإن الله سبحانه أخبر عنهم أنهم كانوا على معاصي فأخذهم بها؛ منها هذه. وأما الثاني فكان منهم فاعل وكان منهم راض، فعوقب الجميع لسكوت الجماهير عليه. وهي حكمة الله وسنته في عباده. وبقي أمر العقوبة على الفاعلين مستمرا. والله أعلم. وقد روى أبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي والدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به". لفظ أبي داود وابن ماجه. وعند الترمذي "أحصنا أو لم يحصنا". وروى أبو داود والدارقطني عن ابن عباس في البكر يوجد على اللوطية قال: يرجم. وقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق رجلا يسمى الفجاءة حين عمل عمل قوم لوط بالنار. وهو رأي علي بن أبي طالب؛ فإنه لما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر في ذلك جمع أبو بكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واستشارهم فيه؛ فقال علي: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا أمة واحدة صنع الله بها ما علمتم، أرى أن يحرق بالنار. فاجتمع رأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرق بالنار. فكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يحرقه بالنار فأحرقه. ثم أحرقهم ابن الزبير في زمانه. ثم أحرقهم هشام بن الوليد. ثم أحرقهم خالد القسري بالعراق. وروي أن سبعة أخذوا في زمن ابن الزبير في لواط؛ فسأل عنهم فوجد أربعة قد أحصنوا فأمر بهم فخرجوا بهم من الحرم فرجموا بالحجارة حتى ماتوا، وحد الثلاثة؛ وعنده ابن عباس وابن عمر فلم ينكرا عليه. وإلى هذا ذهب الشافعي. قال ابن العربي: والذي صار إليه مالك أحق، فهو أصح سندا وأقوى معتمدا. وتعلق الحنفيون بأن قالوا: عقوبة الزنى معلومة؛ فلما كانت هذه المعصية غيرها وجب ألا يشاركها في حدها. ويأثرون في هذا حديثا: "من وضع حدا في غير حد فقد تعدى وظلم". وأيضا فإنه وطء في فرج لا يتعلق به إحلال ولا إحصان، ولا وجوب مهر ولا ثبوت نسب؛ فلم يتعلق به حد. الثالثة: فإن أتى بهيمة فقد قيل: لا يقتل هو ولا البهيمة. وقيل: يقتلان؛ حكاه ابن المنذر عن أبي سلمة بن عبدالرحمن. وفي الباب حديث رواه أبو داود والدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله

=

﴿وَلُوطًا﴾ **معمول لعامل مطروح أما أرسل أو أورد** ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ﴾ **مؤكد لا مؤدى له سواه** ﴿أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿إِنَّكُمْ﴾ **ورواه راوٍ مطروح الأول** ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ **هو الوصول إلى وراء ما حد.**

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ **(الهاء) للوط والأولى معه** ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ **الأولى أسلموا له** ﴿إِلا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ **مع الأولى أهلكهم الله،** ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ **مطر حصى مهلك لهم لا مطر ماء** ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم

=

صلى الله عليه وسلم: "من وقع على بهيمة فاقتلوه واقتلوا البهيمة معه". فقلنا لابن عباس: ما شأن البهيمة؟ قال: ما أراه قال ذلك، إلا أنه كره أن يؤكل لحمها وقد عمل بها ذلك العمل. قال ابن المنذر: إن يك الحديث ثابتا فالقول به يجب، وإن لم يثبت فليستغفر الله من فعل ذلك كثيرا، وإن عزره الحاكم كان حسنا. والله أعلم. وقد قيل: إن قتل البهيمة لئلا تلقي خلقا مشوها؛ فيكون قتلها مصلحة لهذا المعنى مع ما جاء من السنة. والله أعلم. وقد روى أبو داود عن ابن عباس قال: ليس على الذي زنى بالبهيمة حد. قال أبو داود: وكذا قال عطاء. وقال الحكم: أرى أن يجلد ولا يبلغ به الحد. وقال الحسن: هو بمنزلة الزاني. وقال الزهري: يجلد مائة أحصن أو لم يحصن. وقال مالك والثوري وأحمد وأصحاب الرأي يعزر. وروي عن عطاء والنخعي والحكم. واختلفت الرواية عن الشافعي، وهذا أشبه على مذهبه في هذا الباب. وقال جابر بن زيد: يقام عليه الحد، إلا أن تكون البهيمة له. الرابعة: قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿مِنَ﴾ لاستغراق الجنس، أي لم يكن اللواط في أمة قبل قوم لوط. والملحدون يزعمون أن ذلك كان قبلهم. والصدق ما ورد به القرآن. وحكى النقاش أن إبليس كان أصل عملهم بأن دعاهم إلى نفسه لعنه الله، فكان ينكح بعضهم بعضا. قال الحسن: كانوا يفعلون ذلك بالغرباء، ولم يكن يفعله بعضهم ببعض. وروى ابن ماجه عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط". وقال محمد بن سيرين: ليس شيء من الدواب يعمل عمل قوم لوط إلا الخنزير والحمار. انظر الجامع في أحكام القرآن (٧/٢٤٢).

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ
ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ
وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ
ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ
أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى
مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ
خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ
عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ
قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [آية:٨٥ - ٩٣]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ **المراد: وأرسل** ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ **لهم** ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ **أراد: الدال على إرساله وما صرح وسط الكلام المكرم ما هو ولا هو معلوم،** ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ **إلحادا** ﴿بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾ **وإرسال الرسل، وحصول ما أسسوه ومهدوه للأمم** ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ **مسلك** ﴿تُوعِدُونَ﴾ **كل أحد أراد السلوك على مسلك أوامر الرسول، أو المراد: لروم المكس،** ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ **الأمر المؤسس للعالم** ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ **الاسم الموصول معمول لصد،** ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلا﴾ **عددكم أو عددكم،** ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ **أموالا وأولادا وعددا وعددا،** ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ **الأمم الأولى مر عصرهم أولا لما ما أطاعوا أوامر رسلهم هل**

عاد أمرهم إلى الهلاك والدمار أم لا.

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا﴾ وحكمه إعلاء أهل الإسلام وإهلاك عكسهم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعد لهم.

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[(١)] راموا عودهم كلهم مع الرسول والرسول ما سلك مسلكهم أصلا لما عاملوا للواحد وهو رسولهم كما عاملوا العدد وهم أهل الإسلام ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ العود إلى الإلحاد أو المراد: حسم طمعهم عودهم إلى مسلكهم، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أحاط عمله وحوى الكل مما حصل وما هو حاصل ﴿عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ﴾ اللام موطئ ﴿اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ العامل المؤكد وما معه ساد مسد مكمل ما وطأ اللام والعامل الآم لها، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى.

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ الاسم الموصول مسموك المحل على أول الكلام ومحموله حاصل ﴿كَأَنْ﴾ هم ﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ كرره مؤكدا للرد.

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ المراد: لا آسى.

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى﴿وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به طائفة لم يؤمنوا﴾ أي إن أختلفتم في رسالتي فصرتم فريقين مصدقين ومكذبين فاصبروا حتى يحكم الله بيننا بتعذيب المكذبين وإنجاء المصدقين وهو خير الحاكمين لأنه العدل الذي لا يجور. انظر زاد المسير (٣/ ٢٣٠).

فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية:٩٤، ٩٥]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ وما أسلموا له ﴿إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ العدم، ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الداء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ الآلام وهو العدم والداء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ عكسهما وهو المال وعدم الداء، ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ العدم هو حال الدهر مع أهله وداموا على سوء مسراهم، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آية:٩٦ - ١٠٢]:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا﴾ أسلموا لله ولرسلهم الأولى أرسلوا، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ كل إلحاد ﴿لَفَتَحْنَا﴾ رواه راوٍ كمدح، وراوٍ كهدد ﴿بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ المطر المدر، ﴿وَالأَرْضِ﴾ لحصول الكلاء، ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا﴾ مساء ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ولا علم لهم ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ﴾ إعطاءه الآلا وإهلاكهم ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ﴾ إهلاك ﴿أَهْلِهَا أَنْ﴾ هو العامل المؤكد واسمه مطروح ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما حصل للأولى مر سردهم، ﴿وَنَطْبَعُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ كل دال على الهدى سماع إدراك.

﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ **الكلام إلى الرسول محمد** ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ **الدوال على الإرسال،** ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ **وداموا على سوء مسراهم؛** ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ﴾ **(الهاء) للأمم المار حكمها** ﴿مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ﴾ **هو العامل المؤكد** ﴿وَجَدْنَا﴾ **المراد: العلم** ﴿أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ
مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾
قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ
فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ
سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ
﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ
ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو
بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾
وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾
قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ
لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ

لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ
ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ
سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ [آية:
١٠٣ - ١٢٩]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾(١) (الهاء) للرسل ﴿مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ آل أمرهم إلى الهلاك.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لك أو لك وللأولى معك كما هو داله سرد الملاء.

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: لما قصّ الله تعالى على نبيه أخبار نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وما آل إليه أمر قومهم وكان هؤلاء لم يبقَ منهم أحد أتبع بقصص موسى وفرعون وبني إسرائيل إذ كانت معجزاته من أعظم المعجزات وأمته من أكثر الأمم تكذيباً وتعنتاً واقتراحاً وجهلا وكان قد بقي من اتباعه عالم وهم اليهود فقصّ الله علينا قصصهم لنعتبر ونتعظ وننزجر عن أن نتشبه بهم، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنّ بين موسى وشعيب عليهما السلام مصاهرة كما حكى الله في كتابه ونسب لكونهما من نسل إبراهيم ولما استفتح قصة نوح بأرسلنا بنون العظمة اتبع ذلك قصة موسى فقال: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا، والضمير في مّن بَعْدِهِمْ عائد على الرسل من قوله ﴿ولَقَدِ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أو للأمم السابقة والآيات الحجج التي آتاه الله على قومه أو الآيات التسع أو التوراة أقوال وتعدية فظلموا بالباء إما على سبيل التضمين بمعنى كفروا بها ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وإما أن تكون الباء سببية أي ظلموا أنفسهم بسببها أو الناس حيث صدوهم عن الإيمان أو الرسول فقالوا سحر وتمويه أقوال، وقال الأصم: ظلموا تلك النعم التي آتاهم الله بأن استعانوا بها على معصية الله تعالى فانظرو أيها السامع ما آل إليه أمر المفسدين الظالمين جعلهم مثالا توعد به كفرة عصر الرسول عليه السلام. انظر تفسير البحر المحيط (٤/ ٣٥٥).

﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾ وراوٍ كرر ما أم لام على وهو المعمول، و﴿أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلا الْحَقَّ﴾ مصدر محمول ما أمه على ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لموسى ﴿إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ أمره ساطع، ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ على عكس حالها الأول وهو السمار.

﴿قَالَ الْمَلأُ﴾ هو، وأهل السؤدد ﴿مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ماهر ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ ورواه راوٍ كأروه هاوى الهاء، ورواه ولد عامر كأكرمه وكسر هاءه، ﴿وَأَخَاهُ﴾ المراد: أمهل أمرهما، ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وروى راوٍ: سحار محل ساحر، ﴿عَلِيمٍ﴾ أصول السحر كموسى.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ﴾ ورواه راوٍ مع العامل المؤكد وحده ﴿لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿قَالَ نَعَمْ﴾ لكم ما ملكم، ﴿وَإِنَّكُمْ﴾ مع المآمل المحرر ﴿لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾.

﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ ما معكم ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ حولوا إدراكها، ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ روعوهم، ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما موهوه مما لا أصل له، ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو سحرهم.

﴿فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ وحط سؤددهم وأمرهم، والهاء عائد إلى عدو موسى وملأه.

﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ حملهم إلهام الله على الركوع لموسى ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ﴾ وسهل راوٍ أوله ﴿بِهِ﴾ (الهاء) لموسى أو لله والأولى أولى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل أمر عملكم ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ

مِنْ خِلافٍ ثُمَّ لأصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا﴾ لد المعاد ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾.

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ المراد: دوام الإسلام إلى ورود حمامه.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ لدعائهم الأمم إلى سواك، ﴿وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ رواه راوٍ كسلك، وراوٍ كهدد ﴿أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ مراده كعمله الأول، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾.

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما سمعوا كلام أعدائهم وما أرادوه لهم ﴿اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا﴾ على ما أصروه أو على عملهم ﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ هو إهلاك أولادهم، ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ لما أعادوه لهم ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ المراد: هو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ
إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ
ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ
وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾
وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ
عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ
كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آية:١٣٠ - ١٤١]:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾[1] **المحل لعدم الأمطار والأمواه،** ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ **عدم المحل وحصول المحصود** ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ **مرادهم: هم أهل لها،** ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ **محل وعدم كلاء ومحصود** ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ **ما أدى له، وهو سوء أعمالهم** ﴿عِنْدَ اللهِ﴾ **محرر ومعلوم،** ﴿وَقَالُوا﴾ **لموسى** ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ **ماء حل دورهم ووصل إلى حد رؤوسهم،** ﴿وَالْجَرَادَ﴾ **أكل كلأهم ومحصودهم،** ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ **أولاده أو هو السوس،** ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ **ملأ دورهم وطعامهم،** ﴿وَالدَّمَ﴾ **صار ماؤهم كله دما** ﴿آيَاتٍ﴾ **حال** ﴿مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ **ما أراد حلوله على أعدائه** ﴿قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ **(ما) للمصدر، وهو الإرسال أو اسم موصول، وهو عدم رد دعاء**

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ يعني الجدوب. وهذا معروف في اللغة؛ يقال: أصابتهم سنة، أي جدب. وتقديره جدب سنة. وفي الحديث: "اللهم جعلها عليهم سنين كسني يوسف". ومن العرب من يعرب النون في السنين
وحكى الفراء عن بني عامر أنهم يقولون: أقمت عنده سنينا يا هذا؛ مصروفا. قال: وبنو تميم لا يصرفون ويقولون: مضت له سنين يا هذا. وسنين جمع سنة، والسنة هنا بمعنى الجدب لا بمعنى الحول. ومنه أسنت القوم أي أجدبوا. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٦٤).

موسى ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ لدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ﴾ إلى حد عصر هلاكهم ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ عهودهم إلى موسى، وما آلوا على عمل، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ الملح ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ما سلكوا مسالكها.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ لملكهم لهم وإهلاكهم أولادهم ﴿مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ ماء وكلا ووسع ما كل ومحصود، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ كعمار الدور وسواها، ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ كروما وسواها، ورواه راوٍ مكسور الراء.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا﴾ مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ ورواه مكسور الوسط ﴿عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ لما أحلوا محل حمد الله على آلائه روم ركوعهم إلى سواه.

﴿إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ومدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أروم لكم ﴿إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ على عالم عصرهم.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾ ورواه راوٍ كأعلاكم ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ

ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [آية:١٤٢ - ١٤٧]:

﴿وَوَاعَدْنَا﴾ ورواه والد عمرو: (ووعد) مع معموله ﴿مُوسَى﴾ صوم ﴿ثَلاثِينَ لَيْلَةً﴾ ولدى كمال صومها مكلمه مولاه ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ مما أمه المحرم، ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ لهم أمورهم، ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ مسلكهم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ كلاما سمعه، وهل سمع موسى كلام الله أو داله وأورد كلم لعدم الوسائط ملكا أو سواه، وهو أولى لإدراك كل أحد ما أكرم الله موسى وأولاه وحمله على الأول إدراك ولد آدم له أمر محال، ولو سلم حمله على الأول لأدى إما إلى حلول كلام الله حواس موسى وهو حلول ما لا عدم له محلا أوله عدم، وإما إلى وروده عصرا ما وحسمه، وهو دال عدم الدوام وكلاهما أمر محال.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ ما سأل موسى أمر محالا ولو محالا لما سأله، وهل رأى الله أحد أم لا حكى رهط حصوله للرسول الأكرم محمد ورد ما حكاه سواهم وحصر حصوله لدى المعاد.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾[1] لعدم حملك لها، ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ وهو أحمل ﴿فَإِنِ

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ أي في الدنيا. ولا يجوز الحمل على أنه أراد: أرني آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك؛ لأنه قال ﴿إِلَيْكَ﴾ و﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾. ولو سأل آية لأعطاه الله ما سأل، كما أعطاه سائر الآيات. وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى؛ فبطل هذا التأويل. ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنيته وأثبت. أي فإن ثبت الجبل وسكن فسوف تراني، وإن لم يسكن =

اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ وإلا لا.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ وأعطاه إدراكا ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ صار مدكوكا مهدوما، ورواه راوٍ: دكاء ممدودا ومؤداهما واحد، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ لهول ما رأى، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ لصد وسؤال مع عدم الأمر ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد: مسلمو عصره أو أول مسلم لعدم حصولها وسط الدار الأولى.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ أهل عصرك ﴿بِرِسَالاتِي﴾ ورواه راوٍ على الواحد لا العدد، ﴿وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ على الآلاء.

=

فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي. وذكر القاضي عياض عن القاضي أبي بكر بن الطيب ما معناه: أن موسى عليه السلام رأى الله فلذلك خر صعقا، وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له. واستنبط ذلك من قوله: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾. ثم قال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ وتجلى معناه ظهر؛ من قولك: جلوت العروس أي أبرزتها. وجلوت السيف أبرزته من الصدأ؛ جلاء فيهما. وتجلى الشيء انكشف. وقيل: تجلى أمره وقدرته؛ قاله قطرب وغيره. وقراءة أهل المدينة وأهل البصرة ﴿دَكّاً﴾؛ يدل على صحتها ﴿دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ [الفجر: ٢١] وأن الجبل مذكر. وقرأ أهل الكوفة ﴿دَكَّاءَ﴾ أي جعله مثل أرض دكاء، وهي الناتئة لا تبلغ أن تكون جبلا. والمذكر أدك، وجمع دكاء دكاوات ودك؛ مثل حمراوات وحمر. قال الكسائي: الدك من الجبال: العراض، واحدها أدك. غيره: والدكاوات جمع دكاء: رواب من طين ليست بالغلاظ. والدكداك كذلك من الرمل: ما التبد بالأرض فلم يرتفع. وناقة دكاء لا سنام لها. وفي التفسير: فساخ الجبل في الأرض؛ فهو يذهب فيها حتى الآن. وقال ابن عباس: جعله ترابا. عطية العوفي: رملا هائلا. ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ أي مغشيا عليه؛ عن ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: ميتا؛ يقال: صعق الرجل فهو صعق. وصعق فهو مصعوق. وقال قتادة والكلبي: خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة، وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر. ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ قال مجاهد: من مسألة الرؤية في الدنيا. وقيل: سأل من غير استئذان؛ فلذلك تاب. وقيل: قال على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات. وأجمعت الأمة على أن هذه التوبة ما كانت عن معصية؛ فإن الأنبياء معصومون. وأيضا عند أهل السنة والجماعة الرؤية جائزة. وعند المبتدعة سأل لأجل القوم ليبين لهم أنها غير جائزة، وهذا لا يقتضي التوبة. فقيل: أي تبت إليك من قتل القبطي؛ ذكره القشيري. وقد مضى في "الأنعام" بيان أن الرؤية جائزة. قال علي بن مهدي الطبري: لو كان سؤال موسى مستحيلا ما أقدم عليه مع معرفته بالله؛ كما لم يجز أن يقول له يا رب ألك صاحبة وولد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٢٧٩).

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا﴾ **(الهاء) إلى ألواح،** ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ **مصر.**

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ **ما دل على الله وإرسال الرسل** ﴿لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ **الهدى الموصل إلى الله** ﴿لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا﴾ **مسلكا لهم،** ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ **عكس الهدى وهو العمى والإلحاد** ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا﴾ **مسلكا لهم** ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ **ما سلكوا مسالكها.**

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ﴾ **أمر المعاد** ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ **ما عملوه كوصل الرحم وسواه لعدم الإسلام** ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **(ما) للمصدر، والمراد: إلا عملهم.**

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ **[آية:١٤٨ - ١٥٤]:**

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ **هو ما أعاره لهم أهل مصر لدعوى العرس، أو هو ما ملكوه لما أهلك الله عدو موسى وملأه،** ﴿عِجْلا﴾ **عمله لهم لا**

مساس، ﴿جَسَدًا﴾ لحما ودما، ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾ مسموع ومكمل العامل مطروح وهو إلها، ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لا يُكَلِّمُهُمْ وَلا يَهْدِيهِمْ سَبِيلا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها لهم، ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ المراد: حسروا على ركوعهم له، ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ لما عاد موسى ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ﴾ طرحها ولما طرحها حصل لها الكسر، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ مسكا ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي﴾ معدودا ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلها ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وحصل لما أمرهم الله إهلاكا لأرواحهم، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله وهو ادعاؤهم هو إلههم وإله موسى.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ عادوا إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ (الهاء) للعمل الدال له عملوا، ﴿وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ هدأ ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ ما حرر وسطها ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ

ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(١) [آية:١٥٥، ١٥٧]:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ على الطرح لعامل والوصل لعامل سواه ﴿سَبْعِينَ رَجُلا﴾ وهم الأولى ما ركعوا لما عمل لا مساس ﴿لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ حرك الله محالهم وروعهم لما داموا مع الأولى ركعوا لما عمل لا مساس.

﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ﴾ لما أسمعهم كلامه وطمعوا إلى حصول المرأى ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ﴾ عدم هداه، ﴿وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ هداه ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا﴾ هاد كعاد، والمراد: عودهم إلى الله ورومهم محو ما صدر ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾ الله ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أهل الإسلام وعكسهم، والمراد: حال الدار الأولى، ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ لدى المعاد ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾ محمدًا صلى الله على روحه وسلم ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ اسما ووسما ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرم كالدسم وسواه، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿واختار موسى قومه﴾ المعنى اختار من قومه فحذف من تقول العرب اخترتك القوم أي اخترتك من القوم هذا قول ابن قتيبة والفراء والزجاج وفي هذا الميقات أربعة أقوال: أحدها أنه الميقات الذي وقته الله لموسى ليأخذ التوراة أمر أن يأتي معه بسبعين رواه أبو صالح عن ابن عباس وبه قال نوف البكالي والثاني أنه ميقات وقته الله تعالى لموسى وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلا ليدعو ربهم فدعوا فقالوا اللهم أعطنا ما لم تعط أحدا قبلنا ولا تعطيه أحدا بعدنا فكره الله ذلك وأخذتهم الرجفة رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والثالث أنه ميقات وقته الله لموسى لأن بني إسرائيل قالوا له إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه فيؤمنوا فتذهب التهمة فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين ثم ارتق بهم على الجبل انت وهارون واستخلف يوشع بن نون ففعل ذلك قاله وهب بن منبه والرابع أنه ميقات وقته الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل فيعتذر إليه من فعل عبدة العجل قاله السدي وقال ابن السائب كان موسى لا يأتي إلا بإذن منه. انظر زاد المسير (٢٦٨/٣).

﴿الْخَبَائِثَ﴾ ككل هالك لحاله وما أهل دمه على سوى اسم الله، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ المراد: كل أمر حمله عسر كإهلاك الروح لدى الهود إلى الله وروم محو ما صدر، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ هو كلام الله المكرم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آية:١٥٨]:

﴿قُلْ﴾ الأمر للرسول محمد ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ﴾ ورد الكلام عاما لحصول إرساله إلى العموم، وإرسال سائر الرسل إلى أممهم وحدهم ﴿جَمِيعًا﴾ حال ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ كلامه المكرم، أو كل كلام موحى إلى الرسل الأول، ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [آية:١٥٩ - ١٦٢]:

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [1] حكما، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ

(١) قال القرطبي: أي يدعون الناس إلى الهداية. و﴿يَعْدِلُونَ﴾ معناه في الحكم. وفي التفسير: إن هؤلاء قوم من وراء الصين، من وراء نهر الرمل، يعبدون الله بالحق والعدل، آمنوا بمحمد وتركوا =

﴿عَشْرَةَ﴾ حال، وحمل على واحد الأمم ﴿أَسْبَاطًا﴾ معمول على مسلك العامل المكرر، ﴿أُمَمًا﴾ كالمعمول المار، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ لما صاروا لدى المحل المطهر ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ على عددهم ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ لرد الحر، ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ طائر معلوم، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا﴾ لما عصوا الأمر ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لمآل سوء أعمالهم لهم.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد ﴿قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ المحل المطهر، ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ دعاء مؤداه حط سوء أعمالهم، ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ ركعا ﴿نَغْفِرْ﴾ ورواه راوٍ على الحمل على ما أمه ولسوى المعلوم ﴿لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ حولوا الكلام إلى كلم سواه وراموا ما كلا وسلكوها على حال سوى الركوع، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

=

السبت، يستقبلون قبلتنا، لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منا إليهم أحد. فروي أنه لما وقع الاختلاف بعد موسى كانت منهم أمة يهدون بالحق، ولم يقدروا أن يكونوا بين ظهراني بني إسرائيل حتى أخرجهم الله إلى ناحية من أرضه في عزلة من الخلق، فصار لهم سرب في الأرض، فمشوا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا وراء الصين؛ فهم على الحق إلى الآن. وبين الناس وبينهم بحر لا يوصل إليهم بسببه. ذهب جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم إليهم ليلة المعراج فآمنوا به وعلمهم سورا من القرآن وقال لهم: هل لكم مكيال وميزان؟ قالوا: لا، قال: فمن أين معاشكم؟ قالوا: نخرج إلى البرية فنزرع، فإذا حصدنا وضعناه هناك، فإذا احتاج أحدنا إليه يأخذ حاجته. قال: فأين نساؤكم؟ قالوا: في ناحية منا، فإذا احتاج أحدنا لزوجته صار إليها في وقت الحاجة. قال: فيكذب أحدكم في حديثه؟ قالوا: لو فعل ذلك أحدنا أخذته لظى، إن النار تنزل فتحرقه. قال: فما بال بيوتكم مستوية؟ قالوا لئلا يعلو بعضنا على بعض. قال: فما بال قبوركم على أبوابكم؟ قالوا: لئلا نغفل عن ذكر الموت. ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ليلة الإسراء أنزل عليه: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] يعني أمة محمد عليه السلام. يعلمه أن الذي أعطيت موسى في قومه أعطيتك في أمتك. وقيل: هم الذين آمنوا بنبينا محمد عليه السلام من أهل الكتاب. وقيل: هم قوم من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه، ولم يبدلوا ولم يقتلوا الأنبياء. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٣/٧).

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [آية:١٦٣ - ١٧١]:

﴿وَاسْأَلْهُمْ﴾ الأمر لمحمد رسوله والهاء للهود ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ المراد: ساحله لدى الطور ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ العدو عكس العدل، وهو الوصول إلى وراء ما حده الله ورسله ﴿فِي السَّبْتِ﴾ لما اصطادوا السمك ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ سمكهم ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ على أعلا الماء حال، ﴿وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ﴾ كالأحد وسواه ﴿لا تَأْتِيهِمْ﴾ أسماكهم كورودها الأول ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ﴾ مردود رده الواو على الاسم الأول ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ وهم الأولى ما صادوا ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾ الأولى سئلوا ردا

للسائل ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾ والمراد: لعدم ورود ملام على الأولى ما اصطادوا لعدم ردعهم الأولى صادوا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ المراد: ما له وهو عدم العمل ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ ما هداهم له صلحاؤهم ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ مردوا ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وصادوها.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ على الهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص أوامره، ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ﴾ لكل طائع لها، ﴿رَحِيمٌ﴾ لحاله.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ الآلاء وعكسها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هم سالكوه.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ محركه للصالح وعكسه لعكسه ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ الموحى لموسى ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ الدار الأولى، والمراد: حطامها حلالا وحراما، ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ حالهم حال المصر على سوء عمله ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ العهود الأولى حواها، ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ مردود رده الواو على معمول (ألم)، ومما حواه عدم محو الله سوء الأعمال مع الإصرار، ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى المكلم.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ ورواه راوٍ كأكرم ﴿بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كولد سلام ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ والعامل المؤكد وما معه محمول الاسم الموصول.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾[1] [آية: ١٧٢ - ١٧٤]:

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي واذكر لهم مع ما سبق من تذكير =

=

المواثيق في كتابهم ما أخذت من المواثيق من العباد يوم الذر. وهذه آية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها وأحكامها، فنذكر ما ذكروه من ذلك حسب ما وقفنا عليه فقال قوم: معنى الآية أن الله تعالى أخرج من ظهور بني آدم بعضهم من بعض ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ دلهم بخلقه على توحيده؛ لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له ربا واحدا. ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ أي قال. فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم، والإقرار منهم؛ كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. ذهب إلى هذا القفال وأطنب. وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وإنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها. قلت: وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذين القولين، وأنه تعالى أخرج الأشباح فيها الأرواح من ظهر آدم عليه السلام. وروى مالك في موطئه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون". فقال رجل: ففيم العمل؟ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله الجنة وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار". قال أبو عمر: هذا حديث منقطع الإسناد؛ لأن مسلم بن يسار لم يلق عمر. وقال فيه يحيى بن معين: مسلم بن يسار لا يعرف، بينه وبين عمر نعيم بن ربيعة، ذكره النسائي، ونعيم غير معروف بحمل العلم. لكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبدالله بن مسعود وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم. روى الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة وجعل بين عيني كل رجل منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال يا رب من هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه فقال أي رب من هذا؟ فقال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال أي رب زده من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم عليه السلام جاءه ملك الموت فقال أو لم يبق من عمري أربعون سنة قال أو لم تعطها ابنك داود قال فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته". في غير الترمذي: فحينئذ أمر بالكتاب والشهود. في رواية: فرأى فيهم الضعف والغني والفقير والذليل والمبتلى والصحيح. فقال له آدم: يا رب، ما هذا؟ ألا سويت بينهم! قال: أردت أن أشكر. وروى عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس". وجعل الله

=

﴿وَإِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ رواه راوٍ على العدد، وراوٍ على الواحد وأهلهم للكلام وأعطاهم الإدراك، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ﴾ لا ﴿تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ ورواها راوٍ لسوى السامع؛ ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ وهم سلكوا على مسلكهم، ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ مرادهم والدوهم.

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عما هو إلحاد.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [آية:١٧٥ - ١٧٨]:

﴿وَاتْلُ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ (الهاء) للهود ﴿نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ هو أحد علماء الهود سأله ملاؤه الدعاء على موسى والأولى معه وألحوا ولما دعا عاد الدعاء له، ﴿فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ وسلك مسالك هواه، ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾ أدركه ﴿الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى محل العلماء ﴿بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ﴾ آوى ومال ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ إلى حطامها، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ لما دعاه لها ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ طارد له ﴿يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ دائما هو حاله ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ على الهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿سَاءَ مَثَلا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ رده الواو على وصل

=

لهم عقولا كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم وأن لا إله غيره. فأقروا بذلك والتزموه، أعلمهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣١٦/٧).

الاسم الموصول.

﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ﴾ (الهاء) العائد على الاسم الموصول مطروح ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [آية:١٧٩]:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإنْسِ﴾ هم أهل الإصرار على الإلحاد ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الهدى، ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائله، ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الأوامر والحكم سماع إدراك وعمل ﴿أُولَئِكَ كَالأنْعَامِ﴾ لعدم إدراكهم ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لعلمها صالحها وهؤلاء ما عملوه، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ المراد كاملوها.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [آية:١٨٠]:

﴿وَلِلهِ الأسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ﴾ سموه ﴿بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ الحد ولحد مال ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ لما أوردوها لسواه كود، وأصله الودود ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لدى المعاد.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [آية:١٨١ - ١٨٦]:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [1] حكماً وهم أهل الإسلام الأولى أسلموا لرسوله محمد.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الكلام المكرم الموحى لرسوله وهم أهل الحرم الحرام؛ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ الإملاء هو الإمهال ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ محمد ﴿مِنْ جِنَّةٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ مما لا حصر له، وكله دال على الواحد الحد، ﴿وَأَنْ﴾ أما أصلها العامل المؤكد، واسمها الهاء مطروح، وأما للمصدر ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾ ورواه راوٍ على وروده للمكرم لا محرك، وعلى الأول محرك ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ العمى للصدر كالعمى للمرأى.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [آية:١٨٧، ١٨٨]

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ السائل أهل الحرم ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ إرساؤها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ على أهلهما

(١) قوله تعالى﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق﴾ أي يعملون به وبه يعدلون أي وبالعمل به يعدلون وفيمن أريد بهذه الآية أربعة أقوال أحدها أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة قاله ابن عباس وكان ابن جريج يقول ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي بالحق يأخذون ويعطون ويقضون وقال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تلا هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطي القوم مثلها ثم يقرأ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والثاني أنهم من جميع الخلق قاله ابن السائب والثالث أنهم الأنبياء والرابع أنهم العلماء ذكر القولين الماوردي. انظر زاد المسير (٣/٢٤٩).

لهولها ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾ على عدم علم ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ سأل وعالم أمرها حد العلم ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ﴾ كرره مؤكدا للحكم المار، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ حصر علم أمرها لله.

﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أحصله، ﴿وَلا ضَرًّا﴾ أرده ﴿إِلا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلا نَذِيرٌ﴾ لكل ملحد، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ لكل مسلم ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلاً خَفِيفًا فَمَرَّتۡ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرًا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡ ۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ [آية:١٨٩ - ١٩٣]:

﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم، ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلا خَفِيفًا﴾ هو الماء ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾ لعدم عسر حمله، ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ صار ولدا وعسر حمله ﴿دَعَوَا﴾ آدم وحواء ﴿اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ ولدا ﴿صَالِحًا﴾ رسمه ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك.

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولدا ﴿صَالِحًا جَعَلا﴾ المراد: أولادهما لا آدم وحواء ﴿لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا مالك ولا إله إلا هو ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ معه ﴿مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ لكل راكع لهم ﴿نَصْرًا وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإلحاد ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ الإسلام لا يتبعوكم ورواه راوٍ كعلم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ لعدم إدراكهم وسماعهم لدعائكم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [آية:١٩٤، ١٩٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ﴾ كلهم مملوك ﴿أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ المراد: ما لهم حواس ومعدوم الحواس هل هو صالح إلها لا ﴿قُلِ﴾ الأمر لمحمد رسوله ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ﴾ أروم الإمهال.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آية:١٩٦ - ٢٠٠]:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾[1] الكلام المكرم ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ (الهاء) للصور الأولى ركعوا لها ﴿إِلَى الْهُدَى لا يَسْمَعُوا﴾ دعاءكم، ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ الكلام مع الرسول والهاء للصور ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ كواحد له مرأى ﴿وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ أي الذي يتولى نصري وحفظي الله. وولي الشيء: الذي يحفظه ويمنع عنه الضرر. والكتاب: القرآن. ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي يحفظهم. وفي صحيح مسلم عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم جهارا غير مرة يقول: "ألا إن آل أبي - يعني فلانا - ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين". وقال الأخفش: وقرئ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ يعني جبريل. النحاس. هي قراءة عاصم الجحدري. والقراءة الأولى أبين؛ لقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٢/٧).

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ سهل الأمور ودع عسرها، ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ عاملهم كالكرماء والحكم المسطور حاو للمكارم كلها.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ كما لو وسوس لك وحملك على سوى العمل المسطور ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لكلامك، ﴿عَلِيمٌ﴾ صلاح أمرك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية:٢٠١ - ٢٠٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ﴾ ورواه راوٍ كطائر، والمراد: لمم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ أوامر الله وروادعه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ ما دلهم الله على سلوكه.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ (الهاء) للموسوس ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم الحرام ﴿بِآيَةٍ﴾ مما سألوك ﴿قَالُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾ كسواها ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا﴾ كلام الله المكرم ﴿بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾[1] [آية:٢٠٤]:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ الأمر لكل الأحوال ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

(١) قوله تعالى ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له﴾ اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال: أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة المكتوبة فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فنزلت هذه الآية قاله ابن عباس والثاني أن المشركين كانوا يأتون رسول الله إذا صلى فيقول بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فنزلت هذه الآية قاله سعيد بن المسيب والثالث أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قرأ هو فنزلت هذه الآية قاله الزهري والرابع أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فرضت فيجيء الرجل فيقول لصاحبه كم صليتم فيقول كذا وكذا فنزلت هذه الآية قاله قتادة والخامس أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة روي عن عائشة وسعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار في آخرين. انظر زاد المسير (٣/٣١٣).

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [آية:٢٠٥]:

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ سرًّا وهو أمر عم كل دعاء ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ روعا مما أوعده كل عاص، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ كلام وسط لا سر كامل ولا عكسه ﴿بِالْغُدُوِّ﴾ الأوائل ﴿وَالآصَالِ﴾ عكسها، ﴿وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ٢٠٦﴾ [آية:٢٠٦]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وهم الأملاك ﴿لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ﴾ معمول أمه عالمه للحصر ﴿يَسْجُدُونَ﴾ لا سواه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنفال

مدنيه، وآيها ست وسبعون

﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [آية:١ - ٤]:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ﴾[١] المراد: أحكامها ومحل إعطائها وأهلها ﴿قُلِ الأَنْفَالُ﴾ أمرها ﴿لِلهِ وَالرَّسُولِ﴾ وحكمها له، وهو مسهمها على أمر الله أوحاه الله لما ادعى أهل

---

(١) مؤذن بأن المسلمين لم يعلموا ماذا يكون في شأن المسمى عندهم (الأنفال) وكان ذلك يومَ بدر، وأنهم حاوروا رسول الله عليه الصلاة والسلام في ذلك، فمنهم من يتكلم بصريح السؤال، ومنهم من يخاصم أو يجادل غيره بما يؤذن حاله بأنه يتطلب فهماً في هذا الشأن، وقد تكررت الحوادث يومئذ: ففي صحيح مسلم، وجامع الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر أصبت سيفاً لسعيد بن العاصي فأتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت نفلْنيهِ، فقال: ضعه في القَبَض، ثم قلت: نفلنيه فقال ضعْه حيثُ أخذته، ثم قلت: نفلنيه فقال: ضعه من حيث أخذته، فنزلت ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ وفي أسباب النزول للواحدي، وسيرة ابن إسحاق عن عبادة بن الصامت، أنه سئل عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلتْ حين اختلفنا في النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت فيه أخلاقُنا فرده على رسوله فقسمه بيننا على بواء يقول على السواء، وروى أبو داود، عن ابن عباس، قال: لما كان يومُ بدر ذهب الشبان للقتال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم فقال الشيوخ: لا تستأثرون علينا فانا كنا تحت الرايات ولو أنهزمتم لكنا ردءاً لكم، واختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾. انظر التحرير والتنوير (٢٤٨/٩)

الهرم كلها لهم، وادعى الكهول كلها لهم وسهمها رسول الله لهما على السواء، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أحوالكم وسلموا الأمور إلى الله ورسوله، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أكمله.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ﴾ ما أوعده لكل عاص ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ المراد: إسراعا للسلوك على مسلك أوامره، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا على سواه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ كما أمروا، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ محال وسط دار السرور الدائم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [آية:٥، ٦]:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ (كما) محمول على أول كلام مطروح وحاصله الأمر المحرر مع كرههم له كحال طوعك وأهل الإسلام كارهوه، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ أمر المعارك مع الأعداء ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ لهم علوهم على أعدائك كما وعدهم الرسول ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ حلوله وورودهم على موارده.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ

رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [آية:٧ - ١٤]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح ﴿يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾[1] أهل السلاح والعدد ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لعدم كمال عددها وعددها، ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ كما وعدكم العلو على الأعداء والإمداد، ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ مصطلما لهم وحصل ما حصل ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لا ورد مطروح أو معمول على مسلك العامل المكرر ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ دعوا الله وسألوه العلو على أعدائهم، ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ﴾ الأولى، ورواه راوٍ كإطهار ﴿مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ﴾ (الهاء) للإمداد المحرر ﴿إِلا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾﴿إِحْدَى﴾في موضع نصب مفعول ثان. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ في موضع نصب أيضا بدلا من ﴿إِحْدَى﴾. ﴿وَتَوَدُّونَ﴾ أي تحبون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي غير ذات الحد. والشوكة: السلاح. والشوك: النبت الذي له حد؛ ومنه رجل شائك السلاح، أي حديد السلاح. ثم يقلب فيقال: شاكي السلاح. أي تودون أن تظفروا بالطائفة التي ليس معها سلاح ولا فيها حرب؛ عن الزجاج. ﴿وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي أن يظهر الإسلام. والحق حق أبدا، ولكن إظهاره تحقيق له من حيث إنه إذا لم يظهر أشبه الباطل. ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بوعده؛ فإنه وعد نبيه ذلك في سورة "الدخان" فقال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] أي من أبي جهل وأصحابه. وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. [التوبة: ٣٣]. وقيل: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي بأمره؛ إياكم أن تجاهدوهم. ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ أي يستأصلهم بالهلاك. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ أي يظهر دين الإسلام ويعزه. ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي الكفر. وإبطاله إعدامه؛ كما أن إحقاق الحق إظهاره ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾. انظر الجامع في أحكام القرآن (٧/٣٧٠)

النَّصْرُ إلا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح كما مر ﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ مما حصل لكم وروعكم ﴿مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ ما وسوسه لهم وهو لو هم على الهدى ما حصل لهم أو أم وعدموا الماء، ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ﴾ (الهاء) للمطر ﴿الأَقْدَامَ﴾ لحلول المطر على الرمل.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ﴾ الأولى هم مدد أهل الإسلام ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عراكا أو سوادا والأول أولى، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ المراد: الرؤوس، ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ عصوا ﴿اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ حالا، ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ مآلا لدى المعاد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية:١٥ - ١٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ حال، والمراد: عسكرهم عرمرم، ﴿فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ كسرا أمامهم، ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ حال المعارك ﴿دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ مائلا لكر، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ﴾ سوى الأولى ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ عاد ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد والموئل، والحكم المسطور محكم ما دام أحد أهل الإسلام إلى واحد وواحد إلى سواهم ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ لعددكم وعددكم، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ أهلكهم وأمدكم، وعلى أمركم وكسرهم لكم، ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ موصلا إلى مرآهم والكلام للرسول ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ حصى ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ أوصله إلى

مرآى العسكر كله، وحصل ما حصل كهرا لأعدائه، ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ وهو وصول أهل الإسلام وملكهم أموالهم ﴿إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ دعاءهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالهم.

﴿ذَلِكُمْ﴾ محمول على مطروح هو الأمر وأومأ إلى الإعطاء المحرر، ﴿وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾[1] وسألوا الله ودعوه علو السالك على مسالك الهدى وهلاك عدوه، ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ وهو هلاكهم على حكم ما دعوا الله، ﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ عما هو حاصل وهو عدم إسلامكم للرسول والمعارك له ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ إلى عراكه ﴿نَعُدْ﴾ إلى إعلاء أمره على أمركم وهلاك عسكركم، ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿إن تستفتحوا﴾ في سبب نزولها خمسة أقوال: أحدها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استنصروا الله وسألوه الفتح فنزلت هذه الآية وهذا المعنى مروي عن أبي بن كعب وعطاء الخراساني الثاني أن أبا جهل قال اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم فنزلت هذه الآية قاله أبو صالح عن ابن عباس

والثالث أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر فقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين فنزلت هذه الآية قاله السدي والرابع أن المشركين قالوا اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت هذه الآية قاله عكرمة والخامس أنهم قالوا بمكة اللهم ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية فعذبوا يوم بدر قاله ابن زيد فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطبين بقوله إن تستفتحوا قولان أحدهما أنهم المؤمنون والثاني المشركون وهو الأشهر وفي الاستفتاح قولان أحدهما انه الاستنصار قاله ابن عباس والزجاج في آخرين فان قلنا إنهم المسلمون كان المعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة وإن قلنا إنهم المشركون احتمل وجهين أحدهما إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم والثاني إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله فقد جاء النصر لأحب الفريقين والثاني أن الاستفتاح طلب الحكم والمعنى إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين فقد جاءكم الحكم وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة ومجاهد وقتادة فأما قوله وإن تنتهوا فهو خير لكم فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة وفي معناه قولان أحدهما إن تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم والكفر قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم لأنه كان عليهم لا لهم ذكره الماوردي انظر زاد المعاد (٣/٣٣٤).

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آية:٢٠ - ٢٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ الكلام المكرم وما حواه روادع وحكما سماع إدراك وعمل.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾ سماع عمل، وهم أهل الإسلام كلاما لا سرا وعملا.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ إصلاحا محررا لهم وسط اللوح ﴿لأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع إدراك، وألهمهم العمل، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ سماع إدراك مع عدم مراده لهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ ولا ألهموا للعمل ولا سعدوا ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ إصرارا على إلحادهم وسوء مسراهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [آية:٢٤ - ٢٦]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الرسول ودعاؤه هو دعاء الله، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ لا مراد لأحد إلا ما أراده الله، ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ حلولها عام على الكل الصالح والصالح، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل امرئ عاص أوامره.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ عددكم وعددكم ﴿مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾ (ال) للعهد ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ أهل الإلحاد ﴿فَآوَاكُمْ﴾ محل السلام ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ﴾ على أعدائكم ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [آية:٢٧، ٢٨]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (و) لا (تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) كإصراركم على عكس ما أمركم الله ورسوله، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مع علمكم مسراكم على سوى العهود.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ كلاهما صاد لكم عما هو ورود على موارد الأوامر، ﴿وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾لكل مراع حدوده.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [آية:٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ علوًّا على أعدائكم دالا على سلوككم مسالك الهدى، ﴿وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ كل عمل مكروه ما على عامله حد، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ كل عمل على عامله حد كالسكر والعهر، ﴿وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ على كل طائع.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آية:٣٠ - ٣٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿يَمْكُرُ بِكَ﴾ [1] الكلام للرسول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ﴾ المراد: ما له وهو عدم وصولهم إلى ما أرادوا ورد المكر على الماكر، ﴿وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ أعلمهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ كلام الله المكرم ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ ما سطره أول مما لا أصل له.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على عدم الإسلام له.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ كما سألوه وراموه ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ حال حلولك معهم لوروده عاما وما عهد حلوله على أمم ورسولها معها، ﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ﴾ لا راد لحلوله على أعدائه لدى عدم حلول الرسول وأهل الإسلام معهم، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ الرسول وأهل الإسلام ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ أهلا للولاء على الحرم الحرام كما ادعوا ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ﴾ المراد: دعاؤهم ﴿عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الهلاك والأسر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ كلاما وعملا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ

(١) قال القرطبي رحمه الله: هذا إخبار بما اجتمع عليه المشركون من المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة؛ فاجتمع رأيهم على قتله فبيتوه، ورصدوه على باب منزل طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج؛ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب أن ينام على فراشه، ودعا الله عز وجل أن يعمي عليهم أثره، فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض. فلما أصبحوا خرج عليهم علي فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فات ونجا. الخبر مشهور في السيرة وغيرها. ومعنى ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك؛ يقال: أثبته إذا حبسته. وقال قتادة: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ وثاقا. وعنه أيضا وعبدالله بن كثير: ليسجنوك. وقال أبان بن تغلب وأبو حاتم: ليثخنوك بالجراحات والضرب الشديد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٩٧)

ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٦ - ٤٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ كدر العدم حصولهم على ما أملوا ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾.

﴿لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ﴾ أهل الإلحاد والطلاح ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أهل الإسلام والصلاح، ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ كله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عما هم سالكوه ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مما عملوه، ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلى معارك الرسول ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ إهلاك كل معاد للرسل.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ إلحاد، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلهِ﴾ وحده، ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ هو معاملهم على أعمالهم.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما أسلموا ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلاكُمْ﴾ معل لكم على أعدائكم ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ هو.

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ

حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًاۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ [آية:٤١ - ٤٤]:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [1]وحاكمه وساهمه الرسول على أمر الله، ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ للرسول وعاد سهمهم وسهمه إلى الأولاد الأولى لا والد ولا مال لهم، وإلى أهل العدم، وإلى أهل الحل والمرحل الأولى لا وصول لهم إلى محلهم وأموالهم، ﴿وَالْيَتَامَى﴾ كل ولد والد له ولا مال، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ أهل العدم مع الإسلام، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل راحل لا وصول له إلى أمواله ومحله ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ﴾ اعملوا ما حرر وسلموا السهم لهؤلاء، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ ما حاد الهدى عما سواه ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ أهل الإسلام وأهل الإلحاد ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ﴾ مكسور الأولى وكرحمى ﴿الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أهله وهم لدى الساحل، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ إلى المعارك ﴿لاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ المراد: لو حصل الموعد لهالكم وردعكم عددهم وعددهم وما كمل أو العراك، ﴿وَلَكِنْ﴾ حصل على سوى موعد ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا،﴾ وهو علوكم على أعدائكم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ دال على عدم سلوكه على مسلك الهدى، ﴿وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ وأورد الهلاك وأراد الإلحاد وعكسه لعكسه، ﴿وَإِنَّ اللهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

---

(١) قال ابن الجوزي: أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة فأما الخمس الخامس فكيف يقسم فيه ثلاثة أقوال: أحدها يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم والثاني أنه مقسوم على خمسة أسهم سهم للرسول وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لأبناء السبيل على ظاهر الآية وبه قال الجمهور والثالث أنه يقسم على أربعة أسهم فسهم الله عز وجل وسهم رسوله عائد على ذوي القربى لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يأخذ منه شيئا وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس انظر زاد المسير (٣٥٨/٣)

﴿إِذْ﴾ معمول لمطروح وهو ادكر ﴿يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا﴾ ولما رآه الرسول وحكاه لأهل الإسلام سروا، ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ أمر المعارك، ﴿وَلَكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ عالم سرائرها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ أرى الله أهل الإلحاد لأهل الإسلام ﴿قَلِيلا﴾ عددهم، ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حال عدم اصطكاك المعارك لحصول الطمع لهم ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [آية:٤٥ - ٤٧]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ لمعاركهم، ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه لعلوكم على الأعداء، ﴿وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ صولكم على الأعداء، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ معل لهم على أعدائهم.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ رواه راوٍ للسامع، وراوٍ لسواه ﴿مُحِيطٌ﴾ علما معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [آية:٤٨، ٤٩]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو ادكر ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ عدو آدم المطرود ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ حرصهم على الصول على أهل الإسلام لما ورد لهم على صلى ولد مالك، ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ

﴿الْفِئَتَانِ﴾ وصل أهل الإسلام لأعدائهم والأعداء لهم، ورأى إمداد الأملاك معهم ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ عاد إلى وراء، ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ﴾ أراد إمداد الأملاك، ﴿إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ﴾ مرادهم أهل الإسلام ﴿دِينُهُمْ﴾ وطلعوا إلى الكر مع عدم عددهم وعددهم طمعا وحرصا على حصول العلو لهم وكله وهم ورد الله دعواهم، وأوحى لرسوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥٠ - ٥٤]:

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ (١)حال الأملاك ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أمامهم ووراءهم، والمراد العموم لكل محل ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (و) أمرهم لهم هو (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ).

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ هو سوء الأعمال، ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ مردود رده الواو على (ما).

﴿كَدَأْبِ﴾ عمل هؤلاء وسلوكهم كعمل ﴿آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ﴾ على كل مراد له، ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل

---

(١) قال الشنقيطي: الجواب عن هذا ظاهر وهو أن إسناده التَّوَفِّي إلى نفسه لأن ملك الموت لا يقدر أن يقبض روح أحد إلا بإذنه ومشيئته تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلا﴾ وأسنده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح وأسنده للملائكة لأن ملك الموت له أعوان من الملائكة تحت رئاسته يفعلون بأمره وينزعون الروح إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت والعلم عند الله تعالى. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (٧١).

عاص أوامره ومعاد لرسله، ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما أحله على أعدائه ﴿بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ المراد: معه وكرره مؤكد لما مر، ﴿وَكُلٌّ﴾ مما مر سرده ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ لإحلالهم الإلحاد محل الإسلام.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [آية:٥٥ - ٥٨]:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أصروا وداموا على عدم الإسلام للرسل ﴿فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ أمدا.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ هم ملاء هود عاهدوا الرسل على عدم إردائهم لأعدائه ومالؤوا أعداءه وأعطوهم سلاحا، ﴿وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ الله لعدم دوامهم على عدوهم.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ ورائهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ للعهود ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ اطرح عهودهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ على مسلك عدل لا كر ولا سلم؛ ﴿إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ للعهود، والمراد: هو معاملهم على عملهم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ

أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [آية:٥٩ - ٦٣]:

﴿وَلا يَحْسَبَنَّ﴾ الكلام مع الرسول ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ ما أعد الله لهم ﴿إِنَّهُمْ لا يُعْجِزُونَ﴾ وحلول ما أعده لهم مرصود إلى أمره كل عصر.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ (الهاء) للأولى ما داموا على عهودهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ السهام كما رواه مسلم، ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ هم أهل الحرم، ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ هم الهود، وأهل الإسلام كلاما لا سرا، ﴿لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ الصلح، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ مل للصلح وعاهدهم، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ والحكم المسطور ممحو المؤدى لصدوره أولا حال عدم ورود أمر الحسام ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ لو أرادوها حال الصلح ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وصاروا كأمر واحد ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ عالم كل أمر على ما هو ومحله محله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [آية: ٦٤ - ٧١]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) الاسم الموصول مردود إما على اسم الله أو معمول على المعمول معه.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾ ورواه راوٍ: حرص مع الصاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ﴾ وراوٍ راعى الهاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ والسرد المحرر أمر سالك مسلك الحكم ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ والحكم المسطور صدر أولا ومحا حكمه ما أوحاه الله وهو.

﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ﴾ وراوٍ راعى الهاء ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ﴾ وهو كالأول حكم مؤداه الأمر، ﴿وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ولما أعطى الأسرى العدل للرسول وأهل الإسلام أوحى الله لرسوله.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ مكرا على أعداء الله

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: ليس هذا تكريرا، فإنه قال فيما سبق: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ﴾ وهذه كفاية خاصة. وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ﴾ أراد التعميم، أي حسبك الله في كل حال وقال ابن عباس: نزلت في إسلام عمر فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أسلم معه ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة، فأسلم عمر وصاروا أربعين. والآية مكية، كتبت بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة مدنية، ذكره القشيري. قلت: ما ذكره من إسلام عمر رضي الله عنه عن ابن عباس، فقد وقع في السيرة خلافه. عن عبدالله بن مسعود قال: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه. وكان إسلام عمر بعه خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة. قال ابن إسحاق: وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، إن كان عمار بن ياسر منهم. وهو يشك فيه. وقال الكلبي: نزلت الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٤٢).

ومهلكا لهم أهلاكا ما ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها رومكم عدل الأسرى، ﴿وَاللهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهو ممحو المؤدى ومحاه حكم العدل وهو أمر الله أما وإما:

﴿لَوْلا كِتَابٌ﴾ حكم ﴿مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ لحل عدل الأسارى ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ وهو عدل الأسرى ﴿حَلالا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الأَسْرَى﴾ ورواه والد عمرو الأسارى ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إسلاما وعملا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ الواو للأسارى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ عدم العمل والسلوك على ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللهَ﴾ ما سلكوا كما عاهدوا وعصوا أوامره ورسله ﴿فَأَمْكَنَ﴾ لك ﴿مِنْهُمْ﴾ إعداما وأسرا، ولو عادوا عاد ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٢، ٧٣]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لله ورسوله، ﴿وَهَاجَرُوا﴾ أهلهم ودورهم، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى الكراع والسلاح، ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ طرحوها ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ الرسول، ﴿وَنَصَرُوا﴾ ه على أعدائه ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ولو هلك أحدهم حل لكل موال له ماله وهو حكم ممحو المؤدى، ومحا حكمه أمر الله وأولوا الأرحام.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ﴾ ورواه راوٍ مكسور الواو ﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الأعداء ﴿إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد على عدم الكر، ﴿وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ﴾ [1]الولاء لأهل الإسلام وعدمه لعكسهم ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ هو علو أهل الإلحاد على أهل الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [آية: ٧٤، ٧٥]:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لدى معادهم لدار السرور الدائم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ﴾ حكمه أو اللوح أو كلامه المكرم ﴿إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أحاط علمه الأمور كلها.

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: الضمير المنصوب في تفعلوه عائد على الميثاق أي على حفظه أو على النصر أو على الإرث أو على مجموع ما تقدم أقوال أربعة، وقال الزمخشري: أي إن لا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأنّ المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على الشرك كان الشرك ظاهراً والفساد زائداً، وقال ابن عطية: والفتنة المحنة بالحرب وما انجرّ معها من الغارات والجلاء والأسر والفساد الكبير ظهور الشّرك، وقال البغوي: الفتنة في الأرض قوّة الكفر والفساد الكبير ضعف الإسلام، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثلثة وروي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم)) قرأ وفساد عريض. انظر تفسير البحر المحيط (٥١٨/٤).

سورة براءة

مدنية، وآيها مائة وثلاثون

ما حرروا أولها اسم الله؛ لعدم أمر الرسول على ما رواه الحاكم، أو لورود اسم الله أول ما حوى السلام، ولصدورها لأمر الحسام ما حرر أولها.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾(1) [آية:١، ٢]:

---

(١) قال الإمام ابن كثير: أول هذه السورة نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة " تبوك " وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة، فكره مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - أميرا على الحج تلك السنة، ليقيم للناس مناسكهم، ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي بالناس ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ الله وَرَسُولِهِ....﴾ فلما قفل أتبعه بعلي ابن أبي طالب، ليكون مبلغا عنه - صلى الله عليه وسلم - ليكونه عصبة له. وقال محمد بن إسحاق: " لما نزلت ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد كان بعث أبا بكر الصديق - ليقيم للناس الحج، قيل له: يا رسول الله، لو بعثت بها إلى أبي بكر؟ فقال: " لا يؤدى عني إلا رجل من أهل بيتي ". ثم دعا علي بن أبي طالب فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عهد فهو له إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب على ناقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " العضباء " حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلما رآه أبو بكر قال: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور. ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية. حتى إذا كان يوم النحر قام علي بن أبي طالب فأذن في الناس بالذي أمره به رسول الله. صلى الله عليه وسلم. فقال: أيها الناس، إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة، إلا أحد كان =

﴿بَرَاءَةٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح، ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ وأصل أمرها ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المراد: رد الله عهود أهل الإسلام لأهل الإلحاد وأمهلهم لما أمرهم.

﴿فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ مكملها المحرم وهو عدد ما أمهلهم، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ﴾ ما أعده لكم مرصود لأمره، ﴿وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ مهلكهم حالا ومعد لهم سوء المأوى مآلا.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آية:٣، ٤]:

﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم، ﴿وَرَسُولُهُ﴾ والإعلام على عدم أهل الإلحاد الحرم الحرام سوى العام المحرر، ﴿فَإِنْ تُبْتُمْ﴾ المراد: عما هو إلحاد ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو الإعدام والأسر حالا وسوء المأوى مآلا.

﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مما عاهدوكم ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ ما صاروا ردء الأحد على أهل الإسلام ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى﴾ حلول ﴿مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أهل الدوام على العهود.

=

له عند رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الفخر الرازي: روي أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما خرج إلى غزوة تبوك وتخلف المنافقون وأرجفوا الأراجيف، جعل المشركون ينقضون العهد، فنبذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، العهد إليهم. انظر التفسير الوسيط (٣٥٦/٣).

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية:٥]:

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وكمل أمر الإمهال كما أمر الله وأمهلهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وسط حل أو حرم، ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾ وأما الإعدام أو الإسلام، ﴿وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل مسلك هم سالكوه ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ المراد: أسلموا، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [آية:٦]:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أحد معمول لعامل مطروح داله هو ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ رام سلامك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ سلمه ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ﴾ الموحى إلى الرسول ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ دار سلامه لو ما أسلم ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المحرر ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ﴾ ما أسس الله للعالم، وسماع كلامه لحصول العلم لهم.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾﴾ [آية:٧ - ٩]:

﴿كَيْفَ﴾ لا ﴿يكون يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ وهم أهل الإلحاد ومكر وسوء صدر ﴿إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ما داموا على عهدهم معكم دوموا معهم على عهدكم ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿كَيْفَ﴾ مراعى لهم عهد، ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلا﴾ رحما أو حدا حدوه لكم وآلوا على السلوك على مسلكه، ﴿وَلا ذِمَّةً﴾ عهدا أعطوكموه، ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ كحلو الكلام، ﴿وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ مسراهم على كلامهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾

لا عهد لهم.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه المكرم ﴿ثَمَنًا قَلِيلا﴾ عصوا أوامر الله ومالوا إلى الهوى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الموصل له أو الحرم الحرام ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عملهم المسطور.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية: ١٠ - ١٢]:

﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ﴾(١) رحما، ﴿وَلا ذِمَّةً﴾ عهدا، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ولهم ما لكم ﴿وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ لوموا أحكامه ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ رؤساءه وراعى الأهم لا الأعم ﴿إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ﴾ عهود، ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا

---

(١) قال النحاس: ليس هذا تكريرا، ولكن الأول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصة. والدليل على هذا ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلا﴾ يعني اليهود، باعوا حجج الله عز وجل وبيانه بطلب الرياسة وطمع في شيء. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ أي المجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٨٠).

ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ عهودهم وما آلوا على سلوكه، ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ روعكم أمرهم ﴿فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ راعوا أوامره وعاركوا أعداءه.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ أسرا وإعداما ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ مما عاملوهم وأساؤهم لما وردوا الحرم الحرام.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كدرها، ﴿وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ لدى عوده إلى الإسلام ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ على أمر لا معلوم ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ﴾ علم سطوع ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ وصمموا على إعلاء أحكام الله وأوامره ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلا رَسُولِهِ وَلا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ أهل وداد لطرح الإسرار لهم، ﴿وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ حكم ماح لو هم ولما المار.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ما صح لهم ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ﴾ رواه راوٍ على العدد، وراوٍ على الواحد، وهل المراد الحرم الحرام أو الأعم وعمارها الحلول وسطها ودرس العلوم وسواها، ﴿شَاهِدِينَ﴾ حال واو معمول محصل المصدر ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم الإسلام، ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾(١) أحدا ﴿إِلا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

(١) قال أبو حيان الأندلسي: قرأ الجحدري، وحماد بن أبي سلمة عن ابن كثير: مسجداً لله بالتوحيد. وقرأ السبعة وجماعة: بالجمع، والمعنى إنما يعمرها بالحق والواجب، ويستقيم ذلك فيمن اتصف بهذه الأوصاف. وفي ضمن هذا الخبر أمر المؤمنين بعمارة المساجد، ويتناول عمارتها =

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ

=

رمّ ما تهدّم منها، وتنظيفها، وتنويرها، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر. ومن الذكر درس العلم بل هو أجله، وصونها عما لم تبن له من الخوض في أحوال الدنيا. وفي الحديث: (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان) ولم يذكر الإيمان بالرسول، لأن الإيمان باليوم الآخر إنما هو متلقف من أخبار الرسول، فيتضمن الإيمان بالرسول. أو لم يذكر لما علم وشهر من أن الإيمان بالله تعالى قرينته الإيمان بالرسول، لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين، كأنهما شيء واحد لا ينفك أحدهما عن صاحبه، فانطوى تحت ذكر الإيمان بالله تعالى الإيمان بالرسول (صلى الله عليه وسلم). وقيل: دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، إذ لا يتلقى ذلك إلا منه. والمقصود من بناء المساجد وعمارتها هو كونها مجتمعاً لإقامة الصلوات فيها والتعبدات من الذكر والاعتكاف وغيرهما، وناسب ذكر إيتاء الزكاة مع عمارة المساجد أنها لما كانت مجمعاً للناس بأنّ فيها أمر الغني والفقير، وعرفت أحوال من يؤدي الزكاة ومن يستحقها، ولم يخش إلا الله. قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى غيره، ويخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه. وقال الزمخشري: هي الخشية والتقوى في أبواب الدنيا، وأنْ لا يختار على رضا الله رضا غيره، وإذا اعترضه أمر أن أحدهما حق الله تعالى، والآخر حق نفسه، خاف الله وآثر حق الله على حق نفسه. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها، فأريد نفي تلك الخشية عنهم انتهى. وعسى من الله تعالى واجب حيثما وقعت في القرآن، وفي ذلك قطع أطماع المشركين أن يكونوا مهتدين إذ مَن جمع هذه الخصال الأربعة جعل حاله حال من ترجى له الهداية، فكيف بمن هو عار منها: وفي ذلك ترجيح الخشية على الرجاء، ورفض الاغترار بالأعمال الصالحة، فربما دخلها بعض المفسدات وصاحبها لا يشعر بها. وقال تعالى: أن يكونوا من المهتدين، أي: من الذين سبقت لهم الهداية ولم يأت التركيب أن يكونوا مهتدين، بل جعلوا بعضاً من المهتدين، وكونهم منهم أقل في التعظيم من أن يجرد لهم الحكم بالهداية. انظر تفسير البحر المحيط (٢١/٥).

فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ **أوحاه ردا على كل مدع لها.**

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ **أهلهم ودورهم،** ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ **أعداءه** ﴿بِأَمْوَالِهِمْ﴾ **إلى السلاح وسواه،** ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ **طرحوها إلى الهلاك** ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ **دائم** ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ
ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ
ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ
تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى
سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

[آية:٢٣، ٢٤]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ﴾ **وحرصوا على إلحادهم،** ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ **لما أولى أعداء الله وأحل الوداد سوى محله.**

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ **ورواه راوٍ على العدد،** ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ **سرد مهدد،** ﴿وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ
فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ
﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٥ - ٢٧]:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ محال معارك ﴿كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ اسم واد معلوم ﴿إِذْ﴾ معمول على وهم العامل المكرر ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ لأمر العدو، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (ما) للمصدر، والمراد: ما وسعها للروع الحاصل لكم، ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ إلى وراء، ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ما هدأ روعهم، ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إعداما وأسرا، ﴿وَذَلِكَ﴾ ما حصل هو ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ حال عودهم إلى الإسلام، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾ [آية:٢٨، ٢٩]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ صدرهم كدر أو لعدم طهرهم ﴿فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ هو عام الطاء أو عام الوداع، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ عدما لعدم ورودهم الحرم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾ كل مسكر وسواه، ﴿وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ هو الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ حال ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ مطاطئو رؤوسهم لأحكام الإسلام.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ

مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾(١) [آية:٣٠ - ٣٣]:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا دال له مصحح للدعوى.

﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هم والدوهم لما سلكوا على مسلكهم وصاروا لهم إماما ﴿قَاتَلَهُمُ اللهُ﴾ دعاء هلاك، أو المراد طردهم ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ مالوا إلى ما لا دال على ادعائه عما له دال.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماءهم، والهاء للهود، ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ أهل ورعهم، والهاء لكل مدع الولد والأهل للواحد الحد ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾ لما أطاعوهم وحرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم، ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ لما سموه ولدا ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو الله ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ﴾ كل دال على الواحد الحد أو كلامه المكرم الدال على إرسال رسوله محمد، ﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ محمدا ﴿بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

---

(١) قال الشنقيطي: قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ﴾ إلى قوله سبحانه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم: سبحانه عما يشركون بعد أن بين وجوه شركهم بجعلهم الأولاد لله واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ لإجماع العلماء أن كفار أهل الكتاب داخلون فيها. وقد جاءت آيات أخرى تدل بظاهرها على أن أهل الكتاب ليسوا من المشركين كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ﴾. الآية. وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾. الآية. وقوله: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾. الآية. والعطف يقتضي المغايرة. انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (١/٤٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [آية:٣٤، ٣٥]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ المراد: الوصول، وسماه أكلا لما هواهم أموره ﴿أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ كرومهم لها على الأحكام، ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ﴾ مسموك على أول الكلام ﴿يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ المراد: عدم أدائهم سهمها المحدود، وهو أحد أساس الإسلام ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ لما أمسكوها للسؤدد والمطعم والحلى أو لموا على محالها ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [آية:٣٦]:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ﴾ معمول المصدر ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ﴾ هو اللوح ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وعددها معلوم ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ السوي ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾ (الهاء) للحرم أو لما حواه العالم كله، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ كلهم وسط الحرم وسواها ﴿كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ

أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [آية:٣٧]:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ (١)كإحلال المحرم لو هل وهم على حال المعارك إلى سواه كما مسراهم ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لما حللوا ما حرمه الله وحرموا ما حلله ﴿يُضَلُّ﴾ ورواه راوٍ للمعلوم ﴿بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ولما دعا الرسول أهل الإسلام إلى المعارك مع العسر والحر، وراوه عسرا أوحى الله لرسوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ هكذا يقرأ أكثر الأئمة. قال النحاس: ولم يرو أحد عن نافع فيما علمناه ﴿إنما النَسِيُّ﴾ بلا همز إلا ورش وحده. وهو مشتق من نسأه وأنسأه إذا أخره، حكى اللغتين الكسائي. الجوهري: النسيء فعيل بمعنى مفعول، من قولك: نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته. ثم يحول منسوء إلى نسيء كما يحول مقتول إلى قتيل. ورجل ناسئ وقوم نسأة، مثل فاسق وفسقة. قال الطبري: النسيء بالهمزة معناه الزيادة نسأ ينسأ إذا زاد. قال: ولا يكون بترك الهمز إلا من النسيان، كما قال تعالى: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ورد على نافع قراءته، واحتج بأن قال: إنه يتعدى بحرف الجر يقال: نسأ الله في أجلك كما تقول زاد الله في أجلك، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: "من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه". قال الأزهري: أنسأت الشيء إنساء ونسيئا اسم وضع موضع المصدر الحقيقي. وكانوا يحرمون القتال في المحرم فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرا بدله وقاتلوا في المحرم. وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن. فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة، ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس، فيقول أنا الذي لا يرد لي قضاء. فيقولون: أنسئنا شهرا، أي أخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، فيحل لهم المحرم. فكانوا كذلك شهرا فشهرا حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله فيه. وهذا معنى قوله عليه السلام: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض". انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣٧/٨).

كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِى ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ﴾ المراد: ما أسرعوا لما أمروا ومالوا عما دعوا ﴿إِلَى الأَرْضِ﴾ سوى محل الكر ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ﴾ أمر ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ أمر ﴿الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾.

﴿إِلا تَنْفِرُوا﴾ مع الرسول للكر على العداء ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما وهو الإهلاك لعلو الأعداء، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿إِلا تَنْصُرُوهُ﴾ (الهاء) عائد إلى الرسول ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ المراد: لما هموا أو أصروا على المكروه له أداه أمره إلى ما حرر ﴿ثَانِيَ﴾ أحد ﴿اثْنَيْنِ﴾ حال هو الواحد، وأول مسلم له معه ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ لما رأى وصول الأعداء لهما ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ﴾ ما هدأ روعه ﴿عَلَيْهِ﴾ (الهاء) للرسول أو لردئه وهو الأولى، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ (الهاء) للرسول ﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ هم الأملاك أرسلهم حرسا له أو إمدادا على العدو، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ﴾ كلما ادعوه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ﴾ المراد: لا إله إلا اله محمد رسول الله ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ على ما سواها، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [آية:٤١ - ٤٣]:

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالا﴾ مع الأهل والأولاد ومع عدمهم أو أصحاء ولا أصحاء أو مع السرور وعكسه أو الأول للأصحاء وما وراءه للسلاح، ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ

وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وأوحى الله لوما على أهل الإسلام كلاما لا سرا ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوا له ﴿عَرَضًا﴾ مالا أو سواه ﴿قَرِيبًا﴾ سهلا، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطا ﴿لاتَّبَعُوكَ﴾ طمعا لحصوله، ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ﴾ لدى عودكم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ لما آلوا على ما لا أصل له ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ولما سأل رهط الرسول دوامهم محلهم وعدم طلوعهم إلى المعارك وطاوعهم الرسول إلى مسئولهم أوحى الله لرسوله؛ ﴿عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [آية:٤٤ - ٤٨]:

﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1] على عدم الإسراع والطلوع إلى المعارك لإهلاك أعداء الله ورسوله وإعلاء أمر الإسلام كرها ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

(١) قال ابن عباس: لا يستأذنك أي بعد غزوة تبوك. وقال الجمهور: ليس كذلك، لأنّ ما قبل هذه الآية وما بعدها ورد في قصة تبوك، والظاهر أن متعلق الاستئذان هو أن يجاهدوا أي: ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخلص من المهاجرين والأنصار لا يستأذنون النبي (صلى الله عليه وسلم)) أبداً، ويقولون: لنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا. وقيل: التقدير لا يستأذنك المؤمنون في الخروج ولا القعود كراهة أن يجاهدوا، بل إذا أمرت بشيء ابتدروا إليه، وكان الاستئذان في ذلك الوقت علامة على النفاق. وقوله: والله عليم بالمتقين، شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين، وعدة لهم بأجزل الثواب. انظر تفسير البحر المحيط (٥/٤٩).

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ سلاحا ومأكلاً، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم، ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الأولاد والحرم وسوى الأصحاء.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلا خَبَالا﴾ سوءا وعدم صلاح، ﴿وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ المراد: لدى أحد، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ﴾ أداروا آراءهم لمحو أمرك وإهلاكك ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ﴾ على أمر الإسلام على أمرهم ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ لما حصل.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آية:٤٩ - ٥١]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي﴾ مراده: عدم حلولها وسطها لهلاك ما له أو أهله ﴿أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ ورواه راوٍ للواحد، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ علو على العداء وملك لأموالهم ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ لحسدهم، ﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ كسر ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ لعدم كرهم على العدو، ﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ لكسر أهل الإسلام.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا﴾ ما حرر وسط اللوح ﴿هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [آية:٥٢]:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ طرح ما كأوله ﴿بِنَا إِلا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ إما العلو على الأعداء، وإما ورود الحمام والوصول إلى دار السلام، ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ مورده السماء، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ كورود أمر الله لإهلاككم

﴿فتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آية:٥٣ - ٥٥]:

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾(١) لعدم الإسلام ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا

---

(١) قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: فيه أربع مسائل: الأولى: قال ابن عباس: نزلت في الجد بن قيس إذ قال ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك به. ولفظ ﴿أَنْفِقُوا﴾ أمر، ومعناه الشرط والجزاء. وهكذا تستعمل العرب في مثل هذا تأتي بأو فمعنى الآية: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين فلن يقبل منكم. ثم بين جل وعز لم لا يقبل منهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤] فكان في هذا أدل دليل وهي: الثانية: على أن أفعال الكافر إذا كانت برا كصلة القرابة وجبر الكسير وإغاثة الملهوف لا يثاب عليها ولا ينتفع بها في الآخرة، بيد أنه يطعم بها في الدنيا. دليله ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه؟ قال: "لا ينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين". وروي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله بها في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها". وهذا نص. ثم قيل: هل بحكم هذا الوعد الصادق لا بد أن يطعم الكافر ويعطى بحسناته في الدنيا أو ذلك مقيد بمشيئة الله المذكورة في قوله: ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] وهذا هو الصحيح من القولين، والله أعلم. وتسمية ما يصدر عن الكافر حسنة إنما هو بحسب ظن الكافر، وإلا فلا يصح منه قربة، لعدم شرطها المصحح لها وهو الإيمان. أو سميت حسنة لأنها تشبه صورة حسنة المؤمن ظاهرا. قولان أيضا. الثالثة: فإن قيل: فقد روى مسلم عن حكيم بن حزام أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي رسول الله، أرأيت أمورا كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة أو صلة رحم أفيها أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلمت على ما أسلفت من خير" قلنا قوله: "أسلمت على ما أسلفت من خير" مخالف ظاهره للأصول، لأن الكافر لا يصح منه التقرب لله تعالى فيكون مثابا على طاعته، لأن من شرط المتقرب أن يكون عارفا بالمتقرب إليه، فإذا عدم الشرط انتفى صحة المشروط. فكان المعنى في الحديث: إنك اكتسبت طباعا جميلة في الجاهلية أكسبتك عادة =

فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلا أَنَّهُمْ﴾ العامل المؤكد وما معه حال كحل معمول محصل المصدر ﴿كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلا وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُونَ إِلا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ لدى ورود حمامها ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٥٦، ٥٧]:

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أهل إسلام ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ مروعهم حصول ما حصل لأهل الإلحاد.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ لهم ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ على حال الإسراع.

= جميلة في الإسلام. وذلك أن حكيما رضي الله عنه عاش مائة وعشرين سنة، ستين في الإسلام وستين في الجاهلية، فأعتق في الجاهلية مائة رقبة وحمل على مائة بعير؟ وكذلك فعل في الإسلام. وهذا واضح. وقد قيل: لا يبعد في كرم الله أن يثيبه على فعله ذلك بالإسلام، كما يسقط عنه ما ارتكبه في حال كفره من الآثام. وإنما لا يثاب من لم يسلم ولا تاب، ومات كافرا. وهذا ظاهر الحديث. وهو الصحيح إن شاء الله. وليس عدم شرط الإيمان في عدم ثواب ما يفعله من الخير ثم أسلم ومات مسلما بشرط عقلي لا يتبدل، والله أكرم من أن يضيع عمله إذا حسن إسلامه. وقد تأول الحربي الحديث على هذا المعنى فقال: "أسلمت على ما أسلفت"، أي ما تقدم لك من خير عملته فذلك لك. كما تقول: أسلمت على ألف درهم، أي على أن أحرزها لنفسه. والله أعلم. الرابعة: فإن قيل: فقد روى مسلم عن العباس قال: قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ بما عمل من الخير، لكن مع انضمام شفاعة، كما جاء في أبي طالب. فأما غيره فقد أخبر التنزيل بقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]. وقال مخبرا عن الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]. وقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: "لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه". من حديث العباس رضي الله عنه: "ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ أي كافرين.انظر الجامع لأحكام القرآن (١٦٣/٨).

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [آية:٥٨ - ٦٠]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ لوام ﴿فِي﴾ سهم ﴿الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ﴾ ومكمل لو مطروح.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ المراد: محل إعطائها ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ وهو كل أحد له مال ما، ﴿وَالْمَسَاكِينِ﴾ كل أحد لا مال له أصلا أو على العكس، ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ كل ساع ومأمور لهما كالمحرر وسواه، ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ هم الأولى أسلموا وما كمل إسلامهم وأعطاهم إما لسواد الإسلام وإما لحصول كمال الإسلام لهم، ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ كل مملوك حرر لمولاه دراهم ولا مال له أو هم أهل الإسلام، ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ الأولى لا مال لهم لأدائه، ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ كل أحد لا وصول له إلى محله وماله ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ محل أوامره محلها وصح إعطاؤها لواحد كما حكاه الإمام، ومالك، وأحمد، وما رآه محمد ولا صححه.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦١ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٦٢ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [آية:٦١ - ٦٣]:

﴿وَمِنْهُمُ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا وسرا ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ كطرح أسراره، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ سامع لكل كلام محكى ﴿قُلْ﴾ لهم هو ﴿أُذُنُ﴾

مسمع ﴿خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ﴾ المراد: لكل دال دل على الله، ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ لكل ما حكوه له، واللام لا مؤدي لها، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ مردود رده الواو على محمول هو المار، ورواه راوٍ مكسورا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ﴾ الكلام مع أهل الإسلام ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ أورده موحد المآل أمرهما لواحد ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ صدرا وسرا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ الهلاك الدائم.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية: ٦٤ - ٧٠]:

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾(١) على أهل الإسلام ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: في شأنهم، ﴿سورةٌ﴾ من القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم، =

قُلُوبِهِمْ﴾ مما هو إصرار على الإلحاد ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ أمر مهدد لهم ﴿إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ ما أداهم إلى سوء الكلام على أمرك ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ﴾ لهم ﴿أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿لا تَعْتَذِرُوا﴾ عما صدر وحصل ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ سطع أمره ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ وورودكم على موارده كلاما لا إصرارا ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ ورواهما راوٍ لسوى المعلوم وسوى السامع ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ لإصرارهم على عدم الإسلام.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ كأمر واحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الإلحاد وسوء العمال، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإسلام وصالح العمال، ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ أراد إمساكهم، ﴿نَسُوا اللهَ﴾ ما سلكوا على مسلك أوامره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ ما أدركهم كرمه وآلاؤه كما أدرك سواهم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ﴾ طردهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم وهو ما وعده.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ حالكم كحالهم وهم الأولى أسلموا كلاما سرا ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ﴾ سهم الدار الأولى ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ ه أولئك ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أهلكهم علو الماء، ﴿وَعَادٍ﴾ أمم هود أهلكهم ورود الصرصر، ﴿وَثَمُودَ﴾ أمم صالح هلكوا لما حرك الله محالهم وهدمها، ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وعدوه أهلكه ما حل معطسه، ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ أهلها وهم أمم لوط صار أعلى دورهم إلى أحطها، ﴿فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

=

﴿تُنبئهم﴾ أي: تخبرهم، أي: المنافقين، ﴿بما في قلوبهم﴾ من الشك والنفاق، وتهتك أستارهم، وكانوا يستهزئون بأمر الوحي والدين، فقال تعالى لنبيه - عليه الصلاة والسلام: ﴿قل﴾ لهم: ﴿استهزئوا﴾؛ تهديداً لهم، ﴿إن الله مُخرجٌ ما تحذَرُون﴾ من إنزال السورة فيكم، أو ما تحذرون من إظهار مساوئكم. انظر البحر المديد (١٢٩/٣)

﴿أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك.

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [آية:٧١، ٧٢]:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ سلوكا على سائر أوامره، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ﴾ لا راد لحصول ما وعده أو أوعده ﴿حَكِيمٌ﴾ محل أحكامه محلها.

﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ الآلاء كلها ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [آية:٧٣، ٧٤]:

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ كرا وحساما، ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ ردعا وكلاما، ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (الهاء) عائد للكل، ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المعاد معادهم.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا﴾ ما رووه لك، ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾ لاح وسطع أمر إلحادهم ﴿بَعْدَ إِسْلامِهِمْ﴾ الحاصل أولا كلاما لا سرا، ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ هموا على المكر مع الرسول وطرحه إلى واد لدى عوده مساء، ولما وردوا على رسول الله ومعه عمار وسواه ورآهم عمار لطم رؤوس رواحلهم وردهم، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾

حاصل المراد ما حصل لهم أمر أداهم إلى إصرارهم على عمل المكروه والمكر مع الرسول ﴿إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عما هم سالكوه ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ هو دمارهم، ﴿وَالآخِرَةِ﴾ هو سوء الدار، ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ لا كالئ ولا راد لما أعده الله لهم.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [آية:٧٥ - ٨٠]:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١) أوحاه الله لما سأل الرسول أحدهم دعاءه له لحصوله على الأموال ودعا له ووسع الله عطاءه، ولما حصل على المسئول لا ورد مصلى ولا أدى ما ورد أمر الله على أدائه،

(١) قيل: هو ثعلبة بن حاطب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ادعُ الله يرزقني مالا. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " يا ثعلبة، قليلٌ تُؤدي شُكرَهُ خيرٌ من كثير لا تُطيقه " فراجعه، وقال: والذي بعثك بالحق، لئن رزقني الله مالا لأعطين كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فدعا له، فاتخذ غنماً، فَنَمت كما تنمو الدود، حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً، وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسأل عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ، فقال: " يا ويح ثعلبة ". فبعث له مُصدقين لأخذ الصدقات؛ فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومروا بثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه الكتابَ الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه صدقة، ما هذه إلا أخت الجزية، فارجعا حتى أرى رأيي، فنزلت فيه الآية، فجاء ثعلبة بالصدقة، فقال: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له صلى الله عليه وسلم: " هذا منك؛ فقد أمرتُك فلم تطعني " فقُبض الرسول صلى الله عليه وسلم، فجاء بها إلى أبي بكر، فلم يقبلها، ثم جاء بها إلى عمر في خلافته، فلم يقبلها منه، وهلك في زمن عثمان، بعد أن لم يقبلها منه.انظر البحر المديد (١٣٨/٣).

وهو أحد عمد الإسلام كما حكى الله وهو ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ وما أدوا سهمه، ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عما أمرهم ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ صار مآلهم ﴿نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ (الهاء) عائد لله أو لعملهم، وعلى عوده لله، المراد: ولدى حلول حمامهم، وعلى عوده للعمل، المراد: لدى المعاد ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ عاهدوه، وهو إعطاؤهم ما وردا أمر الله لإعطائه لأهله ودوامهم على الصلاح، ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ولما ورد الحكم المسطور وحمل السهم المعلوم ورده إلى الرسول رده رسول الله وحمله إلى أول إمام ورده كما رده رسول الله، وحمله إلى عمر ورده عمر كما رده وحمله إلى الإمام وراء عمر ورده كما ردوه وهلك على عهده.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ الحلل صدورهم، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ كل كلام أسره وحكاه أحدهم لأحدهم، ﴿وَأَنَّ اللهَ عَلامُ الْغُيُوبِ﴾ ولما ورد أمر الله لإعطاء الأموال سوى السهم المحدود، وحمل أحد أهل الإسلام إلى الرسول دراهم وأحدهم صاع مأكول ولومهم أهل الإسلام كلاما لا سرا، وحاصل كلامهم ما أعطى الأول إلا وهو مرآى وما لله وصاع مأكول أوحى الله لرسوله ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ وهم أهل الأموال، ﴿وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ﴾ وسعهم وهو الحامل صاع المأكول، ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ المراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ كلاهما على حد سواء ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ﴾ هل المراد أوحد العدد وما وراءه له حكم سوى الحكم المحرر وهو أولى، أو المراد: حصول العدد الأعم وحكم ما وراءه كحكمه؛ كلاهما حكاه اهل العلم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن

تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ
عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ
فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي
ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [آية:٨١ - ٨٥]:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الأولى ما ساروا إلى الكر على الأعداء ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا﴾ لأهل الإسلام أو لأهل سلكهم أولهما ﴿لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ مآلهم لها.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا﴾ هو المعلوم أو المراد السرور، ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ هو المعلوم أو المراد الكدر؛ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ حكى الله مآل حالهم وأورده على الأمر لحصوله على كل حال.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ﴾ ردك ﴿اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى الكر على الأعداء ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الحرم والأولاد لعدم صلاحكم لأمر المعارك ولما صلى الرسول على أحدهم مع هلاكه وهو على سوء مسلكه أوحى الله لرسوله: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿وَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ كرره مؤكدا للحكم الأول أو هؤلاء سوى الأولى.

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ
مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ
بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [آية:

٨٦ - ٨٩]:

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ﴾ أهل الوسع والأموال ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾(١) الحرم أو الحرم الحوامل، ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ صالح الأمور.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ العلو على الأعداء وحصول الأموال حالا، ودار المأوى والسرور الدائم مآلا، أو المراد: الحور ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [آية: ٩٠ - ٩٢]:

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ المراد: أهله وممهدوه ﴿مِنَ الأَعْرَابِ﴾ وهم أسد وسواهم أو هم رهط عامر ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ وحصل لهم ما سألوه، ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ﴾

---

(١) قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾﴿الْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة؛ أي مع النساء والصبيان وأصحاب الأعذار من الرجال. وقد يقال للرجل: خالفة وخالف أيضا إذا كان غير نجيب؛ على ما تقدم. يقال: فلان خالفة أهله إذا كان دونهم. قال النحاس: وأصله من خلف اللبن يخلف إذا حمض من طول مكثه. وخلف فم الصائم إذا تغير ريحه؛ ومنه فلان خلف سوء؛ إلا أن فواعل جمع فاعله ولا يجمع فاعل صفة على فواعل إلا في الشعر؛ إلا في حرفين، وهما فارس وهالك. وقوله تعالى في وصف المجاهدين: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ قيل: النساء الحسان؛ عن الحسن. دليله قوله عز وجل: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠]. ويقال: هي خيرة النساء. والأصل خيرة فخفف؛ مثل هينة وهينة. وقيل: جمع خير. فالمعنى لهم منافع الدارين. وقد تقدم معنى الفلاح. والجنات: والبساتين. وقد تقدم أيضا. انظر الجامع في أحكام القرآن (٢٢٣/٨).

لما ادعوا الإسلام وهم على عدمه ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ أهل الهرم، ﴿وَلا عَلَى الْمَرْضَى﴾ أهل العلل كالعمى، ﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ لعدم مالهم وعدمهم ﴿حَرَجٌ﴾ حرام وملام ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلهِ وَرَسُولِهِ﴾ أسلموا سرا وعملا، أو المراد: حصول مسعاهم على صالح أهل الإسلام ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ مسلك إلى الملام، ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم أو لعكسهم وهؤلاء أولى.

﴿وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى المعارك وهم والد موسى وملاؤه أو سواهم ﴿قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال معمول ما أم ما ﴿تَوَلَّوْا﴾ مكمل العامل الآم للاسم الموصول، ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ العامل ومعموله وهو الدمع حال محل دمعا ﴿حَزَنًا﴾ معمول له أو مصدر أو حال ﴿أَلا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [آية:٩٣ - ٩٦]:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ مسلك الملام ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ أولو طول ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ الحرم أو الحرم لحوامل، ﴿وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ سؤدد المعارك أو صلاح أمرهم.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ وصار حالكم وسركم معلوما إلى الملا، ﴿وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ لدى المعاد ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ المطلع على السر والعمل، ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ وطهرهم أمر محال ﴿جَزَاءً﴾ معمول له أو مصدر ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٩٧ - ٩٩]:

﴿الأَعْرَابُ﴾ أهل المهامه ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾(١) لعدم سماعهم لكلام الله وعدم

---

(١) قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ فيه مسألتان: الأولى: لما ذكر جل وعز أحوال المنافقين بالمدينة ذكر من كان خارجا منها ونائيا من الأعراب؛ فقال كفرهم أشد. قال قتادة: لأنهم أبعد عن معرفة السنن. وقيل: لأنهم أقسى قلبا وأجفى قولا وأغلظ طبعا وأبعد عن سماع التنزيل؛ ولذلك قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي أخلق. ﴿أَلا يَعْلَمُوا﴾ ﴿أن﴾ في موضع نصب بحذف الباء؛ تقول: أنت جدير بأن تفعل وأن تفعل؛ فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ ﴿أن﴾ وإن أتيت بالباء صلح بـ ﴿أن﴾ وغيره؛ تقول: أنت جدير أن تقوم، وجدير بالقيام. ولو قلت: أنت جدير القيام كان خطأ. وإنما صلح مع ﴿أن﴾ لأن أن يدل على الاستقبال فكأنها عوض من المحذوف. ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ أي فرائض الشرع. وقيل: حجج الله في الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم. الثانية: ولما كان ذلك ودل على نقصهم وحطهم عن المرتبة الكاملة عن سواهم ترتبت على ذلك أحكام ثلاثة: أولها: لا حق لهم في الفيء والغنيمة؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث بريدة، وفيه: "ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا عنها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين" وثانيها: إسقاط شهادة أهل البادية عن الحاضرة؛ لما في ذلك من تحقق التهمة. وأجازها أبو حنيفة قال: لأنها لا تراعي كل تهمة، والمسلمون كلهم عنده على العدالة. وأجازها الشافعي إذا كان عدلا مرضيا؛ وهو الصحيح لما بيناه في "البقرة". وقد وصف الله تعالى الأعراب هنا أوصافا ثلاثة: أحدها: بالكفر والنفاق.والثاني: بأنه يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص =

مراء هم العلماء عكس أهل المدر الأمصار لسماعهم ومراهم لهما، ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ﴾ أحكام ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ للعلل المار سردها، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ أحوال أهل المهامه والأمصار ﴿حَكِيمٌ﴾.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ دوائر العصر ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ ورواه راوٍ كعدم مصدر وكلاهما دعاء على الأولى هم مؤملو حصولها لأهل الإسلام، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ﴾ كلامهم، ﴿عَلِيمٌ﴾ أحوالهم وأعمالهم وأسرارهم.

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ﴾ مسلكا إلى حصول دعاء ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلا إِنَّهَا﴾ (الهاء) لمكمل عامل الاسم الموصول ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ وعد لما أملوه، ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ المراد: دارها ﴿إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل طائع.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ هم الأولى صلوا إلى المصلى المطهر أولا وصلوا إلى الحرم لما حول الله المأم، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ هم أهل الإسلام إلى المعاد ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾ لعدم رد أعمالهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لحصولهم على آلائه، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ﴾ ورواه راوٍ مع العامل وهو عامل الكسر كسائر المحال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

=

بكم الدوائر. والثالث: بالإيمان بالله وباليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول؛ فمن كانت هذه صفته فبعيد ألا تقبل شهادته فيلحق بالثاني والأول، وذلك باطل. وقد مضى الكلام في هذا في "النساء".

وثالثها: أن إمامتهم بأهل الحاضرة ممنوعة لجهلهم بالسنة وتركهم الجمعة. وكره أبو مجلز إمامة الأعرابي. وقال مالك: لا يؤم وإن كان أقرأهم. وقال سفيان الثوري والشافعي وإسحاق وأصحاب الرأي: الصلاة خلف الأعرابي جائزة. واختاره ابن المنذر إذا أقام حدود الصلاة.. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٢٣٢).

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى
ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾
وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ
عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ
عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟
فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [آية:١٠١ - ١٠٦]:

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ﴾ حول مصركم، وهو محل لحد الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ وهم أسلم ورهطه، ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ المرود والمرور واحد أصلا ولعل المراد مهروا ﴿لا تَعْلَمُهُمْ﴾ لعدم سطوع حالهم لك والكلام للرسول ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ ومطلعوك على أسرارهم ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ هما إهلاكهم وإعدامهم حالا ولدى عودهم إلى لحودهم مآلا ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ لدى المعاد ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ وهو سوء الدار.

﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلا صَالِحًا﴾ هو كرهم على الأعداء أولا ﴿وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ هو عدم إسراعهم إلى المعارك أمرهم الرسول ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولما أرادوا إعطاء الرسول أموالا لمحو ما صدر وردها الرسول لعدم ورود أمر الله لرسوله.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(١) وصار سدسا أموالهم طهرا

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ قال المفسرون لما تاب الله عز وجل على أبي لبابة وأصحابه قالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت هذه الآية وفي هذه الصدقة قولان: أحدهما أنها الصدقة التي بذلوها تطوعا قاله ابن زيد والجمهور والثاني الزكاة قاله عكرمة قوله تعالى تطهرهم وقرأ الحسن تطهرهم بها =

لسوء أعمالهم، ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلاتَكَ﴾ عددها لعدد المدعو لهم، ورواها راوٍ على الواحد ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ المراد: دعاؤك مهدئ روعهم، ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ المراد: عدم رده لها، ﴿وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿وَقُلِ﴾ لهم أو للأمم كلهم ﴿اعْمَلُوا﴾ كل مراد لكم ﴿فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ لدى ورود حمامكم ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هو معاملكم على أعمالكم صالحها وطالحها.

﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ ورواه راوٍ على الواو حالهم ممهل ﴿لأَمْرِ اللهِ﴾ وهم ولد مالك وهلال وواحد سواهما ما طلعوا إلى المعارك كسلا لا لأمر سواه ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ لو ما عادوا إلى الله، ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ لدى عودهم لمولاهم وسؤالهم محو ما صدر وهو كسلهم ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

=

بجزم الراء قال الزجاج يصلح أن يكون قوله تطهرهم نعتا للصدقة كأنه قال خذ من أموالهم صدقة مطهرة والأجود أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم المعنى فانك تطهرهم بها تطهرهم بالجزم على جواب الأمر المعنى إن تأخذ من أموالهم تطهرهم ولا يجوز في تزكيهم إلا إثبات الياء اتباعا للمصحف قال ابن عباس تطهرهم من الذنوب وتزكيهم تصلحهم وفي قوله وصل عليهم قولان أحدهما استغفر لهم قاله ابن عباس والثاني ادع لهم قاله السدي انظر زاد المسير (٤٩٦/٣).

لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ [آية:١٠٧ - ١١٠]:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ ملاء ادعوا الإسلام وهم أهل إلحاد سرا وصدرا ﴿ضِرَارًا﴾ لأهل الإسلام وحسدا لهم لما عمروا مصلى ودعوا له الرسول وصلى وسطه ﴿وَكُفْرًا﴾ لعمارهم له على أمر والد عامر لما رحل إلى ملك الروم، ومراده الورود العساكر على الرسول وأهل الإسلام، وأراد عمار المصلى المحرر مرصدا للوراد، ولما كمل أمر عماره ودعوا الرسول له وهم إلى ما دعوه أوحاه الله لرسوله وأعمله مكرهم وللحال أرسل رسول الله رهطا لهدمهم المصلى المسطر وأسرعوا لما أمرهم وهدموه، ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ المراد: والد عامر المسطور أمره ﴿مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى﴾ المراد: ما عمروه إلا للوسع على كل مصل وعدم العسر على أهل الإسلام حال حلول الأمطار وحصول الحر، ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ هو ما عمره أهل الإسلام أولا وصلى وسطه الرسول ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ لعماره ﴿أَحَقُّ﴾ أولى ﴿أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ وطهر أعمال الحصى أولا وإمرار الماء على أسّه كما ورد.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ روع ﴿مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ أمل، أصله هائر وهو المهدوم، والمراد: أسس ما أراد عماره على محل واهٍ مهدوم، ﴿فَانْهَارَ﴾ هدم ﴿بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ إلى صلاحهم ما داموا على سوء مسلكهم.

﴿لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ المراد إلى ورود حمامهم وحلول أعمارهم، ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ﴾ ومطلع على أسرارهم ﴿حَكِيمٌ﴾ لما ألهم الرسول هدمه لمصلاهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [آية:١١١، ١١٢]:

﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ المراد طرحهم لهما إلى المعارك والمهامه ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ﴾ وروى راوٍ ما لسوى المعلوم أولا ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر معمول لمطروح هما داله ﴿فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ﴾ لا أحد، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا﴾ سلوك على سوى مسلك الكلام الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الموصل أهله إلى مرامهم.

﴿التَّائِبُونَ﴾ مسموك على المدح، ومحمول لأول كلام مطروح هواهم، والمراد: أهل الإسلام، ﴿الْعَابِدُونَ﴾ لله، ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال، ﴿السَّائِحُونَ﴾ أولوا الصوم والسائح الصائم كما ورد، ﴿الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ كل مصل، ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الإسلام وصالح العمل، ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الإلحاد وطالح الأعمال، ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ أحكامه عملا وسلوكا على مسالكها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هؤلاء المار وسمهم وطرح ما هو معد لهم لعدم وصول الأحلام له، ولما سأل الرسول مولاه صلى الله على روحه وسلم محو طالح أعمال عمه أوحى الله له:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ [آية:١١٣ - ١١٦]:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ

مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(١) كما لو وردوا على موارد الحمام وما أسلموا.

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ الواعد هو الرسول لوالده، والوعد سؤاله الله هداه للإسلام لمحو طالح أعماله أو الواعد والده والوعد هو إسلامه، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ لحلول عمره وهو على سوء مسلكه أوحى الله له وأعلمه إسلام والده ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ المراد: ما عاد إلى سؤاله مولاه محو طالح أعماله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ﴾ دائم الدعاء إلى الله على أكمل أحوال الدعاء، ﴿حَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ للإسلام وأحكامه ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم حال الهدى وأهله وسواهما.

﴿إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ كالئ، ﴿وَلا نَصِيرٍ﴾ راد لما أراده.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ

(١) لأنّ المشركين كفرُهم ظاهر فجاء النهي عن الاستغفار لهم صريحاً، وكُفر المنافقين خفي فجاء التأييس من المغفرة لهم منوطاً بوصف يعلمونه في أنفسهم ويعلمه الرسول عليه الصلاة والسلام ولأجلِ هذا كان يستغفر لمن يسأله الاستغفار من المنافقين لئلا يكون امتناعه من الاستغفار له إعلاماً بباطن حاله الذي اقتضت حكمةُ الشريعة عدمَ كشفه. وقال في أبي طالب: (لأستغفرنّ لك ما لم أُنه عنك) فلمّا نهاه الله عن ذلك أمسك عن الاستغفار له. وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) يصلي صلاة الجنازة على من مات من المنافقين لأنّ صلاة الجنازة من الاستغفار ولمّا مات عبدُ الله بن أبي ابن سلول رأسُ المنافقين بعد نزول هذه الآية وسألَ ابنُه عبدُ الله بنُ عبد الله النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يصلي عليه، فصلّى عليه كرامة لابنه وقال عمر للنبي (صلى الله عليه وسلم) قد نهاك ربك أن تصلي عليه، قال له على سبيل الرد (إنّما خيّرني الله)، أي ليس في هذه الآية نهي عن الاستغفار، فكان لصلاته عليهم واستغفاره لهم حكمة غير حصول المغفرة بل لمصالح أخرى، ولعلّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ بأضعف الاحتمالين في صيغة ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ وكذلك في لفظ عدد ﴿سبعين مرة﴾ استقصاء لمظنّة الرحمة على نحو ما أصّلناه في المقدمة التاسعة من مقدّمات هذا التفسير. والإشارةُ في قوله: ﴿ذلك بأنهم كفروا﴾ لانتفاء الغفران المستفاد من قوله: ﴿فلن يغفر الله لهم﴾. والباء للسببية، وكفرهم بالله هو الشرك. وكفرهم برسوله جحدهم رسالته (صلى الله عليه وسلم) وفي هذه الآية دليل على أن جاحد نبوءة محمد (صلى الله عليه وسلم) يطلق عليه كافر. انظر التحرير والتنوير (٢٧٩/١٠).

رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [آية:١١٧، ١١٩]:

﴿لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ ما أداموا عودهم إلى مولاهم ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ حال المعارك والكر على الأعداء مع الحر وعدم الماء والمأكل والرواحل ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عما هو سلوك على مسالك الرسول صلى الله على روحه وسلم ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لما داموا على هداهم وما مالوا ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ﴾ رد الواو على ومعمولها على (على) ومعمولها الأولى ﴿الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وهم هلال وولد مالك وواحد سواهما ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ المراد: مع وسعها، ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ للكدر وعدم السرور، ﴿وَظَنُّوا﴾ عملوا ﴿أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لهم لو أراد حلوله ﴿إِلا إِلَيْهِ﴾ إلا إلى العود له، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ لما هداهم إلى العود له والدعاء ورومهم وسؤالهم له على ما صدر ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على كل داع وسائل ولو عاد إلى سوء عمله مرارا، ﴿الرَّحِيمُ﴾ لحالهم.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ راعوا ما أمر ودعوا ما ردع، ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ إسلاما وعهودا.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [آية:١٢٠، ١٢١]:

﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ﴾[1] لو

---

(١) نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك، وفيمن تخلف ممن حولهم من الأعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار. ومناسبتها لما قبلها: أنه لما أمر المؤمنين بتقوى الله، وأمر بكينونتهم مع الصادقين، وأفضل الصادقين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرون والأنصار، اقتضى ذلك موافقة الرسول وصحبته أنّى توجه من الغزوات والمشاهد، فعوتب العتاب الشديد من تخلف عن الرسول في غزوة، واقتضى ذلك الأمر لصحبته وبذل النفوس دونه. قال الزمخشري: بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأمروا أن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط، وأن يلقوا أنفسهم في الشدائد ما يلقاه نفسه صلى الله عليه وسلم، علماً بأنها أعزُّ نفس عند الله تعالى وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهون وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكترث لها أصحابها، ولا يقيموا لها وزناً، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلا أن يربؤوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه، وهذا نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه، وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية. قال الكرماني: هذا نفي معناه النهي، وخصَّ هؤلاء بالذكر وكل الناس في ذلك سواء لقربهم منه، وأنه لا يخفى عليهم خروجه. قال قتادة: كان هذا الإلزام خاصاً مع النبي صلى الله عليه وسلم وجواب النفر إلى الغزو إذا خرج هو بنفسه، ولم يبق هذا الحكم مع غيره من الخلفاء. وقال زيد بن أسلم: كان هذا الأمر والإلزام في قلة الإسلام، واحتياج إلى اتصال الأيدي، ثم نسخ عند قوة الإسلام بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً﴾ قال: وهذا كله في الانبعاث إلى غزو العدو على الدخول في الإسلام، وأما إذا ألم العدوّ بجهة فيتعين على كل أحد القيام بذنبه ومكافحته، والإشارة بذلك إلى ما تضمنه انتفاء التخلف من وجوب الخروج معه وبذل النفس دونه، كأنه قيل: ذلك الوجوب للخروج وبذل النفس هو بسبب ما أعد الله لهم من الثواب الجسيم على المشاق التي تنالهم، وما يتسنى على أيديهم من إيذاء أعداء الإسلام. والظمأ العطش. وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد مثل: سفه سفاهاً، ولما كان العطش أشق الأشياء المؤدية للمسافر بكثرة الحركة وإزعاج النفس وخصوصاً في شدة الحر كغزوة تبوك بدئ به أولا، وثنى بالنصب وهو التعب لأنه الكلال الذي يلحق المسافر والإعياء الناشئ عن العطش والسير، وأتى ثالثاً بالجوع لأنه حاله يمكن الصبر عليها الأوقات العديدة، بخلاف العطش والنصب المفضيين إلى الخلود والانقطاع عن السفر. فكان الإخبار بما يعرض للمسافر أولا فثانياً فثالثاً. وموطئاً مفعل من وطئ، فاحتمل أنْ يكون مكاناً، واحتمل مصدراً. والفاعل في يغيظ عائد على المصدر، إما على موطئ إن كان مصدراً، وإما على ما يفهم من موطئ إن كان مكاناً، أي يغيظ وطؤهم إياه الكفار. وأطلق موطئاً إذا كان مكاناً ليعم كل موطئ يغيظ وطؤه الكفار، سواء كان من أمكنة الكفار، أم من أمكنة المسلمين إذا كان في سلوكه غيظهم. والوطء يدخل فيه بالحوافر والإخفاف والأرجل. وقرأ زيد بن علي: يغيظ بضم الياء. والنيل مصدر، فاحتمل أن يبقى على موضوعه، واحتمل أن يراد به المنيل. وأطلق نيلا ليعمّ القليل والكثير مما يسوءهم قتلا وأسراً وغنيمة وهزيمة، وليست الياء في نيل بدلا من واو خلافاً لزاعم ذلك، بل =

رام الكر على أعداء الله، ﴿وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ حرصا على أرواحهم وأموالهم وسواها مع عدم حرصه صلى الله على روحه وسلم ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما داله ما أول الكلام ﴿بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ لعدم حصول الماء، ﴿وَلا نَصَبٌ﴾ لكرهم على العدو، ﴿وَلا مَخْمَصَةٌ﴾ لعدم حصولهم ووصولهم إلى المأكل ﴿فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ هو المسلك المأمور كل أحد إلى سلوكه، ﴿وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر وهو الدوس ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ وطؤه، ﴿وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً﴾ كالإهلاك والأسر والحصول على الأموال ﴿إلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ وصاروا للإكرام على أعمالهم ﴿إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: هو معاملهم على صالح أعمالهم ومكرمهم وهو وعد لهم.

﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [آية:١٢٢]:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إلى المعارك ﴿كَافَّةً﴾ كلهم ﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ ودام سواهم محلم ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ الأولى ساروا إلى المعارك، ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ المراد: حصول العلم للأولى ما ساروا إلى المعارك وإطلاع الأولى داموا أولئك على ما عملوه، ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ما أعده الله لكل عاص وسالك على سوى مسلك أوامره.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ

=

نال مادتان: إحداهما من ذوات الواو نلته أنوله نولا ونوالا من العطية، ومنه التناول. والأخرى: هذه من ذوات الياء، نلته ناله نيلا إذا أصابه وأدركه. وبدئ في هاتين الجملتين بالأسبق أيضاً وهو الوطء، ثم ثنى بالنيل من العدو. جاء العموم في الكفار بالألف واللام، وفي من عدو لكونه في سياق النفي، وبدئ أولا بما يحض المسافر في الجهاد في نفسه، ثم ثانياً بما يترتب على تحمل تلك المشاق من غيظ الكفار والنيل من العدو. وقال الزمخشري: ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة، لا الوطء بالأقدام والحوافر. انظر تفسير البحر المحيط (١١٥/٥).

غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ [آية:١٢٣]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ هم الأولى حلوا وسط أمصار أهل الإسلام أو الأولى حدودهم إلى حدود الإسلام، والمراد: الكر على الأول الأول، ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ كالئ وحارس لهم.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [آية:١٢٤ - ١٢٧]:

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لملئه الأولى سلكوا على مسلكهم ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ مرادهم ومدعاهم عدم حصوله لورودها أصلا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ﴾ رد لما وهموه ﴿إِيمَانًا﴾ لورود حكم ما هو وارد ولا حاصل أولا، ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ سرورا لوصولهم إلى الحال الأكمل.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ عدم إسلام ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ إلحادا إلى إلحادهم، ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ومروا على سوء مسلكهم طول عمرهم إلى ورود حمامهم.

﴿أَوَلا يَرَوْنَ﴾ (الواو) لأهل الإسلام كلاما لا صدرا، ورواه راوٍ على الكلام مع السامع وهم أهل الإسلام صدرا وعملا ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ محلا وعللا ﴿ثُمَّ لا يَتُوبُونَ﴾ مما هم سالكوه ﴿وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ لسرد وصمهم وسوء حالهم وسردها الرسول لروحه السلام لهم ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ كما هو مسلك كل رهط مول ومحاول محلا سوى محله ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ المراد كلامهم هل راء لهم لو ولوا، ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾ وهم على سوء حالهم الأول أو إلى محل سوى محل الرسول ردد الله له السلام

﴿صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عما هو هدى ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ﴾ الهدى لعدم إدراكهم.

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(1) [آية: ١٢٨، ١٢٩]:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أصله أصلكم، وحماه حماكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ (ما (للمصدر، ومآل الكلام: هو كاره لكم حملكم الأمر العسر، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ على هداكم وصلاح حالكم، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وما أسلموا لك ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا على سواه، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك ومصدر الأحكام والأوامر، ﴿الْعَظِيمِ﴾ سرد ما ورد للرسول لروحه السلام ورآه حكم ولا كلام على ما رواه الحاكم.

(١) قال القرطبي: هاتان الآيتان في قول أُبي أقرب القرآن بالسماء عهدا. وفي قول سعيد بن جبير: آخر ما نزل من القرآن ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] على ما تقدم. فيحتمل أن يكون قول أُبيّ: أقرب القرآن بالسماء عهدا بعد قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾. والله أعلم والخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك؛ إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه، وشرفوا به غابر الأيام. وقال الزجاج: هي مخاطبة لجميع العالم والمعنى: لقد جاءكم رسول من البشر؛ والأول أصوب. قال ابن عباس: ما من قبيلة من العرب إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال: يا معشر العرب لقد جاءكم رسول من بني إسماعيل. والقول الثاني أوكد للحجة أي هو بشر مثلكم لتفهموا عنه وتأتموا به. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠١/٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

مكية، وآيها مائة وتسع آيات

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [آية:١]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح كما مر مرارا.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى ما حواه كلام الله المكرم أو أحد سوره وهو المحرر أسمها وهو الأولى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم، ﴿الْحَكِيمِ﴾ المحكم أو ما حوى الحكم محركا.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [1][آية:٢]:

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أهل الحرم الحرام، واللام مع معمولها حال مما وراءه وهو ﴿عَجَبًا﴾ محمول العامل، ورواه راوٍ مسموكا على ورود العامل كاملا، وعلى الأول اسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ هو محمد ردد الله له السلام ﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾ روع ﴿النَّاسَ﴾ أهل الإلحاد، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ محلا أعلى ﴿عِنْدَ

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً﴾ استفهام معناه التقرير والتوبيخ. و﴿عَجَباً﴾ خبر كان، واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ وهو في موضع رفع؛ أي كان إيحاؤنا عجبا للناس. وفي قراءة عبدالله "عجب" على أنه اسم كان. والخبر ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾. ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ قرئ ﴿رَجْل﴾ بإسكان الجيم. وسبب النزول فيما روي عن ابن عباس أن الكفار قالوا لما بعث محمد: إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا. وقالوا: ما وجد الله من يرسله إلا يتيم أبي طالب؛ فنزلت: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ يعني أهل مكة ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾. وقيل: إنما تعجبوا من ذكر البعث. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٠٥/٨).

رَبِّهِمْ﴾ وهو إكرامه المعد لهم على صالح أعمالهم ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ اوماْوا إلى كلام الله المكرم ﴿لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ وروى راوٍ محل لسحر لساحر.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [آية:٣، ٤]:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ هما أصول العالم ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وأحد سرر الملك، والمراد الله أعلم: ما هو على ما حكاه علماء العصر الأول وأول العلماء الأولى وردوا وراءهم، ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ على ما أراد وحكم ﴿مَا مِنْ﴾ لا مؤدى له ﴿شَفِيعٍ﴾ لأحد ﴿إِلا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ رد لما ادعاه أهل الإلحاد وهو حصولها مما هو كود وسواع ﴿ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ لدى حلول أعماركم ﴿وَعْدَ اللهِ﴾ مصدر مؤكد له ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لسواه وعاملهما مدلولهما ﴿إِنَّهُ﴾ ورواه راوٍ على سوى الكسر واللام مطوح ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ لدى المعاد ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ عدله أوعد لهم، وهو الأولى لسلوك الكلام على مسلك واحد مع ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ هو الماء الحار، ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [آية:٥]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ الهاء لكل واحد لا لأحدهما ﴿مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿إِلا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لإدراكهم الحكم.

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾ [آية:٦]:

﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ورود أو عكسه وطولا وعكسه، ﴿وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله وكمال عمله ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ مآل الأمور.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وهو أمر المعاد لعدم ما وراء الدار الأولى، ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ هدأوا لحطامها راعوا ما وراءها، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ كل ما دل على الواحد الأحد ﴿غَافِلُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الإلحاد وطالح العمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [آية:٩، ١٠]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾[1] إلى إدراك الدلائل أو إلى مسلك دار المأوى والسرور السرمد ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: أي: يسددهم ﴿بإيمانهم﴾؛ بسبب إيمانهم إلى الاستقامة والنظر، أوْ إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة، أوْ إلى إدراك الحقائق العرفانية، كما قال - عليه الصلاة والسلام "مَنْ عَمِلَ بما علِم أوْرَثه اللهُ علْمَ ما لَمْ يَعْلَمْ" أو لِمَا يشتهونه في الجنة، ﴿تجري من تحتهم الأنهارُ﴾ الأربعة، ﴿في جنات النعيم﴾، ﴿دَعْواهم فيها﴾ أي: دعاؤهم فيها: ﴿سبحانك اللهم﴾ أي: اللهم إنا نسبحك تسْبيحاً. ورُوي: أن هذه الكلمة هي ثمر أهل الجنة، فإذا اشتهى احدهم شيئاً قال: سبحانك اللهم، فينزل بين يديه. رواه ابن جريج وسفيان بن عيينة. انظر البحر المديد (١٩٦/٣).

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم لكل أمر أرادوا حصوله لهم مأكلا أو سواه هو ﴿سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ كل واحد لواحد ﴿فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ دعائهم ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ولعل حمدهم مولاهم حاصل لدى اطلاعهم على كامل إكرام الله لهم ولما رام أهل الإلحاد إسراع حلول ما أوعدهم الله حلوله أوحى الله لرسوله ردد الله له السلام:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [آية:١١]:

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ كـ ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ ورواه راوٍ للمعلوم ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ وهو هلاكهم ولعدم مراده هلاكهم لحكم أمهلهم، وما أسرع إلى حلول ما هم أهله ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وهو أمر المعاد ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ إلحادهم وسوء أعمالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ العمه للصدور كالعمى لحواس المرآى.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية:١٢]:

﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾(١) كعدم أو داء ما ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ المراد: سأل الله على كل الأحوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾ على سوء مسلكه الأول ﴿كَأَنْ﴾ عامل كلعل، واسمه الهاء مطروح ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كلاهما داع لله حال العسر مول حال الوسع.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ

(١) قال ابن الجوزي: اختلفوا فيمن نزلت على قولين أحدهما أنها نزلت في أبي حذيفة واسمه هاشم بن المغيرة بن عبد الله المخزومي قاله ابن عباس ومقاتل والثاني أنهانزلت في عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قاله عطاء والضر الجهد والشدة واللام في قوله لجنبه بمعنى على وفي معنى الآية قولان أحدهما إذا مسه الضر دعا على جنبه أو دعا قاعدا أو دعا قائما قاله ابن عباس والثاني إذا مسه الضر في هذه الأحوال دعا ذكره الماوردي. انظر زاد المسير (١٢/٤).

بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٣ - ١٦]:

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الكلام لأهل الحرم ﴿لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال وحاصل العامل والمعمول حال الواو، ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ﴾ كما أهلك أولئك مع عدم إمهالهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ كل سالك على سوى الإسلام، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ صالحا أو طالحا، وكل وارد موارد عمله.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ حال ﴿قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ ما ردعهم أمر المعاد وهو له ﴿ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا﴾ لاحا وأمر المعاد ولا وصمم ما ركوعهم له كود وسواع ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ أحل محل كل كلام حوى المعاد وسواه كلاما محله ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ كسلوكه على ما سألوه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ كلاما سواه ﴿مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ﴾ أعملكم الله ﴿بِهِ﴾ ورواه راوٍ: ولا دراكم على ورود اللام لا كمال (لو)، والمراد: لو ما سرده الرسول ردد الله له السلام على الأمم لأعلمهم وأدراهم وأوحى إلى رسول سواه وسرده لهم، ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أعواما عدد موعد موسى له السلام ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ لا أسرد لكم حكما ولا أعلمكم أمرا والها عائد لكلام الله ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى

ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [آية:١٧، ١٨]:

﴿فَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كادعائه إلها معه أو ادعاء الولد له أو الأهل ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ كلامه الموحى إلى رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ﴾ هو عدم السعد ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ كل مدع مع الله إلها.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ المراد سواه ﴿مَا لا يَضُرُّهُمْ﴾ لو ما ركعوا له، ﴿وَلا يَنْفَعُهُمْ﴾ لو ركعوا له ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ﴾ أومأ إلى ما هو كود وسواع ﴿شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾ لكل أمر مهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ وهو حصول إله معه ولو معه إله لعلمه ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه لا إله إلا هو وحده لا ولد له ولا إله معه.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [آية:١٩، ٢٠]:

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على مسلك واحد وهو الإسلام أوله عهد آدم إلى علو الماء وهلاك الأمم أو أوله عهد والد الرسل له السلام إلى عهد عمر، ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ وسلكوا مسالك الهوى، ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ المراد: إمهالهم وعدم إهلاكهم أو إمهال الحكم إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وأهلك أهل الهوى.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مما سألوه أو ما كعصا موسى ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ ولعل عدم ورودها هو صالح العالم ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ حلول الهلاك أو ورود ما سألوه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ ما هو حال.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ [آية:٢١]:

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ مطرا وكلاء ووسعا وعدم علل ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ﴾ كمحل وعدم وعلل ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ ومكرهم سلوكهم مسالك ردها وعدم

إسلامهم لها ﴿قُلِ﴾ لهم ﴿اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ المراد: هو معاملهم على مكرهم ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾ الأملاك الأولى أمرو الرسم أعمال الأمم ﴿يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ رواه راوٍ على وروده للسامع، وراوٍ على سواه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٢ - ٢٥]:

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ المراد: حاملكم على الأمر المسطور ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ عدول إلى سوى مسلك الكلام الأول على الاصطلاح المعلوم ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ كأسر مرورها ما صادمه، ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ المراد: أهلكوا ﴿دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الدعاء ﴿لَئِنْ﴾ (اللام) الام مؤل ﴿أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أهل الحمد وأهل لا إله إلا الله، ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ وأعطاهم سؤلهم كما دعوه ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ﴾ سارعوا إلى إلحادهم ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾[1] عولكم وعدم عدلكم ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ لمآل سوء أعمالكم لا

---

(١) قال أبو جعفر النحاس: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿متاع الحياة الدنيا﴾، ويجوز أن يكون خبره ﴿على أنفسكم﴾ وتضمر مبتدأ. أي: ذلك متاع الحياة الدنيا، أو هو متاع الحياة الدنيا.
=

لسواكم وهو ﴿مَتَاعَ﴾ ورواه راوٍ على وروده مصدرا ﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا دوام له كما لا دوام لها ولا لكم ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ لدى المعاد أو لدى حلول أعماركم ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وكل وارد على موارد أعماله.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وإسراع مرور أحولها ﴿كَمَاءٍ﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ لحلوله ﴿نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ كلاؤها ومحصودها لما رواه ماء المطر ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كل محصود كالحمص والعدس وسواهما، ﴿وَالأَنْعَامُ﴾ كالكلاء ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ لطلوع ورودها كالعروس، ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ محصول عدسها وحمصها وسائر محصولها ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ كالمحصود ﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل واسمها الهاء مطروحا ﴿لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد والسلام، إما اسم الله وإما مصدر وسماها دار السلام لحصوله لكل امرء حلها أو لسلام الأملاك على أهلها ودعاء الله أمره الأمم ودعاؤه لهم إلى الإسلام، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو مسلك الإسلام.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية:٢٦، ٢٧]:

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ اسلموا ﴿الْحُسْنَى﴾ دار السلام ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ إكرام الله لهم على مرأى كماله مع عدم الحصر والمحل كما ورد، ﴿وَلا يَرْهَقُ﴾ ما هو كأس ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سواد ﴿وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

=

وبين المعنيين فرق لطيف، إذا رفعت متاعا على أنه خبر بغيكم، فالمعنى: إنما بغي بعضكم على بعض، مثل: ﴿فسلموا على أنفسكم﴾. وكذا: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾. وإذا كان الخبر ﴿على أنفسكم﴾ فالمعنى: إنما فسادكم راجع عليكم، مثل: ﴿وإن أسأتم فلها﴾. وقرأ ابن أبي إسحاق: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ بالنصب على أنه مصدر، أي: تمتعون متاع الحياة الدنيا.

﴿وَالَّذِينَ﴾ رد الواو اسما موصولا على اسم موصول محله الكسر ﴿كَسَبُوا﴾ عملوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الإلحاد ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ مؤكد لا مؤدى له ﴿عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ﴾ المراد: الكسو ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ لسوادها الحالك ﴿مُظْلِمًا﴾ حال ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾ (الهاء) للأمم ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ دوموا محلكم ﴿أَنْتُمْ﴾ مؤكد لواو العامل المطروح، ﴿وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾ كود وسواع، ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ حسم الوصل ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وعلم أهل الإلحاد لسوادهم وأهل الإسلام لآلائهم، ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ ما هو كود وسواع أو الاملاك أو الروح ردد الله له السلام ﴿مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ والمراد: حصل ركوعهم لأهوائهم لا لهؤلاء.

﴿فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو﴾ وروى راو ما أم أوله كأوله، والمراد السرد للعمل ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ كل عمل صدر، ﴿وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ﴾ مولى أمورهم ﴿الْحَقِّ﴾ الدائم، ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو دعواهم ما هو وسواع راد لكل مكروه عراهم.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [آية:٣١ - ٣٣]:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ هو حلول الأمطار، ﴿وَالأَرْضِ﴾ ككل مأكول ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ﴾ والحواس كلها وسردهما لا سواهما لسطوع حسهما، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ كل ما له روح وحس ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ الماء الحال وسط الرحم أو ما حكمه كحكم الرحم، ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ الماء المسطور ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ ولد آدم وسواه، ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ للعالم كله، ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ هو ﴿اللهُ فَقُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلا تَتَّقُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ الدائم ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ إلى سواه مع سطوع الدلائل.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ مردوا على الإلحاد، والمراد: حلولهم دار الكدر والهلاك السرمد أو المراد ﴿أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ والمآل واحد، ومصدر العامل المؤكد معمول على مسلك وهم العامل المكرر لواحد الكلم المار.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [آية:٣٤]:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ الأول كود وسواع ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ لا معدل لكم إلى سواه مع سطوع الدلائل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [آية:٣٥، ٣٦]:

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾(١) كإرسال الرسل إلى الأمم وسواه ﴿قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي﴾ سواه، ورواه راوٍ مكرر الدال، والمراد: عدم حصول الهدى لهم إلا مع دال على مسلكه

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أي آلهتكم ومعبوداتكم. ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ والتقرير؛ فإن أجابوك وإلا فـ ﴿قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وليس غيره يفعل ذلك. ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي فكيف تنقلبون وتنصرفون عن الحق إلى الباطل.

﴿إلا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ حكما لا أصل له ولا دال معه، وحكمهم هو ادعاء إله مع الله علا اسمه.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلا ظَنًّا﴾ لسلوكهم على مسلك سلكه والدوهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ العلم مع الدلائل ﴿شَيْئًا﴾ ما ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ وهو معاملهم على أعمالهم.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾(1) [آية:٣٧]:

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه، ﴿وَلَكِنْ﴾ أوحاه الله إلى رسوله محمد له أسمى السلام ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كل كلام أوحاه الله إلى الرسل، ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ ورواهما راوٍ على المصدر وعاملهما مدلولهما ﴿الْكِتَابِ﴾ الأحكام والملل الموصل سلوكه إلى الله ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾ ما عراه وهم إصدار ولد آدم له ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أول معمول للمصدر الأول.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آية:٣٨، ٣٩]:

---

(١) قال الإمام ابن كثير " هذا بيان لإعجاز القرآن، وأنه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور ولا بسورة من مثله؛ لأنه بفصاحته وبلاغته ووجازته وحلاوته واشتماله على المعاني الغزيرة النافعة في الدنيا والآخرة، لا يكون إلا من عند الله - تعالى - الذي لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله ولا في أقواله، فكلامه لا يشبه كلام المخلوقين، ولهذا قال - تعالى - : ﴿وَمَا كَانَ هذا القرآن أن يفترى مِن دُونِ اللهِ﴾. والنفي هنا للشأن الذي هو أبلغ في النفي، وأعمق في الدلالة على أن هذا القرآن من عند الله، من نفي الشيء في ذاته مباشرة. أي: وليس من شأن هذا القرآن المعجز، أن يخترعه أو يختلفه أحد من الإنس أو الجن أو غيرهما؛ لأن ما اشتمل عليه من إعجاز وبلاغه وتشريعات حكيمة، وآداب قويمة، وهدايات جامعة... يشهد بأنه من كلام خالق القوي والقدر. وقوله: ﴿ولكن تَصْدِيقَ الذي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الكتاب﴾ بيان لكمال هداية القرآن الكريم، وهيمنته على الكتب السماوية السابقة. والمراد بالذي بين يديه: الكتب السابقة على القرآن كالتوراة والإنجيل والزبور. انظر التفسير الوسيط (١١٥/٤).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد ردد الله له السلام ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ وصححوا مدعاكم ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ للعمل معكم ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿بَلْ كَذَّبُوا﴾ سارعو إلى رده ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أول ما سمعوه ردوه عدم إدراكهم ما حواه مؤداه، ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ سوء مآل ردهم له وما أوعدوه ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ لما صار مآل أمرهم إلى الهلاك.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾
وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ
﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٠ - ٤٤]:

﴿وَمِنْهُمْ﴾ (الهاء) لأهل الحرم ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وهم الأول علم الله إسلامهم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أمدا، ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ أهل الإصرار على الإلحاد.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ وكل معامل على عمله ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا أحد وارد موارد عمل أحد كل وارد على عمله.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ حال سردك لكلام الله ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الأولى لا سمع لهم أصلا، والمراد: سماعهم كسماع الصم ﴿وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ﴾ ولو حصل لهم مع الصمم عدم إدراك الأحكام والحكم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ رأوا دلائل إرسالك ورادوها ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ المراد: ولو حصل مع عمى المرآى عمه الصدر ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لعدم إعطائهم الحواس والإدراك ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لما عطلوها وردوا أوامره وأحكامه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [آية:٤٥، ٤٦]:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ﴾[1] هم وأصله العامل كلعل طرح اسمه وهو ما سطر ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ مع طول أعمارهم، أو المراد: وسط اللحود ﴿إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما هم راؤه ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ وهو أول الأمر حاصل ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ﴾ هو المعاد ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى المسلك المسلم، وأدى أمرهم إلى الردى والهلاك السرمد.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ كإهلاكهم وأسرهم وهم على حال الدار الأولى ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ مع عدم مرآك له ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ مكمل لما رده أو ومكمل أما مطروح، وحاصله مرأى الرسول له لدى المعاد ﴿ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴾ والمراد: معاملهم على سوء أعمالهم.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

(١) قال ابن عطية: ويوم ظرف، ونصبه يصح بفعل مضمر تقديره: واذكر. ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه قوله: كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار، ويصح نصبه بيتعارفون، والكاف من قوله: كأن، يصح أنْ تكون في موضع الصفة لليوم، ويصح أن تكون في موضع نعت للمصدر كأنه قال: ويوم نحشرهم حشراً كأن لم يلبثوا، ويصح أن يكون قوله: كأن لم يلبثوا في موضع الحال من الضمير في نحشرهم انتهى. أما قوله: ويصح أن ينتصب بالفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا فإنه كلام مجمل لم يبين الفعل الذي يتضمنه كأن لم يلبثوا، ولعله أراد ما قاله الحوفي: من أن الكاف في موضع نصب بما تضمنت من معنى الكلام وهو السرعة انتهى. فيكون التقدير: ويوم نحشرهم يسرعون كأن لم يلبثوا، وأما قوله: والكاف من قوله كأن، يصح أن تكون في موضع الصفة لليوم، فلا يصح لأنّ يوم نحشرهم معرفة، والجمل نكرات، ولا تنعت المعرفة بالنكرة. لا يقال: إنّ الجمل الذي يضاف إليها أسماء الزمان نكرة على الإطلاق، لأنها إن كانت في التقدير تنحل إلى معرفة، فهن ما أضيف إليها يتعرف وإن كانت تنحل إلى نكرة كان ما أضيف إليه نكرة، تقول: مررت في يوم قدم زيد الماضي، فتصف يوم بالمعرفة، وجئت ليلة قدم زيد المباركة علينا. وأيضاً فكأن لم يلبثوا لا يمكن أن يكون صفة لليوم من جهة المعنى، لأنّ ذلك من وصف المحشورين لا من وصف يوم حشرهم. وقد تكلف بعضهم تقدير محذوف بربط فقدره: كأن لم يلبثوا قبله، فحذف قبله أي قبل اليوم، وحذف مثل هذا الرابط لا يجوز. فالظاهر أنها جملة حالية من مفعول نحشرهم كما قاله ابن عطية آخراً، وكذا أعربه الزمخشري وأبو البقاء.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [آية:٤٧ - ٤٩]:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ وأورد لهم دلائل الإرسال وردوا دلائله وما أسلموا له ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ (الهاء) للرسول وأحد الأمم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ العدل، وهو إهلاكهم وسلام الرسول والأولى اسلموا له، ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ لإهلاكهم أو إحلالهم دار الكدر والسوء مع عدم عمل طالح مؤد له.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ﴾ لهم، والأمر لمحمد رسوله الأكرم ردد الله له السلام ﴿لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدرأه ﴿وَلا نَفْعًا﴾ أحصله ﴿إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ دراه أو حصوله ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ معلوم لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آية:٥٠ - ٥٢]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ الموعود ﴿بَيَاتًا﴾ مساء حال عكس السهر ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ وكلاهما أمر مكروه لكم وما معها مكمل لعامل هو كمهما.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ﴾ وإسلامكم لدى حلوله كعدمه ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ المؤلم لكم على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ

أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [آية:٥٣ - ٥٦]:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ أرادوا إعلام الرسول لهم ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ وعدك وإرسالك ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أمر إرساله له السلام وما أوعدهم على عدم إسلامهم كلاهما حاصل، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ما أوعدكم الله مدرك لكم.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ لإلحادها ﴿مَا فِي الأَرْضِ﴾ أموالهما كلها ﴿لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ المراد: أسرها رؤساء مكرهم روع الملام، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ وهو مكرر لوروده حكما للأمم كما أدى عملهم، وورود الأول للرسل مع أممهم.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما حواه كلاهما ملكا ومملكا ﴿أَلا إِنَّ وَعْدَ اللهِ﴾ ما أوعده ووعده لكل طائع وعاص ﴿حَقٌّ﴾ صادر حكم وعده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ إلا ما راوه، وهو حال الدار الأولى وحطامها.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لدى المعاد وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آية:٥٧، ٥٨]:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كلام حوى ما على كل أحد وماله وهو كلام الله المكرم، ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ لكل داء وهم، أو إلحاد وسط الصدور، ﴿وَهُدًى﴾ دال إلى المسلك الموصل لله، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ﴾ هو الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ كلامه المكرم ﴿فَبِذَلِكَ﴾ أومأ إلى الإسلام وكلامه المكرم ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وهو حطام الدار الأولى، وروواه راوٍ لسوى السامع.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ

ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [آية:٥٩، ٦٠]:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾ اعلموا ﴿مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا﴾ ككل حام حرموه وهو حلال ﴿وَحَلالاً﴾ ككل ما أسالوا دمه على سوى اسم الله وادعوا حله وهو حرام ﴿قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ لادعائكم ورود أمر الله حكم عملكم، ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أما هم وأردوا موارد أعمالهم ﴿إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أعطاهم إدراكا وإرسال لهم رسلا، وأوحى لهم كلاما، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ آلاءه وأكرمه لهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1] [آية:٦١، ٦٤]:

﴿وَمَا تَكُونُ﴾ الكلام لمحمد ردد الله له السلام ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر، ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ﴾

(١) قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿مَا﴾ للجحد؛ أي لست في شأن، يعني من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليك. والشأن الخطب، والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب ما شأنت شأنه، أي ما عملت عمله. ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في ﴿مِنْهُ﴾ تعود على الشأن، أي تحدث شأنا فيتلى من أجله القرآن فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فيتلى. وقال الطبري: ﴿مِنْهُ﴾ أي من كتاب الله تعالى. ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أعاد تفخيما؛ كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللهُ﴾ [القصص: ٣٠]. ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم والأمة. وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطاب له والمراد هو وأمته؛ وقد يخاطب الرسول والمراد هو وأتباعه. وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾ أي نعلمه؛ ونظيره ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٤] ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي تأخذون فيه، والهاء عائدة على العمل؛ يقال: أفاض فلان في الحديث والعمل إذا اندفع فيه..انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥٥/٨).

(الهاء) للأمر المحرر أو لله علا اسمه وسما كماله ﴿مِنْ قُرْءَانٍ﴾ أوحاه لك ﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ عمم الكلام للرأس والمرؤوس ﴿إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ المراد الإطلاع ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (الهاء) للعمل.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ﴾ عامل ومعمول ﴿وَلا أَكْبَرَ﴾ رد الواو عاملا على عامل ومحمول الأول ﴿إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو اللوح.

﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ﴾ الأولى والوه سلوكا على أوامره ووالاهم إكراما ﴿لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لحصول مكروه لهم، ﴿وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لعدم وصولهم إلى ما أملوه، وهم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله لسلوكهم على مسلك أوامره.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ كل أمر مسر رآه أحدهم حلما كما رواه الحاكم وصححه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور السرمد ﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ وعوده ﴿ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آية:٦٥، ٦٦]:

﴿وَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ وادعاؤهم عدم إرسالك ﴿إِنَّ﴾ مكسورا على أول الكلام ﴿الْعِزَّةَ لِلهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلامهم ﴿الْعَلِيمُ﴾.

﴿أَلا إِنَّ لِلهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا، ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿شُرَكَاءَ﴾ كود وسواع ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ﴾ أوهاما لا دلائل معها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾ مدعو ما لا أصل له.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [آية:٦٧]:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ سلك الكلام على اصطلاح المرسل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع إدراك.

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلْأَرْضِۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [آية:٦٨ - ٧٠]:

﴿قَالُوا﴾ **الواو للهود وكل مدع مدعاهم** ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ **ما حواه كلاهما ملكا ومملوكا** ﴿إِنْ﴾ **ما** ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ **دال مصحح** ﴿بِهَذَا﴾ **أومأ إلى ادعاء الولد له** ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ﴾ **كادعاء الولد** ﴿لا يُفْلِحُونَ﴾ **كل مدع له ما هو مسعود أمدا ما دام على إصراره** ﴿مَتَاعٌ﴾ **محمول على مطروح هو مدعاهم أو أولى كلام محموله مطروح وهو لهم** ﴿فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ **لدى حلول أعمارهم وورود حمامهم** ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [آية:٧١ - ٧٤]:

﴿وَاتْلُ﴾ **الأمر لمحمد رسوله ردد الله له السلام له** ﴿عَلَيْهِمْ﴾ **على أهل الحرم** ﴿نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ﴾ **عسر** ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ **على دعائكم إلى الإسلام** ﴿وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ **الواو واو مع،** ﴿ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ **معمى** ﴿ثُمَّ اقْضُوا﴾ **أدوا** ﴿إِلَيَّ﴾ **أمركم** ﴿وَلا تُنْظِرُونِ﴾ **ولا أروم إمهالا.**

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ **عما ادعوكم إلى سلوكه** ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلا

عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الإسلام الأولى سلموا لحكمه وأمره.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ (الهاء) للرسول ردد الله له السلام والأولى معه ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ المراد: أمرهم إلى الهلاك.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) للرسول المسطور ﴿رُسُلا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كوالد الرسل وهود وصالح ﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم وصححوا دعواهم ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ حال عدم دعاء رسول لهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟
وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟
أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ
لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ
لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ
إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن
فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ
﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟
عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ
ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا

ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨٩﴾

۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ
أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ
ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي
شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [آية:٧٥ - ٩٧]:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ وعلموه العلم الطارد لكل وهم ﴿قَالُوا﴾ مرودا ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سحر ماهر ساحره ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ سحر ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وعامله مسعد وماح سحر كل ساحر، ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ ولو سحرا لما سعد عامله ولا محا سحرا سواه.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ المراد: رده لهم ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ هو ركوعهم لما هو كود وسواع، ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ الملك، ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾ وروى راوٍ: سحار، ﴿عَلِيمٍ﴾ ماهر ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ وسألوا موسى الطرح أولا.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا﴾ ما معهم كل عصا وسواها ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ﴾ (ما)

اسم موصول أو كلام محموله ﴿السِّحْرُ﴾[1] ورواه راوٍ ﴿السحر﴾ على السؤال محمول على أول كلام مطروح هو هو، وعلى ما رواه ما الأولى للسؤال ﴿إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ أوامره وأحكامه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿فَمَا آمَنَ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ (الهاء) لعدو موسى ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾[2] المراد: مع روعهم ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ ردا إلى مسلكهم الأول، ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ عاد حد طوره.

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لما رأى روعهم ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا﴾ لا على سواه ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ محلها لأمر، وهو لو حصل لهم العلو أهل الإسلام لادعوا سلوكهم على مسلك الهدى ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا﴾ كلكم

---

(١) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحْدَهُ ﴿آلسِّحْرُ﴾ بِالْمَدِّ جَعَلَ " مَا " بِمَعْنَى أَيْ وَالتَّقْدِيرُ: أَيُّ شَيْءٍ جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ هُوَ؟ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ وَهَذِهِ الأَلِفُ تَوْبِيخٌ فِي لَفْظِ الاسْتِفْهَامِ فَهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ سِحْرٌ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ أَيِ: الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ، و" مَا " ابْتِدَاءٌ و" جِئْتُمْ بِهِ " صِلَتُهُ، و" السِّحْرُ " خَبَرُ الابْتِدَاءِ كَمَا تَقُولُ: الَّذِي مَرَرْتُ بِهِ زَيْدٌ، وَفِي حَرْفِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلامٍ، وَفِي قِرَاءَتِنَا بِالأَلِفِ وَاللامِ، لأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، فَكُلُّ نَكِرَةٍ إِذَا أُعِيدَتْ صَارَتْ مَعْرِفَةً، وَفِي حَرْفِ أُبَيٍّ: ﴿مَا أَتَيْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾. وَحَدَّثَنِي ابْنُ مُجَاهِدٍ، عَنِ السِّمَّرِيِّ، عَنِ الْفَرَّاءِ، قَالَ: يَجُوزُ فِي النَّحْوِ " مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ " بِالنَّصْبِ، عَلَى أَنْ يَجْعَلَ " مَا " شَرْطًا، وَجَوَابُهُ الْفَاءُ مُضْمَرَةٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَتَلْخِيصُهُ: فَإِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.[إعراب القراءات السبع:١/٢٧٣].

(٢) قال أبو جعفر النحاس: ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ ولم يقل: وملائه. ففي هذا ستة أجوبة: منها: أن فرعون لما كان جبارا خبر عنه بفعل الجميع، ومنها أن فرعون لما ذكر علم أن معه غيره، فعاد الضمير عليه وعليهم، وهذا أحد جوابي الفراء، ومنها أن تكون الجماعة سميت بفرعون، مثل: ثمود. وجواب الفراء الآخر: أن يكون التقدير: على خوف من آل فرعون. مثل: ﴿واسأل القرية﴾. وهذا الجواب على مذهب الخليل وسيبويه خطأ، لا يجوز عندهما: قامت هند وأنت تريد غلامها. والجواب الخامس: مذهب الأخفش سعيد: أن يكون الضمير يعود على الذرية، أي: وملأ الذرية. والجواب السادس: كأنه أبينها يكون الضمير يعود على قومه.

﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ مصلى، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ أكملوها، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حالا علوا على الأعداء ومآلا دار المأوى والسرور السرمد.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ المسلك المؤسس للعوالم لسلوكه ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ أهلكها، والطمس المحو، ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ المؤلم وهو دعاء على عدوه وملأه.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ موسى وردؤه، ولما دعا الله موسى الله له السلام سأل الله ردؤه حصول ما موله وطمس الله أموالهم وأهلكها ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ دوما على حالكما وهو دعاء الأمم إلى الإسلام، ﴿وَلا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ﴾ مسلك ﴿الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ وهو رومهما إسراع حلول الهلاك وداما أعواما عدد موعد موسى ردد الله لهما السلام.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ ووصلوا إلى ساحله ﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ أدركهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ عولا، وهو عكس العدل ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الأول ﴿لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كررا الإسلام طمع عدم رده وكلمه الملك الروح:

﴿ءَالآنَ﴾ حصل إسلامك ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ المراد: طرحه إلى الساحل مع عدم الروح لعلمهم هلاكه لما عراهم وهم عدم هلاكه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ وراءك ﴿آيَةً﴾ لحسم دعوى ما ادعاه مع سماع ما آل أمره له، ورواه مطروحا على الساحل، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ دار إكرام وصلاح، وهو مصر وسواها، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ﴾ المأكل ﴿الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وصار إطلاعهم على ما أوحاه الله لموسى ردد الله له السلام وعملوا أحكامه، أو المراد: علم إرسال محمد صلى الله على روحه وسلم لدلائله المعلوم أمرها لهم؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وحكمه إكرام أهل الإسلام والهدى وإهلاك أهل الإلحاد والعمى.

﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ الكلام للرسول الأكرم محمد ردد الله أسمى سلام له وإكرام، أو لكل سامع ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مما حصل لموسى مع عدوه وسواه مما حكمه،

والمراد على الأول، وهو ورود الكلام للرسول ولو حصوله محال لك ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ هو الموحى إلى موسى ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ هل الأمر والحال كما ورد لك أم لا، وحاصل كلام الرسل ردد الله له السلام لما أوحى الله له الحكم المسطور لا أوهم ولا أسال ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أهل الأوهام عما ورد لك، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ورد الحكم المسطور حسما لطمع أعداء الله أهل الإلحاد وورومهم رده وعدو له أوحاه له مولاه علا اسمه وسما حمده.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ المراد: أعمارهم وهم على إصرارهم على عدم الإسلام ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ وحال مرآهم له إسلامهم مردود كما رد إسلام عدو موسى لما أسلم حال مرآه الهلاك.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأَمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آية:٩٨، ٩٩]:

﴿فَلَوْلا﴾ هلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ المراد: أهلها ﴿آمَنَتْ﴾ حال عدم ورود هلاكهما ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ أول ما رأوا علم الهلاك وما أمهلوه إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ حلول أعمارهم وورود حمامهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ﴾ على أمر ما أراده الله لهم وهو إسلامهم ﴿حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا، وحصوله محال أوحاه الله لما حرص الرسول ردد الله له السلام على إسلام أهل الإلحاد.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية:١٠٠]:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ مراده لها الإسلام، ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ﴾

الهلاك ﴿عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ دلائله وأحكامه.

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آية:١٠١، ١٠٣]:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [1] وكلها دلائل على الواحد الأحد وكمال علمه، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ﴾ الدلائل ﴿وَالنُّذُرُ﴾ الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعدم مراد الله لهم الإسلام.

﴿فَهَلْ﴾ ما ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ لما مردوا على أوامر الله ﴿إلا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو حلول الهلاك كما حل على الأمم الأول ﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا﴾ المراد: هلاك الأمر ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ هلاككم.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ حكى الحال المار أمرها ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الرسول، وأهل الإسلام حال حلول الهلاك على أهل الإلحاد.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آية:١٠٤ - ١٠٦]:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ هل هو على الهدى أم لا ﴿فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه كود وسواع، ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي

---

(١) قال المفسرون: قل للمشركين الذي يسألونك الآيات على توحيد الله انظروا بالتفكر والاعتبار ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر التي تدل على وحدانيته ونفاذ قدرته كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر وكل هذا يقتضي خالقا مدبرا وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين. انظر زاد المسير(٤/٦٨)

يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ﴾ رد الواو محصل المصدر وما معه على محصل مصدر ولو وصل العامل المردود وأرادا أمرا وهو ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ سالكا على مسلك أحكامه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا له عما سواه، ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكَ﴾ دعاؤه، ﴿وَلا يَضُرُّكَ﴾ عدم دعائه، ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ولو حصوله محالا ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [آية:١٠٧]:

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ﴾ كعدم أو داء ﴿فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ﴾ إلا الله وحده، ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ المراد لك لعدم رد أحد مراد الله ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ (الهاء) للمراد لا للماس الأول ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [آية:١٠٨، ١٠٩]:

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أهل الحرم ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ رسوله الأكرم ردد الله له أكمل السلام وكلامه المكرم ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ إسلاما لرسوله وسلوكا على مسلك كلامه ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لحصول صالحه له لا لسواه.

﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ لا أسلم للرسول ولا سلم للأحكام ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ لأكرهكم على الهدى.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ﴾[1] وحكمه سل الرسول حسامه على كل ملحد، ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ لاطلاعه على السرائر إطلاعه على عكسها.

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ قيل: نسخ بآية القتال: وقيل: ليس منسوخا؛ ومعناه اصبر على الطاعة وعن المعصية. وقال ابن عباس: لما نزلت جمع النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال: "إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" وعن أنس بمثل ذلك؛ ثم قال أنس: فلم يصبروا فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨/٣٨٨).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة هود

مكية، وآيها مائة وثلاث وعشرون آية

﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ [آية:١ - ٥]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد على الأصح ﴿كِتَابٌ﴾ محمول على أول كلام مطروح وهو كلام المكرم ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ وما درر السلك ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ سورا وأحكاما ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ وهو الله لـ ﴿أَلا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ لكل عاص، ﴿وَبَشِيرٌ﴾ لكل طائع.

﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾(١) مما هو إلحاد ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ اسلكوا على مسلك أوامره ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ هو صلاح أحوالكم مدى العمر ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم، وهو حلول أعماركم، وورود حمامكم، ﴿وَيُؤْتِ﴾ لدى المعاد ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ معامل أهل العمل الصالح على صلاحهم، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ مطروح ما كأوله

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: ﴿وأن استغفروا ربكم﴾: عطف على " ألا تعبدوا "، ﴿ثم توبوا إليه﴾؛ ثم توصلوا إلى مطلبكم بالتوبة؛ فإن المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع. وقيل: استغفروا من الشرك، ثم توبوا إليه بالطاعة، ويجوز أن يكون " ثم ": للتفاوت بين الأمرين. انظر البحر المديد: (٣/٢٦٤).

﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو المعاد.

﴿إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ أمالوها إلى الإلحاد وأسروا أمرهم ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ (الهاء) عائد لله ﴿أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ لدى مأواهم إلى وطائهم ﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾ ما حواه وأسره صدرهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ سرهم وعكسه سوا ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [آية:٦]:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ وعد إكرام وأورد إلا لوصول ما كلها على كل حال ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مال أمرها أو الأرحام أو محل مأواها ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مودعها وهو المواد ﴿كُلٌّ﴾ مأواها ومودعها وأحوالها ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح ﴿مُبِينٍ﴾ محرر ومسطر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [آية:٧، ٨]:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ﴾ هو واحد سرر الملك ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ المراد: عدم الحائل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ معلول اللام وصل الاسم الموصول ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا﴾ المراد: أطوع، ﴿وَلَئِنْ قُلْتَ﴾ لهم والكلام للرسول محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أومأوا إلى ما حكاه الرسول لهم أو إلى الكلام المكرم، وروى راوٍ محل إلا سحر إلا ساحر، وأرادوا الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ﴾ الموعود ﴿إِلَى أُمَّةٍ﴾ مدد ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ ماله ما ورد ولا حل ﴿أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ أحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو الهلاك.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ [آية:٩ - ١٢]:

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ المراد: سوى المسلم ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ واحد الآلاء أموالا وسواها ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ﴾ مال أو صحاح ﴿بَعْدَ ضَرَّاءَ﴾ عدم أو داء ﴿مَسَّتْهُ﴾ المس أول الوصول ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾ كل أمر مكروه ساءه ﴿عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾ على العالم ﴿إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على اللأواء وسلموا الحكم لله ومراده، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ حمدوا مولاهم على كل الأحوال أو حمدوا على السراء وسلموا لدى اللأواء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو دار المأوى والسرور الدائم.

﴿فَلَعَلَّكَ﴾ الكلام لمحمد ردد الله لروحه أكمل سلام ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ روع رد أهل الإلحاد له، ﴿وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ روع ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾ أموال لإعطائه للعالم على سلوكهم ما دعاهم له كالملوك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ مصحح أمر أسأله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ أمرك أداء ما أوحاه لك مولاك لا ما سألك أهل الإلحاد ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ عالم أحوالهم ومعاملهم على سوء أعمالهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [آية:١٣، ١٤]:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (الهاء) لكلام الله المكرم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ﴾ كأحكام سرده ومؤداه ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ مما هو كلامكم، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه وصححوا مدعاكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ الواو لكل مدعو سوى الله ﴿فَاعْلَمُوا﴾ الأمر لأهل الإلحاد ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ﴾ (و) اعلموا (أن) أصله العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ المراد: أسلموا.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [آية:١٥، ١٦]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾(١) سرد ورد لكل مراء أعطى ورائى لا لله

---

(١) قال القرطبي: فيه ثلاث مسائل: - الأولى: - قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ﴾ كان زائدة، ولهذا جزم بالجواب فقال: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ قاله الفراء. وقال الزجاج: ﴿مَنْ كَانَ﴾ في موضع جزم بالشرط، وجوابه ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ أي من يكن يريد؛ والأول في اللفظ ماضي والثاني مستقبل واختلف العلماء في تأويل هذه الآية؛ فقيل: نزلت في الكفار؛ قال الضحاك، واختاره النحاس؛ بدليل الآية التي بعدها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾ [هود: ١٦] أي من أتى منهم بصلة رحم أو صدقة نكافئه بها في الدنيا، بصحة الجسم، وكثرة الرزق، لكن لا حسنة له في الآخرة. وقد تقدم هذا المعنى في "براءة" مستوفى. وقيل: المراد بالآية المؤمنون؛ أي من أراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب ولم ينقص شيئا في الدنيا، وله في الآخرة العذاب لأنه جرد قصده إلى الدنيا، وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات" فالعبد إنما يعطى على وجه قصده، وبحكم ضميره؛ وهذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة. وقيل: هو لأهل الرياء؛ وفي الخبر أنه يقال لأهل الرياء: "صمتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك" ثم قال: "إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار". رواه أبو هريرة، ثم بكى بكاء شديدا وقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ وقرأ الآيتين، خرجه مسلم [في صحيحه] بمعناه والترمذي أيضا. وقيل: الآية عامة في كل من ينوي بعمله غير الله تعالى، كان معه أصل إيمان أو لم يكن؛ قال مجاهد وميمون بن مهران، وإليه ذهب معاوية رحمه الله تعالى. وقال ميمون بن مهران: ليس أحد يعمل حسنة إلا وفي ثوابها؛ فإن كان مسلما مخلصا وفي في الدنيا والآخرة، وإن كان كافرا وفي في الدنيا. وقيل: من كان يريد [الدنيا] بغزوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيها، أي وفي أجر الغزاة ولم ينقص منها؛ وهذا خصوص والصحيح العموم. الثانية: - قال بعض العلماء: معنى هذه الآية قوله عليه السلام: "إنما الأعمال بالنيات" وتدلك هذه الآية على أن من صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع عن رمضان، وتدل على أن من توضأ للتبرد والتنظف لا يقع قربة عن جهة الصلاة، وهكذا كل ما كان في معناه. الثالثة: - ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية مطلقة؛ وكذلك الآية التي في "الشورى" ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠] الآية. =

ورسوله ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ كل عمل صالح عملوه كإعطاء معدم ووصل رحم ﴿فِيهَا﴾ (الهاء) للدار الأولى، والمراد: إعطاؤه لهم الأولاد لهم الأولاد والمال الواسع وسواهما ﴿وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ﴾ ما أعطوه على صالح أعمالهم كاملا.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ﴾ لما عوملوا على صالح أعمالهم أولا وأعطوا الآلاء على ما عملوه كله حكم العدل، ورودهم موارد طالح أعمالهم وهو سوء الدار، ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ (الهاء) لدار المعاد، ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لوروده لا لله ورسوله.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [آية:١٧]:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كلامه المكرم وهم الرسول ردد الله لروحه السلام وأهل الإسلام، ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ آمه ﴿شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ الهاء لله وهو الملك الروح، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ المراد: كلام الله ﴿كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ إلى الموحى لهم، والمراد: أهؤلاء كالأولى ما هم على أمر حرر وسطر لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أومأ إلى الأولى على الهدى ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ كلام الله ولهم دار السرور الدائم، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ﴾ أهل الحرم، والأولى مالؤا معهم على رسول الله ردد الله له السلام ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ وهم مما حرر وهو حصول الموعد لهم أو الكلام المكرم ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ

=

وكذلك ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥] قيدها وفسرها التي في "سبحان" ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] إلى قوله: ﴿مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] فأخبر سبحانه أن العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد، وروى الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أنها منسوخة بقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإسراء: ١٨]. والصحيح ما ذكرناه؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد؛ ومثله قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داع دائما على كل حال، وليس كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١] والنسخ في الأخبار لا يجوز؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، ولاستحالة الكذب على الله تعالى فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه، على ما هو مذكور في الأصول. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٣/٩).

رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ لعدم إدراكهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَـٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:١٨ - ٢٢]:

﴿وَمَنْ﴾ لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ كدعوى الولد أو إله معه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد مع الأمم، ﴿وَيَقُولُ الأَشْهَادُ﴾ للرسل على أدائهم لأممهم ما أوحاه الله لهم وعلى عدم إسلام الأمم ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المراد: أهل الإلحاد.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ المأمور كل أحد إلى سلوكها، والمراد: الإسلام، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مائلا مسلكها عما هو هدى ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ وكررهم مؤكدا للحادهم ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ لرد ما أعده لهم ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ لما دلوا سواهم على سوء المسلك وصاروا إماماً لهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ لكل كلام دال على الهدى وصاروا كالأصم، ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ دلائله لعمه صدورهم، أو لما هو أمر مكروه.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمآل أمرهم إلى الهلاك الدائم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ وهو ادعاء إله سوى الله، ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آية:٢٣، ٢٤]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ هدأوا ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أهل الإسلام وعكسهم ﴿كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ﴾ هم أهل الإلحاد، ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هم أهل الإسلام ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ لا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ
إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ
إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ
لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَـٰذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ (٢٨)
وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ
إِنَّهُم مُّلَـٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن
طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ
أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ (٣١) قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ
أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ
إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ (٣٥) وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا
مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ (٣٦) وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا
تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٣٧) وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن
قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ

تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا
وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا
وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ
ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ
إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ
بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى
وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ
ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ
أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ
يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ
يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[(١)][آية:٢٥ - ٤٩]:

---

(١) قال أبو حيان الأندلسي: هذه السورة في قصصها شبيهة بسورة الأعراف بدئ فيها بنوح، ثم يهود، ثم بصالح، ثم بلوط، مقدّماً عليه إبراهيم بسبب قوم لوط، ثم بشعيب، ثم بموسى وهارون، صلى الله على نبينا وعليهم أجمعين. وذكروا وجوه حكم وفوائد لتكرار هذه القصص في القرآن. وقرأ النحويان وابن كثير: أني بفتح الهمزة أي: بأبي، وباقي السبعة بكسرها على إضمار القول. وقال أبو علي في قراءة الفتح: خروج من الغيبة إلى المخاطبة، قال ابن عطية: وفي هذا نظر، وإنما هي حكاية مخاطبة لقومه وليس هذا حقيقة الخروج من غيبة إلى مخاطبة، ولو كان الكلام أنْ أنذرهم أو نحوه لصح ذلك انتهى. وأنْ لا تعبدوا إلا الله ظاهر في أنهم كانوا يعبدون =

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي﴾ ورواه راوٍ مكسورا ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿أَنْ لا تَعْبُدُوا إِلا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وهو وارد مورد أمسه ساهر.

﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الرؤساء ﴿مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ أحط العالم سؤددا ﴿بَادِيَ﴾ المراد: أول ﴿الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ مؤهلكهم لأمر الإرسال وحصول السؤدد ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ كلموا الرسل وأهل الإسلام معه مع عدم ادعاء أهل الإسلام الإرسال إلا للرسول وحده وما ادعوه لهم لأمر وهو لما سلموا للرسول ما ادعاه وأسلموا له صاروا معه كالواحد وله حملهم لهم على ادعائهم كلهم ما لا أصل له على دعواهم وسوء مسلكهم ومسراهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ دال مصحح لما أدعوكم له، ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ إرسالا أو ما هو أعم ﴿مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم مكررا ما أم الأول كسمى ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وما حصلها إدراككم ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ المراد: ما هو مكرهوهم على سلوكهم مسالك الهدى ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾.

﴿وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) عائد على معلوم وهو أداؤه ما أوحاه الله له ﴿مَالا إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللهِ﴾ هو المأمول، ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ رد لسواهم له طردهم ﴿إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ﴾ لدى المعاد وطاردهم معامل على طرده لهم، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ أمر المعاد أو مآل الأمور.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ المراد: لا أحد ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ﴾ أمواله، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ مراده: ما ادعى أمرا أداهم إلى ردهم دعواه لعدم سؤدده أو ورود حاله وحالهم واحدا

=

الأوثان كما جاء مصرّحاً في غير هذه السورة، وأن بدل من أي لكم في قراءة من فتح، ويحتمل أن تكون أنْ المفسرة. وأما في قراءة من كسر فيحتمل أن تكون المفسرة، والمراعى قبلها: أما أرسلنا وإما نذير مبين، ويحتمل أن تكون معمولة لأرسلنا أي: بأن لا تعبدوا إلا الله، وإسناد الألم إلى اليوم مجاز لوقوع الألم فينه لا فيه. انظر تفسير البحر المحيط (٥/٢١٤)

وكلهم ولد آدم أوامرا إدراكه محال، ﴿وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا﴾ ما أعده لهم أعلى مما أعطاكم ﴿اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ إرسالا ووعدا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ﴾ هلاككم على الإسراع أو الإمهال، ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله لو أراد حلول الهلاك.

﴿وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ ومكمل العامل الوارد وراء لكم داله ولا وما معه ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ (الواو) لأهل الحرام ﴿افْتَرَاهُ﴾ محمد رسول الله ردد الله له السلام، والهاء لكلام الله المكرم ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هو حملهم الرسول على إصداره كلام الله وادعائه وروده له.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ حاصله حصول الكدر ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ هو إلحادهم وردهم لدعوى إرساله، وسأل الله هلاكهم ولما حصل ما سأله مولاه أصدر له الله أمره وهو:

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ مع مرآى، والمراد: كلؤه ﴿وَوَحْيِنَا﴾ لك، ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ سائلا عدم إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ حكى الحال المار عصرها، ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ لعمله لها ووسط المهمه لا على ساحل الماء ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ حال هلاككم وحصول السلام لأهل الإسلام مع رسولهم، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الهلاك حال ورود الماء ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم وهو دار السوء والكدر السرمد.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ صدر للهلاك، ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ المعلوم وعلاه الماء وهو دال الرسول والد سام على ورود الهلاك ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ كالمرء وأهله ولد آدم وسواهم مما هو لصدور الولد ﴿وَأَهْلَكَ﴾ حرمك وأولادك ﴿إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ المراد: على وروده مورد الهلاك أحد أولاده وأمه سوى سام وحام

وأهلهم، وحمل أهله وأولاده وأهلهم وما وردا الله لحمله لهم، ﴿وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾ رهط مع أهلهم وحمل الكل وسطها وأعطى دركها للحمر وما حكمه كحكمها وأوسطها لولد آدم وأعلاها للطائر.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ رواهما راوٍ على المصدر كمرمى، وراوٍ كمعطى ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لكل طائع ولولاهما لأهلك الكل.

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ علوا إلى السماء، ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ ولده له ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ﴾ والده له ﴿لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ إهلاكه ﴿إِلا مَنْ رَحِمَ﴾ الله هو المعصوم أو إلا الراحم وهو الله ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ المراد: إمساكها لحلول الأمطار، ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ همد وهداء، ﴿وَقُضِيَ الأمْرُ﴾ أمر هلاكهم، ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ اسم طود حول الموصل أو آمد، ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ ووعدك عدم هلاك الأهل عمه ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم وأعلمهم لحكمك مع العلم الكامل.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ﴾ (الهاء) للولد ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أهل مسلكك ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (الهاء) للولد، والمراد: ما حال ومسراه حال أهل الصلاح أو عائد إلى السؤال، والمراد: سؤالك عدم هلاكه ما هو عمل صالح ﴿فَلا تَسْأَلْنِ﴾ ورواه راوٍ مكررا ما أم اللام ومؤكدا سأل ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لعدم لمح الرسول والد حام ردد الله له السلام ما دل وأهلك إلا.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلا تَغْفِرْ لِي﴾ ما صدر وحصل ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أعمالا.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا﴾[1] سلام إكرام أو سلام عما هو مكروه له ﴿وَبَرَكَاتٍ

---

(١) قوله تعالى ﴿يا نوح اهبط﴾ قال ابن عباس يريد من السفينة إلى الأرض بسلام منا أي بسلامة قوله تعالى ﴿وبركات عليك﴾ قال المفسرون البركات عليه أنه صار أبا للبشر جميعا لأن جميع الخلق من نسله وعلى أمن معك قال ابن عباس يريد من ولدك قال ابن الأنباري المعنى من ذراري من
=

عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ المراد: وعلى أمم هم معك أو على أولادهم، ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ أموالا وسواها طول عمرهم، ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لدى حلول أعمارهم وعودهم المعاد وهم أهل الإلحاد.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى ما حواه السرد، وهو أمر الرسول والد سام ردد الله له السلام وما حصل له مع الأمم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ محمول الاسم المار ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ محمول أم محمولا أو حال معمول عامل الكسر، أو هو المحمول وحده وعامل الكسر إما مكمل له ومحله وراءه أو حال الهاء ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم وما وما معها محمول لما أومأ أولا أو حال الهاء، ﴿فَاصْبِرْ﴾ على مر الإرسال كما حمل والد سام طول المدد، والأمر للرسول الأكرم ردد الله لهما أكمل السلام والإكرام ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ المحمود أمرها ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الإلحاد، وكل سلوك مصادم لأوامر الله علا اسمه.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا

=

معك والمراد المؤمنون من ذريته ثم ذكر الكفار فقال وأمم أي من الذرية أيضا والمعنى وفيمن نصف لك أمم وفيمن نقص عليك أمره أمم سنمتعهم أي في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب أليم في الآخرة قال محمد بن كعب القرظي لم يبق مؤمن ولا مؤمنة في أصلاب الرجال وأرحام النساء يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا وقد دخل في ذلك السلام والبركات ولم يبق كافر إلا دخل في ذلك المتاع والعذاب ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين﴾.
انظر زاد المسير: (١١٥/٤)

ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾
مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن
دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم
مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم
مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ
جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ
أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [آية:٥٠ - ٦٠]:

﴿وَإِلَى عَادٍ﴾ معمول لإرسال مطروح ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملأ ﴿هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا مُفْتَرُونَ﴾ على الله لركوعكم إلى ما كود وسواع وادعائكم إلها معه لا إله إلا هو.

﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على الدعاء إلى الإسلام ﴿أَجْرًا﴾ مالا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ كل الرسل كلموا أممهم على سرد واحد طرد الحلول أوهام الأمم محل أطماع الرسل ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ مطالع الهدى.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ لكل إلحاد صدر ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عودوا واسلكوا على مسلك أوامره ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ درًّا ما، ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ أموالا وأولادا وعدد لهم آلاء المطر والأولاد لما عراهم وسد الأرحام، ﴿وَلا تَتَوَلَّوْا﴾ عما أدعوكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مراده أولوا إصرار على سوء مسراكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أمر دال على مدعاك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ﴾ مؤد مؤدى اللام ﴿قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ حسما لطمع حصول إسلامهم له ﴿إِنْ﴾ ما ﴿نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ لمم لسدك مسالك الركوع لها ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي﴾ حاولوا كل مكروه وهلاك وصل عملكم له ﴿جَمِيعًا﴾ مع كل إله لكم سوى الله ﴿ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ لا أروم إمهالكم ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي

وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ مالكها وله أمرها ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ﴾ مسلك ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ سوى، وهو مسلك العدل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ طرح مأكوله ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا﴾ لإلحادكم وادعائكم معه سواه ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ كالئ لأعمالكم ومعاملكم على سوء مسراكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هو هلاكهم ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هدى ﴿مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ أومأ إلى دورهم ومحالهم أو إلى لحودهم ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ عدد الرسول لأمر وهو كل عاص رسولا واحدا كعاص الرسل كلهم ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ الواو لإحطائهم ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ وهم رؤساؤهم.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ على ممر الدهور ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ على ملاء العوالم كلهم.

﴿أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ المراد: آلاؤه ﴿أَلا بُعْدًا لِعَادٍ﴾ هلاكا لهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ وأورد ملأ هود حصرا لهم عما سواهم وهم عاد إرم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ

ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ [آية:٦١ - ٦٨]:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ﴾ معمول لأرسل مطروح ﴿أَخَاهُمْ﴾ ملاء ﴿صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحدوه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ﴾ المراد: والدكم آدم ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ أو المراد: مواد أصلكم وهو الماء الحال الرحم ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ﴾ أطال عمركم ﴿فِيهَا﴾ أو أرسلكم عمارا لها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ لكل إلحاد صدر ﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ عودوا واسلكوا مسالك أوامره ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ علما واطلاعا على الأمم وكل عائد له ﴿مُجِيبٌ﴾ كل داع وسائل.

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ مأمولا لك السؤدد ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الكلام الصادر ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ حكى الحال المار عهدها ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ وهو الإسلام إلى الله والعدول عما هو كود وسواع ﴿مُرِيبٍ﴾ مؤد لها.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةً﴾ دال ﴿مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ المراد: ما عم الإرسال ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لكل عاص ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ مهملا لأوامره ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ سالكا على مسالككم ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ لمال الأمر إلى الهلاك، ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً﴾ معمول على الحال وعامله مؤدى ما أومأ ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أمروا أحدهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عمروا ﴿فِي دَارِكُمْ﴾ الأولى أو الدور ﴿ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ وردوا موارد الهلاك ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ هو هلاكهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ﴾ هدى ﴿مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ رواه راوٍ مكسورا، وراوٍ على عمل العامل محلا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ الهلاك المعد لهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هلكى ﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل وطرح اسمه ﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ (الهاء) للدار، والمراد: حالهم كحال الأولى لا وردوا إلى الدار ولا عمروا ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا﴾ هلاكا ﴿لِثَمُودَ﴾ رواهما راوٍ على وروده معلوم كأحمد، وراوٍ سالما.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً

قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا
بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى
شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ
يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ
إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا
سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ
وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ (٧٨) قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ
مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠)
قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ
ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن
سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ [آية:
٦٩ - ٨٣]:

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ الأملاك ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ لحصول الولد أو هلاك أمم لوط ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سلموا سلاما ﴿قَالَ﴾ أمركم ﴿سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ كل لحم حط على المرمر المحمى أو سواه أو هو اسم لما سال ودكه.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ ما مدوها للطعام ﴿نَكِرَهُمْ﴾ وهاله حصول مكروهم، ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أسر ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا﴾ له لما رأوا لوائح الروع ﴿لَا تَخَفْ إِنَّا﴾ أملاك ﴿أُرْسِلْنَا إِلَى﴾ إهلاك ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

﴿وَامْرَأَتُهُ﴾ (الهاء) لوالد الرسل ردد الله له السلام ﴿قَائِمَةٌ﴾ على الطعام

﴿فَضَحِكَتْ﴾ سرورا لهلاك ملاء لوط، أو المراد ورد دمها ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ لحرصها على الولد، ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده، والمراد: طول عمرها إلى ورود ولدها وولد ولدها.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾(١) أعوام عمرها عدد صاح ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ حال وأعوام عمره عدد صل ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وهو صدور الولد للهرم والهرمى.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ معمول أهل أما على المدح أو الدعاء ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَجِيدٌ﴾ أهل الكرم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ محل الروع صار ﴿يُجَادِلُنَا﴾ المراد: محاورا للرسل وهم الملائك ﴿فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ مؤملا عدم إسراع الرسل إلى هلاكهم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ﴾ دائم الدعاء إلى الله على أكمل حال الدعاء ﴿مُنِيبٌ﴾ عائد إلى الله، والمراد: سرد الأمر الحامل للرسول المسطور ردد الله له السلام على روم عدم إهلاك أمم لوط، ولما أطال الكلام مع الرسل دعوه.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وصدر لإهلاكهم، وهو عالم أحوالهم وأسرارهم، ﴿وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ لا راد له لا دعاء ولا سواه.

---

(١) قال الرازي: قوله: ﴿يَاوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو آلد بهمزة ومدة، والباقون بهمزتين بلا مد. المسألة الثانية: لقائل أن يقول إنها تعجبت من قدرة الله تعالى والتعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، بيان المقدمة الأولى من ثلاثة أوجه: أولها: قوله تعالى حكاية عنها في معرض التعجب ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَاذَا﴾ وثانيها: قوله: ﴿إِنَّ هَاذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ وثالثها: قول الملائكة لها ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ وأما بيان أن التعجب من قدرة الله تعالى يوجب الكفر، فلأن هذا التعجيب يدل على جهلها بقدرة الله تعالى، وذلك يوجب الكفر. والجواب: أنها إنما تعجبت بحسب العرف والعادة لا بحسب القدرة فإن الرجل المسلم لو أخبره / مخبر صادق بأن الله تعالى يقلب هذا الجبل ذهباً إبريزاً فلا شك أنه يتعجب نظراً إلى أحوال العادة لا لأجل أنه استنكر قدرة الله تعالى على ذلك. المسألة الثالثة: قوله: ﴿وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ فاعلم أن شيخاً منصوب على الحال، قال الواحدي رحمه الله: وهذا من لطائف النحو وغامضه فإن كلمة هذا للإشارة، فكان قوله: ﴿وَهَاذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ قائم مقام أن يقال أشير إلى بعلي حال كونه شيخاً، والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة. انظر تفسير الرازي (٣٧٦/١٨).

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ ساءه ورودهم، ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ لورودهم على صور مرد ملاح وراعه إطلاع ملأه على صورهم وأمهم لهم مع عدم الراد لهم عما أرادوه لو رأوا صورهم وهموا إلى عمل أمر معهم ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ وأمر عسر.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا ورود المرد إلى دار لوط ﴿يُهْرَعُونَ﴾ سراعا روما لحصول مأملهم ﴿إِلَيْهِ﴾ (الهاء) للوط ردد الله له السلام ﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وطء السه ﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ والمراد: الإعطاء على مسلك الإملاك لا العهر ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ سالك على الهدى ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ ولا مرام ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ عدد وعدد ومكمل لو هو لردعهم ولما رأى الملائك كدره وما حصل له.

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ حصص ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه لهول ما هو حال على ملأهم ولا مسلط على أحد حكما، والمراد: لوط ﴿إِلا امْرَأَتَكَ﴾ مطرود طرده إلا عما هو عموم للأهل وداله وروده على ما راو أمام ولا ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ ولما سأل الرسل إعلامهم له موعد هلاك ملأه أعلموا ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ وهو كالمعلل لأمر الإسراء، ولما رام لوط موعدا أسرع للهلاك سأله الرسل ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ الهلاك أوامر الهلاك ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (الهاء) عائد إلى محالهم أو دورهم سمكها الروح ردد الله له السلام إلى السماء وطرحها عاكسا لها أعلاها إلى محل دركها ودركها إلى محل أعلاها، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ هو اسم للطرس المحرر وسطه ما أعده الله لهم أو اسم لدار الهلاك الدائم والكدر السرمد أو اسم للحال المحمى وسطها ﴿مَنْضُودٍ﴾ واحد أم واحد مع إسراع الإرسال وعدم الإهمال.

﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلوم ومرسوم على كلها اسم مرماها ومهلكها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لدى عمله ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الحرم الحرام ﴿بِبَعِيدٍ﴾ لسلوكهم على مسلك مؤد لحلولها لإلحادهم وردهم إرسال محمد ردد الله له اسمى السلام.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا
تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ
أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا
يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا
بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ
أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ
كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ
﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى
بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ
فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ
ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [آية:٨٤ - ٩٥]:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ **معمول لأرسل مطروح** ﴿أَخَاهُمْ﴾ **ملأ** ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ **وحدوه** ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ **ردع مما هو سلوك على العول وعدم العدل، والأول أمر الملاك الأمر كله، وهو لا إله إلا الله** ﴿إِنِّي

أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ وسع مال وهو كالمعلل لدرعه لهم، ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾ مهلككم كلكم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ العدل، ﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكد لمؤدى العامل.

﴿بَقِيَّتُ اللهِ﴾ ما أحله لكم ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما حرم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ كالئ أعمالكم ومعاملكم على طالحها.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ كود وسواع ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ مردود مصدره رده أو على ما الموصل، ومرادهم كلاهما عكس الصلاح ﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ أرادوا عكسهما وأوردوهما على مسلك الحكم المؤكد لما أرادوا لومه على أمره لهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ اعلموا ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ علم أو إرسال ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا هل أروم حراما، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ﴾ المراد: ما أروم السلوك على مسلك ما أردع ﴿عَنْهُ﴾ واعاكس ما أمر ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ﴾ لأحوالكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُ﴾ الإصلاح وما للمصدر، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أعود لدى المعاد.

﴿وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ المراد: حملهم له محمل الأعداء مؤد إلى هلاكهم كما أهلك الله ملأ الرسول والد سام ردد الله له السلام، ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ عهدهم وعصرهم أو محلهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لكل عائد وداع ﴿وَدُودٌ﴾ مؤد كل طائع ومعامله كأحد أهل الود مع موادهم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ [1]مرادهم عدم إدراك كلامه لوروده عكس صالحهم على دعواهم ﴿كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ كرد عدد الإله إلى واحد وهو الله، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ﴾ أي ما نفهم؛ لأنك تحملنا على أمور غائبة من البعث والنشور، وتعظنا بما لا عهد لنا بمثله. وقيل: قالوا ذلك إعراضا عن سماعه، واحتقارا لكلامه؛ يقال: فقه يفقه إذا فهم فقها؛ وحكى الكسائي: فقه فقها وفقها إذا صار فقيها. انظر الجامع لأحكام القرآن (٩/٩١).

ضَعِيفًا﴾ لعدم العدد والعدد وحصول المكروه والسوء لك أمر سهل، ﴿وَلَوْلا رَهْطُكَ﴾ أرحامه الأولى على مسلكهم ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ إلى حصول هلاكك، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ﴾ (الهاء) لاسم الله ﴿وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ هو المعلوم وحول أوله للكسر لما أم رآه كما حولوا أول الدهر حال ورودها وراء رائه؛ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ مطلع ومعاملكم على سوء أعمالكم.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ المراد: على حاله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ﴾ اسم موصول معمول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا﴾ مآل أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ الهلاك أو امر الهلاك ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَنَّا﴾ هدى، ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ردد الله له السلام وأهلكهم، ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ هووا على كردوسهم هلكى.

﴿كَأَنْ﴾ أصله العامل كلعل واسمه (الهاء) مطروحا ﴿لَمْ يَغْنَوْا﴾ ما عمروا ﴿فِيهَا﴾ (الهاء) عائد للدار ﴿أَلا بُعْدًا﴾ دعاء هلاك ﴿لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ
أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ
﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ
وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ
وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ
﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ
فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا

مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا
مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ
مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ
نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ
سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ
رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١١﴾ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا
مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آية:٩٦ - ١١٥]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ الكلام الموحى له أو الدلائل على الإرسال على العموم، ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ دال أمره ساطع كالعصا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ سداد ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ المراد: هو أمامهم وهم وراءه، ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ المورد لهمود حر الأوام وما وردوه حار.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ الدار ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ طردا على ملأ العوالم ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ﴾ الردء ﴿الْمَرْفُودُ﴾ المردأ أو العطاء المعطى.

﴿ذَلِكَ﴾ المسطور كله ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ الكلام للرسول الأكرم الأطهر ردد الله له أكمل السلام ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ أساسه ودوره وأهله هلكوا، ﴿وَحَصِيدٌ﴾ درس رسمه مع أهله وصار كالمحصود، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ إهلاكا ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لما أوردوها موارد الهلاك كما ادعوا مع الله إلها سواه، ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ إهلاكه لهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ هلاك ودمار.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ المراد: أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ حال ﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم، ﴿شَدِيدٌ﴾ ولا مرد له.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ ما حصل إلى الأمم ﴿لآيَةً﴾ ردعا ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ كل العوالم رأوه.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ﴾ المعاد المسطر ﴿إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ محدود ومعلوم.

﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ﴾ مطروح ما كأوله ﴿نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ﴾ (الهاء) عائد الله ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الأمم ﴿شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ كما علمه الله.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ طرح الصعداء مع الصداح، ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ردها مع صداح أحط.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أعواما عدد أعوام دوامها ﴿إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وأراده وهو دوامهم سرمدا ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا﴾[1] رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه كوصل الموصول الأول ﴿فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ أعواما عدد أعوام دوامهما كالأول أو وارد كلاهما على اصطلاحهم لو أرادوا حكم الدوام لأمر سردوا له ما دام السماء ﴿إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ وهو دوامهم على الأول ولو حمل ما دام على اصطلاحهم المحرر عاد إلا ما لكل مسلم عاص لعدم حلوله دار المأوى أولا مع السعداء الأول وهم ما طرحه إلى الأول على الحمل المحرر ﴿عَطَاءً﴾ مصدر مؤكد ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ دائم لا حسم له أمدا وسرمدا.

---

(١) قال الرازي: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالارْضُ إِلا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وفيه مسألتان: المسألة الأولى: قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم ﴿سُعِدُوا﴾ بضم السين والباقون بفتحها وإنما جاز ضم السين لأنه على حذف الزيادة من أسعد ولأن سعد لا يتعدى وأسعد يتعدى وسعد وأسعد بمعنى ومنه المسعود من أسماء الرجال. المسألة الثانية: الاستثناء في باب السعداء يجب حمله على أحد الوجوه المذكورة فيما تقدم وههنا وجه آخر وهو أنه ربما اتفق لبعضهم أن يرفع من الجنة إلى العرش وإلى المنازل الرفيعة التي لا يعلمها إلا الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الانْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ﴾ (التوبة: ٧٢). انظر تفسير الرازي (١٨/٤٠٣).

﴿فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ﴾ وسوء مسلكهم وهلاكهم كما هلك الأمم المار سردهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ وحصل لهم الهلاك ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ سهم هلاكهم، ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ حال مما أدى مؤدى السهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الموحى له ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أسلم له ملأ ورده ملأ كالكلام المكرم الموحى لمحمد ردد الله لروحه أكمل السلام.

﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ المراد: إمهال حكم العالم إلى المعاد ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وحل الهلاك على أهل العمى، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ (الهاء) لكل راد أحكام الكلام المكرم وإرسال محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ (الهاء) لكلام الله ﴿مُرِيبٍ﴾.

﴿وَإِنَّ﴾ ورواه راوٍ طارحا أحد مكرره وأعمله ﴿كُلا﴾ أسمها ﴿لَمَّا﴾ اللام لام مؤل وما وصل لا مؤدى له، ورواه راوٍ كهلا وهو للحصر كألا ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم السرائر وعكسها، والمراد: معاملهم أعمالهم.

﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل ودعاء الأمم إلى الله ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَ﴾ أمر ﴿مَنْ تَابَ﴾ أسلم ﴿مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ وهو عدو حدود الله ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ معاملكم على أعمالكم.

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كودادكم لهم وإطلاعهم على إسراركم وعدم ردكم لأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ سواه ﴿مِنْ﴾ وصل ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ ردع لأمره، والواو واو الحال ﴿ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ أصلا وأمدا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أوله وعصره، ﴿وَزُلَفًا﴾ حصصا ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ أوله وما وراءها ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ المحرر سردها كما لو صلى كل مسلم ﴿يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ سوى مآله حد كالعهر والسكر ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأمر المار، أو إلى الكلام المكرم ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على دعاء الأمم وأمر الإرسال، والأمر للرسول ردد الله له السلام ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المراد: معاملهم على صالح الأعمال.

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا

قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آية:١١٦، ١١٧]:

﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم المار عهدها ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ﴾ أهل عمل صالح، أو أولو راء وأحلام ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ المراد: ردعوا عما حرر، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ وهو حطام الدار الأولى وما لا دوام له، ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ المراد: أهلها على مسلك الرسل ﴿بِظُلْمٍ﴾ لهم ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أهل السلام.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آية:١١٨، ١٢٠]:

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(١) على هدى كلهم أهل إسلام ﴿وَلا

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: لمّا كان النعي على الأمم الذين لم يقع فيهم من ينهون عن الفساد فاتّبعوا الإجرام، وكان الإخبار عن إهلاكهم بأنّه ليس ظلماً من الله وأنهم لو كانوا مصلحين لَمَا أهلكوا، لمّا كان ذلك كله قد يثير توهّم أن تعاصي الأمم عمّا أراد الله منهم خروج عن قبضة القُدرة الإلهية أعقب ذلك بما يرفع هذا التوهّم بأنّ الله قادر أن يجعلهم أمّة واحدة متفقة على الحق مستمرّة عليه كما أمرهم أن يكونوا. ولكن الحكمة التي أقيم عليها نظامُ هذا العالم اقتضت أن يكون نظام عقول البشر قابلا للتطوّح بهم في مسلك الضّلالة أو في مسلك الهدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة، وأن الله تعالى لمّا خلق العقول صالحة لذلك جعل منها قبول الحق بحسب الفطرة التي هي سلامة العقول من عوارض الجهالة والضلال وهي الفطرة الكاملة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿كان الناس أمّةً واحدة﴾. لم يدّخرهم إرشاداً أو نصحاً بواسطة الرُّسُل ودعاة الخير ومُلقّنيه من أتباع الرسل، وهم أولو البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، فمن الناس مهتد وكثير منهم فَاسِقُونَ ولو شاء لَخلق العقولَ البشرية على إلهام متّحد لا تَعْدوه كما خلق إدراك الحيوانات العُجم على نظام لا تتخطّاه من أوّل النشأة إلى انقضاء العالم، فنجد حال البعير والشّاة في زمن آدم عليه السّلام كحالهما في =

يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

﴿إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ وأراد لهم الهدى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أهل الهدى للهدى، وأهل العمى للعمى، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ ما أوعده وهو ﴿لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ هم هم مع الهاء وعدمها، ﴿وَالنَّاسِ﴾ ولد آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿وَكُلا﴾ كل أمر ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ عامله عامل كل على مسلك وهم العامل المكرر ﴿نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ روعك، ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ أومأ إلى ما حكاه وسرده له ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آية:١٢١، ١٢٢]:

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ وهو أمر مهدد لهم.

﴿وَانْتَظِرُوا﴾ مآل أمركم أو الدوائر لأهل الإسلام ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ الدوائر لكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آية:١٢٣]:

=

زماننا هذا، وكذلك يكون إلى انقراض العالم، فلا شكّ أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني لأنّ ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مساعي البشر في هذه الحياة الدنيا الزائلة المخلوطة، لينتقلوا منها إلى عالم الحياة الأبديّة الخالصة إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فلو خلق الإنسان كذلك لما كان العمل الصالح مقتضياً ثواب النعيم ولا كان الفساد مقتضياً عقاب الجحيم، فلا جرم أنّ الله خلق البشر على نظام من شأنه طريان الاختلاف بينهم في الأجور، ومنها أمر الصلاح والفساد في الأرض وهو أهمّها وأعظمها ليتفاوت الناس في مدارج الارتقاء ويَسْموا إلى مراتب الزلفى فتتميز أفراد هذا النوع في كل أنحاء الحياة حتى يعد الواحد بألف ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾ (الأنفال: ٣٧). وهذا وجه مناسبة عطف جملة ﴿وتمّت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجِنة والناس أجمعين﴾ على جملتي ولا يزالون مختلفين ولذلك خلقهم. انظر التحرير والتنوير (١٢/١٨٨).

﴿وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما هو حاصل إلى دروسهما لا لسواه، ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾ رواه راوٍ للمعلوم، وراوٍ لسواه ﴿الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ وهو معامل كل عاص ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ وحده ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ورواه راوٍ للسامع، والمراد: هو معاملهم على سوء أعمالهم لدى المعاد.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يوسف

ردد الله له السلام، مائة وإحدى عشرة آية

﴿الٓر ۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ [آية ١ - ٦]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿تِلْكَ﴾ أومأ إلى هؤلاء الحكم المسرود أولها ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم ﴿الْمُبِينِ﴾ الساطع أمر هداه.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ﴾(١) الكلام لأهل الحرم الحرام ﴿تَعْقِلُونَ﴾ مؤداه

---

(١) قال الرازي: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وفيه مسائل: المسألة الأولى: روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين، سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن كيفية قصة يوسف، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بألفاظ عربية، ليتمكنوا من فهمها ويقدروا على تحصيل المعرفة بها. والتقدير: إنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآناً عربياً، وسمى بعض القرآن قرآناً، لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض. المسألة الثانية: احتج الجبائي بهذه الآية على كون القرآن مخلوقاً من ثلاثة أوجه: الأول: أن قوله: ﴿إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ﴾ يدل عليه، فإن القديم لا يجوز تنزيله وإنزاله وتحويله من =

ومداركه.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِنْ﴾ **أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا** ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

﴿إِذْ﴾ **معمول لعامل مطروح هو أورد أو ما أدى مؤداه** ﴿قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ **مكسورا، ورواه راوٍ على سوى الكسر وإلا لما حول عما هو ولد الكسر** ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ **حالما** ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ **مؤكد لرأى الأول** ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ **مهلكا حسدا لك لعلمهم مآل أمر حلمك** ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ **الأحلام،** ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ **المراد: ما عم الإرسال أو هو،** ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ **أولاده** ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ **إرسالا أو ما عم الإرسال** ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ **محل إرساله وأهله،** ﴿حَكِيمٌ﴾ **محل كل أمر محله.**

﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ

=

حال إلى حال، الثاني: أنه تعالى وصفه بكونه عربياً والقديم لا يكون عربياً ولا فارسياً. الثالث: أنه لما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ دل على أنه تعالى كان قادراً على أن ينزله لا عربياً، وذلك يدل على حدوثه. الرابع: أن قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ يدل على أنه مركب من الآيات والكلمات، وكل ما كان مركباً كان محدثاً. والجواب عن هذه الوجوه بأسرها أن نقول: إنها تدل على أن المركب من الحروف والكلمات والألفاظ والعبارات محدث وذلك لا نزاع فيه، إنما الذي ندعي قدمه شيء آخر فسقط هذا الاستدلال. المسأل الثالثة: احتج الجبائي بقوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فقال: كلمة "لعل" يجب حملها على الجزم والتقدير: إنا أنزلناه قرآناً عربياً لتعقلوا معانيه في أمر الدين، إذ لا يجوز أن يراد بلعلكم تعقلون؟ الشك لأنه على الله محال، فثبت أن المراد أنه أنزله لإرادة أن يعرفوا دلائله، وذلك يدل على أنه تعالى أراد من كل العباد أن يعقلوا توحيده وأمر دينه، من عرف منهم، ومن لم يعرف، بخلاف قول المجبرة. والجواب: هب أن الأمر ما ذكرتم إلا أنه يدل على أنه تعالى أنزل هذه السورة، وأراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولكن لم قلتم إنها تدل على أنه تعالى أراد من الكل الإيمان والعمل الصالح. انظر تفسير الرازي (٤١٦/١٨)

أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا
تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ
وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ
ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا
لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ
لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟
يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ
لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [آية:٧ - ١٨]:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ﴾ دلائل على إرسالك ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ وهم الهود سألوا محمدا صلى الله على روحه وسلم سرد ما حصل لهم ﴿إِذْ﴾ معمول لاورد مطروح ﴿قَالُوا لَيُوسُفُ﴾ (اللام) لام أول الكلام ﴿وَأَخُوهُ﴾ لوالد وأم وهم لوالد ﴿أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ﴾ عدم عدل مع أولاده ﴿مُبِينٍ﴾.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ محلا ما هو معلوم لأحد ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ لعدم وداده لسواكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ (الهاء) للولد المطروح ردد الله له السلام أو للطرح والإهلاك الدال له اطرحوه وما معه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ مرادهم عودهم إلى الله وسؤالهم محو سوء عملهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ دركه المسود ورواها راوٍ على العدد لا الواحد ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ أهل المرور ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ولما عولوا على ما رأى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ ورواهما راوٍ إلى المعول على طرحه ردد الله له السلام، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ المصدر معمول للعامل مورد اللام، ﴿وَأَخَافُ

أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا لَئِنْ﴾ اللازم مؤل ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ ولما سمع كلامهم أرسله معهم.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ صمموا على ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ ومكمل لما مطروح وهو دلوه ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ﴾ لما وصل إلى دركه عملهم ﴿هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ على المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ عدوا أو سهاما ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ لولوعك.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ لادعائهم هو دمه ولا أصل له ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ المراد: سهل لكم حسدكم له ﴿أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ محمول على مطروح، وهو أمره أو ما أدى مؤداه، ﴿وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ مما لا أصل له وهو هلاك ولده.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أهل مرور إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ إلى الماء واسمه مالك ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ أرسل دلوه إلى الماء وحال وصولها مسك مسدها المطروح وسطها ردد الله له السلام ولما رآه مالك ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾ له أو لرهطه أو هو اسم أحدهم دعاه ﴿هَذَا غُلامٌ وَأَسَرُّوهُ﴾ أسر أمره الوارد ورهطه وما أعلموا ملأهم ﴿بِضَاعَةً﴾ ادعوه مملوكا ﴿وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ هل هو مملوك أم لا.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أعطاه الوارد ورهطه إلى سواهم ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ

وَكَانُوا﴾[١] الوارد ورهطه ﴿فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ وحمله الملاء إلى مصر، ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو عامل الملك ﴿لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ للمصالح، ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وهو حصور لا ولد له، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾ المراد: كما سلمه الله أولاً أمال له روع العامل المسطور، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الأحلام ﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ لا راد له لما أراده ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم أهل العمى ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو عمر الكهول ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ العلم مع العمل، ﴿وَعِلْمًا﴾ علم الأحلام، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ
قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ
بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ
مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا
لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾
قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ
فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى وشروه هذا حرف من حروف الأضداد تقول شريت الشيء بمعنى بعته وشريته بمعنى اشتريته فإن كان بمعنى باعه ففيهم قولان أحدهما أنهم إخوته وهو قول الأكثرين والثاني أنهم السيارة ولم يبعه إخوته قاله الحسن وقتادة وإن كان بمعنى اشتروه فإنهم السيارة قوله تعالى بثمن بخس فيه ثلاثة أقوال أحدها أنه الحرام قاله ابن عباس والضحاك وقتادة في آخرين والثاني أنه القليل قاله عكرمة والشعبي قال ابن قتيبة البخس الخسيس الذي بخس به البائع والثالث الناقص وكانت الدراهم عشرين درهما في العدد وهي تنقص عن عشرين في الميزان قاله أبو سليمان الدمشقي قوله تعالى دراهم معدودة قال الفراء إنما قيل معدودة ليستدل بها على القلة وقال ابن قتيبة أي يسيرة سهل عددها لقلتها فلو كانت كثيرة لثقل عددها وقال ابن عباس كانوا في ذلك الزمان لا يزنون أقل من أربعين درهما وقيل إنما لم يزنوها لزهدهم فيه. انظر زاد المسير (٤/١٩٥).

ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَـٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [آية:٢٣ - ٢٩]:

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ هلم إلى الوطء ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ﴾ (الهاء) لله أو لعامل مصر ﴿رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ لا أطأ أهله لو حمل عود الهاء على عامل مصر، ولو حمل على عوده لله المراد لم أعص أوامره ولا أرد موارد عكسها ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ المراد: كل عاهر.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وهو على ما رواه ولد عم الرسول رأى والده ولطمه على صدره ومكمل لولا لوطئها أو داله هو هم الأول والمراد: لولا مرآه لدلائل مولاه لهم وهو الأولى والأكمل ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ هو عدم لمحه عهود مالك الدار، ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ العهر؛ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ أسرع هو إلى الطلوع وأهل العامل إلى مسكه ورده ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ﴾ لمسكها له ﴿مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ عامل مصر ﴿لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ عهرا ﴿إِلا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ولد عم لها وسط المهد ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾ أمام ﴿فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ وراء ﴿فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ عامل مصر ﴿قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُ﴾ المراد: كلامك المار وهو ما وما أمها ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ودعاه وأمره.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر الحاصل ومراده عدم إطلاع أحد على ما حصل، ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ كلم أهله أمرا، وعلم أهل مصر ما حصل.

﴿۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ

مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾ [آية:٣٠ - ٣٥]:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مصر ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ مملوكها ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ وصل إلى روعها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ساطع أمره.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ لومها وسماه مكرا لإسراره كإسرار الماكر مكره ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ طعاما معدا للحسم أو وسائد، ﴿وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لحسم الطعام أو محل الوسائد، ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ وما أطاع، ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ ولما أمره الكل ودعاه إلى مرامها ومرادها ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾[1] أمل ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أهل العمل السوء.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء،

---

(١) قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ أي دخول السجن، فحذف المضاف؛ قاله الزجاج والنحاس. "أحب إلي" أي أسهل علي وأهون من الوقوع في المعصية؛ لا أن دخول السجن مما يحب على التحقيق. وحكي أن يوسف عليه السلام لما قال: "السجن أحب إلي" أوحى الله إليه "يا يوسف! أنت حبست نفسك حيث قلت السجن أحب إلي، ولو قلت العافية أحب إلي لعوفيت". وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قرأ: "السَّجن" بفتح السين وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق وعبدالرحمن الأعرج ويعقوب؛ وهو مصدر سجنه سجنا. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٨٤/٩).

﴿الْعَلِيمُ﴾ المطلع على الأعمال والسرائر.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ﴾ الدوال على سلوكه مسلك المعصوم ككلام الولد وسط المهد وسواه ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ لإلحاح أهل عامل مصر على الأمر المحرر لعدم لومه لها، ولوصولها إلى مرامها المعصوم ردد الله له السلام.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [آية:٣٦ - ٤٢]:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ هما مملوكا الملك؛ واحد لطعامه، وواحد لسكره أرادا سم الملك أو رموهما، ولا أصل للدعوى ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ المعد للسكر ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ أرى حلما ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ سماه على الأول، ﴿وَقَالَ الآخَرُ﴾ المعد للطعام ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ أرى حلما، وكلاهما حكى الحال المار عهدها ﴿أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ لهما معلما ومؤسسا كمال علمه ﴿لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ حلما ﴿إلا

نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ حكمه ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ مهد لهم مسلك الإسلام أولا ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ﴾ كرره مؤكدا ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ﴾ وصل ﴿شَيْءٍ ذَلِكَ﴾ أومأ إلى مسلك لا إله إلا الله ﴿مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم أهل العمى والإلحاد ﴿لا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لما مهد أولا وأسس لهما صرح ودعاهما إلى الإسلام ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ دال ﴿إِنِ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ السوي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل العمى والإلحاد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمورهم.

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ المعد لسكر الملك ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾ مولاه وهو الملك ﴿خَمْرًا﴾ على حاله الأول، ﴿وَأَمَّا الآخَرُ﴾ المعد للطعام ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ وهو مآل حلمكما وحكمه ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ حكم الحكم المسطور لما أعلماه عدم حلمهما أصلا وأوعدهما حصوله على كل حال.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ حكم ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو المعد للإسكار ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مولاك، وهو الملك لعل حل الأمر والعسر مأمول وطلع المملوك، وعاد لدى مولاه إلى حاله الأولى، ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ ما وصاه لدى ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ عدد الأسداس مع واحد.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ

فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٌ شِدَادٌ يَأۡكُلۡنَ
مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ
وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ
فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ
إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ
ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾
ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ
نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ
ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ
﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ
﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٤٣ - ٥٧]:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر ﴿إِنِّي أَرَى﴾ حكى الحال ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ عكس الأول، ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ لوى كلها على كل الأول وعلاها ﴿يَأَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ولكم علم واطلاع على أحكام الأحلام.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ﴾ لا أصل لها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ وهو المملوك المعد لسكر الملك ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ مدد دهر ما أوصاه ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ وأرسلوه وورد ودعاه المملوك.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ سماه كما سماه لما حكم له على عوده على حاله الأولى لدى الملك ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾[١] مراده: الملك وملاؤه ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حكم حلم الملك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ حولا وراء حول على مسراكم ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ دعوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لعدم أكل السوس له ﴿إِلا قَلِيلا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ المراد: ادرسوه لما كلكم ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ﴾ أعوام ﴿شِدَادٌ﴾ محل ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلا قَلِيلا مِمَّا تُحْصِنُونَ﴾.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ مطرا وكلاء ومحصودا ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما أسكر.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما عاد له رسوله وحكى له الأمر ﴿ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ ودعاه للطلوع ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ﴾[٢] سؤاله ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ وهو عامل مصر ﴿بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ وعاد الرسول إلى الملك وسأله ما سأل مرسله ولما ورد الكل على الملك.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ هو الأمر ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل مال أم لا ﴿قُلْنَ

---

(١) قال الرازي: ومعنى الافتاء إظهار المشكل، وأصله من الفتى وهو الشاب الذي قوي وكمل، فالمعنى كأنه يقوى ببيانه ما أشكل ويصير قوياً فتياً. انظر تفسير الرازي (١١/٢٣٢).

(٢) قال الرازي: اعلم أن الذي فعله يوسف من الصبر والتوقف إلى أن تفحص الملك عن حاله هو اللائق بالحزم والعقل، وبيانه من وجوه: الأول: أنه لو خرج في الحال فربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثرها، فلما التمس من الملك أن يتفحص عن حال تلك الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة وأن يتوسل بها إلى الطعن فيه. الثاني: أن الإنسان الذي بقي في السجن اثنتي عشرة سنة إذا طلبه الملك وأمر بإخراجه الظاهر أنه يبادر بالخروج، فحيث لم يخرج عرف منه كونه في نهاية العقل والصبر والثبات، وذلك يصير سبباً لأن يعتقد فيه بالبراءة عن جميع أنواع التهم، ولأن يحكم بأن كل ما قيل فيه كان كذباً وبهتاناً. الثالث: أن التماسه من الملك أن يتفحص عن حاله من تلك النسوة يدل أيضاً على شدة طهارته إذ لو كان ملوثاً بوجه ما، لكان خائفاً أن يذكر ما سبق. الرابع: أنه حين قال للشرابي: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فبقي بسبب هذه الكلمة في السجن بضع سنين وههنا طلبه الملك فلم يلتفت إليه ولم يقم لطلبه وزناً، واشتغل بإظهار براءته عن التهمة، ولعله كان غرضه عليه السلام من ذلك أن لا يبقى في قلبه التفات إلى رد الملك وقبوله، وكان هذا العمل جارياً مجرى التلافي لما صدر من التوسل إليه في قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ليظهر أيضاً هذا المعنى لذلك الشرابي، فإنه هو الذي كان واسطة في الحالتين معاً. انظر تفسير الرازي: (١٨/٤٦٨).

حَاشَ لِلهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ سطع أمره ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ لما ادعى رومها له وإلحاحها ولما عاد له الرسول وحكى له ما حصل كله كلمه مومئا له.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سؤاله الملك ﴿لِيَعْلَمَ﴾ المراد: عامل مصر ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ عهدهم ومولاهم.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾ إلا ما رحمه الله وعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ كل هم همه ولد آدم على السوء مع عدم العمل ومعه لو أراد.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ ولما دعاه الرسول أسرع إلى الملك ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

﴿قَالَ﴾ ردد الله له السلام ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ﴾ لها ﴿عَلِيمٌ﴾ عالم أمرهما، ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ لما رووه، وحاصله: ولاه الملك محل عامل مصر، وولاه أمر كل محصود ومدروس ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ حالا ومالا، ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لدوامه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الإلحاد وما سواه وورد أعوام المحل.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ
ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ
إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ
مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ
إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ

﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ
بِكُمْۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ
بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ
أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَاۚ
وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ
يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾
فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ
لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ
وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ
فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟
جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ
بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا
كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ
ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ [آية:٥٨ - ٧٦]:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلى مصر لما سمعوا إعطاء عاملها الطعام لكل وارد معه دراهمه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ لطول العهد الحاصل، وسألهم لما وردوا إلى مصر واسم والدهم وأولاده سواهم، ولما سموا له أسماء الكل وحكوا له الكدر الحاصل لوالدهم لهلاك ولد له وردا له سؤاله كله أرسلهم إلى محل وأكرمهم.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ كال لهم ما أرادوه، وهو لكل واحد حملا ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ لما سألوه حملا له وكال لهم حمله، ورام وروده مصححا لادعائهم وأمسك أحدهم إلى وروده أو أمسك حمله إلى وروده ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي

﴿الْكَيْلَ﴾ أكمله ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ﴾ إلى الدار أو إلى محل الطعام ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾ ورواه راوٍ على العدد الكامل ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ المراد: ما وردوه دراهم للطعام ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ العدول أو ما هو أعم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ المراد: لعلمهم ردها وعودها معهم ﴿إِذَا انْقَلَبُوا﴾ عادوا ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعدم حلها لهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ مالا لا حالا لورودهم مع أحمالهم كاملا ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع وأهل الكلام ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿قَالَ هَلْ﴾ المراد: ما ﴿آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وحصل له ما حصل ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ كلاء، ورواه راوٍ كعالم وهو معمول كما حكوا لله دره عالما ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أؤمل كلاءه ورده.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ دراهمهم أو أدمهم أو سواها ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا﴾ اسم سؤال ﴿نَبْغِي﴾ ورواه راوٍ للمدعو السامع الحاصل معه الكلام وهو والدهم ردد الله له السلام، والمراد: هل إكرام على الإكرام الحاصل مأمول لك ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ حصل لهم الدراهم والطعام معا ومار أهله وما روا أهلهم أعدوا لهم الطعام للحال أو المال ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ له وهو حمله ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى سهمه المار وهو حمله المحرر ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ سهل أمره على الملك لسماحه.

﴿قَالَ﴾ والدهم لهم ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿مِنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ وهو عوده معهم ﴿إِلا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ كلكم لهلاككم أو لإحصاركم وأعطوه عهدهم على ما سأل، ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ المسطور ﴿قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ وأرسله معهم.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا﴾[1] مصر ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ

---

(١) قال ابن الجوزي: قال المفسرون لما تجهزوا للرحيل قال لهم يعقوب لا تدخلوا يعني مصر من
=

مُتَفَرِّقَةٍ﴾ لما حووا الصور الملاح روعه حصول مكروه لهم وهو سوء المرآى اللام لووردوا مصر كلهم معا، ﴿وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ﴾ لو أراد الله حصوله لكم ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلهِ﴾ وحده لا لسواه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ إِلا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ومراده كما مرد سوء ومكروه المرآى اللام، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ هم كل ملحد ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لكل موال له.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ مأكلا ومطمعا ومأوى، ولما صارا وحدهما ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ﴾ كدرا ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حسدا ووطأه على عدم إرساله معهم وأمره إسرارا لأمرهما، وعدم إعلامه لهم.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ صاع مرصع ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ دعا داع ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ اسم للرواحل، والمراد: أهلها ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ه ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ طعاما ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ (الهاء) لحمل الطعام ﴿زَعِيمٌ﴾ ومؤد؛ ﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ مرادهم: كل أحد طلع الصواع وسط رحله صار مملوكا والحكم المسطور على مسلك والدهم ردد الله له السلام ولهم.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ الصواع ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ مملوكا ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر ﴿إِلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ لما ألهمه سؤالهم وحكموا له على مسلك والدهم ردد الله لهم السلام ﴿نَرْفَعُ

=

باب واحد وفي المراد بهذا الباب قولان أحدهما أنه أراد بابا من أبواب مصر وكان لمصر أربعة أبواب قاله الجمهور والثاني أنه أراد الطرق لا الأبواب قاله السدي وروى نحوه أبو صالح عن ابن عباس وفي ما أراد بذلك ثلاثة أقوال أحدها أنه خاف عليهم العين وكانوا أولي جمال وقوة وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والثاني أنه خاف أن يغتالوا لما ظهر لهم في أرض مصر من التهمة قاله وهب بن منبه والثالث أنه أحب أن يلقوا يوسف في خلوة قاله إبراهيم النخعي (٤/٢٥٤).

دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ علماء العوالم كلهم ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم، وهو الله علا اسمه وسما حمده.

﴿۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ
يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ
إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ
مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا
ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم
مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ
يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ
سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ
أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾
قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ
﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِيَّ
ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ
ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [آية:٧٧ - ٨٧]:

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ **هو مصور كسواع لوالد أمه حمله وكسره لعدم ركوعهم له** ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ﴾ **سرا ما أسمعهم** ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ﴾ **عالم** ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ **هل صار وحصل أم لا.**

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ **وأحله محل ولده الهالك** ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾ **مملوكا** ﴿مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ﴾ مصدر مطروح ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا﴾ وهو الصواع ﴿عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ مصدر صالح للواحد والعدد ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهدا مؤكدا ﴿مِنَ اللهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ وصل لا مؤدى له أو للمصدر ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ﴾ لا أرحل ولا أعود ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم وأعلمهم.

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا﴾ لما طلع صواع الملك وسط رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ حال إعطاء العهد لك.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ مصر، والمراد: أهلها ﴿وَالْعِيرَ﴾ الرواحل ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ المراد: أهلها ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ولما عادوا إلى والدهم وسردوا له ما حصل.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾ سول وسهل واحد مؤدى ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ محمول على مطروح، والمراد: أمره، أو ما أدى مؤداه ﴿عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَتَوَلَّى﴾ والدهم ﴿عَنْهُمْ﴾ حاسما الكلام معهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ عرا سوادهما عكسه لما أهمل دمعا ﴿مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوء كدرا على أولاده ممسك له وسط روعه.

﴿قَالُوا تَاللهِ﴾ لا ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ واصلا ومماسا للهلاك مآلا لطول كدرك وهمك وهو مصدر صالح للواحد والعدد ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ أهل اللحود.

﴿قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي﴾ الهم والكدر ﴿إِلَى اللهِ﴾ لا إلى أحد سواه، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ هو عدم هلاك ولده لما رأى ملك الحمام وسأله وأعلمه الملك عدم هلاكه.

﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ وروموا الإحساس لهما ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ﴾ مراحمه ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ

لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ
وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ
لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى
هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا
فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ
إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا
ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن
قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ
مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ
يَمْكُرُونَ ﴾ [1][آية:٨٨ - ١٠٢]:

---

(١) قال الرازي رحمه الله: اعلم أن المفسرين اتفقوا على أن ههنا محذوفاً والتقدير أن يعقوب لما قال لبنيه ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ قبلوا من أبيهم هذه الوصية فعادوا إلى مصر ودخلوا
=

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ لدى عودهم إلى مصر ﴿قَالُوا يَأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ لعدم الطعام، ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ رادها كل أحد ﴿فَأَوْفِ﴾ أكمل ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ مسامحا سوء الدراهم ﴿إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ ولما سمع كلامهم

=

على يوسف عليه السلام فقالوا له هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ فإن قيل إذا كان يعقوب أمرهم أن يتحسسوا أمر يوسف وأخيه فلماذا عدلوا إلى الشكوى وطلبوا إيفاء الكيل قلنا لأن المتحسسين يتوسلون إلى مطلوبهم بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة مما يرقق القلب فقالوا نجربه في ذكر هذه الأمور فإن رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود وإلا سكتنا فلهذا السبب قدموا ذكر هذه الواقعة وقالوا هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ والعزيز هو الملك القادر المنيع مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وهوا الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وعنوا بأهلهم من خلفهم ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ وفيه أبحاث البحث الأول معنى الإزجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا ومثله التزجية يقال الريح تزجي السحاب قال الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً﴾ (النور ٤٣) وزجيت فلاناً بالقول دافعته وفلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالحيلة والبحث الثاني إنما وصفوا تلك البضاعة بأنها مزجاة إما لنقصانها أو لرداءتها أو لهما جميعاً والمفسرون ذكروا كل هذه الأقسام قال الحسن البضاعة المزجاة القليلة وقال آخرون إنها كانت رديئة واختلفوا في تلك الرداءة فقال ابن عباس رضي الله عنهما كانت دراهم رديئة لا تقبل في ثمن الطعام وقيل خلق الغرارة والحبل وأمتعة رثة وقيل متاع الأعراب الصوف والسمن وقيل الحبة الخضراء وقيل الأقط وقيل النعال والأدم وقيل سويق المقل وقيل صوف المعز وقيل إن دراهم مصر كانت تنقش فيها صورة يوسف والدراهم التي جاؤا بها ما كان فيها صورة يوسف فما كانت مقبولة عند الناس البحث الثالث في بيان أنه لم سميت البضاعة القليلة الرديئة مزجاة وفيه وجوه الأول قال الزجاج هي من قولهم فلان يزجي العيش أي يدفع الزمان بالقليل والمعنى أنا جئنا ببضاعة مزجاة ندافع بها الزمان وليست مما ينتفع به وعلى هذا الوجه فالتقدير ببضاعة مزجاة بها الأيام الثاني قال أبو عبيد إنما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها قال وهي من الإزجاء والإزجاء عند العرب السوق والدفع الثالث ببضاعة مزجاة أي مؤخرة مدفوعة عن الإنفاق لا ينفق مثلها إلا من اضطر واحتاج إليها لفقد غيرها مما هو أجود منها الرابع قال الكلبي مزجاة لغة العجم وقيل هي من لغة القبط قال أبو بكر الأنباري لا ينبغي أن يجعل لفظ عربي معروف الاشتقاق والتصريف منسوباً إلى القبط البحث الرابع قرأ حمزة والكسائي مزجاة بالإمالة لأن أصله الياء والباقون بالنصب والتفخيم واعلم أن حاصل الكلام في كون البضاعة مزجاة إما لقلتها أو لنقصانها أو لمجموعها ولما وصفوا شدة حالهم ووصفوا بضاعتهم بأنها مزجاة قالوا له ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ والمراد أن يساهلهم إما بأن يقيم الناقص مقام الزائد أو يقيم الرديء مقام الجيد ثم قالوا وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا والمراد المسامحة بما بين الثمنين وأن يسعر لهم بالرديء كما يسع بالجيد. انظر تفسير الرازي (١٨/١٦٠).

رحمهم وأراد إطلاعهم على أمره.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ سوء العمل أو مآل أمره ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ﴾ ورواه راوٍ مسهلا أوله ومادا ﴿لأَنْتَ يُوسُفُ﴾ لما لمحوا وسومه ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ لام ووالد ﴿قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على المكاره ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ حسا وكمالا وسرا وملكا، ﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد كلعل واسمه عائد لهم ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ معك.

﴿قَالَ لا تَثْرِيبَ﴾ لا عار ولا ملام ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ وسواه أولى ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ولما سألهم أحوال والده، وحكوا له ما حصل لسواد مرآه كلمهم أمرا لهم.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ الملامس له أو الحامل له، وهو ما ورده الروح لوالد الرسل ردد الله لهما السلام ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مع كل ولد ومملوك.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ رحل أهلها وأموا والده ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ للأولى حوله ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ حاصله ادعاؤهم عدم إدراكه لهرمه، أو حصول أمر لحمله ومكمل لولا لسلموا مدعاه.

﴿قَالُوا﴾ الأولى حوله ﴿تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ﴾ العهد، وهو حصولك على ولدك الهالك.

﴿فَلَمَّا أَنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ﴾ طرحه ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ﴾ عاد ﴿بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ هو عدم هلاك ولده.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ﴾ وعدهم ومراده ورود السحر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لكل سائل وداع ورحلوا كلهم معا إلى مصر.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ والده وأمه حكما، ﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ﴾ المحل والمكاره.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك ﴿وَخَرُّوا﴾ الوالد والأم والأولاد ﴿لَهُ سُجَّدًا﴾ ركعوا له ركوع سلام وإكرام أو هاءه عائد لله علا اسمه وهو حمده

على آلائه.

﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ﴾ موسوسا ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ مصالح العالم ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محلها.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ وهو ملك مصر، ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾ الأحلام، ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ المحرر المسطور ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول الأكرم محمد صلى الله على روحه وسلم، ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ عولوا وصمموا على إهلاكه أو طرحه أو سواهما ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ المراد: لولا إعلام الله ما صار لك اطلاع على أمرهم وإعلامك السائل عما حصل محال لولاه.

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٌ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [آية:١٠٣ - ١٠٧]:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم أهل الحرم الحرام ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ على إسلامهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ (الهاء) عائد إلى كلام الله المكرم ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ الكلام المكرم ﴿إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ كل ما دل على الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا لمحوها ولا سلكوا مسالك إدراكها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ معه سواه كود وسواع لما كلموا مولاهم ما حاصله لا أحد معك إلا واحد هو لك مالكه وما ملك.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ﴾ هلاك عام طام ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ حال ورودها.

﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(١) [آية:١٠٨]:

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أمر ساطع ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ أهل الإسلام ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [آية:١٠٩، ١١٠]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي﴾ لسوى المعلوم، ورواه راوٍ مكسور الحاء على وروده كأكرم وأوله كأول مكلم معه سواه ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا أملاكا ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار لعلمهم وإدراكهم لا المهامه لعدم علمهم وإدراكهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل الحرم ﴿فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ لما ما سلموا الدعوى الرسل ولا أسلموا لهم وعاد أمرهم و(ال) للهلاك، ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ والسرور السرمد الدائم ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مولاهم ﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ ورواه ولد عامر، وعاصم على الكلام إلى السامع.

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا﴾ (الواو) للأمم، والمراد: علموا مؤكدا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾ رواه راوٍ على وروده كوصل، وراوٍ كمدد، وكلاهما لسوى المعلوم، والمراد: ما وعدوا وهو علوهم على أعدائهم ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ﴾ ورواه راوٍ على وروده كردى

---

(١) أي: قل - أيها الرسول الكريم - للناس هذه طريقي وسبيلي واحدة مستقيمة لا عوج فيها ولا شبهة، وهي أني أدعو إلى إخلاص العبادة لله - تعالى - وحده، ببصيرة مستنيرة، وحجة واضحة، وكذلك أتباعي يفعلون ذلك... ولن نكفّ عن دعوتنا هذه مهما اعترضنا العقبات. واسم الإشارة ﴿هذه﴾ مبتدأ، و﴿سبيلي﴾ خبر، وجملة ﴿أَدْعُو إلى الله على بَصِيرَةٍ﴾ حالية، وقد جيء بها على سبيل التفسير للطريقة التي انتهجها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في دعوته. انظر التفسير الوسيط (٤٩/٥).

﴿مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ الهلاك ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: ١١١]:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ الرسل ﴿عِبْرَةٌ لأولِي الألْبَابِ﴾ أهل الأحلام والإدراك ﴿مَا كَانَ﴾ الكلام المكرم ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ كالكلام الموحى لروح، والموحى لموسى ردد الله لهما السلام، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أساس كل أمر وردع للعوالم، ﴿وَهُدًى﴾ مما هو عمى، ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سردهم لا سواهم لحصول الهدى لهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

مكية، وآيها ثلاث وأربعون آية

﴿الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ [آية:١]:

﴿المر﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ كلام الله المكرم، ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (١) أراد: كلامه المكرم ﴿الْحَقُّ﴾ محمول الاسم الموصول، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أهل الحرم ﴿لا يُؤْمِنُونَ﴾ لوروده.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [آية:٢]:

﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ هو عدد العماد ﴿تَرَوْنَهَا﴾ المراد: لا عمد لها أصلا ولو لها عمد لأدركها كل راء أو أحدهم ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ واحد سرر الملك كما علم هو أو المراد: الملك، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ يعني القرآن وغيره من الوحي ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ قال ابن عباس يعني أهل مكة قال الزجاج لما ذكر أنهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق فقال الله الذي رفع السموات بغير عمد قال أبو عبيدة العمد متحرك الحروف بالفتحة وبعضهم يحركها بالضمة لأنها جمع عمود وهو القياس لأن كل كلمة هجاؤها أربعة أحرف الثالث منها ألف أو ياء أو واو فجميعه مضموم الحروف نحو رسول والجمع رسل وحمار والجمع حمر غير أنه قد جاءت أسامي استعملوا جميعها بالحركة والفتحة نحو عمود وأديم وإهاب. انظر زاد المسير (٢٩٩/٤).

مُسَمًّى﴾ معلوم، وهو حلول أمر العالم ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾ الدلائل ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ﴾ وهو المعاد ﴿تُوقِنُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [آية:٣]:

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ كالطور وكل لكام ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ كالحلو وعكسه، والأسود وعكسه ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ لسواده ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر كله ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [آية:٤]:

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾ حواها أصل واحد ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ لكل أصل وحدها ﴿يُسْقَى﴾ كلها ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ﴾ ورواه راوٍ على عوده لله على المسلك الأول ﴿بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾ محرك الوسط ومع عدمه، والمراد حلوها وعكسه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آية:٥]:

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ لردهم دعواك الإرسال وعدم إسلامهم لك، والكلام لمحمد ردد الله لروحه أكمل السلام ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ ردهم لأمر المعاد لما سألوا ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ والمصور مع العدم مصور مع الأصل ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ

لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [آية:٦]:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الهلاك لما هددوا على عدم إسلامهم ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ حصولهم على كرم أرحم كل راحم ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾ الأمم المار عهدهم لما أهلكوا ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لأهلك الكل، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لكل عاص.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [آية:٧]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ مروع كل ملحد وأمر إعطاء الدلائل لله لا لك، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ رسول داع إلى مولاهم.

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[1] [آية:٨ - ١٠]:

(١) قال أبو حيان الأندلسي: مناسبة هذه الآية لما قبلها هو ما نبه عليه الزمخشري من أنه تعالى لما طلب الكفار أن ينزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) آية وكم آية نزلت، أردف ذلك بذكر آيات علمه الباهر، وقدرته النافذة، وحكمته البليغة، وأن ما نزل عليه من الآيات كافية لمن تبصر، فلا يقترحون غيرها، وأنّ نزول الآيات إنما هو على ما يقدره الله تعالى. وقيل: مناسبة ذلك أنه لما تقدم إنكارهم البعث لتفرق الأجزاء واختلاط بعضها ببعض، بحيث لا يتهيأ الامتياز بينها، نبه على إحاط علمه، وأن من كان عالماً بجميع المعلومات هو قادر على إعادة ما أنشأ. وقيل: مناسبة ذلك أنهم لما استعجلوا بالسيئة نبه على علمه بجميع المعلومات، وأنه إنما نزل العذاب بحسب ما يعلم كونه مصلحة. قال ابن عطية: قص في هذا المثل المنبه عل قدرة الله القاضية بتجويز البعث، فمن ذلك الواحدة من الجنس التي هي مفاتيح الغيب يعني: التي لا يعلمها إلا هو، وما تحمله الإناث من النطفة من كل نوع من الحيوان. وهذا البدء يبين أنه لا يتعذر على القادر عليها الإعادة. والله يعلم: كلام مستأنف مبتدأ وخبر، ومن فسر الهادي بالله جاز أن يكون الله خبر مبتدأ محذوف أي: هو الله تعالى، ثم ابتدأ إخباراً عنه فقال: يعلم. ويعلم هنا متعدية إلى واحد، لأنه لا يراد هنا النسبة، إنما المراد تعلق بالمفردات. وما جوزوا أن تكون بمعنى الذي، والعائد عليها في صلاتها محذوف، ويكون تغيض متعدياً. وأن تكون مصدرية، =

﴿اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ حملها على كل الأحوال ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ مددا وعددا وسواها، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ حد محدود.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ على ما سواه كمالا وكهرا.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ لدى علمه ﴿مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ لسواده، ﴿وَسَارِبٌ﴾ راء له كل أحد ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [آية:١١]:

﴿لَهُ﴾ لولد آدم كلهم ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾ أملاك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أمامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ والكلاء المسطر حاصل ﴿مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ لرد المكروه ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ وهو آلاؤه ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ سلوكا على سوى ما أمرهم، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ إهلاكا أو مكروها ﴿فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾ ولا راد لا ملك ولا رسول،

=

فيكون تغيض وتزداد لا زمان. وسماع تعديتهما ولزومهما ثابت من كلام العرب. وأن تكون استفهاماً مبتدأ، وتحمل خبره ويعلم متعلقه، والجملة في موضع المفعول. وتحمل هنا من حمل البطن، لا من الحمل على الظهر. وفي مصحف أبي: ما تحمل كل أنثى، وما تضع وتحمل على التفسير، لأنها زيادة لم تثبت في سواد المصحف. قال ابن عباس: تغيض تنقص من الخلقة، وتزداد تتم. وقال مجاهد: غيض الرحم أن ينهرق دماً على الحمل، فيضعف الولد في البطن ويسحب، فإذا بقي الولد في بطنها بعد تسعة أشهر مدة كمل فيها من خمسة وصحبه ما نقص من هراقة الدم، انتهى كلام ابن عباس. وقال عكرمة: تغيض بطهور الحيض في الحبل، وتزداد بدم النفاس بعد الوضع. وقال قتادة: الغيض السقط، والزيادة البقاء فوق تسعة أشهر. وقال الضحاك: غيض الرحم أن تسقط المرأة الولد، والزيادة إن تضعه لمدة كاملة تامة. وعن الضحاك أيضاً: الغيض النقص من تسعة أشهر، والزيادة إلى سنتين. وقيل: من عدد الأولاد، فقد تحمل واحداً، وقد تحمل أكثر. وقال الجمهور: غيض الرحم الدم على الحمل. قال الزمخشري: إن كانت ما موصولة فالمعنى: أن يعلم ما تحمل من الولد على أي حال هو من ذكورة وأنوثة، وتمام وخدج، وحسن وقبح، وطول وقصر، وغير ذلك من الأحوال الحاضرة المترقية. ويعلم ما تغيضه الأرحام تنقصه، وما تزداد أي تأخذه زائداً تقول: أخذت منه حقي وازددت منه كذا، ومنه: ﴿وَازْدَادُواْ تِسْعًا﴾ ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد. وما تنقصه الرحم وتزداد عدد الولد، فإنها تشتمل على واحد، وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة. انظر البحر المحيط (٣٦١/٥).

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿مِنْ وَالٍ﴾ لأمورهم وراد ما أراده الله.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [آية:١٢، ١٣]:

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ مما ولده اصطكاك الركام ﴿وَطَمَعًا﴾ لحصول الأمطار، ﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ لحملها الأمطار.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ﴾ الملك مأمور الركام ﴿بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ هو ما ولده اصطكاك الركام ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إهلاكه ﴿وَهُمْ﴾ أهل الإلحاد ﴿يُجَادِلُونَ﴾ الرسول ﴿فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ محله كاده وأوصله إلى مس الهلاك.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [آية:١٤]:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ على الكلام إلى السامع ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ مما هو كود وسواع ﴿لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما هم رائموه ﴿إِلا كَبَاسِطِ﴾ ماد ﴿كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ والماء أحط محلا ومحل الماد عال ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ أراده مع علوه وعدم وصوله له ﴿وَمَا هُوَ﴾ الماء ﴿بِبَالِغِهِ﴾ لعدم إدراك الماء مراد ودعاءه، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ إلى سوى الله وهو ما كود وسواع ﴿إِلا فِي ضَلالٍ﴾ لعدم وصولهم إلى مأملهم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [آية:١٥]:

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا﴾ كأهل الإسلام، ﴿وَكَرْهًا﴾ كالأول أسلموا لروع الحسام، ﴿وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ الآصال أولها العصر إلى المساء، والمراد: الدوام.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَـٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَـٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّـٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَـٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [آية:١٦، ١٧]:

﴿قُلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له السلام ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ لو ما سلموا لك ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ سواه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ كود وسواع ﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى﴾ كل ملحد ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ كل موحد ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ﴾ الإلحاد ﴿وَالنُّورُ﴾ الإسلام لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ هل صور صور ما ادعوه إلها أمما وأداهم ما صوروه إلى ادعاء إله معه لا ولا مصور إلا الله ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا إله معه ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ للعوالم.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطرا ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ عدد واد ﴿بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ هو الكدر على الماء ﴿رَابِيًا﴾ علوا على الماء، ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ ورواه راوٍ للسماع ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ كالرصاص وما حكمه كحكمه ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿حِلْيَةٍ﴾ الحلى لكم ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ كل وعاء ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾ المراد: الحلى والأموال كلها حكمها حكم الماء لها كدر كما للماء كدر ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾ كدر الأمواه والأموال ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ مطروحا لعدم صلاحه لأمر، ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ كالماء المطهر مطروحا كدرهما ﴿فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ عصرا ومددا لإصلاح أمور العالم وحكم الإلحاد والعمى كحكم كدر الماء والأموال، وحكم الهدى والإسلام كحكم الماء والمال المطهر مطروحا كدرهما ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آية:١٨]:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ **أطاعوه وأسلموا لرسله** ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **دار المأوى والسرور السرمد**، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ **لا أسلموا للرسل ولا أطاعوا** ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ **معاملهم على كل عمل عملوه ما هو مسامح لهم عملا أصلا** ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [آية:١٩ - ٢٤]:

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾(١) **وأسلم لك** ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ **لا علم ولا أسلم لا** ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألْبَابِ﴾ **الأحلام.**

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ﴾ **كل عهد**، ﴿وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ **سلوكا على سوى ما أمر وهو عدم الإسلام.**

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ **كالرحم وسواها**، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ **المراد: ما أعده لكل عاص** ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ **كإحصاء أعمالهم كلها وعدم محو عمل واحد.**

---

(١) قال القرطبي: هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر وروي أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وأبي جهل لعنه الله والمراد بالعمى عمى القلب والجاهل بالدين أعمى القلب. انظر الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٠٧).

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الأوامر وردع الهوى ﴿ابْتِغَاءَ﴾ روم ﴿وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ لا لأمر سواه، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ﴾ العمل الصالح ﴿السَّيِّئَةَ﴾ العمل الطالح له ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ المال المحمود لدى المعاد وهو ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ أسلم ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ولو عملهم أحط إكراما للأول، ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ وأول كلامهم لهم.

﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾ الإكرام الحاصل لكم ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ما لكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:٢٥]:

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ وهو الإسلام ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كالرحم وسواها، ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾ إلحادا وسلوكا مصادما لأوامر الله ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الطرد ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ لدى المعاد والهلاك السرمد.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [آية:٢٦]:

﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وسعا وعكسه، ﴿وَفَرِحُوا﴾ أهل الحرم ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وحطامها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ ملمح الدار ﴿الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ﴾ لا دوام له.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٧]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا﴾ هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ردد الله له السلام ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كعصا موسى ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ولو رأى كل دلائل الإرسال ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ إلى مسلكه الموصل له ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ عاد إلى الله.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ

أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ﴾ وعده لهم على صالح أعمالهم ﴿أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الاسم الموصول أول كلام ومحموله ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ مآل ومعاد.

﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسل الرسل إلى الأمم أولا ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ لما أمروا ركوعا له سالوا ما هو ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ المعاد.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾﴾ [آية:٣١، ٣٢]:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ إلى محل سوى محلها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾ وصدعها صدعا ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ كما لورد الله لهم أرواحهم وكلموا الأولى حولهم ومكمل لو هو لما أسلموا لك ﴿بَلْ لِلهِ الأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا لسواه، ولما أراد أهل الإسلام ورود الدلائل كما سأل أهل الإلحاد طمعا لإسلامهم أوحى الله لرسوله ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسِ﴾ المراد: أما علم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء مطروحا ﴿لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإسلام.

﴿وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ كإلحاد وسوء الأعمال ﴿قَارِعَةٌ﴾ أحد دوائر الدهر كإهلاك أو أسر أو محل

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الكلام إلى رسوله محمد ردد الله له السلام، والمراد: مع عسكر الإسلام ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ الحرم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ﴾ علوك وكسرك لهم ﴿إِنَّ اللهَ لا

يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ عدم حصول ما وعده أمر محال.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ كما حصل لك، وهو حكم حكاه الله وسلى رسوله محمدا ردد الله له أكمل السلام ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أملى وأمهل واحد ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ المراد: حل محل، وهؤلاء حكمهم كأولئك.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [آية:٣٣، ٣٤]:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ مطلع ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ صالحا وطالحا وهو الله كسواه لا، ﴿وَجَعَلُوا لِلهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له ما هم ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾ (الهاء) لله ﴿بِمَا لا يَعْلَمُ﴾ ـه ﴿فِي الأَرْضِ﴾ المراد: ولو معه أحد سواه لعلمه ﴿أَمْ﴾ أدعوا معه ما كود وسواع ﴿بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ادعاء لا إصرار معه ولا حواه صدرهم ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ إلحادهم وعماهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ مسلك ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إهلاكا وأسرا ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللهِ﴾ مما أعده لهم ﴿مِنْ وَاقٍ﴾ راد.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [آية:٣٥]:

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾(١) أول كلام مطروح المحمول وحاصله مما

---

(١) اختلف النحاة في رفع مثل فقال سيبويه: ارتفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير: وفيما يتلى عليكم مثل الجنة وقال الخليل: ارتفع بالابتداء وخبره: تجري من تحتها الأنهار أي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار كقولك: قولي يقوم زيد فقولي مبتدأ ويقوم زيد خبره والمثل بمعنى الصفة موجود قال الله تعالى: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل﴾ الفتح وقال: ولله المثل الأعلى أي الصفة العليا وأنكره أبو علي وقال: لم يسمع مثل بمعنى الصفة إنما معناه الشبه ألا تراه يجري مجراه في مواضعه ومتصرفاته كقولهم: مررت برجل مثلك كما تقول: =

أعلم الله رسوله ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ دائم لعدم حصول ماح له ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آية:٣٦، ٣٧]:

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ كولد سلام وسواه ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ كلما ورد معادلا لما عملوه أحكاه، ﴿وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾ الأولى صاروا ردءا لأعدائك ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ﴾ وحده ﴿وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو﴾ لا إلى سواه ﴿وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ المراد: معاده.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ (الهاء) للكلام المكرم ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أهواء أهل الإلحاد إلى سلوك مسالكهم ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ علم لا إله إلا الله

=

مررت برجل شبهك قال: ويفسد أيضا من جهة المعنى لأن مثلا إذا كان معناه صفة كان تقدير الكلام: صفة الجنة التي فيها أنهار وذلك غير مستقيم لأن الأنهار في الجنة نفسها لا صفتها وقال الزجاج: مثل الله عز وجل لنا ما غاب عنا بما نراه والمعنى: مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار وأنكره أبو علي فقال: لا يخلو المثل على قوله أن يكون الصفة أو الشبه وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله لأنه إذا كان بمعنى الصفة لم يصح لأنك إذا قلت: صفة الجنة جنة فجعلت الجنة خبرا لم يستقم ذلك لأن الجنة لا تكون الصفة وكذلك أيضا شبه الجنة جنة ألا ترى أن الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتماثلين وهو حدث والجنة غير حدث فلا يكون الأول الثاني وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد والمعنى: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل كقوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى أي ليس هو كشيء وقيل التقدير: صفة الجنة التي وعد المتقون صفة جنة تجري من تحتها الأنهار وقيل: معناه: شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة والخلود كشبه النار في العذاب والشدة والخلود قاله مقاتل ﴿أكلها دائم﴾ لاينقطع وفي الخبر: ﴿إذا أخذت ثمرة عادت مكانها أخرى﴾ وقد بيناه في التذكرة ﴿وظلها﴾ أي وظلها كذلك فحذف أي ثمرها لا ينقطع وظلها لا يزول وهذا رد على الجهمية في زعمهم أن نعيم الجنة يزول ويفنى ﴿تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾ أي عاقبة أمر المكذبين وآخرتهم النار يدخلونها. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٢/٩).

﴿مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ راد ما أعده الله ولما لاموا الرسول ردد الله لروحه السلام على عدد أهله أوحى الله له.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية:٣٨ - ٤٠]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ أولادا، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ ما صح ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لكل أمد حكم محدود ومعلوم.

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ ورواه راوٍ مكرر الوسط، والمراد: محو الأحكام وسواها على مدار الحكم ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله وهو علمه علا اسمه وسما حمده أو هو اللوح.

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ أولا، والمراد: لو أرى الله رسوله ردد الله له السلام إهلاك أهل الإلحاد أو لا هو مامور الأداء ودعاء الأمم إلى الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ لا سواه ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ لدى المعاد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [آية:٤١، ٤٢]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أهل الحرام ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ هو كل محل ولاه الله أهل الإسلام مما هو لأهل الإلحاد ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الأمم الأولى مر عصرهم كما مكر هؤلاء ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ما مكرهم كمكره ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ وأعدلها على عملها وهو المكر كله ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ﴾ المراد: أحاده كلهم ﴿لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ المآل المحمود لهم أم للرسول وأهل الإسلام.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٣]:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك ﴿لَسْتَ مُرْسَلا قُلْ﴾ لهم ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على الإرسال، ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ هم مسلموا الهود وسواهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة إبراهيم

ردد الله له السلام، مورده الحرم الحرام إلا الم، وآيها اثنتان وخمسون آية

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ۝٣ ﴾(١)[آية: ١ - ٣]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد.

﴿كِتَابٌ﴾ محمول على مطروح وهو كلام الله المكرم ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى

---

(١) قال أبو العباس الفاسي: (كتاب): خبر، أي: هذا كتاب، و(بإذن): متعلق بتُخرج، أو حال من فاعله، أو مفعوله. و(إلى صراط): بدل من (النور). (الله الذي)؛ من رفعه فعلى الابتداء، والموصول خبره، أو خبر عن محذوف، ومن خفضه فبدل من (العزيز)، و(الذين يستحبون): صفة للكافرين أو نصب، أو رفع على الذم. يقول الحق جل جلاله: أيها الرسول المحبوب، هذا ﴿كتابٌ أنزلناه إليك لتُخرج الناس﴾ بدعائك إياهم إلى العمل به، ﴿من الظلمات إلى النورِ﴾؛ من ظلمات الضلال والجهل إلى نور الهداية والعلم، ﴿بإذنِ ربهم﴾؛ بتوفيقه وهدايته وتسهيله، ﴿إلى صراطِ العزيزِ الحميد﴾ أي: لتخرجهم إلى نور العلم الذي هو سلوك طريق العزيز الحميد، التي توصل إلى رضوانه ومعرفته. وفي ذكر الوصفين إشارة إلى أنه لا يذل سالكه، ولا يخيب سائله، بل تحمد عاقبته. ثم ذكر الموصوف بهما بقوله: ﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ أي: الموصوف بالعزة والحمد هو الله الذي استقر له ما في السماوات وما في الأرض ملكا. انظر البحر المديد (٣/٤٨٧).

الرسول الأكرم محمد ردد الله له السلام ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام ﴿بِإِذْنِ﴾ أمر ﴿رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ﴾ مسلك ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ المحمود.

﴿اللهِ﴾ ورواه راوٍ مسموكا على أول الكلام ومحموله ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ ملكا ومملوكا ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ هلاك لهم، أو هو اسم لواد حار وسوء الدار لو حله طود لاماعه وأساله ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾ عما هو هدى.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [آية:٤]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أوحاه الله له وما دعاهم هوله ﴿فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ كاهر لا مكهور، ﴿الْحَكِيمُ﴾ محل الأمور محالها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [آية:٥ - ٨]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ وأمر الله له ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الإلحاد ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإسلام، ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ آلائه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الأوامر أو عما دعا له هواه ﴿شَكُورٍ﴾ لآلاء مولاه.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لما رأى عدو موسى حلما أو أعلمه علماؤه هدم ملكه لمولود وسط مصر أو حولها ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ اعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ آلاء مولاكم ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ إلحادا أو سلوكا على سوى ما أمر ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لهم ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ﴾ عما سواه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود مآل أموره كلها.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [آية:٩ - ١٢]:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ أمم هود، ﴿وَثَمُودَ﴾ ملأ صالح، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إلا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على إرسالهم ﴿فَرَدُّوا﴾ الواو للأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ كدما لها للؤمهم كعمل السادم على أمر ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ على دعواكم، ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ لهم ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ﴾ مع سطوع الدلائل ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى أوامره وأولها وأساسها هو الإسلام ﴿لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له أو أصل، والمراد: ما سوى ما للأمم ﴿ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾

سماه وحده، وهو حلول أعماركم، ﴿قَالُوا إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ مما هو كود وسواع ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أمر دال على إرسالكم ومصحح لمدعاكم.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ كدعواكم ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إرسالا ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما صح ﴿لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ﴾ أمره ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ (١) مسالك الإسلام، ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا﴾ (ما) للمصدر، ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا

---

(١) قال الرازي: اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الأنبياء عليهم السلام جوابهم عنها أما الشبهة الأولى وهي قولهم ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فجوابه أن الأنبياء سلموا أن الأمر كذلك لكنهم بينوا أن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة لأن هذا المنصب منصب يمن الله به على من يشاء من عباده فإذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة واعلم أن هذا المقام فيه بحث شريف دقيق وهو أن جماعة من حكماء الإسلام قالوا إن الإنسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصاً بخواص شريفة علوية قدسية فإنه يمتنع عقلا حصول صفة النبوة له وأما الظاهريون من أهل السنة والجماعة فقد زعموا أن حصول النبوة عطية من الله تعالى يهبها لكل من يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الإنسان عن سائر الناس بمزيد إشراق نفساني وقوة قدسية وهؤلاء تمسكوا بهذه الآية فإنه تعالى بين أن حصول النبوة ليس إلا بمحض المنة من الله تعالى والعطية منه والكلام من هذا الباب غامض غائص دقيق والأولون أجابوا عنه بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسدانية تواضعاً منهم واقتصروا على قولهم ﴿وَلاكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة لأنه قد علم أنه تعالى لا يخصهم بتلك الكرامات إلا وهم موصوفون بالفضائل التي لأجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال تعالى ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام ١٢٤) وأما الشبهة الثانية وهي قولهم إطباق السلف على ذلك الدين يدل على كونه حقاً لأنه يبعد أن يظهر للرجل الواحد ما لم يظهر للخلق العظيم فجوابه عين الجواب المذكور عن الشبهة الأولى لأن التمييز بين الحق والباطل والصدق والكذب عطية من الله تعالى وفضل منه ولا يبعد أن يخص بعض عبيده بهذه العطية وأن يحرم الجمع العظيم منها وأما الشبهة الثالثة وهي قولهم إنا لا نرضى بهذه المعجزات التي أتيتم بها وإنما نريد معجزات قاهرة قوية انظر تفسير الرازي (٧٧/١٩).

فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [آية:١٣ - ١٧]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ إلى رسلهم ﴿رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ﴾ محالهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ (الهاء) لهم، والمراد: هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى إحلاله محلهم ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ لكل امرء روعه وروده على الحكم العدل لدى المعاد والحكم على الأمم ولهم، ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ما هو معد لكل عاص أوامره.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ رسل الله على أممهم وراموا العلو وكسرهم لهم وحصل لهم ما سألوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ المراد: أمامه ﴿جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ ماء معه الدم.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ لكرهه له، ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ وسائطه وكل ما هو مؤد له لو هو حاصلا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ﴾ أمامه سوى ما حرر ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ هو دوامه على أسوء الأحوال مع الكدر السرمد.

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ [آية:١٨]:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أول كلام ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر وهو عامل أول الكلام المار ﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ حملا، ورواه راوٍ على العدد ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ وسم مدده على حدد هره صائم وعصره عادل ﴿لا يَقْدِرُونَ﴾ لدى المعاد ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ وهو صالح الأعمال ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ واحد لعدم الإسلام ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ﴾ الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾ عما هو هدى.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ

بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [آية:١٩ - ٢٢]:

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الكلام لكل راء ﴿أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ إعداما وإهلاكا ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ محلكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾ عسر.

﴿وَبَرَزُوا﴾ (الواو) للعوالم ﴿لِلهِ﴾ لأمره أو حكمه ﴿جَمِيعًا﴾ والمراد: لدى المعاد وأورده على الأمر المار عهده مع عدم حصوله على مسلك المعار المصرح ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ آراء ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ هم روساؤهم ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ رادوا ما أعد الله ﴿مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ولواحد أحواله ﴿قَالُوا﴾ الروساء ﴿لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ المراد: لدلوهم على مسالك الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿مَحِيصٍ﴾ معدل إلى محل ما.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ عدو آدم وحسوده ﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾ أحكم ووصل السعداء إلى دار المأوى والسرور السرمد وأهل العمى إلى سوء دارهم وصعد المطرود محل المعلوم على رؤوس طلاح العالم ﴿إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ هو أمر المعاد وحصل كما وعد، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ وعدا لا أصل له وهو عدم المعاد ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿سُلْطَانٍ﴾ أمر مكروه لهم على سلوكهم مسالك وسؤاله ﴿إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ على سوء مسراكم ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ ورواه راوٍ مكسور المكرر ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ كمل كلام المطرود ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الأولى أحلوا الهوى محل الهدى وهم أهل الإلحاد ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [آية:٢٣]:

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾ والمُسَلِّمُ هو الله أو الأملاك.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [آية:٢٤ - ٢٧]:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ المراد: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ ولعل المراد الأعم ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ ودائم كدوام لا إله إلا الله وسط روع المسلم، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ كالعمل الصالح المؤسس على لا إله إلا الله ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ ومحصولها كمحصول الأعمال، وهو ما أعده الله للعمال على صالح أعمالهم ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لما صور كأمر محسوس.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كادعاء إله مع الله أو ولد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لعل المراد العم كما مر ﴿اجْتُثَّتْ﴾ حسم أصلها ﴿مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ لا دوام لها ولا محصل وحكمها حكم الإلحاد.

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو لا إله إلا الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ لدى حلولهم وسط لحودهم وسؤال الأملاك لهم، ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد وحال سؤال الإملاك لهم وسط اللحود، ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [آية:٢٨ - ٣٠]:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا﴾ لعدم حمدهم مولاهم على ما أولاهم

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿جَهَنَّمَ﴾ معمول لعامل الدار وهو هو ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حلولا وسطها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

﴿وَجَعَلُوا لِلهِ أَنْدَادًا﴾ معه ﴿لِيُضِلُّوا﴾ رواه راوٍ كأعل، وراوٍ ككل ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ هو مسلك الإسلام ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾ معادكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آية:٣١ - ٣٤]:

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ﴾ عدل وهو حلول أحد محل أحد ﴿فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾ ووداد راد لأمر الله وما أعده لكل عاص أوامره.

﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ كلاهما كإلهام إلى عمله، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ مأوى ومراحا ﴿وَالنَّهَارَ﴾ مسعى وسراحا.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ (ما) اسم موصول أو للمصدر ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ﴾ آلاءه ﴿لا تُحْصُوهَا﴾ عدا وحصرا ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ الملحد ﴿لَظَلُومٌ﴾ لإحلاله محل الإسلام الإلحاد ﴿كَفَّارٌ﴾ لعدم حمده آلاء مولاه وما أولاه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ
يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ
﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [آية:٣٥، ٤١]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو اذكر ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ﴾ الحرم ﴿آمِنًا﴾ وأعطاه الله سؤله ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ المراد: سلك على مسلكه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سأل الله حال عدم عمله عدم محو الإلحاد.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ هو ولده مع أمه ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو الحرم ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ هوى مال وأسرع ودادا ﴿إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وأعطاه مولاه سؤله كما رام وأمل.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾ الإسرار وعكسه على حد سواء ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ هو إما كلام الله على اسمه وسما حمده، وإما كلام والد الرسل ردد الله لهم السلام.

﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى﴾ مع ﴿الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ [1]معدلا لها ومداوما على أدائها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أهلا

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ﴾ أي من الثابتين على الإسلام والتزام أحكامه. ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذريتي من يقيمها. ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أي عبادتي كما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال عليه السلام: "الدعاء مخ العبادة" وقد تقدم في "البقرة". ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: استغفر إبراهيم لوالديه قبل أن يثبت عنده أنهما عدوان لله. قال القشيري: ولا يبعد أن تكون أمه مسلمة لأن الله ذكر عذره في استغفاره لأبيه دون أمه. قلت: وعلى هذا قراءة سعيد بن جبير، ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يعني: أباه. وقيل: استغفر لهما طمعا في إيمانهما. وقيل: استغفر لهما بشرط أن يسلما. وقيل: أراد آدم =

لأدائها ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ أراد دعاءه المحرر.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ورواه راوٍ للولد وحده، وسأل مولاه لهما حال عدم عدهما مع أعداء الله وإلا لما سأل لهما مولاه ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ هو أو أهله.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [آية:٤٢، ٤٣]:

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ إمهالا ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ لهوله.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ الإهطاع: الإسراع لدعاء داع أو لأمر ما ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ كل سامك رأسه إلى السماء ﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ لا آراء ولا إدراك لهم لما عراهم.

﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

=

وحواء. وقد روي أن العبد إذا قال: اللهم اغفر لي ولوالدي وكان أبواه قد ماتا كافرين انصرفت المغفرة إلى آدم وحواء لأنهما والدا الخلق أجمع. وقيل: إنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبراهيم النخعي يقرأ: "ولولدي" يعني ابنيه، وقيل: إنه أراد ولديه إسماعيل وإسحاق. وكان إبراهيم ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقيل: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كلهم وهو أظهر. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ أي يوم يقوم الناس للحساب. انظر الجامع لأحكام القرآن (٩/٣٧٥).

﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ [آية: ٤٤ - ٥٢]:

﴿وَأَنْذِرِ﴾ الأمر لرسوله محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿النَّاسَ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ لدى المعاد وحال حلول أعمارهم وورود حمامهم ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ألحدوا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ هو ردهم إلى الدار الأولى لو حمل على الأول، أو المراد: إمهال ورود حمامهم لو حمل على حلول الأعمار ﴿نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ مرادهم: لا إله إلا الله ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ إسلاما لهم وسلوكا على أوامرهم ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿زَوَالٍ﴾ إلى دار سواها.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ أمم الإلحاد المار عصرهم، ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ ولا ردعكم أمرهم ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ ما أطلعكم على أحوالهم ومسراهم ومآل أمرهم.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ وأصروا على المكروه إلى الرسول ردد الله له السلام ﴿وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ﴾ علمه أو ما أعده لهم على سوء عملهم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾ ورواه راوٍ مكسور اللام أوله وعامل المصدر مطروح وراءها ﴿مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المراد: ما حكمه كحكمها، وهو الإسلام على الأول، وعلى كسر اللام المراد أصلها.

﴿فَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ وهو علوهم على أعدائه ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ حاصل لكل عاص.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لادكر مطروحا ﴿تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾ المراد: صورها كما ورد مدها مد الأدم أو أصلها كما أورده ولد مسعود ﴿وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ﴾ لأمره أو لحكمه ﴿الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

﴿وَتَرَى﴾ الكلام إلى محمد ردد الله له السلام ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ﴾ كل واحد مع موسوسه ﴿فِي الأَصْفَادِ﴾ كل أدهم أو السلاسل.

﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ ورروعهم طلاء ﴿مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى﴾ علوا ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ عملا صالحا ﴿إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ مطلع

وراء عمل الأمم كلهم واحدا واحدا مع عدم طول الحصص والمدد.

﴿هَذَا﴾ أومأ إلى الكلام المكرم ﴿بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أوحاه الله، ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ الأحلام.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الحجر

مكية، وآيها تسع وتسعون

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [آية: ١ - ٣]:

﴿الر﴾ الله أعلم ما المراد كسائر أوائل السور.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ الكلام المكرم على حد عمد مرمر، ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾.

﴿رُبَمَا﴾ ورواه راوٍ مكرر ما وراء رائه ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ لدى المعاد حال سطوع حالهم، وحال أهل الإسلام أو حال ورود حمامهم واطلاعهم على محالهم كما ورد أو حال حلول هلاكهم وكسر أهل الإسلام لهم.

﴿ذَرْهُمْ﴾ دعهم الأمر للرسول ردد الله لروحه السلام ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ﴾ أمل طول العمر وسواه ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم وسوء سلوكهم حال اطلاعهم على ما أعده الله لهم.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ۝٥﴾ [آية: ٤، ٥]:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ﴾ [(١)] وصل لا مؤدى له ﴿قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ أمد محدود لهلاكها وهو عمرها.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ﴾ وصل ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ المحدود لها ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾.

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور: اعتراض تذييلي لأن في هذه الجملة حكماً يشملهم وهو حكم إمهال الأمم التي حق عليها الهلاك، أي ما أهلكنا أمّة إلا وقد متّعناها زمناً وكان لهلاكها أجل ووقت محدود، فهي ممتعة قبل حلوله، وهي مأخوذة عند إبانه. انظر التحرير والتنوير (١٤/١٤).

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [آية:٦ - ٩]:

﴿وَقَالُوا﴾ ملحدو الحرم للرسول ردد الله له السلام ﴿يَأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ الكلام المكرم على دعواه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

﴿لَوْ مَا﴾ هلا أو مؤداها حصول أمر لحصول سواه ﴿تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وصحح ادعاؤك الإرسال، والكلام الوارد لك هو كلام الله.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ﴾ الهلاك لهم ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا﴾ حال ورود الأملاك مع هلاكهم ﴿مُنْظَرِينَ﴾ إمهالا.

﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ مؤكد لاسم العامل المؤكد ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ الكلام المكرم ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ [آية:١٠ - ١٣]:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فِي شِيَعِ﴾ واحدها كل ملأ على مسلك واحد ﴿الأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كما حصل لك ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ (الهاء) عائد إلى ما أدى إلى عدم إسلامهم للرسل ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (الهاء) للرسول ردد الله له السلام ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾ هلاك الأمم الأولى وحكم هؤلاء كحكمهم.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [آية:١٤، ١٥]:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ المراد: صعودهم.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سكر وسد واحد ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ
شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن
لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾
وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ
عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [آية:١٦، ٢٥]:

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ كالحمل والأسد والدلو وسائرها ﴿وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ لكل راء إلى عطارد وسواه، ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ صعودا واطلاعا على أحوالهم وأسرارهم.

﴿إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ الاسم الموصول عامله كل على مسلك وهم العامل المكرر ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ لإهلاكه أو طرده.

﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ كالطور وسواه لهدئها، ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ معلوم محدود.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ هو كل مطعم ومكسى ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ كالأهل والمملوك والحمر وسواها.

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ﴾ وصل لا مؤدى له ﴿شَيْءٍ إلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ على مدار المصالح والحكم.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ حوامل الركم الماطر ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركم على حد كل ما علاك سماء ﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ دائموا الدوام والعالم كله هلك.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ [1]أوله عهد آدم إلى عهد الرسول ردد الله لهما

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ فيه ثمان
=

السلام ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ إلى حلول دور الإعصار وهلاك العالم كلهم، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

=

تأويلات: "المستقدمين" في الخلق إلى اليوم، و"المستأخرين" الذين لم يخلقوا بعد؛ قاله قتادة وعكرمة وغيرهما. الثاني - "المستقدمين" الأموات، و"المستأخرين" الأحياء؛ قاله ابن عباس والضحاك. الثالث: "المستقدمين" من تقدم أمة محمد، و"المستأخرين" أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ قاله مجاهد. الرابع - "المستقدمين" في الطاعة والخير، و"المستأخرين" في المعصية والشر؛ قاله الحسن وقتادة أيضا. الخامس - "المستقدمين" في صفوف الحرب، و"المستأخرين" فيها؛ قاله سعيد بن المسيب. السادس: "المستقدمين" من قتل في الجهاد، و"المستأخرين" من لم يقتل، قاله القرظي. السابع: "المستقدمين" أول الخلق، و"المستأخرين" آخر الخلق، قال الشعبي. الثامن: "المستقدمين" في صفوف الصلاة، و"المستأخرين" فيها بسبب النساء. وكل هذا معلوم الله تعالى؛ فإنه عالم بكل موجود ومعدوم، وعالم بمن خلق وما هو خالقه إلى يوم القيامة. إلا أن القول الثامن هو سبب نزول الآية؛ لما رواه النسائي والترمذي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال: "كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها، ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر، فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ وروي عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس. وهو أصح. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٩).

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
[آية:٢٦ - ٤٤]:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ حال أسود معه رمل عراه الحمو وصار مصلصلا لو صودم ﴿مِنْ حَمَإٍ﴾ الحماء الحال الأسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ مصور أو مكروه الروائح.

﴿وَالْجَانَّ﴾ والدهم أو مصور عدو آدم المطرود ﴿خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أولا وآدم ما صور ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ الحر الواصل إلى المسام.

﴿وَإِذْ﴾ معمول لأورد أو ادكر مطروحا ﴿قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ وكمل ﴿وَنَفَخْتُ﴾ المراد الأعم وهو السلوك ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أورد الروح له علا اسمه إكراما لآدم ردد الله له السلام ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ركعا ركوع سلام وإكرام.

﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ مؤكد أم مؤكدا ﴿إِلا إِبْلِيسَ﴾ المطرود ﴿أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ ما عصمك وردعك ﴿أَن لا﴾ وصل ﴿تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ (الهاء) لدار المأوى والسرور السرمد أو للسماء ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ مطرود، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ وأورده حدا للطرد المار لما هو وراء الحدود كلها.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ إمهالا ومد عمر ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ الأمم.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ المسمى لحلول عمره، أو صداح الصور الأول.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ إلى المطرود ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ السلوك على مسلك العمى ﴿وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ ورواه ولد عامر، ووالد عمرو مكسور اللام كلما ورد، والمراد على الأول الأولى: سلكوا مسالك الهدى وردعوا الهوى، وعلى الكسر الأولى: طهروا سرائرهم عما سوى الله، أو المراد: أهل الإسلام.

﴿قَالَ﴾ الله ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ هم كل ملحد، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معك ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ محالها درك؛ أعلا وأوسط وأحط ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ درك ﴿مِنْهُمْ جُزْءٌ﴾ سهم ﴿مَقْسُومٌ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [آية:٤٥ - ٥٠]:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ﴾ مما هو مروع، أو المراد: مع سلام ﴿آمِنِينَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ كل مكروه حوا الصدر كحسد وسواه ﴿إِخْوَانًا﴾ حال هم ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ ملأ لا أحد وراء أحد وهو حال أم حالا ﴿لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ حال أم حال أو أول كلام، ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أمدا وسرمدا.

﴿نَبِّئْ﴾ الأمر لرسوله ردد الله له السلام ﴿عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ لأهل الإسلام، ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ لكل ملحد أو عاص ﴿هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ المؤلم.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾

إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ
مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ
مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا
تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ
هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

[آية: ٥١ - ٧٩]:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهم أملاك وردوا إلى محله ومعهم الروح ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ﴾ لما دعاهم إلى الطعام وما أكلوا ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا﴾ رسل ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المراد: مع مسه له وهو حال ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1].

(١) قال الرازي: معنى: ﴿عَلَى﴾ ههنا للحال أي حالة الكبر، وقوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ فيه مسألتان:
المسألة الأولى: لفظ ما ههنا استفهام بمعنى التعجب كأنه قال: بأي أعجوبة تبشروني؟ فإن قيل: في الآية إشكالان: الأول: أنه كيف استبعد قدرة الله تعالى على خلق الولد منه في زمان الكبر وإنكار قدرة الله تعالى في هذا الموضع كفر. الثاني: كيف قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ مع أنهم قد بينوا ما بشروه به، وما فائدة هذا الاستفهام. قال القاضي: أحسن ما قيل في الجواب عن ذلك أنه أراد أن يعرف أنه تعالى يعطيه الولد مع أنه يبقيه على صفة الشيخوخة أو يقلبه شاباً ثم يعطيه الولد، والسبب في هذا الاستفهام أن العادة جارية بأنه لا يحصل الولد حال الشيخوخة التامة وإنما يحصل في حال الشباب. فإن قيل: فإذا كان معنى الكلام ما ذكرتم فلم قالوا: ﴿بشرناك بالحق =

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ﴾ لا ﴿يَقْنَطُ﴾ ورواه راوٍ مكسور الوسط ﴿مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ﴾ أهل الإلحاد.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما أمركم وما وراءكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ هم ملاء لوط، وأرسلوا لإهلاكهم ﴿إِلا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ مع الهلكى لسلوكها على مسلكهم وهو الإلحاد.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ المراد: لوطا ﴿الْمُرْسَلُونَ قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لما ما رآهم أولا أكد لهم الإعلام ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ الواو لملأه ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ وهو هلاكهم، ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الأمر الحاصل ولا راد له ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ حصص ﴿مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ وسر وراءهم مطلعا على أحوالهم ومسرعا، ﴿وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى ورائه لعدم روعه مما هو حال على الملأ، ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ المراد: كما أمركم الله إلى مصر أو سواها، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ﴾ أوحى الله له والموحى هو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ حال والمآل اصطلامهم.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ سدوم وهم ملأ لوط لما سمعوا ورود مرد ملاح إلى داره ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ حال طمعا لحصولهم على مرادهم ومأملهم.

=

فلا تكن من القانطين﴾. المسألة الأولى: هذا الكلام حق، لأن القنوط من رحمة الله تعالى لا يحصل إلا عند الجهل بأمور: أحدها: أن يجهل كونه تعالى قادراً عليه. وثانيها؛ أن يجهل كونه تعالى عالماً باحتياج ذلك العبد إليه. وثالثها: أن يجهل كونه تعالى منزهاً عن البخل والحاجة والجهل فكل هذه الأمور سبب للضلال، فلهذا المعنى قال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّه إِلا الضَّآلُّونَ﴾. المسألة الثانية: قرأ أبو عمرو والكسائي: (يقنط) بكسر النون ولا تقطنوا كذلك، والباقون بفتح النون وهما لغتان: قنط يقنط، نحو ضرب يضرب، وقنط يقنط نحو علم يعلم، وحكى أبو عبيدة: قنط يقنط بضم النون، قال أبو علي الفارسي: قنط يقنط بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل من أعلى اللغات يدل على ذلك اجتماعهم في قوله: ﴿مِنا بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ (الشورى: ٢٨) وحكاية أبي عبيدة تدل أيضاً على أن قنط بفتح النون أكثر، لأن المضارع من فعل يجيء على يفعل ويفعل مثل فسق يفسق ويفسق ولا يجيء مضارع فعل على يفعل. والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١٩/١٥١).

﴿قَالَ﴾ لهم لوط ﴿إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللهَ وَلا تُخْزُونِ﴾.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ المراد: دعاؤه العالم إلى داره لمأكل ومطعم.

﴿قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ المراد: إملاكا لا عهرا.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ كلام الله إلى رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عمه كعلم حار.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح الملك الروح ﴿مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ (الهاء) عائد إلى محالهم ودورهم أو إلى سدوم ﴿سَافِلَهَا﴾ سمكها الملك الروح إلى السماء وحطها عاكسا لها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ اسم للطرس المحرر وسطه ما أعده الله لهم، أو اسم لدار الهلاك السرمد، أو اسم للصلصال المحمى وسطها وصار كالمرمر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَاتٍ﴾ دلائل على الله ﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ لكل مدرك حصل الأمور مع وسومها أو حصلها وأدركها لما أدرك وسومها أولا.

﴿وَإِنَّهَا﴾ محال ملأ لوط ﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾ مسلك ما درس رسمه كل سالك راء رسومها؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَإِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحا ﴿كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ﴾ الدوح ﴿لَظَالِمِينَ﴾ لما ردوا دعوى رسولهم، ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ وحصل لهم الهلاك، ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ سدوم والوح ﴿لَبِإِمَامٍ﴾ مسلك ﴿مُبِينٍ﴾ لكل أحد.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية:٨٠ - ٨٤]:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾ اسم واد لهم وهم ملأ صالح وأممه ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ عدم إسلامهم لرسولهم كعدم إسلامهم إلى الرسل كلهم لمآل أمر الكل إلى واحد وهو لا إله إلا الله.

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ دلائل إرسال وسولهم ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى﴾ ما رد مكروها ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ لا دور لهم ولا أموالهم.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [آية:٨٥، ٨٦]:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾(١) وكل أحد معامل على عمله صالحا أو طالحا ﴿فَاصْفَحِ﴾ الأمر للرسول محمد ردد الله لروحه أكمل السلام ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ وعاملهم حلما وكرما، والأمر المسطور محاه أمر المعارك وإعمال الحسام وهو ممحو المؤدى لا الكلام؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ﴾ للعوالم ﴿الْعَلِيمُ﴾ الصالح لهم ومصالحهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [آية:٨٧، ٩٩]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ أمر الكلام المكرم على ما رواه مسلم وسواه، وسماها كما سماها لورود كلامها مكررا كل ركوع ﴿وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾

﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الردع لعدم طموحهما طموح المائل ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ ملأ ﴿مِنْهُمْ﴾ لسلوكه مسلك المعدوم لو صور مع ما أعطاك مولاك، ﴿وَلا تَحْزَنْ

(١) موقع الواو في صدر هذه الجملة بديع. فهذه الجملة صالحة لأن تكون تذييلا لقصص الأمم المعذبة ببيان أن ما أصابهم قد استحقّوه فهو من عدل الله بالجزاء على الأعمال بما يناسبها، ولأن تكون تصديراً للجملة التي بعدها وهي جملة (وإن الساعة لآتية). والمراد ساعة جزاء المكذّبين بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أي ساعة البعث. فعلى الأول تكون الواو اعتراضية أو حالية، وعلى الثّاني عاطفةً جملة على جملة وخبراً على خبر. انظر التحرير والتنوير (٧٤/١٤).

عَلَيْهِمْ﴾ لعدم إسلامهم ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ كالكلام السهل وسواه مما هو محمود لهم ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ مما أعده الله لكل ملحد كالهلاك وسواه ﴿الْمُبِينُ﴾ الساطع دلائله.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾ الهلاك ﴿عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ رهط صالح ردد الله له السلام الأولى آلوا على عمل المكروه له أو الأولى سدوا مسالك الحرم حال الموسم وصدوا كل وارد على الرسول للإسلام، أو هم الهود، ومدعوا الأهل والولد للواحد الأحد لما أسلموا لأحد أحكام الكلام الموحى إلى رسلهم ووردوا أحدها، أو هم الأولى سهموا كلام الله المكرم سهاما؛ سهم سحر، وسهم علم مارد وسواهما ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ﴾ كل كلام موحى إلى الرسل أو الكلام المكرم وحده على ما مر ﴿عِضِينَ﴾ سهاما على الحكم المار أو المراد: أسحارا على عوده إلى كلام الله المكرم الموحى لمحمد ردد الله له السلام.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمراد: أعل كلامك على الملأ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ إهلاكا وإعداما، وهم: العاص ولد وائل، والأسود ورهطهما ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمرهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ كردهم كلام الله المكرم وادعائهم السحر وسواه ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ كل مصل، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الحمام والأمر للدوام كالأول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل

مكية إلا: وَإِنْ عَاقَبْتُمْ، وآيها مائة وثمان وعشرون

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] [آية: ١]:

---

(١) قال الرازي: اعلم أن معرفة تفسير هذه الآية مرتبة على سؤالات ثلاثة:
فالسؤال الأول أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب يوم القيامة وهو الذي يحصل عند قيام الساعة ثم إن القوم لما لم يشاهدوا شيئاً من ذلك احتجوا بذلك على تكذيبه وطلبوا منه الإتيان بذلك العذاب وقالوا له ائتنا به وروي أنه لما نزل قوله تعالى ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر ١) قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ (الأنبياء ١) فأشفقوا وانتظروا يومها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل قوله ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ﴾ فوثب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورفع الناس رؤوسهم فنزل قوله ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والحاصل أنه عليه السلام لما أكثر من تهديدهم بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة ولم يروا شيئاً نسبوه إلى الكذب، فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وفي تقرير هذا الجواب وجهان الوجه الأول أنه وإن لم يأت ذلك العذاب إلا أنه كان واجب الوقوع والشيء إذا كان بهذه الحالة والصفة فإنه يقال في الكلام المعتاد أنه قد أتى ووقع إجراء لما يجب وقوعه بعد ذلك مجرى الواقع يقال لمن طلب الإغاثة وقرب حصولها قد جاءك الغوث فلا تجزع والوجه الثاني وهو أن يقال أن أمر الله بذلك وحكمه به قد أتى وحصل ووقع فأما المحكوم به فإنما لم يقع لأنه تعالى حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج إلى الوجود والحاصل كأنه قيل أمر الله وحكمه بنزول العذاب قد حصل ووجد من الأزل إلى الأبد فصح قولنا أتى أمر الله إلا أن المحكوم به والمأمور به إنما لم يحصل لأنه تعالى خصص حصوله بوقت معين فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت السؤال الثاني قالت الكفار هب أنا سلمنا لك يا محمد صحة ما تقوله من أنه تعالى حكم بإنزال العذاب علينا إما في الدنيا وإما في الآخرة إلا أنا نعبد هذه الأصنام فإنها شفعاؤنا عند الله فهي تشفع لنا عنده فنتخلص من هذا العذاب المحكوم به بسبب شفاعة هذه الأصنام =

﴿أَتَى﴾ أورد ما مر حكمه وأراد ما هو وارد حالا أو مآلا لحصوله على كل حال ﴿أَمْرُ اللهِ﴾ هو حلول دور الإعصار أو هلاكهم، ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ أوحاه الله لرسوله ردد الله له السلام لما سألوه إسراع وروده، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه سواه.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [آية: ٢]:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ﴾ المراد: أحدهم، وهو الروح ﴿بِالرُّوحِ﴾ هو ما أوحاه إلى الرسل ﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وهم رسله ردد الله لهم السلام ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ روعوا كل ملحد ما أعده الله له على سوء عملهم وأعلموه ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾ [آية: ٣]:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أسس صورهما على مدار حكمه ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه ما هو كود وسواع.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [آية: ٤]:

﴿خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ماء ولد آدم ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ محاول راد

=

فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فنزه نفسه عن شركة الشركاء والأضداد والأنداد وأن يكون لأحد من الأرواح والأجسام أن يشفع عنده إلا بإذنه ومَا في قوله ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يجوز أن تكون مصدرية والتقدير سبحانه وتعالى عن إشراكهم ويجوز أن تكون بمعنى الذي أي سبحانه وتعالى عن هذه الأصنام التي جعلوها شركاء لله لأنها جمادات خسيسة فأي مناسبة بينها وبين أدون الموجودات فضلا عن أن يحكم بكونها شركاء لمدبر الأرض والسموات السؤال الثالث هب أنه تعالى قضى على بعض عبيده بالسراء وعلى آخرين بالضراء ولكن كيف يمكنك أن تعرف هذه الأسرار التي لا يعلمها إلا الله وكيف صرت بحيث تعرف أسرار الله وأحكامه في ملكه وملكوته فأجاب الله تعالى عنه بقوله ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآء مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لا إله إلا أَنَاْ فَاتَّقُونِ﴾ وتقرير هذا الجواب أنه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عبيده ويأمر ذلك العبد بأن يبلغ إلى سائر الخلق أن إله العالم واحد كلفهم بمعرفة التوحيد والعبادة وبين أنهم إن فعلوا ذلك فازوا بخيري الدنيا والآخرة وإن تمردوا وقعوا في شر الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصاً بهذه المعارف من دون سائر الخلق وظهر بهذا الترتيب الذي لخصناه أن هذه الآيات منتظمة على أحسن الوجوه والله أعلم. انظر تفسير الرازي (١٩/١٧٣).

أمر المعاد.

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝﴾ [آية: ٥ - ٩]:

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما رد ألم عكس الحر ككل كساء حاكوه، وأصله ما على أدمها، ﴿وَمَنَافِعُ﴾ كالحمل والدر ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ لحوما ودسما.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ حال ردها إلى مراحها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ حال إرسالها إلى المرعى.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾ لولاها ﴿إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ﴾ مع كمال العسر ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ رحمكم، وسهل لكم أمرها.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ مما لا ورود له على روع أحد.

﴿وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ إعلامه لكم المسلك العدل السوى الموصل إلى الهدى ﴿وَمِنْهَا﴾ المسالك ﴿جَائِرٌ﴾ حائد ومائل عما هو عدل وهدى، ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى المسلك العدل الموصل.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝﴾ [آية: ١٠، ١١]:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام وكل ما علاك سماء ﴿مَاءً﴾ مطرا ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ المراد: ما عم الكلاء وسواه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أسام أرسل للمرعى.

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المحرر والمعدوم كله ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ كله دال أهل الإدراك على الواحد الحد

وكمال علمه وحكمه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [آية: ١٢، ١٣]:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ مأوى، ﴿وَالنَّهَارَ﴾ مسعى، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ﴾ ورواها راوٍ على أول الكلام ومحمولها ﴿مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ وعلى الأول حال لها كلها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾ كل ما له روح وسواه ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أسود وأحمر وسواه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ [آية: ١٤ - ١٩]:

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾(١) وسهله لكم ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك،

---

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ تسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه وتذليله بالركوب والإرفاء وغيره، وهذه نعمة من نعم الله علينا، فلو شاء سلطه علينا وأغرقنا. وقد مضى الكلام في البحر وفي صيده. وسماه هنا لحما واللحوم عند مالك ثلاثة أجناس: فلحم ذوات الأربع جنس، ولحم ذوات الريش جنس، ولحم ذوات الماء جنس. فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا، ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك متفاضلا، وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك يجوز متفاضلا. وقال أبو حنيفة: اللحم كلها أصناف مختلفة كأصولها؛ فلحم البقر صنف، ولحم الغنم صنف، ولحم الإبل صنف، وكذلك الوحش مختلف، كذلك الطير، وكذلك السمك، وهو جحد قولي الشافعي. والقول الآخر أن الكل من النعم والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه. والقول الأول هو =

﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً﴾ اللؤلؤ وسواه ﴿تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ﴾ صوادع لمائه ﴿فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ه على آلائه.

﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ كالطور وسواه لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ مأدو مآل واحد ﴿بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ أسالها، ﴿وَسُبُلاً﴾ مسالك مهدها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى كل محل مراد لكم.

﴿وَعَلامَاتٍ﴾ دلائل على المسلك كالسهل والوعر وسواهما، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ لو ساروا حال سواد المساء.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾ وهو ما هو كود وسواع لا ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ عدم سلوككم ومسراكم على مسرى العلم والإدراك.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما أعطاكم ووالكم آلاءه مع عدم حمدكم، ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٍۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ

=

المشهور من مذهبه عند أصحابه. ودليلنا هو أن الله تعالى فرق بين أسماء الأنعام في حياتها فقال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ثم قال: ﴿وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ فلما أن أم بالجميع إلى اللحم قال: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١] فجمعها بلحم واحد لتقارب منافعها كتقارب لحم الضأن والمعز. وقال في موضع آخر: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة: ٢١] وهذا جمع طائر الذي هو الواحد، لقوله تعالى: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨] فجمع لحم الطير كله باسم واحد. وقال هنا: ﴿لَحْماً طَرِيّاً﴾ فجمع أصناف السمك بذكر واحد، فكان صغاره ككباره في الجمع بينهما. وقد روي عن ابن عمر أنه سئل عن لحم المعز بلحم الكباش أشيء واحد ؟ فقال لا؛ ولا مخالف له فصار كالإجماع، والله أعلم. ولا حجة للمخالف في نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام إلا مثلا بمثل؛ فإن الطعام في الإطلاق يتناول الحنطة وغيرها من المأكولات ولا يتناول اللحم؛ ألا ترى أن القائل إذا قال: أكلت اليوم طعاما لم يسبق الفهم منه إلى أكل اللحم، وأيضا فإنه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا اختلف الجنسان فبيعوا كيف شئتم" وهذان جنسان، وأيضا فقد اتفقنا على جواز بيع اللحم بلحم الطير متفاضلا لا لعلة أنه بيع طعام لا زكاة له بيع بلحم ليس فيه الزكاة، وكذلك بيع السمك بلحم الطير متفاضلا. انظر الجامع لأحكام القرآن (٨٥/١٠).

بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٢٢ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴾ [آية: ٢٠ - ٢٣]:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ورواه راوٍ لسوى السامع ﴿مِنْ دُونِ اللهِ﴾ كود وسواع ﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ صوروا مما هو مرمرا وسواه.

﴿أَمْوَاتٌ﴾ لا أرواح لهم ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ مؤكد، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لا علم لهم ولا إحساس ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ هل أحد مصور ومدع إلها لا روح ولا علم ولا إحساس له.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ﴾ للواحد الأحد ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عما هو هدى وسالكو مسالك العمى.

﴿لا جَرَمَ﴾ مؤداه وحاصله كمؤدى والله ﴿أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وهو معاملهم على أعمالهم ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ﴾ المراد: المال، والأصل محال على الله كما هو معلوم ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٧ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ [آية: ٢٤ - ٢٩]:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذا﴾ اسم سؤال، والسائل أهل الإسلام أو سواهم، (ذَا) اسم موصول أو هو مع كلاهما للسؤال ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على رسوله محمد ردد الله له السلام ﴿قَالُوا﴾ هو ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ المراد: لا أصل له.

﴿لِيَحْمِلُوا﴾ لدى مآل أمورهم ﴿أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لما دعوهم إلى مسالك العمى وسلكوا على ما أمروهم صار

كحكمهم ﴿أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ ألا ساء الحمل حملهم.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هو عدو والد الرسل والمحاور له لما ادعى ما ادعاه عدو موسى وعمر صرحا، ورام صعود إلى السماء وأنكر على أهلها ﴿فَأَتَى اللهُ﴾ المراد: أمره ﴿بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ أساسه أو عمده وحركها وهدمها ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ وهلكوا كلهم.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ معد لهم سوء الدار والهلاك الدائم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ أهل الإسلام ﴿فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الرسل أو العلماء أو الأملاك ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لورود حمامهم وهم على سوء حالهم وإلحادهم ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ سالموا وأطاعوا لما رأوا الحمام وكلامهم هو ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ كادعاء أحد مع الله وسواه ﴿بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهو معاملكم على أعمالكم.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [آية: ٣٠ - ٣٤]:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الإلحاد ﴿مَاذَا﴾ اسم سؤال واسم موصول أو كلاهما اسم سؤال ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هم أهل الإسلام ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ كعلوهم على أعدائهم وسواه، ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ دار المأوى والسرور الكامل ﴿خَيْرٌ﴾ مما أعطوه أولا، ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ الدار.

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ دوام ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ

كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ كلهم مطهر صدرهم مما هو إلحاد ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم الأملاك لدى ورودهم موارد حمامهم وسلهم لأرواحهم ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ وكلام الأملاك لهم لدى المعاد ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ لسل أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ المعاد أو ما أعده لهم ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأمم الأولى ما أسلموا لرسلهم وأهلكوا، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ﴾ لما دمرهم وأهلكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لإلحادهم وسوء مسراهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ﴾ أحاط وحل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الهلاك.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [آية: ٣٥]:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كالوصائل وكل حام وسواها ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حاولوا رسلهم وردوا ما دعوهم له ﴿فَهَلْ﴾ ما ﴿عَلَى الرُّسُلِ إلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [آية: ٣٦، ٣٧]:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا﴾ كما أرسل محمد ردد الله له أكمل السلام إلى هؤلاء ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ﴾ وحده، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ﴾ وأسلم، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ لعلم الله عدم إسلامه، ﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسلهم وهو الهلاك.

﴿إِنْ تَحْرِصْ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له السلام ﴿عَلَى هُدَاهُمْ﴾ مع

عدم مراد الله له لا حصول له ﴿فَإِنَّ اللهَ لا يَهْدِي﴾ ورواه راوٍ لسوى المعلوم ﴿مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ لما أراده الله وأعده لهم.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٣٨ - ٤٠]:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ ورد الله ادعاءهم حاكما ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ كلاهما مصدر مؤكد معمول لعامل مطروح ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ المراد: أهل الحرم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ حصوله.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ مع أهل الإسلام ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ لدعواهم عدم حصول المعاد.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ورواه راوٍ على طرح العامل محصل المصدر.

﴿وَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [آية: ٤١، ٤٢]:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ﴾ لإعلاء أحكامه وأوامره ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ هم الرسول وأهل الإسلام معه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ المراد: إحلالهم دارا ﴿حَسَنَةً﴾ دار لحد رسول الله صلى الله على روحه وسلم ﴿وَلأَجْرُ الآخِرَةِ﴾ دار السرور الدائم ﴿أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أهل الإلحاد الإكرام الحاصل للرسول وأهل الإسلام لأسلموا وصاروا معهم.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على كل مكروه حملهموه أهل الإلحاد، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ سلموا أمورهم كلها إلى الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا

تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آية: ٤٣، ٤٤]:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا أملاكا ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ علماء الكلام الموحى إلى موسى والروح ردد الله لهما السلام ﴿إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ ودل الحكم المسطر على عدم إرسال الله للدعاء العام ملكا ولا سواه إلا ما حرر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ معمول لعامل مطروح وهو أرسلوا ﴿وَالزُّبُرِ﴾ الطروس، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ كلام الله المكرم ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ كالحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [آية: ٤٥ - ٤٧]:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ المراد: مكروا مكرا لسوء؛ وهو إصرارهم على الكروه للرسول ردد الله له السلام ورومهم صد أهل الإسلام ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ كما اهلك مالك الأموال المعلوم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾ كما حصل لملأ لوط.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ وهم على الرواحل والمراحل ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ كإهلاك أهلهم وأموالهم وإهلاكهم واحدا واحدا إلى اصطلامهم كلهم ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ لإمهاله وعدم ورود الهلاك مسارعا لهم.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [آية: ٤٨]:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ المراد: لدى طلوعها إلى وصولها إلى وسط السماء وحال الآصال ﴿سُجَّدًا لِلهِ﴾ ركعا لما أمر وأراد مولاهم ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ كل مطاطئ لأوامره.

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[1] [آية:٤٩، ٥٠]:

﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ﴾ المراد: كُلُّ أطاعه ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح ﴿وَالْمَلائِكَةُ﴾ عدهم وحدهم إكراما لهم ﴿وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عما أمرهم.

﴿يَخَافُونَ﴾ الواو للأملاك ﴿رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ المراد: علو الكَهرِ ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آية: ٥١، ٥٢]:

﴿وَقَالَ اللهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ مؤكد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ملكًا ومملوكًا، ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ كُلُّ أطاعه ﴿وَاصِبًا﴾ دائما لما مر وهو لا إله إلا هو وحده؛ ﴿أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾ وهو الواحد.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آية: ٥٣ - ٥٥]:

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ لا آلاء إلا آلاؤه ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ عدم أو علل ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ هو الدعاء مع الصداح.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ﴾ هم أهل الإلحاد ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا﴾ ودوموا على سوء حالكم، وهو أمر مهدد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مآل أمركم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ

(١) قال الطاهر ابن عاشور: قد عرف السجود منذ أقدم عصور التاريخ فقد وجد على الآثار الكلدانية منذ القرن التاسع عشر قبل المسيح صورة حمورابي ملك كلدية راكعاً أمام الشمس، ووجدت على الآثار المصرية صور أسرى الحرب سجداً لفرعون، وهيآت السجود تختلف باختلاف العوائد. وهيئة سجود الصلاة مختلفة باختلاف الأديان. والسجود في صلاة الإسلام الخُرور على الأرض بالجبهة واليدين والرجلين. انظر التحرير والتنوير (٤٢٢/١).

﴿٥٦ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ
عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آية: ٥٦ - ٦٠]:

﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ الواو لكلِّ مُلحدٍ ﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ﴾ المراد: لما لا علم له، ولا روح، ولا إحساس؛ كود، وسواع ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أموالا وسواها، ﴿تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ سؤال ملام ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على الله، وهو ادعاؤكم أمره لكم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ﴾ الأملاك ﴿الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾ عما ادَّعوه له، ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ الأولاد عكس الأول، والمراد: ادعوا له إلا حظ ولهم الأعلى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملؤ كدرًا.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ ملأه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ روع العار ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ مع العار ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ وَأْدًا ولَحْدًا ﴿أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم المحرر.

﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ هم كل مُلحدٍ ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ للواد المحرر ﴿وَلِلهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾ وهو لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١﴾ [آية: ٦١]:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ إلحادهم ومسراهم على سوى ما أمر مولاهم ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ على مسطحها ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ كل ما له روح لسوء عمل ولد آدم، وعَمَّمَ الكلَّ لِورودِ أمر الهلاك عامًا، ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ سَمَّاهُ وعلمه، وهو حلول أعمارهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ﴾ المحدود لهم ﴿لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا
جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا

لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية: ٦٢ - ٦٤]:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ ه لهم كادعاء أحد معه على ملكه وإصرارهم على المكروه لرسله ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾ وهو ادعاؤهم ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ دار المأوى والسرور السرمد، ﴿لا جَرَمَ﴾ أدّى مؤدّى والله ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ رد لكلامهم وما ادّعوه مؤكد أكده ما أدّى مؤدّى والله، والعامل المؤكد ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ لها، ورواه راوٍ مكرر الرَّاء ومكسورها، والمراد: عادو الحدود.

﴿تَاللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ﴾ للأمم ﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ورأوها على مسلك الهدى وأصروا على سوء عملهم وردوا دعوى الرسل، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أورد اللام وأراد الدار الأولى، أو المراد: دار المعاد وأراد الحال مآلا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ الكلام إلى الرسول ردد الله له السلام ﴿الْكِتَابَ﴾ كلام الله المكرم ﴿إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ للأمم ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ كأحوال المعاد، وأحكام الأعمال، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية: ٦٥ - ٦٧]:

﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الركام ﴿مَاءً﴾ مطرًا ﴿فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعُ إدراك.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ مسلكًا إلى العلم ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ راعَى مؤدّاه ووحد الهاء أو راعى واحدها ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ﴾ عكر معدها ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا عكر معه ولا دم ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور إلى المعد.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ مُسكرًا، وهو وارد حال حله ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ ما صلح للأكل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المسطور ﴿لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [آية: ٦٨، ٦٩]:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ المراد: ألهمها ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ مأوى، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ مأوى، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ما عَمَّره لك الأمم، ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ رومًا للمرعى ﴿ذُلُلا﴾ حال المسالك والمراد: سلوكا لا عسر معه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم وحده أو مع سواه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [آية: ٧٠، ٧١]:

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ﴾ وأصلكم العدم ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [1] لدى حلول أعماركم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ كَالهِرَم الموصل إلى هدمِ الإدراكِ ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ لسوء إدراكه ﴿إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ على كل ما أراده.

﴿وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ واحد له مال وواحد معدم، واحد

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ بين معناه. ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ يعني أرداه وأوضعه. وقيل: الذي ينقص قوته وعقله ويصيره إلى الخرف ونحوه. وقال ابن عباس: يعني إلى أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له؛ والمعنى متقارب. وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الكسل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من الهرم وأعوذ بك من البخل". وفي حديث سعد بن أبي وقاص "وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر" الحديث. خرجه البخاري. ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ إن الله عليم قدير" أي يرجع إلى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الأمور لفرط الكبر. وقد قيل: هذا لا يكون للمؤمن، لأن المؤمن لا ينزع عنه علمه. وقيل: المعنى لكيلا يعمل بعد علم شيئا؛ فعبر عن العمل بالعلم لافتقاره إليه؛ لأن تأثير الكبر في عمله أبلغ من تأثيره في علمه. والمعنى المقصود الاحتجاج على منكري البعث، أي الذي رده إلى هذه الحال قادر على أن يميته ثم يحييه. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٤١).

مالك وواحد مملوك، وهَلُمَّ ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ وهم الملاك ﴿بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ على كل مملوك لهم ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هو للمالك والمملوك معا، والمراد: الرد على كُلِّ مُدَّعٍ مع الله أحدًا سواه، وحاصله: هم كرهوا ردهم لمملوكهم مما ملكوه ومملوكهم مساوٍ لهم، وكلهم ولد آدم ومع ما حرر ادعوا السوى مع الله وهو مالك الملك وما ساواه أحد كما ساواهم مملوكهم، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ لادعائهم معه سواه.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٧٢]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ المراد: مؤادها كحواء أصلها آدم ردد الله له السلام، وسائر الحرم مؤادها الماء، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ أولاد الأولاد، ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ كالمطاعم أو الحلال، ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ ما هو كود وسواع ﴿وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ إلحادًا وادعاء للسوى معه.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [آية: ٧٣]:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ كالمطر ﴿وَالأَرْضِ﴾ هو الكلاء، وكل محصود سواه ﴿شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ملكًا له أصلا لعدم روحهم وإحساسهم وصلاحهم لأمرٍ ما.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [آية: ٧٤ - ٧٦]:

﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ﴾ لا إله إلا هو الواحد الأحد ما له مساوٍ، ولا معه أحد ﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَنْ﴾ المراد: وحُرًّا ﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ المملوك مع الحر المالك للأموال لا ﴿الْحَمْدُ لِلهِ﴾ كلُّ الحمد له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أهل الحرم ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ مآل أمورهم.

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لعدم إدراكه وعمله ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾ ومولاه عائله ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لعدم إدراكه ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ مدرك حاوٍ للمحامد ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آية: ٧٧]:

﴿وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ما لا وصول للحس له أوامر المعاد ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لإرصاده لأمر الله ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو ما صحح عمله أو ما سوى المعدم أو ما سوى المحال ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آية:٧٨، ٧٩]:

﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ الأسماع ﴿وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ـه على آلائه لكم طورًا طورًا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الهواء ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلائل على الواحد الأحد ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [آية: ٨٠]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ مَأوَى مما هو مدر أو مرمر ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل على الرواحل ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ كالكساء والوطاء، ﴿وَمَتَاعًا﴾ أموالا ﴿إِلَى حِينٍ﴾ إلى مدد حصول أوطاركم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [آية: ٨١ - ٨٣]:

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا﴾ لرد الحر، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ محال للمأوى، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ كل كساء ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ المراد: وعكس الحر، ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ كالدروع ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ما أسلموا ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ ورد حال عدم ورود أمر المعارك.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ﴾ ما عددها لهم كلهم ﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ لإلحادهم ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آية: ٨٤]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو ادكر ﴿نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو رسوله على أممه ولها ﴿ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عودًا إلى الدار الأولى أو كلامًا ﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ رومًا للسلوك على أوامر الله.

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ

عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾ [آية: ٨٥ - ٨٨]:

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾(١) إلحادًا ﴿الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ولا إمهال لهم.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ كود وسواع، وما ادعوه إلها مع الله ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ وهو ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ردوا ما ادعوه لركوعهم لهواهم لا لهم أوردوا دعواهم لعلمهم لا إله مع الله الإله الواحد.

﴿وَأَلْقَوْا﴾ المراد: أهل إلحاد ﴿إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ سلَّموا لحكمه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ هو رد ما كود وسواع ما أعده الله لهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ الإسلام ودعوا إلى الإلحاد ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ هو صدهم ودعائهم الأمم إلى الإلحاد.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٩]:

﴿وَيَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو أورد أو اذكر ﴿نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هو رسولهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا﴾ الكلام إلى رسوله محمد ردد الله له أكمل السلام ﴿عَلَى هَؤُلاءِ﴾ أممك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الكلام المكرم ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كالحلال والحرام، والأحكام والأوامر، والروادع، ﴿وَهُدًى﴾ مما هو عمى، ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أهل الإسلام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا. ﴿الْعَذَابَ﴾ أي عذاب جهنم بالدخول فيها. ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يمهلون؛ إذ لا توبة لهم. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٦٢).

تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاَۢ بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [آية:٩٠، ٩٣]:

﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ المسلك الوسط لا عطل كعدم الإله أصلا ولا ادعاء أعداد، والعدل هو لا إله إلا الله ﴿وَالإِحْسَانِ﴾ أداء ما أمر الله على على أكمل الأحوال، ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ كالعم وولده والأرحام، والمراد: إعطاؤهم مهامهم، ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ العهر ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ إلحادًا أو سواه، ﴿وَالْبَغْيِ﴾ عدم العدل ﴿يَعِظُكُمْ﴾ أمرًا ورادعًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ﴾ هو لما عاهدوا الرسول ردد الله له أكمل السلام على الإسلام ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ كعدم دوامكم على العهود وسواه.

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ أحكام له ﴿أَنْكَاثًا﴾ حلا لأحكامه الأول ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ﴾ المراد: وسائط لا للصلاح لـ ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى﴾ عددًا ﴿مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللهُ بِهِ﴾ الهاء لأمر الدوام على العهود ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ عهدًا أو سواه.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل مسلك واحد ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال ملام ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لورودكم موارد أعمالكم صالحا وطالحا.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلاَۢ بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ

بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [آية: ٩٤ - ٩٦]:

﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ﴾ كرره مؤكدًا ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ على مسالك الإسلام، ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾ الهلاك حالا ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ لصدودكم أو لصد سواكم عمّا هو دوام على العهود، ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ مالا لدى المعاد.

﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلا﴾[1] هو ما وعدوه على عودهم إلى الإلحاد ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ مما وعدكموه على العود إلى مسالكهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ أموالا وسواها ﴿يَنْفَدُ﴾ هالك، ﴿وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ دائم لا هلاك له، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على العهود أو العدم ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [آية: ٩٧ - ١٠٠]:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ كالسرور وعدم الكدر لو معسرًا والسرور وعدم الحرص لو موسرًا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ﴾ المراد هم وأراد ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ اسأل الله رد وساوسه كما أمرك ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ

(١) قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلا﴾ نهى عن الرُشا وأخذ الأموال على نقض العهد؛ أي لا تنقضوا عهودكم لعرض قليل من الدنيا. وإنما كان قليلا وإن كثر لأنه مما يزول، فهو على التحقيق قليل، وهو المراد بقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ﴾ فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الآخرة بأن هذه تنفد وتحول، وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفي بالعهد وثبت على العقد. انظر الجامع لأحكام القرآن (١٠/١٧٣).

يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ سلوكا على ما أمرهم ووسوس لهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ الهاء عائد لاسم الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [آية: ١٠١، ١٠٢]:

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ لصالح ما ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ لوروده على مدار الحكم ﴿قَالُوا﴾ أهل الإلحاد ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ مدع ما لا أصل له ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ مدارك الكلام وحكم محو الأحكام.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ الطهر، والمراد: الملك الروح المطهر ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الإسلام، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الأولى سلموا لحكمه وأحكامه وإحكامه.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [آية: ١٠٣]:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ هو أحد الروم على دعواهم أو سواه ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ ما ادعوه ومالوا له كلامه ﴿أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا﴾ أومأ إلى كلام الله المكرم ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ وهل أحد أولاد الروم صالح معلما لكلام كالكلام المسموع لكم حاوٍ لسائر العلوم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [آية: ١٠٤، ١٠٥]:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ﴾ كلامه، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ كرره مؤكدًا للرد.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾ [آية: ١٠٦ - ١١٠]:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾ الاسم الموصول مسموك المحل على أول الكلام، أو هو اسم كمهما والمحمول أو المكمل مطروح، وهو معامل على سوء عمله أو ما أدى مؤداه ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ﴾ أكرهه مكره على كلام الإلحاد ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ﴾ وسع ﴿صَدْرًا﴾ وصار مسرورا له ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى ما هددهم وأوعدهم ﴿بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ وصاروا كمعدوم الحواس كلها، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما أمامهم وما هو معد لهم على سوء أعمالهم.

﴿لا جَرَمَ﴾ أدى مؤدى والله ﴿أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمرور أعمارهم سدى ومآل أمرهم إلى الهلاك الدائم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ المراد: إلى محل لحد الرسول ردد الله له السلام ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ أكرههم سواهم على كلام الإلحاد، ورواه راوٍ على وروده للمعلوم، والمراد: هم أكرهوا سواهم على ما حرر، ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على هول الكر والمعارك؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ومحمول العامل المؤكد دال على محمول العامل المؤكد الأول.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آية: ١١١]:

﴿يَوْمَ﴾ معمول لعامل مطروح هو اذّكر ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا هم لها سواها ﴿وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آية: ١١٢ - ١١٥]:

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلا قَرْيَةً﴾ الحرم، والمراد: أهلها ﴿كَانَتْ آمِنَةً﴾ أمر الكر والمعارك ﴿مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ مأكلها ومطعمها ﴿رَغَدًا﴾ واسعًا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ﴾ آلاء ﴿اللهِ﴾ ولا أسلم أهلها لرسوله، ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ أوردها وأراد إدراك المكروه ﴿اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ كما أورد الكساء وأراد ما هو عار كل أحد لدى حصول الروع مع عدم المأكل وعراهم المحل أعوامًا إلى السادس وواحد ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ هو محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ المحل والروع ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

(١) قال الطاهر ابن عاشور: لما أخبر عنهم بأنهم أذيقوا لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وكان إنما ذكر مِن صُنعهم أنهم كفروا بأنعم الله، زيد هنا أن ما كانوا يصنعون عامّ لكل عمل لا يرضي الله غير مخصوص بكفرهم نعمةَ الله، وإن من أشنع ما كانوا يصنعون تكذيبهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مع أنه منهم. وذلك أظهر في معنى الإنعام عليهم والرّفق بهم. وما من قرية أهلكت إلا وقد جاءها رسول من أهلها ﴿وما كان ربّك مهلك القرى حتى يبعث في أمّها رسولا يتلو عليهم آياتنا﴾ (سورة القصص: ٥٩). انظر التحرير والتنوير (١٤/٣٠٨).

﴿فكُلُوا﴾ الأمر لأهل الإسلام ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلالا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لا سواه.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لما سرد لهم ما أَحَلَّهُ عدد لهم ما حرمه وأكده رادعًا عما هو سلوك على مسلك الأهواء لأمر الحلال والحرام وهو.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [آية: ١١٦، ١١٧]:

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لا أحلّه الله ولا حرمه ﴿لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ﴾ لهم.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ هو مدد أعمارهم إلى ورود حمامهم، ﴿وَلَهُمْ﴾ لدى المعاد ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ [آية: ١١٨، ١١٩]:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم الهود ﴿حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو ما مؤداه، وعلى الأولى هادوا حرم كل إلى كمالها، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لسلوكهم مسلكًا أدّى إلى الأمر المحرر.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ المراد: الإلحاد أو ما هو أعم ﴿بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا﴾ أسلموا وعادوا إلى مولاهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ الهاء عائد لما أم السوء أو لما محاه ﴿لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [آية: ١٢٠ - ١٢٣]:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إمامًا، أو هو وارد مورد المدح على حد هو العالم كله ﴿قَانِتًا﴾ طائعًا﴿لِلهِ حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الهدى﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما ادَّعوا.

﴿شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ مسلك عدل.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كمدح سائر أهل الملل له وإعطائه صالح الأولاد مع طول العمر﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أهل المحل الأعلى.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الكلام إلى محمد ردد الله له السلام ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كرره للرد على ما ادَّعاه الهود وسواهم، وهو سلوكهم على مسلكه ردد الله له السلام.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [آية: ١٢٤]:

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ إكرامه وعدم عمله عملا لله﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على رسولهم وهم الهود، وسألوه موسى ردد الله له السلام﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ .

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [آية: ١٢٥ - ١٢٨]:

﴿ادْعُ﴾ الأمر لمحمد صلى الله على روحه وسلم، والمدعو هم الأمم﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ كلام الله المكرم ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [١] للعوام والأولى للعلماء،

---

(١) قال ابن الجوزي: المراد بالحكمة ثلاثة أقوال: أحدها أنها القرآن رواه أبو صالح عن ابن عباس والثاني الفقه قاله الضحاك عن ابن عباس والثالث النبوة ذكره الزجاج وفي الموعظة الحسنة قولان أحدهما مواعظ القرآن قاله أبو صالح عن ابن عباس والثاني الأدب الجميل الذي يعرفونه =

﴿وَجَادِلْهُمْ﴾ الهاء لأهل الإصرار ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كسرد الدلائل مع الكلام السهل ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ومعاملهم على أعمالهم، والحكم المحرر حال عدم ورود أمر المعارك، ولما أهلك أهل الإلحاد عم رسول الله صلى الله على روحه وسلم، ورآه كلم الرسول الأولى حوله ما حاصله إهلاك عدد معلوم محله أوحى الله له.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ سرده أولا وصرح له أمرا لما أوحى.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لحرصك على إسلامهم ﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ هَمّ وَكَدَر ﴿مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إكرامًا وإعلاءً على أعدائهم، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ سلوكًا على ما أمرهم.

=

قاله الضحاك عن ابن عباس. انظر زاد المسير (٥٠٦/٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الإسراء

مكية، إلا وَإِنْ كَادُوا [آية: ٧٣]،

الآيات الثماني، مائة وإحدى عشرة آية

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾(1) [آية: ١]:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد صلى الله على روحه وسلم ﴿لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الحَرَم الحرام ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى﴾ المُصلَّى المطهَّر على ما

---

(١) قال الرازي: إنما أسرى به من بيت خديجة. فالآية دالة إما على المسجد فقط، أو على الحرم كله، وعلى التقديرين فالمقصود حاصل، لأن الخلاف حاصل فيهما جميعاً، فإن قيل: المراد به الحج ولهذا قال: ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَاذَا﴾ لأن الحج إنما يفعل في السنة مرة واحدة، قلنا: هذا ضعيف لوجوه. أحدها: إنه ترك للظاهر من غير موجب. الثاني: ثبت في أصول الفقه أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون ذلك الوصف علة لذلك الحكم، وهذا يقتضي أن المانع من قربهم من المسجد الحرام نجاستهم، وذلك يقتضي أنهم ما داموا مشركين كانوا ممنوعين عن المسجد الحرام. الثالث: أنه تعالى لو أراد الحج لذكر من البقاع ما يقع فيه معظم أركان الحج وهو عرفة. الرابع: الدليل على أن المراد دخول الحرم لا الحج فقط قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ الله مِن فَضْلِهِ﴾ (التوبة: ٢٨) فأراد به الدخول للتجارة. وثانيها: قوله تعالى: ﴿أُولائِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ﴾ وهذا يقتضي أن يمنعوا من دخول المسجد، وأنهم متى دخلوا كانوا خائفين من الإخراج إلا ما قام عليه الدليل فإن قيل: هذه الآية مخصوصة بمن خرب بيت المقدس، أو بمن منع رسول الله صلى الله عليه وسلّم من العبادة في الكعبة، وأيضاً فقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلا خَائِفِينَ﴾ ليس المراد منه خوف الإخراج، بل خوف الجزية والإخراج، قلنا: الجواب عن الأول: أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ الله﴾ ظاهر في العموم، فتخصيصه ببعض الصور خلاف الظاهر.. انظر تفسير الرازي (١٠/٤).

حكاه الكلام المكرم كما صار له الإسراء إلى السماء على ما حكاه الرسول صلى الله على روحه وسلم، ورووه مصححًا، وصعد ومعه الروح سماءً سماءً إلى وصوله إلى الدار المعمور، وما وراءه ورأى ما رأى، وأوحى الله له ما أوحى، وعاد ردد الله له السلام إلى وطائه، ولما حكاه لأهل الإسلام الأولى حوله، سَلَّمَه مَلأ ورده رهط وعادوا إلى سوء مسلكهم، وسأله ملأ رسوم المصلى المطهر وسرد لهم رسومه مع علمهم لها أولا، وساوى ما حكاه لهم لما علموه، وسألوه رواحل لهم على المسالك، وأعلمهم أحوالها، وحدد لهم مددًا لورودها على أهلها، ولما رأوا الأمر كله كما حكاه وأعلمهم ادعوا السحر له وما أسلموا، وهل أمر الإسراء والصعود إلى السماء حصل حلما، أو لروحه ردد الله له السلام وحدها، أو لكله؛ وعدد العلماء على حصولهما لكله لا حلما ولا للروح وحدها، ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ حسا كالمأكل والأمواه وسواه كورود الملائك وحلول الرسل ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ كمروره وعوده إلى وطائه والمساء واحد ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكلام رسوله ﴿الْبَصِيرُ﴾ المُطلع على أعماله وأكرمه لما هو أهل الإكرام.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝٢ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [آية: ٢، ٣]:

﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الكلام الموحَى، ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلا تَتَّخِذُوا﴾ ورواه راوٍ على وروده للسامع ﴿مِنْ دُونِي وَكِيلا﴾ إلهًا موكولا له أمركم.

﴿ذُرِّيَّةَ﴾ مدعو على طرحها ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ حامد الله على سائر أحواله.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦﴾ [آية: ٤ - ٦]:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المراد: أوحى لهم ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ الموحى لموسى ردد الله له السلام ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هما عدم سلوكهم على أحكام الكلام

الموحَى لموسى وسواه وإهلاكهم لوالد الحصور ردد الله لهم السلام، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ كعدم مسراكم إلى العدل.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا﴾ عدم سلوكهم على أحكام الكلام الموحى لرسولهم ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ لدى المعارك، ﴿فَجَاسُوا﴾ راموكم ﴿خِلالَ الدِّيَارِ﴾ وسط محالكم لإهلاككم، ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا﴾.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ لكسركم وطردكم لهم، ﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ ملأ.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [آية: ٧، ٨]:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ﴾ لعود صالح أعمالكم لكم ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ لورودكم على سوء موردها، ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ سوى الأولى عادوا لكم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ المراد: لكمودها كدرًا، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ المُصلَّى المطهَّر ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وهدموه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا﴾ ما عائد إلى الأولى كسروا ﴿تَتْبِيرًا﴾ إهلاكا، وحصل كله أو الأولى هو إهلاكهم لوالد الحصور وما وراءها هو إهلاكهم للحصور ولده ردد الله لهما السلام، وكلاهما حصل.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ المراد: لو عادوا إلى الله عما صدروا صلحوا عملهم، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى عدم الصلاح وسوء العمل﴿ عُدْنَا﴾ إلى الأمر الأول، وعادوا لما أرسل محمد صلى الله على روحه وسلم كردهم مُدَّعاه وإصرارهم على السوء والمكروه له، وعاد لهم الإهلاك وسواه مما حصل، ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ حصرهم الله وسطها.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولاً﴾ [آية:٩ - ١١]:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ .

﴿وأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ المعاد ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، وهو دار الهلاك الدائم، ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على أهله وولده لدى كدره أو حصول أمرٍ له ﴿دُعَاءَهُ﴾ المراد: كدعائه لهم ﴿بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولا﴾ لإسراعه إلى الدعاء وعدم لَمْحِهِ مآل الأمور.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [آية: ١٢ - ١٥]:

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ كلاهما دالٌّ على كَمَالِ حُكْمِ المولَى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ وطمسها سواد الدهماء لحصول كمال أمر المأوى للأمم، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مَسعَى إلى مصالحكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ للعوام وسواها، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا﴾ .

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ عَمَلِهِ ﴿فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ حَوَى أعماله كلها ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ والأمر له هو؛ ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ .

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا هداه وصالح عمله عائد لسواه، ولا عماه وطالح عمله مردٍ سواه، ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لا أحد حامل سوء حمل أحد كل وارد موارد أعماله، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ مُعَلَّمًا ومُعَلِّمًا الأمم الأحكام وما أوحاه له مولاه.

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا

تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [آية: ١٦، ١٧]:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ المراد: أهلها ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المراد: رؤساؤها كإرسال الرسل ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ مردوا على أوامر الرسل وما أطاعوا، ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ المحدود لهلاكها ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ دمّروا هلك واحد.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا ومطلعًا على أعمالهم كلها وعكسه.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ [آية: ١٨ - ٢٢]:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ حال عَمَلِهِ ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ الدار الأولى وحُطامها ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ لا للكل، وهل كل أحد حاصل على مرامه وهواه، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ لدى المعاد ﴿جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا﴾ ملومًا ﴿مَدْحُورًا﴾ مطرودًا(١).

﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ عَمَلَ لها عملها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ لدى الله.

﴿كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ﴾ عامله كعامل (كلا) على وهم للعامل المكرر ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ كل حاصل على آلاء المولى مسلمًا أو ملحدًا.

---

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿من كان يريد العاجلة﴾ يعني من كان يريد بعمله الدنيا فعبر بالنعت عن الاسم عجلنا له فيها ما نشاء من عرض الدنيا وقيل من البسط والتقتير لمن نريد فيه قولان: أحدهما لمن نريد هلكته قاله ابو اسحاق الفزاري والثاني لمن نريد أن نعجل له شيئًا وفي هذا ذم لمن أراد بعمله الدنيا وبيان أنه لا ينال مع ما يقصده منها إلا ما قدر له ثم يدخل النار في الآخرة وقال ابن جرير هذه الآية لمن لا يوقن بالمعاد. انظر زاد المسير (٥/٢٠).

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مآلا وسؤددًا، ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا﴾ وأمرها أهم والعمل للأهم أَوْلَى.

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الكلام والردع ورد للرسول صلى الله على روحه وسلم وهو الرأس، والمراد: المرؤوس والإمام، والمراد: المأموم ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولا﴾.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [آية: ٢٣، ٢٤]:

﴿وَقَضَى﴾ أَمَرَ ﴿رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ مصدر عامله أمره المطروح ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ﴾ ورواه راوٍ مع المد أمام المؤكد ﴿عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ ورواه راوٍ مع الكسر وحده، ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ رادعًا لهما عمَّا أراداه أو عملا، ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا﴾ سهلا حلوًا.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ راحمًا لحالهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ
كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ
وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ
أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ
وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ
أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا
مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا
عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [آية: ٢٥ - ٤٠]:

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ سرد كالمهدد لكل مصر على المكروه لهما ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ﴾ لكل عائد وراع له ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر وكدر والده أو أمه مع عدم الإصرار.

﴿وَآتِ﴾ اعط ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ المحارم أو الأرحام، وحمله على هؤلاء أَوْلَى ﴿حَقَّهُ﴾ كإطعامه وإكرامه ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ كإعطاء الأموال سوى أهلها ومحالها.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ لسلوكهم على مسلكهم أو على ما وسوسوا لهم، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ وحكم السالك على مسلكه وأمره كحكمه.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ المحرر أسماؤهم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ المراد: ولو عدم إعطائك وإكرامك لهم صادر لأمل حصولك على مآل ومما هو حاصل معط لهم، ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلا مَيْسُورًا﴾ سهلا كالوعد إلى الحصول.

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾(١) كالإمساك كل الإمساك ﴿وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك﴾ سبب نزولها أن غلاما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أمي تسألك كذا وكذا قال ما عندنا اليوم شيء قال
=

﴿الْبَسْطِ﴾ كإعطائك كل أحد محل الإعطاء أولا ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ عائد للأول ﴿مَحْسُورًا﴾ سادمًا أو محسومًا لا مال لك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ موسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ما هو موسع ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالم ومطلع على سرائر الأمم وكلا الإعطاء وعدمه مؤسس على المصالح والحكم.

﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ﴾ وأدًا ﴿خَشْيَةَ﴾ روع ﴿إِمْلاقٍ﴾ عدم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا﴾.

﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾ ساء مسلكًا هو، ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ﴾ كولده أو والده، أو كل أحد عاد مآل الهالك له ﴿سُلْطَانًا﴾ على مهلكه ﴿فَلا يُسْرِفْ﴾ المراد: عدم عدوه الحدود ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ كإهلاكه سوى المهلك ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ لورود أمر الله أعمالا للحدود.

﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ ما عاهدوه أو عوهدوه ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا﴾.

﴿وَأَوْفُوا﴾ أكملوا ﴿الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ هو كل ما أعد لعلم عدد الدراهم والأرطال ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ العدل ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلا﴾ مآلا لكم.

﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ الروع ﴿كُلُّ أُولَئِكَ

=

فتقول لك اكسني قميصك قال فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت حاسرا فنزلت هذه الاية قاله ابن مسعود وروى جابر بن عبد الله نحو هذا فزاد فيه فأذن بلال للصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرأوه عريانا فنزلت هذه الاية والمعنى لا تمسك يدك عن البذل كل الامساك حتى كأنها مقبوضة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط في الاعطاء والنفقة فتقعد ملوما تلوم نفسك ويلومك الناس محسورا قال ابن قتيبة تحسرك العطية وتقطعك كما يحسر السفر البعير فيبقى منقطعا به قال الزجاج المحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء فالمعنى فتقعد وقد بلغت في الحمل على نفسك وحالك حتى صرت بمنزلة من قد حسر قال القاضي ابو يعلى وهذا الخطاب اريد به غير رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه وقد كان كثير من فضلاء الصحابة ينفقون جميع ما يملكون فلم ينههم الله لصحة يقينهم وانما نهى من خيف عليه التحسر على ما خرج من يده فأما من وثق بوعد الله تعالى فهو غير مراد بالاية. انظر زاد المسير (٢٩/٥).

كَانَ﴾ المرء ﴿عَنْهُ مَسْئُولا﴾.

﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ أصله كمال السرور ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ﴾ ولا صادعًا لها صدعًا لوطئكها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا﴾.

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المحرر ﴿كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ أومأ إلى الأحكام المار سردها ﴿مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ الكلام إلى الرسول محمد ردد الله له أكمل السلام، ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ ردع للرأس والإمام، والمرد: المرؤوس والمأموم ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ مطرودًا.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ السؤال لأهل الحرم الحرام ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا﴾ على دعواكم لا ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيمًا﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [آية:٤١، ٤٤]:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ المراد: سرد الحكم المسطور مكررًا ﴿فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا﴾ عما هو مسلك العدل.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ مع الله ﴿آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لابْتَغَوْا﴾ راموا ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ وهو الله ﴿سَبِيلا﴾ مسلكًا للكر كعمل الملوك مع الملوك؛ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ له ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ لإمهاله لكم على إلحادكم ﴿غَفُورًا﴾ لكلّ عائدٍ له.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ

وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [آية: ٤٥ - ٤٨]:

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ رادًا عما أرادوه، وهو إعدامك أو حصول مكروه لك.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أكلا لا ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الهاء عائد لكلام الله المكرم، والمراد: لعدم إدراكهم مؤداه، ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ لعدم سماعهم له، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ مع عدم سردك لا إله لهم، ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ حال سماعك لك وما سمعوه ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ كل محاورٍ لأمره ﴿إِذْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر مما مر ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ لما حاوروا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلا رَجُلا مَسْحُورًا﴾ سحر وعدم حلمه وإدراكه.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ﴾ كالساحر والمسحور والملموم وسواها ﴿فَضَلُّوا﴾ عما هو هدى ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلا﴾ مسلكًا إلى الهدى، أو إلى عوراء الرسول صلى الله على روحه وسلم.

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [٤٩ - ٥٢]:

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ حطامًا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا﴾ مصدر أو حال ﴿جَدِيدًا﴾.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[1] مما لا صلوح له للروح لا معدل لعدم

(١) قال الطاهر ابن عاشور: أنه تعالى لما قدر على تخليق ما هو أعظم من أبدان الناس فكيف يقال: =

عودكم وحلول أرواحكم محالها الأول ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وأصلكم العدم ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ محركًا كل رأسه، وحاكما على محال كلامك، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ أمر المعاد ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ سراعًا إلى الدعاء ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أمره أو كل حامدًا له على الحال ﴿وَتَظُنُّونَ إِنْ﴾ ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا﴾ لهول ما هو داهمكم.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [آية: ٥٣، ٥٤]:

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿يَقُولُوا﴾ لأهل الإلحاد ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ﴾ موسوسًا ومحركًا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ المراء وعدم الصلاح ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ ولما أمر الله أهل الإسلام سلوكًا مع أهل الإلحاد على مسالك الكلام السهل علمهم ما هو وهو.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ المراد: لو أسلموا وعادوا إلى مولاهم ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ لو داموا على سوء مسالكهم إلى ورود حمامهم، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلا﴾ موكولا أمرهم ومكرهًا لهم على الإسلام، والحكم المحرر ورد حال أمر الكر وأعمال الصوارم.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ

=

إنه لا يقدر على إعادتها ؟ فإن من كان الفعل الأصعب عليه سهلا، فلأن يكون الفعل السهل الحقير عليه سهلا كان أولى وهذا المعنى مذكور في آيات كثيرة: منها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْض بِقَادِرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ (يس: ٨١) وثانيها: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الذي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالارْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحيي الْمَوْتَى﴾ (الأحقاف: ٣٣) وثالثها: ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧). انظر تفسير الرازي (٢٠٦/١٧).

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [آية:٥٥، ٥٧]:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ عالم أحوال الأمم كلهم ومحل الإرسال وأهله، وهو رد لردهم دعوى محمد ردد الله له السلام الإرسال لعدم صلوحه له ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ هو إدراك كل واحد إكرامًا ما أدركه سواه كالكلام لموسى، وملك ولد داود، وإسراء محمد ردد الله لهم أكمل السلام ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

﴿قُلِ﴾ لهم ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ المراد الأولى سموهم إلها ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائك والروح وسواهم ﴿فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلا﴾ له إلى محل سواكم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلها ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ كلهم رائم المسلك الموصل إلى الله ﴿أَيُّهُمْ﴾ معمول على مسلك وهم العامل المكرر للواو، والمراد: رام مسالك الوصول إلى الله الأولى هم ﴿أَقْرَبُ﴾ إلى الله، وروم سواهم لها أولى، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ ومروعًا كل أحد ولو ملكًا أو رسولا.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [آية: ٥٨]:

﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ المراد: أهلها ﴿إِلا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ لحلول الأعمار وورود الحمام ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ إهلاكًا وأسرًا ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح ﴿مَسْطُورًا﴾ محررًا.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [آية: ٥٩]:

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ ما سأله أهل الحرم الرسول ردد الله له السلام كالعصا وورود الملائك معه ﴿إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ وأهلكوا، ولو حصل إرسالها إلى هؤلاء لردوها وما أسلموا وأدى الحال إلى إهلاكهم مع صدور حكم الإمهال

لكمال أمر محمد ردد الله له السلام، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ لما سألوها رسولهم صالحًا ﴿مُبْصِرَةً﴾ ساطعًا أمرها ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ وأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ﴾ الدلائل على الإرسال ﴿إلا تَخْوِيفًا﴾ للأمم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [آية: ٦٠]:

﴿وَإِذْ﴾ عامله مطروح أورد أو ادكر ﴿قُلْنَا لَكَ﴾ المراد: ما أوحاه له، وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علمًا ومرادًا، كل أمر أراده حاصل لا مرد له ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ المراد: الإسراء ﴿إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل الحرم لما سمعوها وعاد رهط إلى الإلحاد، ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ الطرد لطاعمها حاصل ﴿فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إلا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [آية: ٦١ - ٦٥]:

﴿وَإِذْ﴾ معمول لأورد مطرحًا ﴿قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ اركعوا ﴿لآدَمَ﴾ ركوع سلام وإكرام، ﴿فَسَجَدُوا إلا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ معمول على طرح عامل الكسر.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ﴾[1] اللام لام مؤل ﴿أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ

(١) رأى هنا علمية فتتعدى إلى مفعولين، أولهما ﴿هذا﴾ والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه، والكاف حرف خطاب مؤكد لمعنى التاء قبله، والاسم الموصول ﴿الذي﴾ بدل من ﴿هذا﴾ أو صفة له، والمراد من التكريم في قوله ﴿كرمت علي﴾: التفضيل. والمعنى: قال إبليس في الرد على =

الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ﴾ اصطلامًا ﴿ذُرِّيَّتَهُ﴾ موسوسًا لهم وموصلهم إلى أسوء المسالك وَأَرْدَى المهالك ﴿إلا قَلِيلا﴾ هم الأول عصمهم الله.

﴿قَالَ﴾ الله له ﴿اذْهَبْ﴾ ممهلا كسؤلك ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً﴾ مصدر ﴿مَوْفُورًا﴾ مكملا.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾ دعائك ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ كل ملائك ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ﴾ حمله لهم على حصول المال الحرام ﴿وَالأَوْلادِ﴾ لكل عاهر ﴿وَعِدْهُمْ﴾ موسوسًا لهم، وحاملهم على الإصرار على عدم حصول المعاد، ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلا غُرُورًا﴾ ما لا أصل له.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أهل الإسلام ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلا﴾ موكولا له أمورهم وهو كالئهم وعاصمهم.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا﴾ [آية: ٦٥ - ٦٩]:

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ مصالحكم وأوطاركم ﴿إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ روع الهلاك وسط الماء ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾ كل مدعو لكم سواه ﴿إلا إِيَّاهُ﴾ وحده، ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ مما روعكم وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا﴾.

=

خالقه - عز وجل - : أخبرني عن هذا الإنسان المخلوق من الطين، والذي فضلته على، لماذا فضلته علي وأمرتني بالسجود له مع أنني أفضل منه، لأنه مخلوق من طين، وأنا مخلوق من نار!! انظر التفسير الوسيط (٥/٦٤).

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ كما أهلك مالك الأموال المعلوم ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ما رَمَى الحصا كما حصل لملأ لوط، ﴿ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا﴾ كالئًا مما أراد وحل.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ الهاء عائد إلى الطم ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ مرورها كأسر لمصادمها ﴿فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ مداع رائم لدمكم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [آية: ٧٠ - ٧٢]:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ صورًا وعلمًا وكلامًا وسواها ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ على الرواحل وسواها ﴿وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ ولاء وملكًا وسؤددًا وإكرامًا، والاسم الموصول إما وارد مورد ما، وإما وارد على أصل مورده وعم الملك عموم الإعداد العام لا عموم الآحاد.

﴿يَوْمَ﴾ معمول لمطروح هو ادَّكر ﴿نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ رسولهم أو طرس أعمالهم ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وهم السعداء ﴿فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾ عملا ما.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ الدار ﴿أَعْمَى﴾ عَمَّا هو هدى ﴿فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ما هو مهدى إلى المسلك الموصل إلى السلام ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلا﴾ ولما سأل ملأ رسول الله صلى الله على روحه وسلم إحرام وأدلهم كالحرام الحرام أوحى الله لرسوله.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا

قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [آية: ٧٣ - ٧٧]:

﴿وَإِنْ﴾ أصلها العامل المؤكد واسمها الهاء ﴿كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا﴾ لو حصل مسؤلهم ومرادهم ﴿لاتَّخَذُوكَ خَلِيلا﴾.

﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا﴾ لإلحاحهم ﴿إِذًا﴾ لو صدر الأمر المسطور ﴿لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ ما هو معد لسواك مما هو ألم ﴿الْحَيَاةِ وَضِعْفَ﴾ ما هو لسواك لو عمله مما هو ألم ﴿الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ عاصمًا مما حرَّر.

﴿وَإِنْ﴾ أصله المؤكد واسمه الهاء مطروحًا ﴿كَادُوا﴾ الواو للهود ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ محل لحده المكرم ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ حصل ما أرادوا ﴿لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا﴾ لهلاكهم.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ لما طردوا رسلهم ﴿وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا﴾.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [آية: ٧٨ - ٨٢]:

﴿أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ﴾ حول ﴿الشَّمْسِ﴾ عما هو وسط السماء ﴿إِلَى﴾ ورود ﴿غَسَقِ﴾ سواد ﴿اللَّيْلِ﴾ والمراد: صَلِّ العصر وما أمه العصر، وصل ركوع أول المساء وما أمه ﴿وَقُرْءَانَ﴾ وصل ركوع ﴿الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ لملائك المساء وعكسه.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ صلِّ ﴿بِهِ﴾ الهاء للكلام المكرم ﴿نَافِلَةً﴾ مؤكدًا أمرها ﴿لَكَ﴾ وحدك ولأهل الإسلام سواك عمل طوع لا أمر مؤكد ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ حامدك على حصوله لك أهل السماء وسواهم، وهو على ما صحح سؤاله مولاه أرحم الرحماء سماحًا لأهل لا إله إلا الله.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي﴾[1] اللحد أو المراد ما حوى اللحد المكرم ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾

---

(١) قال الرازي: قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وفيه مباحث: البحث الأول: أنا ذكرنا في تفسير قوله: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الارْضِ﴾ (الإسراء: ٧٦) قولين: أحدهما: المراد منه سعي كفار مكة في إخراجه منها. والثاني: المراد منه أن اليهود قالوا له الأولى لك أن تخرج من المدينة إلى الشام ثم إنه تعالى قال له: ﴿أَقِمِ الصَّلَواةَ﴾ واشتغل بعبادة الله تعالى ولا تلتفت إلى هؤلاء الجهال فإنه تعالى ناصرك ومعينك ثم عاد بعد هذا الكلام إلى شرح تلك الواقعة فإن فسرنا تلك الآية أن المراد منها أن كفار مكة أرادوا إخراجه من مكة كان معنى هذه الآية أنه تعالى أمره بالهجرة إلى المدينة وقال له: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ - وهو المدينة - ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ - وهو مكة. وهذا قول الحسن وقتادة وإن فسرنا تلك الآية بأن المراد منها أن اليهود / حملوه على الخروج من المدينة والذهاب إلى الشام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم منها ثم أمره الله بأن يرجع إليها كان المراد أنه عليه الصلاة والسلام عند العود إلى المدينة قال: ﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وهو المدينة - ﴿وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ يعني أخرجني منها إلى مكة مخرج صدق أي افتحها لي. والقول الثاني: في تفسير هذه الآية وهو أكمل مما سبق أن المراد ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ - في الصلاة - ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ منها مع الصدق والإخلاص وحضور ذكرك والقيام بلوازم شكرك. والقول الثالث: وهو أكمل مما سبق أن المراد: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ منها بعد الفراغ منها إخراجاً لا يبقى علي منها تبعة ربقية. والقول الرابع: وهو أعلى مما سبق: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ في بحار دلائل توحيدك وتنزيهك وقدسك ثم أخرجني من الاشتغال بالدليل إلى ضياء معرفة المدلول ومن التأمل في آثار حدوث المحدثات إلى الاستغراق في معرفة الأحد الفرد المنزه عن التكثيرات والتغيرات. والقول الخامس: أدخلني في كل ما تدخلني فيه مع الصدق في عبوديتك والاستغراق بمعرفتك وأخرجني عن كل ما تخرجني عنه مع الصدق في العبودية والمعرفة والمحبة والمقصود منه أن يكون صدق العبودية حاصلا في كل دخول وخروج وحركة وسكون. والقول السادس: أدخلني القبر مدخل صدق وأخرجني منه مخرج صدق. البحث الثاني: مدخل بضم الميم مصدر كالإدخال يقال أدخلته مدخلا كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلا مُّبَارَكًا﴾ (المؤمنون: ٢٩) ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق مدحهما كأنه سأل الله تعالى إدخالا حسناً وإخراجاً حسناً لا يرى فيهما ما يكره ثم قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠) أي حجة بينة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني. وبالجملة فقد سأل الله تعالى أن يرزقه التقوية على من خالفه بالحجة وبالقهر والقدرة، وقد أجاب الله تعالى دعاءه وأعلمه بأنه يعصمه من الناس فقال: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧) وقال: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢) =

لا أرى ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ إلى المعاد على الأول، أو مما هو الحرم الحرام ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مكرمًا على المحمل الأول أو سالمًا على سواه، ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ على الأعداء.

﴿وَقُلْ﴾ لدى حلولك الحرم الحرام ﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ الإلحاد ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مارًا لا دوام له.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ما هو لصلاح الحال والمعاد كالدواء لأهل العلل والهلكى، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ أهل الإلحاد ﴿إِلا خَسَارًا﴾.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [آية: ٨٣، ٨٤]:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ﴾ وصار مصحًا موسعًا ﴿أَعْرَضَ﴾ عما هو مسلك أحمد لمولاه، ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ لواه، ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الداء والعدم ﴿كَانَ يَئُوسًا﴾.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ كل أحد سالك على مسالك ما حكاه حاله إما الهدى وإما عكسه، ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا﴾ مسلكًا.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ [آية: ٨٥ - ٨٧]:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ الواو للهود ﴿عَنِ﴾ حد ﴿الرُّوحِ﴾ ملاك ولد آدم وسواه ﴿قُلِ﴾ لهم

=

وقال: ﴿لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كُلِّه﴾ (التوبة: ٣٣) ولما سأل الله النصرة بين الله له أنه أجاب دعاءه فقال: ﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ﴾ وهو دينه وشرعه - ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ وهو كل ما سواه من الأديان والشرائع، وزهق بطل واضمحل، وأصله من زهقت نفسه تزهق أي هلكت، وعن ابن مسعود: "أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب على وجهه". وقوله: ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ يعني أن الباطل وإن اتفقت له دولة وصولة إلا أنها لا تبقى بل تزول على أسرع الوجوه والله أعلم. انظر تفسير الرازي (٣٨٨/٢١).

﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ علم الله وحده لا وصول للحس إلى إدراكها، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلا﴾.

﴿وَلَئِنْ﴾ اللام لام مؤل ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وهو الكلام المكرم كالطمس لمحاله طروسًا أو صدورًا ﴿ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلا﴾ لعوده ورده لك مسطورًا.

﴿إِلا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ لعل حصولها راده لك ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ [آية: ٨٨، ٨٩]:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ رداء، ولعل عدم سرد الملائك لعدم ورودهم مع أهل المراء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ للهدى.

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾﴾ [٩٠ - ٩٣]:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ ماء.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلا﴾ كلهم مرى لكل راء، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أحمر المال، ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ صعودًا، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ وحده ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ معلما ودالا على إرسالك

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إلا بَشَرًا﴾ كسائر ولد آدم ﴿رَسُولا﴾ كسائر الرسل، وأمر الدلائل عائد لله على ما هو ملائم حال الأمم لا للرسل.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [آية: ٩٤ - ٩٦]:

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولا﴾ إلى الأمم وما أرسل ملكا.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ﴾ محل ولد آدم ﴿مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولا﴾ والمراد: أمر الرسول مراعى معه حال المرسل لهم إلى الملائك ملك والى ولد آدم، وما ساواهم ولد آدم ﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على أمر الإرسال ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا ومُطلعًا أسرارهم وأحوالهم كلها.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [آية:٩٧،١٠٠]:

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ

﴿الْقِيَامَةِ﴾[1] كلما ساروا ساروا ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ كلها أحوال ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ﴾ هدأ سعرها لأكل لحومهم وإدمهم ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ رد الأمر المعاد ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ حطامًا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ مع حالهما ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلا﴾ لورود حمامهم وحلول أعمارهم أو لمعادهم ﴿لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلا كُفُورًا﴾ وردا له.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ وسائر آلائه ﴿إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنْفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ ممسكًا حد الإمساك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [آية: ١٠١ - ١٠٤]:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ العصا وممسكها وعلو الماء على دورهم وما سلطه الله لكل كلائهم ومحصودهم والسوس المسلط على ممارهم، وما ورد على

(١) قوله - سبحانه - : ﴿وَمَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتد وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ﴾ كلام مستأنف منه - تعالى - لبيان نفاذ قدرته ومشيئته. أي: ومن يهده الله - تعالى - إلى طريق الحق، فهو الفائز بالسعادة، المهدى إلى كل مطلوب حسن، ﴿ومن يضلل﴾ أي: ومن يرد الله - تعالى - إضلاله ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿أولياء﴾ أي: نصراء ينصرونهم ويهدونهم إلى طريق الحق ﴿من دونه﴾ عز وجل، إذ أن الله - تعالى - وحده هو الخالق للهداية والضلالة، على حسب ما تقتضيه حكمته ومشيئته. وجاء قوله - تعالى - ﴿فهو المهتد﴾ بصيغة الإفراد حملا على لفظ ﴿من﴾ في قوله ﴿وَمَن يَهْدِ الله﴾ وجاء قوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ بصيغة الجمع حملا على معناها في قوله: ﴿ومن يضلل﴾. قالوا: ووجه المناسبة في ذلك - والله أعلم - أنه لما كان الهدى شيئًا واحدًا غير متشعب السبل، ناسبه الإفراد، ولما كان الضلال له طرق متشعبة، كما في قوله - تعالى - : ﴿وَلا تَتَّبِعُواْ السبل فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ ناسبه الجمع. انظر التفسير الميسر (٥/٨٦).

مأكلهم ودورهم وملأها والدم والطمس والمحل أو الطور وصدع الطم لمرورهم وسطه، وهطل الماء لما أمر الله موسى وصدع ما هو كالمرمر، وهؤلاء محل علو الماء على دورهم والطمس والمحل، ﴿فَاسْأَلْ﴾ الأمر لمحمد ردد الله له أكمل السلام، والمراد: اسأل ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عما حصل لموسى مع عدوه، ورواه راوٍ (سال) على عوده إلى موسى ردد الله له السلام ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ معدوم الحلم والإدراك.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ﴾ الدلائل ﴿إِلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ حال دوال على الإرسال، ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ هالكًا.

﴿فَأَرَادَ﴾ عدو موسى ﴿أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ﴾ طاردًا موسى وملأه ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ مصر ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ﴾ حلول دور الدهور والإعصار ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ السعداء وعكسهم معًا.

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانًا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٍ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ۩﴾ [آية: ١٠٥ - ١٠٩]:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الهاء للكلام المكرم، والمراد: مكلوءا مع الأملاك ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ على رسول الله صلى الله على روحه وسلم، ولعل الورود الأول إلى السماء الأولى كما هو وارد مصححًا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا مُبَشِّرًا﴾ أهل الإسلام ﴿وَنَذِيرًا﴾ أهل الإلحاد.

﴿وَقُرْءَانًا﴾ معمول لعامل داله هو ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ ما ورد لك ورود أو أحدا كله معا ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهلٍ لما هو أسهل للإدراك، ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا﴾ على مدار المصالح.

﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ هم مسلموا الأمم ﴿إِذَا

يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ اللحى ﴿سُجَّدًا﴾ حمدا لحصولهم على الوعد.

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ﴾ أصله العامل المؤكد واسمه الهاء مطروحًا ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا﴾ .

﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ اللحى ﴿يَبْكُونَ﴾ لما عراهم لدى سماعهم له، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ سماع كلام الله ﴿خُشُوعًا﴾ ولما دعا رسول الله ردد الله له السلام وسأل طورا الله، وطورا الراحم، وأسرع وهم أهل الإلحاد إلى ورود الراحم لسوى الله ولوموا على دعائه مع الله سواه أوحى الله لرسوله.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [١١٠، ١١١]:

﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وكلها أسماء لمُسمًّى واحد، وهو الله علا اسمه وسما حمده، ومما ورد أسماء الله على المسلك والمصطلح المعلوم: الله لا إله إلا هو، الملك، السلام، المصور، الحكم، العدل، الواسع، الودود، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، مالك الملك.

﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ﴾ الردع لعدم إسماع أهل الإلحاد كلام الله الحامل لهم على عدو حدودهم، والكلام السوء إلى الرسول وسواه ﴿وَلا تُخَافِتْ بِهَا﴾ إسرارًا إلى حد عدم سماع الأولى وراءك ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا﴾ مسلكًا وسطًا.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ [1] المراد: ما معه

---

(١) هذه الآية رادة على اليهود والنصارى والعرب في قولهم أفذاذا: عزير وعيسى والملائكة ذرية الله سبحانه تعالى الله عن أقوالهم ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ لأنه واحد لا شريك له في ملكه ولا في عبادته ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ قال مجاهد: المعنى لم يحالف أحدا ولا ابتغى نصر أحد أي لم يكن له ناصر يجيره من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي: لم يكن له ولي من اليهود والنصارى لأنهم أذل الناس ردا لقولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه وقال الحسن بن الفضل: ولم يكن له ولي من الذل يعني لم يذل فيحتاج إلى ولي ولا ناصر لعزته وكبريائه ﴿وكبره تكبيرا﴾ أي عظمه عظمه تامة ويقال: أبلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والإجلال. انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٤٥/١٠).

إله، لا إله إلا هو ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ﴾ أحد موالٍ له ﴿مِنَ الذُّلِّ﴾ وسرد الحمد مؤسسًا على ما عدده دال على مورده له لا لسواه، وهو أهل الكمال والمحامد كلها ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ والأمر المؤكد دل على عدم وصول حمد كل حامد إلى حد ما هو أهله.

فهرس المحتويات

DURR AL-ᵓASRĀR FĪ TAFSĪR AL-QURᵓĀN BIL-ḤURŪF AL-MUHMALAH

by
Al-mufti Maḥmūd ben Muḥammad Nasīb
Al-Ḥusayni al-Ḥamzāwi

Edited by
Usāmah ᶜAbdul-ᶜAẓīm

Volume I

دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban